عبد الرحمن الصالح الشبيلي



محمد الحمد الشبيلي

أبو سليمان

سفير المملكة العربية السعودية
في العراق والباكستان والهند وافغانستان وماليزيا

١٣٣٠هـ - ١٤٠٩هـ / ١٩١٠م - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

(فصلت ـ ٣٥)



ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عز وجل .

(رواه مسلم والترمذي)



٩٢٣,٢٥٣١ الشبيلي، عبد الرحمن صالح،
٧٢٤ ش محمد الحمد الشبيلي «أبو سليمان» / عبد الرحمن
صالح الشبيلي ٠ ـ ط ٠١ ـ الرياض : ع.س. الشبيلي،
١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
٥٠٠ ص؛ ٢٨ سم.
ردمك ٤ ـ ٠٧٠ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠
١. السعودية ـ السياسيون . أ. العنوان.

رقم الإيداع: ١٤/١٣٢٤

مكتبة الملك فهد الوطنية
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

عبد الرحمن الصالح الشبيلي

محمد الحمد الشبيلي

أبو سليمان



سفير المملكة العربية السعودية
في العراق والباكستان والهند وأفغانستان وماليزيا
١٣٣٠هـ - ١٤٠٩هـ/ ١٩١٠م - ١٩٨٨م

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



إلى وطننا العزيز

الذي أنجب الكثير من أبنائه البررة ، المتمسكين بعقيدتهم ، العظماء بجهادهم وصبرهم ، النبلاء بأخلاقهم ، الأخيار بجهودهم ، الأوفياء ببرهم ، الأصلاء بوطنيتهم وولائهم.
الذين أسهموا تحت راية الراحل العظيم جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، طيب الله ثراه ، في توحيد أرض الوطن ، أو عملوا مع أبنائه من بعده في سبيل تنميته ورفع شأنه .

هذه صفحات من جهود واحد من تلامذة الملك عبد العزيز وأبنائه وجنودهم المخلصين .

المؤلف



الناسُ بالناسِ مَا دَامَ الحياةُ بهم	والسعدُ لاشك تاراتٌ وهبّاتُ
وأفضلُ الناسِ ما بينَ الورَى رجلٌ	تُقضى على يدِه للناسِ حاجَاتُ
لاتمنعَنّ يدَ المعروفِ عَن أحَدٍ	مادمتَ مقتدراً فالسعدُ تاراتُ
واشكرفضَائلَ صنعِ الله إذ جُعلت	إليكَ، لالكَ عند الناس حَاجَاتُ
قد مات قومٌ وما ماتت مكارمُهمْ	وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

الإمَام الشَافعي
يرحمه الله

الحكمة المأثورة التي كان يتمثل بها الشيخ محمد ويعلقها في مجلسه، وكانت ترافقه دائما في مقار إقامته، مما يمكن معه اعتبارها: أحد مفاتيح شخصيته.

المحتويات

الموضوع	الصفحة



الصفحة

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل بن عبدالعزيز "وزير الخارجية"

سعدت كثيراً بصـدور هذا السِّفْـر القيم الذي يضم بين ثنـاياه سيرة أحد الـرجال المشهـود لهم بالفضل والمكـانة البارزة في مجتمعنا العربي السعودي .

لقد كان الشيخ محمد الحمـد الشبيلي ـ يرحمه الله ـ أحد هذه النماذج الفريدة ، بما عرف عنـه من الفضائل ، وبما تميز به شخصـه وسلوكـه من سمات وصفات ، جعلت منـه ما يشبـه الأسطـورة ، لكثرة مـا رواه عنه عـارفوه ومحبـوه من قصص وحكايات ، تخرج عن المعهود ، وتقترب من حدود الخيال .

ولقد انتهج الـدكتور عبد الـرحمن الصالح الشبيلي في إخراجه لهذا الكتـاب منهجاً حميداً ، يستحق عليـه الثناء ، أولاً : لأنه أخذ على عاتقه جمع مآثر الشيخ محمد وقصصه الشيقة ، والتي يجدر بنا جميعاً الرجوع إليها والاقتداء بها ، وثانياً : لأنه أكد على ضرورة تناول سيرته من زاوية كـونه إنساناً من نتاج مجتمعنا ، وليس ظاهرة غريبة عليـه ، وقد انعكس هذا التوجه



سمو الأمير سعود الفيصل يزور بغداد وكيلاً لوزارة البترول والثروة المعدنية (شعبان ١٣٨٨ هـ - نوفمبر ١٩٦٦م)

بالفعـل في الكثير من المقالات والقصـائد وكلمات الرثاء التـي تضمنها هذا السجـل ، والتي تنطق جميعاً بـالوفـاء والمحبة والإخلاص لمن هو أهل لذلك كله .

لقد كـان الفقيد على امتـداد خدمتـه الطويلة للـدولة ، والتي قـاربت ستين عامـاً ، قدوة في الخلق الـرفيع وأستاذاً في الوطنية والولاء ، ويحفل سجل عمله الرسمي ، سواءً في الديوان الملكي ، أو خـلال تبوئه للعديد من المناصب الدبلوماسية في بلدان عديدة ، قنصلاً عاماً أو سفيراً لبلاده ، بما يصعب حصره من الأعمال الجليلة والمواقف المشرفة ، التي تليق بابن بار من أبناء وطننـا الغالي ، نهل من التقاليد الأصيلـة لمجتمعنا السعودي ، ونشأ وتربى على تـراث ومآثر مؤسس دولتنـا الفتية المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، طيب الله ثراه .

ومن هـذا المنطلق فقـد مثّل الشيخ الشبيلي بـلاده في الخارج خير تمثيل ، وجـاء أداؤه الـوظيفي والدبلـومـاسي قمـة في الأصالـة والتميز، واستطـاع من خلال عملـه الرسمي وتعاملـه مع الناس أن يعطي صـورة مشرقة وضّـاءة لوطننـا الغالي وحكومتنا الرشيدة .

وإنني لأتمنى على الجيل الجديد من دبلـوماسيينـا أن يرجعوا إلى سيرة هـذا الرجل الكبير، لينهلوا منهـا ما يعينهم على الاقتداء به وأداء مهامهم على النحو المطلوب .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته .

سعود الفيصل
وزير الخارجية

الرياض ٥ شعبان ١٤١٤هـ
١٧/١/١٩٩٤م



تقديم معالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

«أبـو سليمان» محمد الحمـد الشبيلي، رجل فاضل شهم، نبيل كـريم، عرفـه من عرفـه بهذه الصفات وأكثـر، وأصبح بهذا وغيره عَلماً في كثير من المجتمعات داخل المملكة وخارجها، ولهذا صُدم عـارفوه بفقده، وأُخذوا بخلو الميدان منه، وهـو الفارس الذي لم يترجل يومـاً، أو يتوانَ عن خدمة من احتـاج إلى خدمته، أو لم يحتج إليها، فكـان أبو سليمان يعطي الناس ولا يأخذ منهم، يتحاشى ـ ما أمكنه ـ أن يقبل دعواتهم، وهم يحاولون أن يظهـروا له بعض الامتنان لما يقوم به لهم، ويسعون لرد بعض جمائله تجاههم.

ولما انتقل إلى رحمة الله تعـالى، لم يجدوا لرد معـروفه طـريقـاً إلا الدعـاء الخالص لـه، ومحاولة إظهـار امتنانهم علنـاً في الصحف كلٌّ بوسيلتـه، ومقدرته وأسلـوبه، والزاويـة التي اختارها، والجانب البـارز الذي ظهر لـه، فتكونت من ذلك حصيلة عواطف، باكيـة شاكرة، مقرّة بالجميل، مبهورة حائرة، وخليط من أنواع المحبـة والإكبار، انساقت كلها تترى كأنفس عطشى ترد حوض ماء يطفئ العطش، ويبل الريق.

وجد النـاس في هذا تكريماً له بعـد وفاته، وهو مـن لم يقبل التكريم من الأفراد في حياتـه، إلا في نطاق محدود، لا يبل ظمأ الناس إلى تكريمه والاعتراف بفضله.

أما الدولة، وعلى رأسهـا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد الأمين، فقد كان لتكريمهما لـه قبل إصابته بالمرض الذي انتهى بوفـاته، بوضعه موضع الثقة والتقـدير، مما كان مصدر فخـر له ولعائلته ومحبيه، وفي مرضـه بالعطف سؤالاً وإشفاقاً وتكريماً وزيارة، مما خفف عنه كثيراً مما كان يعانيه.

وهذا الكتاب هو أحد جوانب التكريم، فقد شعـر المؤلف الأخ الدكتور عبد الرحمن الصالح الشبيلي، وهو من أهله، أن عليه واجبـاً عائليًّا ووطنيًّا يفـرض عليه أن يضع كتاباً يجمع فيـه ما قيل عن «أبو سليمان» وما كتب، ومـا لا يزال يحوم فوق رؤوس الناس في مجتمعـاتهم من قصص تروى، وما لايزال يدور على الألسـن من طرائف أبوية عنه، تـروى طرقه في إظهار العطف والنبل والحنان والكـرم؛ لأن الزمن يمر، والأيام تجري، وسيذهـب هذا الجيل وتبهت غـداً الصور الواضحة اليوم، وتختفي الصور الجميلة، فلا يعلم جيل قادم ما كان في جيل آبائه مما قد يجده ناقصاً في جيله.

والقصص التي تـروى اليوم، لـولا أننـا نعرفهـا معـرفة جيـدة، ولا يتسرب إلينا الشك في صحتهـا، ومـا لمسناه منهـا بأنفسنا، وما تـوافرت روايته عن «أبو سليمان» وتطابقها مـع منهجه وأسلوبه، لشككنا فيها، لما فيهـا من بعد عن طبائع بعض الناس في هذا الزمن، كما نشكك اليوم في بعض ما يروى عن حاتم وإياس ومعن بن زائدة والأحنف.

ولقد كان لـ «أبو سليمان» فضل على هؤلاء الرجال، إذ جعل جيلنا يعجب بهم قياساً على ما تأكدوه فيه من كرم وصبر وأناة وبعد نظر وحنان وعطف، وتفان في خدمة الآخرين، وإنكار للذات، وتمتع بما يبديه وما يعطيه، لا يصرفه عن بذل الجهد ارتباط سابق، ولا تثنيه صعوبة دبلوماسية، فلقد أعطاه الله القدرة على مناورة الظروف، ومحاورتها والتغلب عليها، حتى صارت له قوانين دبلوماسية خاصة به، معترف بها، ولعلها في داخل نفوس الدبلوماسيين مقبولة أكثر من الدبلوماسية المدونة الشائعة.



مع الدكتور عبدالعزيز الخويطر أمام متحف الشمع في لندن ١٠ / ٩ / ١٩٥٣م

وجد الدكتور عبد الرحمن أن الزّمن يمر، وبمروره يدفن اليوم بأقدامه جادة واضحة، ووجد ـ وهو القريب منه ـ أنه إذا حدث تأخير أكثر مما حدث الآن، فإن الصدأ قد يبني طبقات على لمعان المعدن فيطفئ بريقه، فرأى أن يبادر ليبني شاهداً على ما يقوله الناس، وهم ألسنة الحق، يحمله كتابه هذا.

ثم لماذا يعمد الناس إلى تكريم العظماء وتسجيل سيرهم؟.

والجواب له عدة شعب :

أولها: أن في هذا تأكيد حضارة الشعوب في إقرارها بالفضل لأهله، وإبراز الفضل، وعدم إنكاره، وهذا ـ في حد ذاته ـ فضيلة جُلّى تترتب عليها أمور كثيرة، تفاخر بها الأمم وتباهي.

ثانيها: أن في هذا حثًّا لأفراد المجتمع على أن يحذوا حذو المكرّم، وأن يقتدوا به، وأن يكون لهم ما كان له في مجتمعه، وأن يكونوا أنواراً مشعة تبدد الظلمة، وألا يكونوا ظلمة تخيم على مجتمعهم، فهو قدوة، والقدوة لابد أن تحيا بالاقتداء.

ثالثها: أن تتسابق العائلات في تربية أبنائها ليكون لها ما كان لمن كرّموا من الرفعة والشأن، وهما أمران مهمان في المجتمعات، وكلما ازداد عدد المرتفعين ارتفع المجتمع، ونافس غيره من المجتمعات، والمرتفعون عُمُدٌ ترتفع عليها خيمة المجتمع وصرحه.

رابعها: ما يُتوقع من وقع هذا التكريم على أهل المكرّم رجالاً ونساءً، ومحاولتهم المحافظة على هذا المستوى الذي كسبوه، ومن قراءة ما بيّنه الدكتور عبد الرحمن نجد أن «أبو سليمان» ما هو إلا غصن نضر في دوحة وارفة، حافظ على تقليدها، وأضاف إليها ما سوف يجعل العبء على عائلته ثقيلاً في المحافظة عليه، ولكنهم، إن شاء الله، أهل لذلك.

وهذا الكتاب جسم متكامل، جمع ما يحتاج القارئ أن يعرفه عن «أبو سليمان» ليكوّن له فكرة وافية، وقلب هذا الجسم هو الفصل الثاني الذي عمد فيه الدكتور عبد الرحمن إلى تحليل شخصية «أبو سليمان»، فغاص فيه على الأسباب التي تكمن خلف هذا المزيج من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، والدكتور عبد الرحمن خير من يقوم بهذا لقربه من «أبو سليمان»، ومعرفته الجيدة بعائلته، وبخاصة الجانب النسائي والأسري، وهو جانب يلعب عادة دوراً رئيساً في حياة الطفل، مما يؤثر على مستقبله، فأفاده هذا في تحليله.

والدكتور عبد الرحمن عندما كتب، لم يكتب كتابةً عفوية، ولكنه سار على خطة وضعها، ونهجٍ وجده أنسب ما يكون لمثل هذا النوع من التأليف، ومن رأى المعلومات وهي متناثرة هنا وهناك، ورأى كيف استطاع الدكتور عبد الرحمن أن يجعل منها كياناً منظماً مؤثراً، يعرف مدى الجهد الذي بذله، والتوفيق الذي ناله.

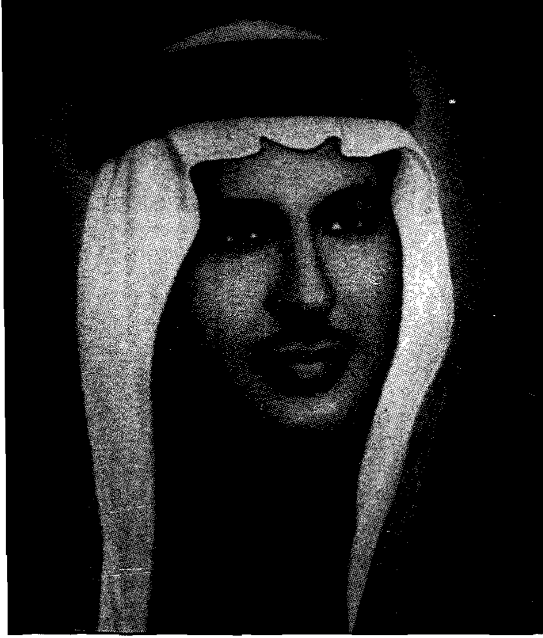
لن أزيد عما قلته هنا، فالكتاب شاهد حي لما كان عليه «أبو سليمان» رحمه الله رحمة واسعة، ولمكانه من قلوب الناس، ولمكان الناس في قلبه، وشاهد على حسن القصد والتوفيق في تأليف هذا المؤلف الذي سيجد فيه كل محب لـ «أبو سليمان» ما كان يود أن يحتفظ به عنه، ويبقيه رمزاً لصفات حميدة عاصرها في رجل فذ من جيله.

وبالله التوفيق.

عبد العزيز الخويطر

الرياض: ١٠ صفر ١٤١٤هـ
٢٩ يوليه ١٩٩٣م

مقدمة المؤلف



كان الشيخ محمد الحمد الشبيلي ـ أو كما كنا نسميه «العم محمد» ـ أو «أبو سليمان» كما كان يسميه الآخرون، مصدر فخر واعتزاز لأسرتنا كلها منذ أن كان وكنا صغاراً.

ولا غرابة في ذلك، فهو إذا كان هكذا بالنسبة لعارفيه ومواطنيه، فمن المؤكد أن أهله هم أول من يشعر بالاعتزاز به، لأنه منهم وفيهم.

ولم أتمن يوماً أن أكون بعيداً عنه في قرابتي إلا بعد أن توفي ـ يرحمه الله ـ ؛ فلقد كنت أتألم، لأن الأيام كانت تمر دون أن ننجح في تسجيل حياة هذا الرجل الإنسان، وتقديمه للأجيال في مؤلّف يحكي تاريخ حياته ويعرض شخصيته، ويسجل مواقفه وصفاته.

وكنت أشعر بقلمي يكاد يتحرك كل يوم رغبة في الكتابة عنه بعد ما تأخر تحقيق ذلك، ولكنني، في الوقت نفسه، كنت أظن أنني ـ حرصاً على الموضوعية ـ يجب أن أكون آخر من يحاول ذلك، لكوني أحد أقاربه والمحسوبين عليه صلة ونسباً.

أما الآن فالشيخ محمد لم يعد ـ وبخاصة بعد وفاته ـ ملكاً لأسرته أو مدينته، فلقد أصبح مُلكاً للوطن بأكمله: دخل التاريخ بصفته أحد أخيار هذا الوطن وأبنائه البررة، فلم تعد الكتابة عنه حكراً لأحد، أو بعيدة عن أحد، ولم أعد أنفرد بالقرب منه، فالكل أصبح منه قريباً، والجميع يتفق في نظرته إليه.

بل لقد شعرت، وبخاصة بعد مرور خمس سنوات على غيابه، أن ما كنت أبعد نفسي عنه، أصبح واجباً عليّ، فإذا لم أقم بذلك فقد لا يحققه أحد، وإذا ما قمت به فقد يتشجع آخرون للكتابة عنه بأسلوب آخر، فلا ضير في أن تصدر عنه أعمال متعددة.

ولم أفكر أبـداً عندمـا بدأت في كتابـة هذا المؤلف (شـوال ١٤١٣هـ / مـارس ١٩٩٣م) أن أقدّم عن الراحل أكثـر من دراسة موجزة مـركزة، تعتمد أسلـوب التحليل، قدر الإمكان، لشخصيته، وهـو ـ أي التحليل ـ ما أخشى ألاّ يهتم به الآخرون في كتاباتهم عنـه، وأعتقد أن دراسات وأطروحات موجزة متعددة تكتب من منظـور متمايز، ومن زوايـا مختلفة، قـد تكـون أفضل من دراسة واحـدة لا ندري إلى أي مـدى ستبلغ بالقارئ، وإذا بلغته فهل تحقق الهدف؟.

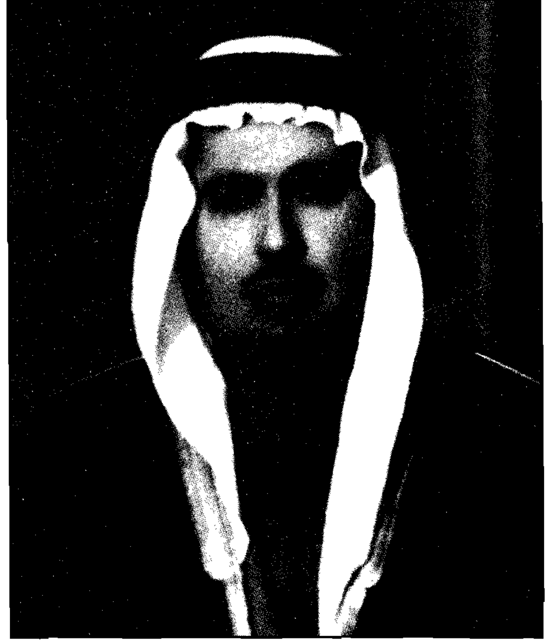
إذن، فما كنت أشعـر يومـاً بأنـه ممتنع علي، أصبح واجباً لابـد من التحـرك نحو إنجـازه ولو في حـده الأدنى حجماً وجهداً، فالأيام تمر، وعارفوه ينقـرضون، والشباب الجدد لا يعرفون عنه إلا اليسير، وأصبح في ذاكرة القليلين الذين أدركوه، وإن لن ينسى بإذن الله، لأنه أصبح جزءاً من التاريخ.

ولعل أحد أسبـاب تأخر تأليف كتاب عنـه حتى الآن، أن المهتمين به يترددون في الإقدام على الكتـابة خشية ألاّ يتمكنوا من إيفائه حقه، ولأنهم يعتقدون أنـه إنسان غير عادي، وأن الناس يترقبون ما سيصدر عنه، وسيحكمون على العمل مـن خلال نظرتهم إلى الشخصية التي كُتب عنهـا، ويظهر أن هذا التهيّب يسيطر على كل من يحاول أن يكتب عن شخصية فذّة متميـزة، إن في عالم الدين أو التعليم أو السياسة أو غيرها.

وإنه لمن الطبيعي، أنـه مهما حاول المؤلف تحري الموضوعيـة في الكتابة عن «أبـو سليمان» فسيظل ينظر إليه باعتزاز المواطن، ومحبـة القريب المتأثر بشخصيته، والمُكبر لقدراته وصفاتـه، ولذا فإنه يلتمس العذر سلفاً من القارئ الكريم عما قد يرى فيه (مبالغةً) عند الحديث عنه، مع أنني كنت دائماً أستحث كل من يحاول الكتابـة عنه، على الهدوء في الطرح وتحري الدقـة، وإنصاف الرجل بما لـه وما عليه؛ لأنه بقـدر ما تسجّل خصاله يجب أن تسجّل سلبيـاته، طالما أن العمل سيقدّم للتداول العام، وقـراءة الناس له داخل المملكة وخارجها.

وإنني لأرجو أن تكـون هذه الطبعة الأولى، التي أقدّمها على عجـل، تمهيداً لطبعة ثانية تحظـى بمزيد من الإضافات والمعلومات الناقصة عنه، بمسـاعدة القراء الكرام، وملاحظاتهم، بعد صدور الكتاب إن شاء الله.

إن نظـرة إلى مـا كُتِب عـن الشيخ محمـد ــ حتى الآن ــ تـوضح أن معظـم تلك المقـالات لا تتضمن معلـومات وافيـة عن حيـاته، حتى أن سجلـه الـوظيفي في وزارة الخارجية يعـاني من نقص ملحـوظ عن نشاطـه وتقاريره، إذ لا يحوي، في الـواقع، أكثر من ملفـات معدودة لبعض القرارات الإداريـة الصادرة بترقياته أو تنقلاتـه وما أشبه ذلك، وربما تكون بعض المعلومات عنه قد فقـدت في حريق تعرض له قسم الأرشيف في الوزارة قبل سنوات.



ولهذا فإن هذه الـدراسة تظل محاولـة شخصية، تعتمـد إلى حـد كبير على المعلـومـات الـذاتيـة والانطبـاعـات الشخصيـة التي نحتفظ بها في أذهاننا أو نرددها في مجالسنا عن الشيخ محمد، قبل أن تتعرض ، هي الأخرى، للضياع بسبب عوامل الزمن.

كما أنني عدت إلى المتـوفر مما كتب عنه أو قيل ـ وهو في حدود مائتي مـادة ـ مقالاً أو خبراً أو مقابلةً أو حديثاً أو قصيدة ـ وعـرضتها في ثنايا الكتاب مع تحليل معظمها، مـراعياً عند الطباعـة أن تظهر كل الاقتباسات بحرف (بنط) يميزها عن كلام المؤلف.

أما الصـور التي ظهرت في الكتـاب، فقد اخترتها من بين آلاف الصـور التي وجدت ضمـن مقتنيات الشيخ محمد، حيث كانت أهم مـرجع وثائقي متكامل محفوظ عنه، آملاً أن يستفـاد منه مستقبلاً بشكل افضل، فكما أن بعض البيوت ملأى بالمكتبات الخاصة والمخطـوطات، فإنها أصبحت الآن تمتلئ بالوثائق والصور والرسـائل الخاصة الثمينة التي لا بد من جهـد وطني للاستفادة منها في تـاريخ هذا الوطن وسيرة رجاله.



ورغم معرفة المؤلف الشخصية وقربه من الشيخ محمـد، فلقـد زاده التعمـق في البحث في سيرتـه، وتقليب صفحات حيـاته، والاطـلاع على ما تيسّر من صوره ووثائقه ومراسلاته شعـوراً بأنه يقف أمام صفحات من «التـاريخ» نفسه، في واحة سعـودية متعددة الأغصان والظـلال والثمار والينابيع، وأمام إنسـان عمـلاق، قـد يقصُر مثل هـذا العمل عن إيفائه حقه بتغطيـة كافة جوانب إنسانيته وعـلاقاته وقدراته ومكارم أخلاقه.

ولهذا فإن هـذه الـدراسـة تبيّن أن من الضروري القيـام بـدراسـة أعمق وأشمل عن حيـاة الشيخ محمـد، وأن من الأفضل أيضـاً لكل من يـرغب في التوثيق لأمثاله ممن هم على قيد الحيـاة، أن يحرص على تدوين المعلومات الضرورية عنهم، قبل أن يصبح ذلك صعباً فيما بعد.

ولا شك في أن أي عمل تـوثيقي يكتب عن الشيخ محمـد، أو عن غيره من أمثـاله، ومـن ضمنه هـذا الكتاب، سواء كان وصفيًّا أو تحليليًّـا. وسواء اعتمد على المعلومات الخاصة المتوفرة لـدى معارفه وأقاربه والعاملين معـه، أو على ما كتب عنه، سيظل عمـلاً ناقصـاً وقاصراً ما لم يتنـاول الفترات التي عمل فيها سفيراً في الـدول الخمس، وبشكل يستنـد إلى مصـادر أوليـة في تلـك البلـدان، وهي فترات تشكل ثلثي عمره، يرحمه الله.

فعلى سبيل المثال، أن فترة عملـه في الهند وأفغانستـان، والتي دامت ما يقـرب من عشر سنوات، هي فترة مجهولة إلى حـد كبير، كما أن ما يتوفر لدينـا من معلومات عن الفترات الأخرى، (العـراق، باكستان، ماليزيا) تظل أقل من الحد المناسب لتأليف كتاب عنه.

وكذلك تقـاريره السياسية، والـرسائل المتبادلة بينه وبين المسـؤولين، أو مع أصدقائه وعـارفيه وذويه، فهي عالم آخر لم تمكّن ظروف إنتاج هذا الكتاب من سبره والغوص فيه، ولا بد من العودة إليها بإذن الله في طبعة أخرى، أو في عمل آخر مستقل خاص بهذا الموضـوع، فهي عالم من «الإخوانيات» تكشف عن كرم أخلاقـه وأسلوبـه ومواهبه الأدبيـة وفكره السياسي والـوطني، إلا أن هذا الكتـاب اختار نماذج فقط، لا تتجاوز أربعـاً وعشرين رسالـة من بين عشرات الرسائل التي اطلعت عليهـا، ويشعر المؤلف أن رسـائله الشخصية المتبـادلة، بشكل عام، تتضمن مخزوناً كبيراً من المعلـومات عن تاريخ الوطن وتطـوره السياسي والإداري والاقتصادي، فضلاً عن كونها مرجعاً لتاريخ حياته هو ـ يرحمه الله ـ.

ولقـد وجـد المؤلف أن الانتظـار حتى تتسنى تغطيـة أفضل لهذه الجوانب الأربعـة بالـذات: (دراسـة أرشيف الصـور كامـلاً وتوثيقهـا ومعـرفة أسماء من فيهـا، والغوص في التقـاريـر الرسميـة الصادرة عنـه وبخاصـة إلى الديـوان الملكي ووزارة الخارجية، ومـراسلاتـه مع معارفـه، وزيارة البلدان التـي عمل فيها للحصـول على معلومـات أوثق من مصـادرها الأوليـة) ستـؤجل إصدار هـذا الكتـاب الذي ظلّ محبـوه ينتظـرونه منـذ وفـاتـه قبل خمس سنوات، مـع الاقتناع بأهميتهـا في إثـراء الكتـاب وتعميقه وزيـادة المادة الوثائقية فيه.

ولقد كان المؤلف يتمنى أن يقوم بزيارة شخصية لأماكن عملـه، لولا صعوبة ظروف السفر ـ في الوقت الحاضر ـ إلى بعض المدن التي عمل فيها.

ولهذا فالمرجـو أن تتاح الفرصـة ـ عند إعادة طبـاعة هذا المؤلف ـ لإيراد مزيـد من التفاصيل عن تلك الجوانب الأربعة التي أشرت إليها، أو أن يتصدى لها باحثون آخرون.

فهذه الدراسة لا تعدو ـ كما أشرت ـ أن تكون جهداً متواضعاً، وإسهاماً فـرديًّا، سريعاً، لملء الفراغ الذي نتج في الساحة منذ وفاته قبل خمس سنـوات، بما يسجل شيئاً من تاريخ حياته وسيرته، وهي محاولة شخصيـة، كتبت من منظـور تحليلي ذاتي لا تهدف إلى سرد روايـاتـه وقصصـه ونـوادره، أو الإحـاطـة بها وحصرها، بقـدر ما تهدف إلى تفسير هـذه الظاهرة الإنسـانية الفـريدة، والتفكير في الظـروف الاجتماعية والاقتصاديـة والإنسانيـة المحيطة بنشأتـه، والتي ساعـدت على بلورة شخصيته، ذلـك أن من المؤكد أن

هناك الكثير من القصص التي لم تسجلها هذه الدراسة عمداً أو سهواً؛ لأن هذا ليس هو الهدف الرئيسي من ورائها، كما أنها لا تهدف إلى أكثر من التعريف به، وأداء الواجب الوطني والشخصي عنه.

أما منهج هذه الدراسة فقد اتبع مقالاً من (جزأين) بعنوان: وتوقف القلب الكبير، نشرتُه في مجلة اليمامة بعد شهر من وفاته لاستعراض ملامح من شخصيته، وقد وجدته مقالاً يمكن تحويله إلى مؤلف يرتكز إلى حد كبير على المنهج نفسه الذي اتبع في المقال رغم فارق الحجم بينهما.

وأما مراجع الدراسة، فقد اعتمدت بشكل رئيسي على ما يلي:

١ ـ معلومات المؤلف من خلال معرفته الشخصية بالراحل الكريم فترة خمسة وثلاثين عاماً.

٢ ـ معلومات معارفه وأصدقائه الذين أمكن الاتصال بهم والاستعانة بما لديهم، أو الذين قاموا بمراجعة الكتاب بعد إعداد مسوداته.

٣ ـ المقالات التي كتبت عنه (منشورة أو غير منشورة).

٤ ـ آلاف الصور والرسائل التي وجدت ضمن مقتنياته الشخصية.

٥ ـ أرشيف بعض الصحف السعودية.

ورغم ما وصل إليه حجم الكتاب، في معلوماته ووثائقه وصفحاته، حيث تجاوزت المقالات والقصائد التي رصدها الكتاب أكثر من مائتي مقالة وقصيدة، واحتوى على ما يزيد على خمسين مقابلة، وتجاوزت الوسائل والصور والوثائق ثلاثمائة مادة، رغم ذلك، فإن هناك العديد من الأحداث التي كان المؤلف يتمنى أن يجدها أو يشير إليها، بوصفها من العلامات البارزة في حياته، من ذلك مثلاً فترة حياته الزوجية، وإن كانت قصيرة، ومنها موقعه في الأحداث والتطورات الداخلية، التي مرت عليه، إبّان عمله في الديوان الملكي، أو المتغيرات التي حدثت في العراق وأفغانستان، وأحداث الهند وباكستان وغيرها، ولكنها ستكون من النقاط التي ستعنى بها الطبعة الثانية ـ بإذن الله ـ.



ولقـد أتى هـذا الكتاب ــ بتـوفيق من الله ــ في ثمانية فصول، وكشـاف للمواد المنشورة التي أمكن رصدها:

فـالفصل الأول يتناول، بـإيجاز، سيرة حياتـه، أمــا الفصـل الثــاني فيتضمن تحليـل شخصيتــه ويعرض للمؤثرات المحيطـة بها، ويشرح خصاله، وأما الثالـث فيتناول مراسلاتـه ويقدم نماذج منها، وأمـا الـرابع والخامس والسادس والسابع فتتضمن عرضاً شـاملاً لما قيل عنه (في الكتب، أو الصحف والمجـلات أو المقـابـلات الشخصية) بالإضافة إلى ما كتب عنه، خصيصاً لهذا الكتاب، حيث أسهم سبعة من أقـرب أقاربـه وأصدقـائه، مشكورين، في إعداد كتابات موسّعة، تناولت جوانب من سيرة حياته "تضمنها الفصل الخامس".

وأما الفصل الثامن والأخير فقد خصص للوثائق والصور الملوّنة في الكتاب.

وفي الختـام، ونيـابة عن أسرة الفقيـد، يتـوجـه المؤلف بـالإجـلال والامتنان من مقـام خـادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـدالعزيز آل سعـود، وولي العهد الأمين صاحب السمـو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وأصحاب السمو الأمراء والكتاب والمواطنين والمسؤولين، للرعاية الخاصة التي كان الشيخ محمد يتلقاها منهم في حياته وبعد وفاتـه، ومنها ذلك التشجيع الذي لاقيته في سبيل إخراج هذا الكتاب تكريماً لأحد المواطنين المبرزين في خدمة الدين المجيد، والوطن الغالي، والمواطنين الأعزاء.

كما أتقدم بـالتقدير والشكر إلى صـاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجيـة، الذي حرص على رعاية هذا العمل، بقراءة مسودته وتدوين ملاحظاته وكتابة كلمة خاصة له.

والشكر، أيضاً، لمعالي الأخ الدكتور عبد العزيز الخويطر لمقدمته العلمية، وهو الذي تلقيت على يديه في مقاعد الدراسة أسلوب المنهج التحليلي للتاريخ، وتفسير الأحداث وشرح عللها ومسبباتها بدلاً من سردها (وهو الأسلوب الذي حاولت هذه الدراسة اعتماده).

كما أتقدم بالشكر الوافر لكل من أمد الكتاب بالمعلومات والوثائق والصور أو ساهم بمراجعته أو تصحيحه أو طباعته، وأخص بالذكر مركز ابن صالح الثقافي في عنيزة الذي وضع في متناول هذه الدراسة حصيلة المعلومات والجهد الذي بذل في سبيل جمع أوسع التفاصيل الممكنة عنه، مُشيداً بتعاون كافة المسؤولين فيه، والشكر واجب أيضاً لمعهد الإدارة العامة بالرياض والإخوة المسؤولين في مكتبته والصحف السعودية لجهودهم في مراجعة كشاف المقالات المنشورة.

كما أعبر عن التقدير لكل من الإخوة عبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبد المحسن الشملان وعبدالعزيز السليمان الذكير وعبد الله الحمد الشبيلي وسليمان المحمد الحمد الشبيلي وصالح محمد العثمان القاضي وناصر الفارس ومحمد المنصور الرميح وفارس الحامد وإبراهيم العمار الذين ساعدوني أو زودوني بما لديهم من مواد أو صور أو وثائق أو مراسلات أو معلومات.

وللأستاذ محيي الدين القابسي الذي قام بمراجعة المسودات الأخيرة لهذا الكتاب وشارك في إخراجه، ولناسخ الآلة الأستاذ مصطفى صقر لسهره وجهده في طباعة المسودات الأولى.

والشكر مستحق لمطابع العبيكان لاهتمامها الخاص بهذا الكتاب، إخراجاً وطباعةً، وتعاملها معه انطلاقاً من تقديرها لموضوعه وأهدافه الخيّرة.

وأخيراً، فلا يفوتني، من أجل الوطن، أن أحث كل ذي مقدرة فكرية خبرت الشيخ محمد وعرفته ـ وأمثاله من الصفوة المختارة من المواطنين الأوفياء ـ على تسجيل مآثرهم في أي شكل ممكن من أشكال النشر، لأن من واجب رجال الفكر أن يبرزوا معالم وطنهم، والمواطن المتميز في فكره الديني أو السياسي أو الثقافي، أو في جهده وكفاحه وعمله وخدماته الاجتماعية، مما يعتبر من أهم المعالم الحضارية للوطن وسماته.

وأكرر الاعتذار، سلفاً، عن أي قصور أو تقصير، في محتوى الكتاب أو أسلوبه، انطلاقاً من احترامي للقارئ الكريم الذي يتوقع الأفضل، في كتاب يتناول شخصية احتلت مكانة خاصة في قلوب الناس وكل من عرفه داخل المملكة وخارجها.

أدعو الله عز وجل أن يتغمد الراحل الكريم برحمته، وأن يجود على هذا المجتمع بالعديد من أمثاله الذين نسوا أنفسهم ونذروها في خدمة الدين والوطن.

والله الموفق.

عبدالرحمن صالح الشبيلي

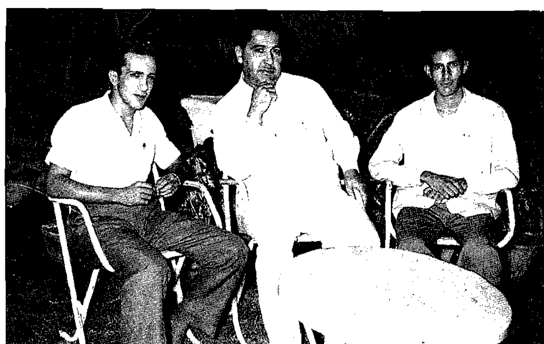
الرياض السبت ١٩ رجب ١٤١٤هـ

الموافق ١ يناير ١٩٩٤م



في زيارة للمؤلف بمحطة تليفزيون الرياض (١٥/٦/١٣٨٦هـ - ١/٩/١٩٦٦م) بعد عام من افتتاح المحطة، وفي الصورة عبدالله محمد الضاوي وعبدالعزير الخنيني، ومن موظفي التليفزيون صالح الأحمد الذكير وعبدالله الهاشم ومحمد حمزة علوي وغيرهم.


مع أخيه عبدالرحمن وإبنيه رياض وفواز


مع أخويه عبدالله وسليمان في البصرة


مع أخيه عبد الله وفيصل الشهيل وفهد العبد الواحد (في البصرة ١٣٧١هـ)


في إحدى رحلاته إلى روما ومعه أحمد السويل وأحمد السلوم (٢١/ ١٠/ ١٩٦١م)



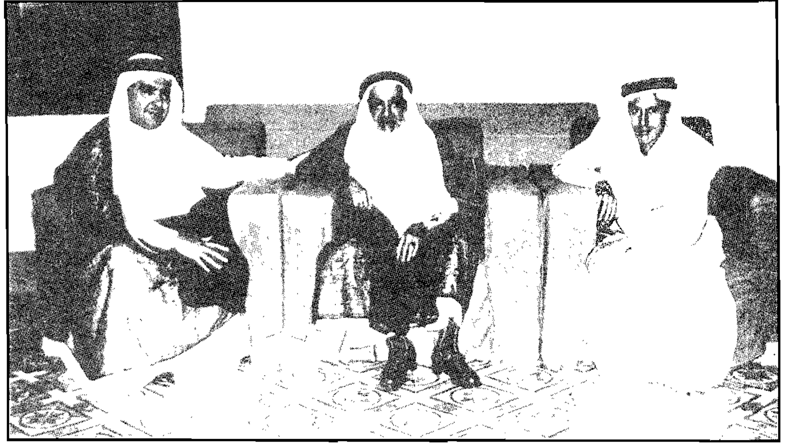
الفصل الأول

حياته - نظرة وصفية

لا تتوفر لدينا معلومات مؤكدة عن تاريخ ولادته - يرحمه الله - إلا أن العديد من الأقارب والأصدقاء يرجحون أنه من مواليد عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٠م) في عنيزة، كما تدل على ذلك أيضاً حفيظة النفوس الخاصة به، وقد توفيت والدته منيرة السليمان الشبيلي - ابنة عم والده - بعد أيام قليلة من ولادته، فتكفلت برعايته خالاته نورة وحصة وموضي، والأخيرة هي والدة أخيه عبد الله (التي تزوجها والدهما بعد وفاة والدته) وبذا يكون عبد الله أخاه وابن خالته، كما أن الشيخ محمد هو «بكر» والده ووحيد والدته.

نشأته وتربيته:

والده هو حمد المحمد الناصر السليمان العبد الله الناصر الشبيلي ـ يرحمه الله ـ وقد ورد اسم ناصر في تاريخ ابن بشر (وقال إنه قتل عام ١١٩٦هـ في مدينة عنيزة أثناء إمارة حجيلان بن حمد أبو عليان على مدينة بريدة)، وهو مَنْ يُعتقد بأنه الجد الأعلى للعائلة.



برفقة والده وأخيه سليمان في البصرة في بداية السبعينات الهجرية.

والمعروف أن أسرة «الشبيلي» وبعض أسرة «الشبل» في عنيزة، هما من العناقر «من ثرمداء» من بني سعد من تميم، واسم «الشبيلي» لقّب به جدهما ناصر ومعناه باللهجة العامية النجدية (لجام الخيل)[1].

وقد يكون لقّب بهذا اللقب بعدما اعتذر عن عدم قبول تكليفه بعمل قضائي أو مالي، واستخدم هذا التعبير كناية عن عدم رغبته في تقييد نفسه بتحمل أمانة المسؤولية تنزهاً عن تبعاتها، وربما نزح من ثرمداء إلى عنيزة منذ أكثر من مائتي سنة.

يقول الأخ عبد الله الحمد الشبيلي في روايته نبذة عن سيرة أخيه:

لقد عاش طفولة هادئة، أحيط خلالها بكل أوجه العناية والمحبة من والده وخالاته، لما كان يتصف به من خفة في الروح، ودماثة في الخلق، ووسامة في المظهر، وقد التحق مثل أقرانه، في ذلك الوقت، بالمتيسر من الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والقواعد وأمور الدين فتتلمذ على اثنين من معلمي الكتاتيب، هما الشيخان صالح وعبد

(١) وقد ورد في قصيدة محمد العبد الله القاضي: فالإبل معلوم بالأيدي عقاله والخيل تلجم بالشبيلي والأقفال



بصحبة والده ومعهما ابن خالته محمد المنصور الزامل وإبراهيم المنصور التركي في عنيزة في الستينات الهجرية .

الرحمن القرزعي وصالح بن دامغ ، يرحمهما الله ، بالإضافة إلى مـا حصل عليه من زيادة في العلوم الدينية من جراء ارتياده ـ بصحبة والـده ـ حلقات الـدرس التي كان يديرهـا المشايخ عثمان الصالح القـاضي وعبد الرحمن بن نـاصر السعدي وابن دامغ ، يرحمهم الله جميعاً .

كان والده يتردد على مدينتي البصرة والزبير ـ جنوبي العراق ـ لمباشرة تجارة أهله ، ومراقبة أملاك الأسرة التي كوّنها جده لأبيه «محمـد» وجده لأمه «سليمان» وعمه نـاصر ا لمحمد، حيث عاش الجميع مدة طـويلة في العراق، أسسوا خـلالها بيتاً عرف بالكـرم والسمعة الطيبة ، يستضيف زوار العراق وضيوفـه من أبناء الجزيرة العربيـة ، وقد أشير إليهم وإلى منزلهم في العديـد من المؤلفات التي كتبت عن تلك الفترة ، وكانت لهم صـلات وعلاقات متينة مع الإمـــام عبـــد الرحمن والملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراهما ـ ومع شيوخ الكويت حيث كانوا يمثلونهم في البصرة .

ويعتقد أن هـذه الفترة وتلك الظروف والتجارب ، كـانت من أهم المؤثرات التي كوّنت سمـة الكرم في شخصية الشيخ محمد ، حيث عـاش بين جدين كريمين وتربى في منزل عرف بـالجود وإكرام الضيوف كما سنتطرق إلى ذلك عند استعراض ملامح شخصيته .

اصطحبه والده إلى البصرة وعمره نحو عشر سنوات، ورافقهما في الرحلة الأولى ابن عمه الشيخ محمد العبد الرحمن الشبيلي، وهما متقاربان في العمر.



مع ابن عمه محمد العبد الرحمن الشبيلي (واقفاً) وبجواره محمد المرشد الزغيبي في بداية الخمسينات الهجرية.

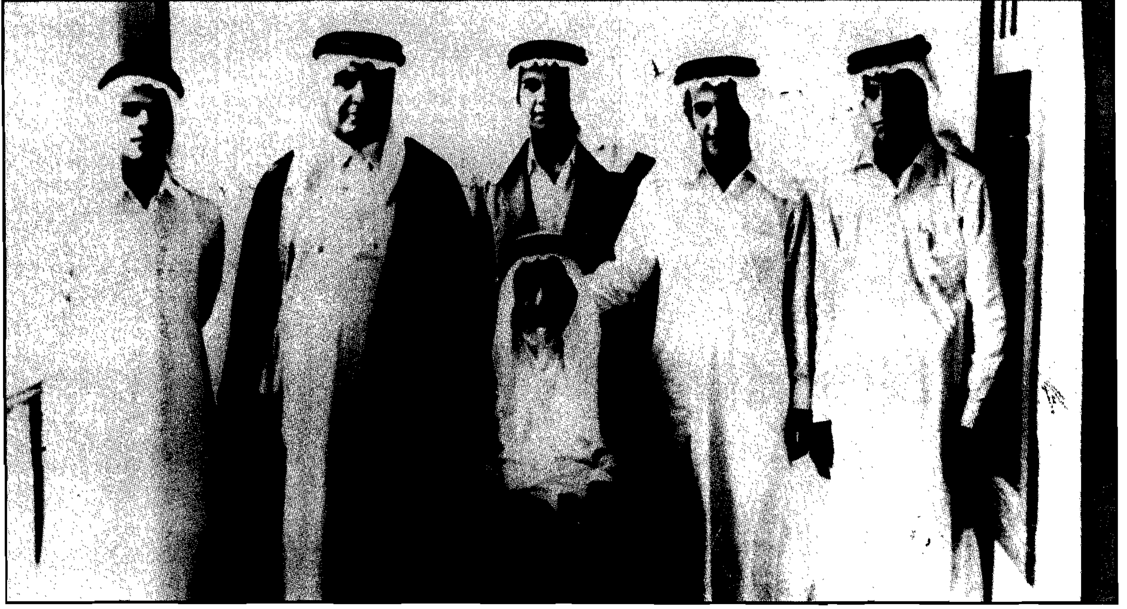
التحق الشيخ محمد العبد الرحمن بمدرسة النجاة الشهيرة في الزبير، والتحق الشيخ محمد الحمد بمدرسة الرجاء العالي[1] وذلك نحو منتصف الأربعينات الهجرية، وقد حصل على شهادة تلك المدرسة التي تعادل شهادة الكفاءة (المتوسطة).

وقد استفاد كثيراً من هذه المرحلة الدراسية، واتسعت مداركه وساعدت في اطلاعه وتنمية معارفه، وبدء تعلمه اللغة الإنجليزية، التي طوّرها فيما بعد من خلال عمله الدبلوماسي في البلاد غير العربية التي عمل فيها، كما كان لهذه الفترة تأثير في اكتسابه خبرات إدارية وفي صقل مواهبه.

وكانت المنطقة في تلك الفترة ـ مقارنة مع جيرانها ـ تشهد ازدهاراً تجاريًّا وحضاريًّا واسعاً، بحكم وضعها التجاري وموقعها الجغرافي وكونها ملتقى للثقافات والجنسيات، ومن ثم فإن مدن العراق الجنوبية ـ من بغداد إلى البصرة ـ كانت تتأثر وتؤثر في الشمال الشرقي من المملكة العربية السعودية بالثقافة المادية، والتعليمية، وانتقال أنواع من المأكولات والملابس وأنماط الحياة والمفردات اللغوية وغيرها، وربما كان تأثّر منطقة القصيم وسدير والوشم والزلفي وحائل وما جاورها شمالاً وشرقاً بجنوبي العراق وعربستان وإمارات الخليج أكثر من تأثرها بأي منطقة أخرى مجاورة وبالعكس.

---

(١) كانت تسمى «مدرسة الأمريكان»، ومع أن هذه المعلومة معروفة من قبل كافة عارفيه المعاصرين، فإن رسالة من أحد أصدقائه وردت إليه بتاريخ ٢٠ شعبان ١٣٤٨هـ (٢٠/ ١/ ١٩٣٠م) كانت تشير إلى ذلك، مما يدل على أنه كان في هذه المدرسة (المتوسطة والثانوية) وعمره ١٨ عاماً.



مع والده وإخوانه وابنه .



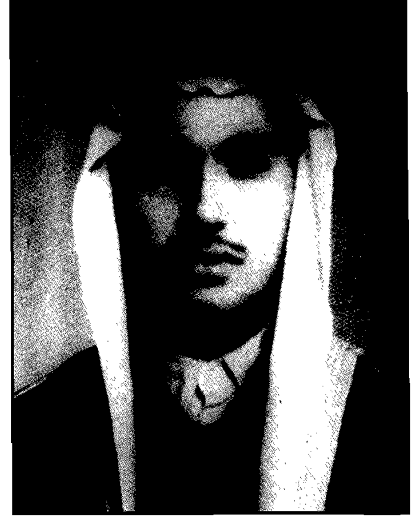
واقترن الشيخ محمد نحو عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٣م) بزوجته الوحيدة، موضي إبراهيم السلمان (من أسرة السلمان المعروفة بعنيزة وهي ابنة نورة الحمد السليمان الشبيلي) ورزق منها ابنته منيرة التي لم تعش طويلاً ثم ابنه الوحيد سليمان، وتوفيت زوجته بعد ولادة سليمان بفترة قصيرة، ولم يقدر الله له زواجاً آخر رغم العديد من المحاولات التي بذلت من جانبه وأقاربه وأصدقائه، فعاش بقية حياته أعزب عفيفاً حريصاً على مسلكه وخلقه واستقامته.

ولعل وضعه العائلي هذا، كان له أثر مساند في النهج الاجتماعي الذي أوقف عليه نفسه لخدمة الناس، وحب الأطفال، كما سنشير إلى ذلك في الفصل اللاحق بإذن الله.

وله ثلاثة من الإخوة هم: عبد الله وعبد الرحمن وسليمان، وأختان: الأولى هي والدة الدكتور يوسف عبد الله المنصور الزامل وإخوانه، والثانية هي والدة أحمد عبدالعزيز الناصر التركي وأخواته.

سجله الوظيفي:

بتاريخ ١/ ٧/ ١٣٤٩هـ (٢١/ ١١/ ١٩٣٠م) وأثناء مرور الشيخ محمد بالرياض، بصحبة والده في طريقهما إلى عنيزة قادمين من إحدى رحلاتهما إلى البصرة، صدر أمر جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - بتعيين الشيخ محمد بوظيفة كتابية في الديوان الملكي تحت إدارة معالي الشيخ عبد الله بن عثمان، يرحمه الله، بينما التحق ابن عمه الشيخ محمد العبد الرحمن بوزارة الخارجية ثم بالشعبة السياسية التي كانت قد أنشئت حديثاً في الديوان الملكي.



في سن مبكرة من شبابه.

كما عمل في تلك الفترة قريباً من ابن عمه الشيخ عبد العزيز الناصر الشبيلي الذي كان من موظفي الديوان الملكي، وكانا قد أقاما في السكن معاً في البصرة ثم في الرياض.

وفي الديوان الملكي، ذلك الوقت، كانت تتجمع كل شؤون الدولة السياسية والإدارية والاجتماعية، قبل إنشاء مختلف الوزارات، وقد اكتسب الشيخ محمد خلال عمله فيه الكثير من الخبرات، وبخاصة فيما يتعلق بشؤون السياسة وأمور البادية والعلاقات مع الدول والوفود، مع الخبرة والمعرفة بفروع القبائل وأفخاذها وأنسابها، فلقد كان الديوان الملكي في ذلك الوقت «الجامعة» التي تخرج منها معظم الدبلوماسيين وأمراء المناطق والمستشارين والمبعوثين الشخصيين وغيرهم في عهد جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه -.



مع محمد بن عبد العزيز بن دغيثر أثناء عملهما في الديوان الملكي.

وفي ١/ ٦/ ١٣٦٢هـ (الموافق ٤/ ٦/ ١٩٤٣م) أي بعد اثني عشر عاماً من العمل في الديوان الملكي، صدر قرار بنقله نائباً للقنصل السعودي في البصرة (الشيخ فخري شيخ الأرض)، وذلك على



(في البصرة) مع فخري شيخ الأرض (في الوسط) وإبراهيم البعيجان ومحمد العقيل وغيرهم.

أثر افتتاح هذه القنصلية، لرعاية الجالية السعودية الكبيرة في مدن جنوبي العراق.

وبعد نحو ست سنوات، نُقل الشيخ فخري إلى عمل آخر، وتمّ تثبيت الشيخ محمد مكانه قنصلاً عامًّا في البصرة وذلك بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٣٦٨هـ (الموافق ١٣/ ١/ ١٩٤٩م).

ويشير سجله الوظيفي في ديوان وزارة الخارجية، فيما بعد، إلى التطورات الإدارية التالية:

- نقل إلى ديوان وزارة الخارجية بوظيفة مستشار في ١٣/ ١١/ ١٣٧٦هـ (١٠/ ٦/ ١٩٥٧م).

- انتدب عدة مرات قائماً بأعمال سفارة جلالته في بغداد إبان تمتع السفراء بإجازاتهم، أو بمهام رسمية (وخصوصا أيام السفير الشيخ عبد الله الخيال، يرحمه الله).

- وفي ١/ ٢/ ١٣٧٧هـ (٧/ ٩/ ١٩٥٧م) انتدب إلى جدة للقيام بعمل وكيل وزارة الخارجية (والمعروف أن سمو الأمير فيصل ولي العهد كان هو وزير الخارجية).


عند مدخل القنصلية في البصرة.

ـ رقي إلى وظيفة وزير مفوض من الدرجة الأولى بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٣٧٧هـ (٣/ ١١/ ١٩٥٧م).

ـ صدر الأمر الملكي بتعيينه سفيراً للمملكة لدى جمهورية باكستان الإسلامية بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٣٧٧هـ (١٤/ ١١/ ١٩٥٧م).

ـ نقل إلى الهند سفيراً فيها بتاريخ ١٢/ ١/ ١٣٨٤هـ (٢٩/ ٥/ ١٩٦٤م) لمدة ثلاث سنوات.

ـ عين سفيراً في العراق ما بين عامي ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) و١٣٩١هـ (١٩٧١م).

ـ ثم عيّن سفيراً في أفغانستان عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) لمدة ست سنوات.

ـ أحيل على التقاعد عام ١٣٩٣هـ ثم تم التعاقد معه.

ـ عين سفيراً في ماليزيا عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) لمدة عشر سنوات حتى مرضه ثم وفاته في ١٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨م).

وبهذا تكون مدة خدمته الحكومية نحو ستين عاماً.

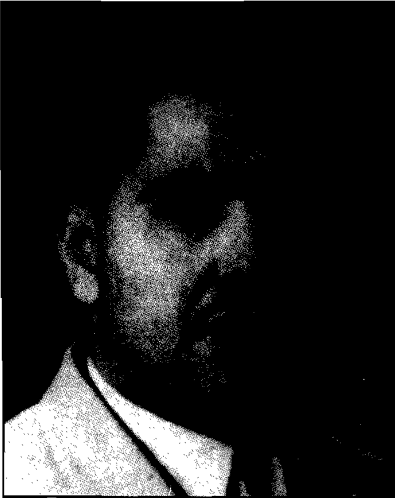
وكان أثناء خدمته في باكستان قد صدر الأمر الملكي رقم ٤٣ وتاريخ ٩/ ١٠/ ١٣٨١هـ (١٦/ ٣/ ١٩٦٢م) بتشكيل الوزارة الجديدة برئاسة سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز (في حياة جلالة الملك سعود ـ طيب الله ثراهما ـ) وفيها اختير الشيخ محمد وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، ولكنه اعتذر عن عدم تولي المنصب، والتمس البقاء في عمله الدبلوماسي، وقد عيّن بدلاً عنه معالي الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل، كما رشح عام ١٣٧٥هـ، رئيسا للمراسم (التشريفات الملكية) ورئيساً لديوان سمو ولي العهد ولكنه اعتذر أيضاً.

رحلاته:

وفضلا عن أنه كان قنصلاً ووزيراً مفوضاً وسفيراً في العراق وباكستان والهند وأفغانستان وماليزيا، والتي جابها جميعاً من أقصاها إلى أقصاها سياحةً وعملاً وتنقل في أرجائها، ودل زواره عليها تكراراً، ورتب زياراتهم لها، فإنه كان يحب الأسفار، حيث قام برحلات سياحية وعلاجية في دول الخليج وسوريا ولبنان ومصر وأوروبا وأمريكا واليابان، ومعظم الدول المجاورة للدول التي عمل فيها.

وفي كل دولة أقام فيها كانت له، وعنه، ذكريات وأحداث سنتطرق إليها، بإذن الله، في مكانها المناسب، إلا أنه فيما يتصل بموضوع هذا الفصل لا بد من الإشارة إلى رحلات معينة كانت علامات بارزة في حياته:





في إحدى رحلاته.



في لبنان، و معه عبد الله العبدا لعزيز البسام وعثمان الصالح وصالح العبدلي وحمد الحقيل وعبدا لعزيز الخطاب .

أوضاعه الصحية:

عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) وأثناء زيارته للبنان تعرض لحادث سيارة مروع، تسبب في حدوث ارتجاج في المخ وكسر في عظم الكتف وبعض الأضلاع، وقد ظل فاقداً الوعي لمدة أسبوعين، وبقي في بعض المستشفيات اللبنانية عدة أشهر حتى عافاه الله، ويذكر الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل ـ ابن خالته الذي عاصر الحادث ـ أنهما كانا معاً وافترقا قبيل حدوثه بوقت قصير في بلدة بحمدون ثم استدعي للحضور عند إسعافه، ولقد بلغ من خطورة الأمر أنه ـ يرحمه الله ـ اتجه إلى كتابة وصيته بعد صحوته من العمليات الأولى، كما حرر تنازلاً عن حقه تجاه المتسبب في الحادث ورجاءً إلى السلطات اللبنانية بالتنازل عن الحق العام.

كما يذكر الشيخ عبد الرحمن[١]، أن الشيخ محمد في رحلته تلك إلى سوريا ولبنان، كان قد رتّب لمجيء والده إلى لبنان للعلاج، وشاء الله أن يصرّ عليه السفير السعودي في سوريا آنذاك، للبقاء يوماً إضافياً في

(١) الفصل الخامس.





والد الشيخ محمد.

دمشق لحضور دعوة أقامها على شرفه، فبقي الشيخ محمد مجاملاً على مضض قلقاً على والده المريض في طرابلس (لبنان) حيث شاء الله أن يتوفى والده في ذلك اليوم ٢٨/ ٣/ ١٣٧٦هـ - ٢/ ١١/ ١٩٥٦م فنقل ليدفن في إحدى مقابر دمشق بجانب قبر والدته مضاوي المحمد الفوزان (جدة الشيخ محمد لأبيه) التي سبقته إلى الدار الآخرة بأكثر من أربعين عاماً، وكان عمره ثلاثة وستين عاماً.

ويذكر أخوه الأستاذ عبد الله في روايته لسيرة حياة الشيخ محمد[1]، أنه كان قد سافر في حدود عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) إلى أمريكا، لإجراء فحوصات طبية على أثر ما حذره منه أحد أطباء القلب المشهورين، وقد ثبت فيما بعد أنه كان خلواً من أي مرض في القلب، ولمدة زادت عن عشرين عاماً، مع أن الطبيب المذكور اعتقد أنه لن يعيش أكثر من بضع سنوات.



مع ابنه سليمان في إيطاليا.

وفي مطلع عام ١٣٩٢هـ (شتاء عام ١٩٧٢م) قبيل استلام عمله في أفغانستان، أصيب بلدغة من حية تسببت له ببعض المضاعفات، وألزمته السرير مدة طويلة في الكويت (في منزل الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل)، وكان حين إصابته في رحلة إلى البر في منطقة النعيرية بالمملكة خارجاً إليها من الكويت.

وحتى لا «يشوّش» هذا الخبر على أقاربه

(١) الفصل الخامس.

وأصدقائه في المملكـة، أشاع بأن الإصابة جرح من زجـاجة مكسورة، مع أن اللدغـة كانت من «ثعبان» من النـوع الخطـر، لدرجـة أن الـذين رأوهـا من رجال البـاديـة، في منطقة النعيرية، شكوا بالسلامة من آثارها.

وقد وصف إصابته هـذه في رسالة مفصلة بعثها بتاريخ ٩/ ٥/ ١٣٩٢هـ «من كابل» إلى صديقه وابن خالتـه الشيخ محمد المنصـور الزامـل، وتحدث فيها عن أفغـانستان وصلاة أول جمـعة له في أكبر جـوامع كابل.


مع عبد الحميد الخطيب أول سفير سعودي في باكستان وبينهما فارس الحامد (البصرة ١٩٥٢م-١٣٧٢هـ).

وفي مطلع عـام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) تعـرض لحادث سقـوط في حمام منـزلـه في أفغانستـان، ويبدو أنـه أصيب ببعض الكـدمـات والـرضـوض، وقـد اضطر بعدهـا للعلاج مدة طويلة في لنـدن، أجري له خلالها عدد من العمليـات الجراحية، كما قال في إحدى رسائله (الفصل الثالث).

وفور عـودته إلى أفغانستـان تعرض لنوبتين قلبيتين، إلا أنـه أُسعف وتناول العـلاج في المنزل، ولم يبلغ أحداً بـذلك من أسرته، سوى أخيه عبـد الله في رسالة خـاصة، أسرّ له فيها بما حصل، ويبـدو أن هاتين الإصابتين بقيتا طي الكتمان عن معظم ذويه حتى فترة إعداد هـذا الكتاب، ولم تُعرفا إلا بعد الاطلاع على بعض رسـائلـه (المنشـورة في الفصل الثـالث)، وقـد اتضـح أن عـدم ميله إلى استخـدام الطـائرة للسفـر وتفضيله السيـارة مع تجزئة الطريق البعيد، يعود إلى النصيحـة الطبية بذلك على أثر هـاتين النوبتين، كما ذكر في إحدى رسائله.

وقد كشف سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن، يرحمه الله، لابنه سليمان، أن الشيخ محمد كان قد تعرض أيضا لكسر في يده إثر سقوطه في اليابان بسبب الثلوج، وقد تحمل الآلام دون مراجعة الطبيب، حتى قابله اثنان من الدبلوماسيين السعوديين مصادفة في طوكيو، فألحّا عليه بضرورة مراجعة الطبيب وجبر الكسر بالجبس، ويبدو أن سمو الأمير مساعد قد عرف بذلك أثناء زيارته لماليزيا عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، كما طلب سموه من ابنه سليمان ألا ينسب هذا الخبر إليه، لأن الشيخ محمد كان يحرص على إخفاء مثل هذه الأمور بغية عدم إزعاج أسرته.

وفي شعبان عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وليلة الوفاة المفاجئة لجلالة الملك خالد، يرحمه الله، تعرّض الشيخ محمد لحادث سيارة في منطقة الروضة، شرقي الرياض حيث كان في زيارة للمملكة، وقد نتجت عن الحادث رضوض وكسر في أحد الأضلاع، ورغم معاناته الشديدة إلا أنه لم يمتثل للتعليمات الطبية بالراحة، وطلب من ابنه سليمان حزاماً لشد الظهر، وأصر على المشاركة في تشييع الجنازة، وقد تأثر سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز ــ يحفظه الله ــ عندما رآه حاضراً في المقبرة وهو على هذه الحال، فردّ عليه الشيخ محمد:

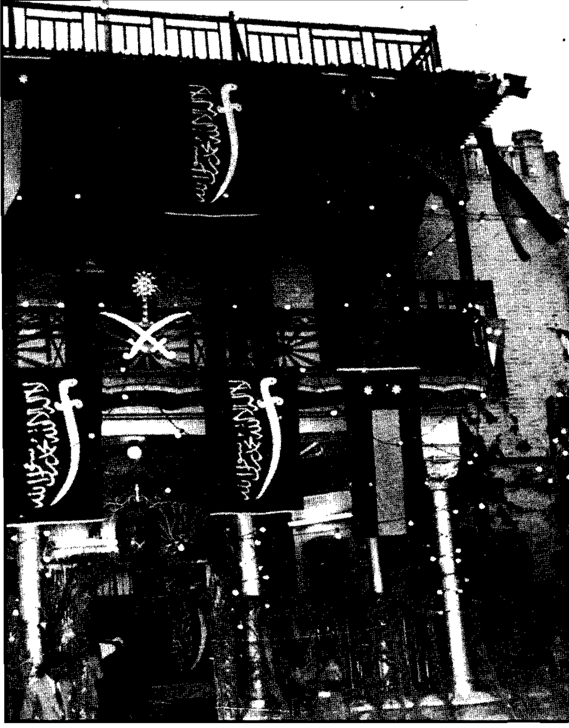
ـ« نحن جميعاً شركاء في بنوّة ذلك الرجل » (يقصد الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ).

ولكن المشهد المؤثر بشكل أبلغ، كان مع خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده ــ يحفظهما الله ـ عندما حضر الشيخ محمد للتعزية والبيعة في قصر الحكم متكئاً على ابنه، بسبب ما كان يعانيه من أثر الحادث، وقد لزم البيت بعدها لمدة شهر مستعملاً العصا فترة من الوقت.

وفيما عدا تلك الحوادث الرئيسية، وما ظهر عليه من أعراض حصوة في الكلى، فقد ظل ـ بشكل عام ـ في صحة طيبة، ولم يكن يميل إلى مراجعة الأطباء والمستشفيات، إلا أنه كان يحب الأعشاب والتداوي بها للأعراض النافعة لها، وكان يصفها للآخرين.

وبالاطلاع على بعض رسائله التي كتبها بعد تلك الحوادث التي وقعت له خلال عمله في أفغانستان، ثم ماليزيا، بدأ يعاني من الإرهاق والتعب ويبدي رغبته في الراحة ومجاورة الحرمين الشريفين، والتفرغ

للعبادة والطاعة، والعودة إلى المملكة للعيش والاستقرار فيها، وقد عبّر مرتين ـ على الأقل ـ عن تلك الرغبة، وذلك عند تعيينه في ماليزيا، وهو في أفغانستان، ثم بعد الحادث الذي تعرض له في الرياض عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) خلال فترة عمله في ماليزيا.



القنصلية السعودية في البصرة في السبعينات الهجرية.

وفـــاتـه:

في مطلع عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٧م)، وأثناء فترة عمله في ماليزيا، زادت معاناته من ارتفاع ضغط الدم، الذي كان قد بدأ لديه منذ أن كان سفيراً في بغداد، ولا بد أن كثرة مكوثه في المنزل مجاملة لضيوفه واهتمامه المتزايد ـ رغم تقدم سنه ـ بكل صغيرة وكبيرة تخص عمله وضيوفه وشؤون أسرته وأقاربه وأصدقائه التي كان يتابعها بنفسه ـ رغم بعده ـ واضطراره للاستقبال والتوديع بنفسه، ومجاملة زواره وضيوفه في تناول الوجبات، حيث يضطر لتناول الوجبة أكثر من مرة، إما تلبية لدعوات متتالية أو لحث ضيوفه على تذوق مختلف الأطعمة إمعاناً في إكرامهم، كل هذه الاعتبارات ساعدت في زيادة وزنه، وتسببت في تفاقم مشكلاته الصحية، فأصيب «بجلطة» أثناء أحد الاستقبالات الرسمية في ماليزيا، وفي البداية لم يبد اهتماماً بها كعادته في الصبر والتحمل، وكان ابنه سليمان لحسن الحظ موجوداً قربه، فأقنعه بالانتقال ـ بطائرة الإخلاء الطبي السعودي ـ إلى المستشفى العسكري بالرياض يوم الأربعاء ١٦/ ٢/ ١٤٠٦هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٥م) حيث شهد المستشفى أيام وجوده أرتالاً متواصلة، وحشوداً من الزائرين من مختلف أرجاء المملكة والبلاد القريبة والدول التي عمل فيها.





مع سمو الأمير سعود الفيصل (في بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٦م).

ويشير سجل الزيارات الذي وضع بجوار غرفته لإبلاغه عندما يفيق من غيبوبته، إلى أن عدداً كبيراً من أصحاب السمو الأمراء الكرام واظبوا على زيارته، ومنهم مساعد بن عبد الرحمن ومحمد بن سعود الكبير وعبد الله بن عبد العزيز وبندر بن عبد العزيز وسلطان بن عبد العزيز ومتعب بن عبد العزيز ونايف بن عبد العزيز ونواف بن عبد العزيز وسلمان بن عبد العزيز وسطام بن عبد العزيز وأحمد بن عبد العزيز وسعود الفيصل وتركي الفيصل وأمراء المناطق، وعبد الله بن محمد بن عبد العزيز وفهد بن عبد الله وخالد بن فهد بن خالد وفهد بن سلطان بن عبد العزيز وغيرهم.

كما دأب على زيارته، باستمرار، عدد من أصحاب السماحة والفضيلة المشايخ، ومنهم عبد العزيز بن باز، وابن عقيل وابن غصون وصالح اللحيدان ويوسف المبارك وإبراهيم محمد آل الشيخ ود. عبد الله التركي وراشد بن خنين وغيرهم.

وضم السجل أيضاً أسماء زواره من الوزراء والسفراء السعوديين والسفراء الأجانب في المملكة، ووفوداً من خارج المملكة، وبخاصة من دول الخليج العربي ومن البلدان التي عمل فيها، وكافة أقاربه وأصدقائه وعارفيه، وعدداً كبيراً لم يعرفه إلا بالسماع والذكر الحسن، من الذين توافدوا عليه من كافة مدن المملكة، وسجل بعضهم كلمات مؤثرة ومعبرة عما تكنه خواطرهم من مشاعر المحبة والتقدير، كما تلقّى ذووه آلاف الاتصالات الهاتفية من مسافات بعيدة وقريبة وبصفة متواصلة للاطمئنان عليه.

وكان من بين زواره العديد من المكفوفين وكبار السن (المقعدين) من الرجال والنساء، الذين كانوا



يستخدمون الكراسي الطبية، والذين أصروا على زيارته والاطمئنان على راحته، وكان - يرحمه الله - لا يستطيع التعبير بالكلام لصعوبة النطق نتيجة الجلطة، فكان يعبر بالدموع، تنهمر من عينيه، ويشدّ على يد زائره طوال فترة زيارته، معبراً بذلك عما في قلبه من تقدير ومحبة وامتنان للزيارة، وأسفٍ لعدم قدرته على فعل ما كان يفعل، وهو بكامل صحته وحيويته ونشاطه.

كما تقاطر عليه عدد من الزائرين أثناء علاجه في ألمانيا والنمسا، وكان من بينهم سمو الأمير مشعل ابن عبد العزيز ورئيس وزراء ماليزيا الدكتور محاذير محمد، وعدد من السفراء العرب والأجانب، والسفراء السعوديون في الخارج.

وبذلت سفارات خادم الحرمين الشريفين في كل من ألمانيا (السفير عباس فائق غزاوي ومن معه من أعضاء السفارة والملحقيات) والنمسا (السفير يوسف مطبقاني وأعضاء السفارة والملحقيات) جهوداً كريمة لتنظيم علاجه وإقامته، وتقديم التسهيلات لزواره وأقاربه الذين توافدوا من المملكة والخليج وأوروبا وبعض الدول التي عمل فيها، وبخاصة ماليزيا.

ويشاء الله أن يكون علاجه في صرحين من الصروح الطبية السعودية العملاقة، التي طالما تحدث عنها وأبرز تقدمها أثناء نشاطه وصحته، وأن يقوم على ملاحظته الطبية أطباء سعوديون، كان له دور في إكمال بعضهم تعليمه الجامعي أو رعايتهم أثناء دراستهم من أمثال رشيد الكحيمي، مؤيد الزيبق، محمد راشد الفقيه، محمد الشريدة وغيرهم.

وكان قد بقي في المستشفى مدة طويلة عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) ثم سافر إلى ألمانيا والنمسا على نفقة الدولة للعلاج فترة من الزمن، ثم عاد إلى الرياض مقيماً في منزله تحت مراقبة طبية وعلاج طبيعي متواصل، ثم أدخل مستشفى الملك فهد (التابع للحرس الوطني بخشم العان في الرياض) عدة أسابيع، حتى انتقلت روحه إلى بارئها فجر يوم الخميس ١٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨م) عن عمر ناهز الثامنة والسبعين، على أرجح تقدير، وقد نعته وزارة الإعلام وكافة وسائل الإعلام، وصلي عليه بعد صلاة يوم الجمعة التالي في مسجد الملك عبد العزيز بالمربع في الرياض، وقد أشاد الخطيب بجهود المخلصين في خدمة الوطن، وشاركت في الصلاة عليه ودفنه جموع غفيرة من أقاربه وعارفيه ومواطنيه

والسامعين عنه، من كافة الأرجاء في يوم مشهود لا يتكرر إلا للأوفياء الأخيار من أمثاله.

وكان قد ألمح لأحد إخوانه ـ عبد الرحمن ـ أثناء وجوده في ماليزيا أنه يفضل أن يدفن في عنيزة ـ مسقط رأسه ـ إلا أن وفاته في مدينة الرياض، وتوافد الآلاف من الراغبين في المشاركة بالتشييع جعلت ذويه يتأملون في مسألة سلامة المشيعين وراحتهم، والحرص على الصلاة عليه يوم الجمعة التالي، وأن تلك الرغبة لم تكن وصية بقدر ما كانت تعبيراً عن خشيته من أن يدفن خارج وطنه، فاستقر الرأي ـ بعد تداول الأمر مع أصحاب الفضيلة العلماء ـ على أن يدفن في مقبرة العود بالرياض بعد ظهر يوم الجمعة ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ، وقد اتضح للمؤلف ـ فيما بعد ـ أن رغبته تلك كانت أيضاً أملاً في أن يدفن بجوار قبر والدته، كما حصل لوالده مع أمه عندما دفنا في الشام في قبرين متجاورين.

صور من تقدير الدولة والمجتمع له:

لقد قُلّد الشيخ محمد خلال حياته الوظيفية العديد من الأوسمة، المختلفة في درجاتها ومعانيها ومناسباتها من داخل المملكة وخارجها، ومن أبرزها وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة مع البراءة التي منحت له في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ في (٢١/ ٣/ ١٣٩٣هـ) (٢٤/ ٥/ ١٩٧٣م).

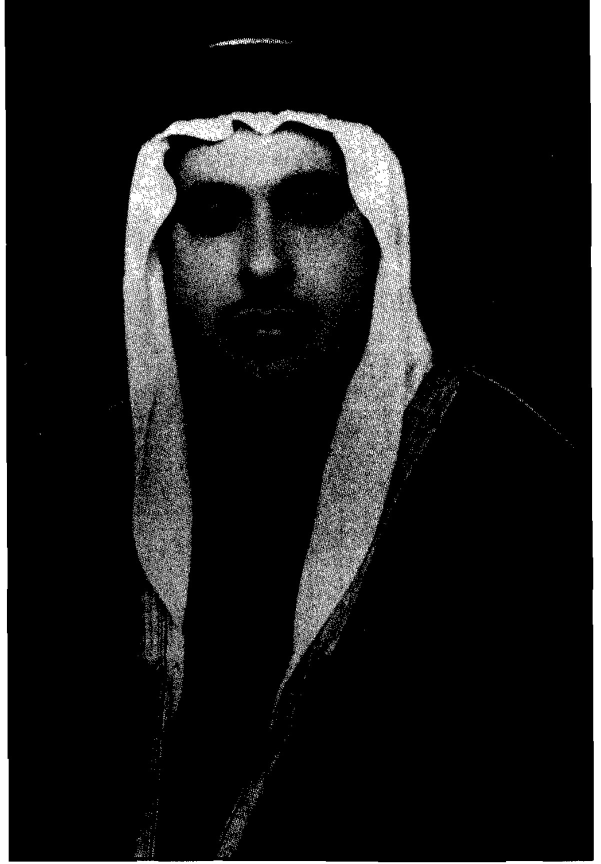
وفي ٢٢/ ١/ ١٤٠١هـ (٢٩/ ١٢/ ١٩٨٠م) منحه جلالة ملك ماليزيا في القصر الملكي في كوالالمبور الوسام الفخري بلقب «تان سري» وذلك بحضور وزير الخارجية الماليزي.

وفي العام الذي قبله ٨/ ٨/ ١٣٩٩هـ (٢/ ٧/ ١٩٧٩م) منحه حاكم ولاية سراواك الماليزية الوسام الوطني العالي للولاية بلقب (داتو).

كما حصل على عدد من الأوسمة من عدد من رؤساء الدول الأخرى التي عمل فيها، بالإضافة إلى عدد آخر من الدروع والنياشين من مختلف الجمعيات والهيئات الإسلامية والخيرية والاجتماعية والعلمية.

وقد أطلقت أمانة مدينة الرياض اسمه، بعد وفاته، على أحد الشوارع في منطقة الروابي الواقعة شرقي الرياض، وكانت بلدية عنيزة قد أسمت أحد الشوارع باسمه في شرق المدينة أيضاً أثناء حياته، تقديراً

منها لسمعته ووفاءً من مواطني مسقط رأسه، وعرفاناً بإسهاماته المالية الجزيلة في تجميل المدينة وتحسينها، وتقديراً لجهوده في خدمة وطنه بصفة عامة.



ومن صور اهتمام المسؤولين وأولياء الأمر به، أنه بعد وفاته بفترة عبّر سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ـ يحفظه الله ـ للمؤلف، بشكل خاص، عن ألمه العميق لأن وفاة الشيخ محمد جاءت في وقت كان سموه فيه مرتبطاً مع الملك فهد ـ يحفظه الله ـ أثناء زيارته السنوية للمدينة المنورة، وأنه كان يتمنى لو حضر خصيصاً للمشاركة، وقد سأل عن أحوال أسرته، وعما يمكن تحقيقه لتكريم الراحل بعد وفاته وإبقاء ذكره الطيب وتخليد سيرته، ولقد تلقّى المؤلف من سموه الكريم تأييداً حارّاً لفكرة هذا الكتاب، وشجّع على تأليفه.

وحظي الشيخ محمد من كافة ولاة الأمر منذ أيام الملك عبد العزيز، وخلال عهود أبنائه، بثقة خاصة مطلقة بكافة أعماله ونشاطاته واجتهاداته، وذلك بسبب ما رأوه من تفانيه البالغ في خدمة بلاده، وتيسير أمور المواطنين في الخارج، ورعايتهم والاهتمام بهم، ولعلمهم بأنه قد يضطر بسبب تلك المجاملات إلى اتخاذ إجراءات ومواقف، قد تحتاج بالنسبة إلى غيره من السفراء إلى الاستئذان، أو الحصول على موافقة مسبقة، وأنه ما كان ليقدم على أي اجتهاد، إلا لعلمه الأكيد بأنه يصب في النهاية في خدمة المصلحة العامة، وأنه قبل اتخاذ أي خطوة

يضع نفسه في موضع المسؤول، الذي يدرك إيجابيات أي إجراء وسلبياته، ولذا فقد وصل في نظر المسؤولين إلى مرحلة أصبح فيها في موضع السفير الموثوق المؤتمن الذي يتحمل المسؤولية الذاتية على أكمل وجه.

ولقد قال عنه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ـ يحفظه الله ـ عندما زاره ذوو الفقيد لتعزيته به:

ـ لو كان بإمكاننا رد القدر عنه لبذلنا كل ما نملك.



مع سمو الأمير محمد بن سعود الكبير

وقال سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ـ يحفظه الله ـ عند زيارته له في المستشفى:

ـ أبو سليمان ركن من أركان الدولة، أخذها بيمينه وجهوده.

وقال سمو الأمير محمد بن سعود الكبير ـ يحفظه الله ـ عندما زاره في المستشفى:

ـ ما هو أنت الذي نراك «يابوسليمان» بهذا الوضع لكن الشكوى إلى الله.

وقال عنه سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ:

ـ إنه والد وأخ كريم.

وقال سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ:

ـ لو كان أبو سليمان يشفى بنقل عضو من جسم أحد من آل سعود لما ترددنا في ذلك.

وقال سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ :

ــ إنه من المروءة والمكارم، وحبه للدولة وحرصه على الواجب وخدمة المواطن، في درجة لا يبارى فيها ولا يجارى.

وقال سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ عندما رآه مريضاً :

ـ أرجو أن تعتبرني أحد أبنائك، لتقديم ما يلزم لخدمتك.

وقال عنه سمو الأمير بندر بن سلطان :ـ يحفظه الله ـ :

ـ لقد كان من الدبلوماسيين القدماء المحنّكين سياسياً، وقد ترك بصمات واضحة في كل الأماكن التي عمل فيها، ومثّل المملكة خير تمثيل، بتفانيه في العمل وخدمته المتواصلة لدينه وملكه ووطنه، ولقد عرف دائما بالكرم والجود، وكانت له مواقف إنسانية كثيرة، وهي دلالة واضحة على خلقه وكريم شمائله، وإن فقده فقدان لرجل سياسي بكل ما تعنيه الكلمة.

أوضاعه المالية:

يتساءل الكثيرون ممن لا يعرفونه، وأحيانا ممن يعرفونه، عن أحواله المادية ومصادر دخله وكيف كان يمول صور كرمه غير المعقول.

ولعل الكثيرين يتخيلون «أبو سليمان» على النقيض مما كان عليه حقيقة، فهو وإن نشأ في مطلع حياته في بيت ميسور الحال نسبيًّا، إلا أنه طوال سنوات عمله في الوظيفة العامة ـ ما يقرب من ستين عاماً ـ لم تكن له موارد من أعمال تجارية أو إرث معتبر، ولم تكن له مخصصات استثنائية تختلف عن بدلات الوظيفة ومخصصات السفارة المعتادة.

كان دائم الاقتراض و«التحويل» على عدد من أصدقائه، مثل الشيخ محمد المنصور الزامل في عنيزة الذي كان يتولى الصدقات والمساعدات العائلية والاجتماعية التي ينفقها في مسقط رأسه، وكذلك محمد وعبد الله إبراهيم السبيعي وعبد الله الحمد القبلان في الرياض، وعبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي في الكويت، ومحمد المرشد الزغيبي في القاهرة، وعبد الرحمن العثمان في جدة، ومحمد العريفي في بيروت، وأحمد القاضي في الهند، وفاروق بن طالب وحسن العطاس في سنغافورة، وعبد العزيز الديحان



في الفلبين، وغيرهم كثيرون، وذلك لتغطية نفقات معينة في تلك المدن أو لشراء الهدايا، أو للإشراف على علاج من يرسلهم، أو لمساعدة من يقوم على تعليمهم من ذويه وأصدقائهم.

وكان ـ يرحمه الله ـ لا يوظّف أية إيرادات خاصة، ولا يستثمر في أعمال تجارية أو صفقات، ولم يعرف عنه أنه استفاد من وجوده في الخارج لممارسة تجارة معينة، بل كان ينفق كافة مخصصاته الشخصية والرسمية في الأوجه الخيرية المتنوعة.

وكان عندما يأتي في زياراته إلى المملكة، يقيم شهور إجازاته في فندق الكندرة بجدة واليمامة أو زهرة الشرق في الرياض مع ما يستتبع ذلك من مصروفات خدمات الفنادق التي تفوق قيمة شراء بيت في ذلك الوقت.

ولأن الشيخ محمد بنى جسوراً متينة من الثقة بأعماله وتصرفاته، من قبل كافة المسؤولين في الدولة، فقد جمع بين أريحيته التي لا تقف أمام «القواعد النظامية» في الصرف، وبين جرأته في استثمار مكانته لدى المسؤولين وثقتهم المطلقة بمصروفاته، فكان يُقدِم على الصرف عند المواقف التي تتطلب سرعة التصرف، ثم تقوم السفارة بعد ذلك «بفرز» مصروفاته، فما كان منها ذا طابع رسمي أو شبه رسمي كالمساعدات الإسلامية وحل مشكلات السعوديين في الخارج، فإنه في الغالب يرفع قوائم بها إلى الديوان الملكي مباشرة، لإجازة أوجه مصروفاته، وحتى لا يحرج الإدارة المالية في ديوان وزارة الخارجية التي تنظر عادة في مسوغات الصرف في كل عملية ومنها أحيانا شرط الموافقة المسبقة.

ولقد ذكرت عدة روايـات أن أولياء الأمر كانوا لمعرفتهم بأسلوبه في الإنفـاق، ولاطلاعهم على أوضاعه المالية المحدودة، يعينونـه على فعل الخير، ويقدّرون له جهوده تلك التي تذهب في أوجـه المعروف وخدمة المواطنين، ورفعة سمعة المملكة في الخارج.

ومن طـريف ما يـذكر في هذا المجـال، ما رواه الشيخ عبـد العزيـز التركي، الملحق الثقافي السـابق في بريطانيا ـ يـرحمه الله ـ، في موقع آخر من هذه الدراسة، من أن سمو الأمير سلطان بن عبـد العزيز قدم له في إحدى زياراتها لبريطانيا مساعدة ماليـة، فوجهها الشيخ محمد بأكملها إلى صندوق الطلبة السعوديين في بريطـانيا ومساعدة المرضى هنـاك، رغم إلحاح الشيخ التركي عليه بتوجيـه جزء منها لتغطية مصـاريفه الشخصية.

ولما نقل مـريضاً إلى المملكـة، أمضى مدة طـويلة تحت العـلاج ثم سافـر إلى ألمانيا والنمسـا على نفقة الدولـة، وعندمـا عاد وُجـد أن من الممكن أن يتلقى العلاج وهـو خارج المستشفى، ولم يكن لـه منزل في المملكة فتفضل خـادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيـز آل سعود ـ يحفظه الله ـ بـالأمر بتأمين منزل مناسـب له في الرياض، كما أمـر، رعاه الله، بمواصلة رواتبه ومخصصـاته كاملة كما كـانت وهو على رأس عمله وإلى أن توفي، يرحمه الله.

إن إنساناً بهذه النفقات والالتـزامات كان ينفق كل ما يصل إليه من موارد خاصـة أو عامة أو يسدد بها ديونه المتراكمة، وكان ـ حتى أثناء مرضه الأخير ـ يوجـه باستضافة زواره وإسكان مَنْ كان يقدُم لزيارته في ألمانيا والنمسا، وكان المؤلف أحـد ذويه الذين حاولوا جاهـدين أن يبقي على قطعتي أرض له في المملكة، كلّما حاول بيعهما، حتى لا يشجعه ذلك على التوسع في نفقاته.

وبإيجاز: كان يوقف وارداتـه الخاصة مع وارداته العامة في خدمـة أهداف السفارة، وفي التعبير العملي عن الأريحيـة وكرم الأخلاق لكل مـن يفد إليه من أبنـاء وطنه، أو من أبنـاء البلاد التي عمل فيهـا، ومن الناحية الشخصية كان يخدم الناس قبل أن يخدم نفسه.

يقول الأستاذ عبد الـرحمن ابراهيم الغنام: لم يكن للمال أي قيمة لـديه، بل كان يسخره لخدمـة المحتاجين من الناس كافة، وكانت لديه قوائم بأسماء وعناوين أسر كثيرة في الداخل والخارج يخصص لها ما يقدر عليه دون علم أحد.

أصدقاؤه والعاملون معه:

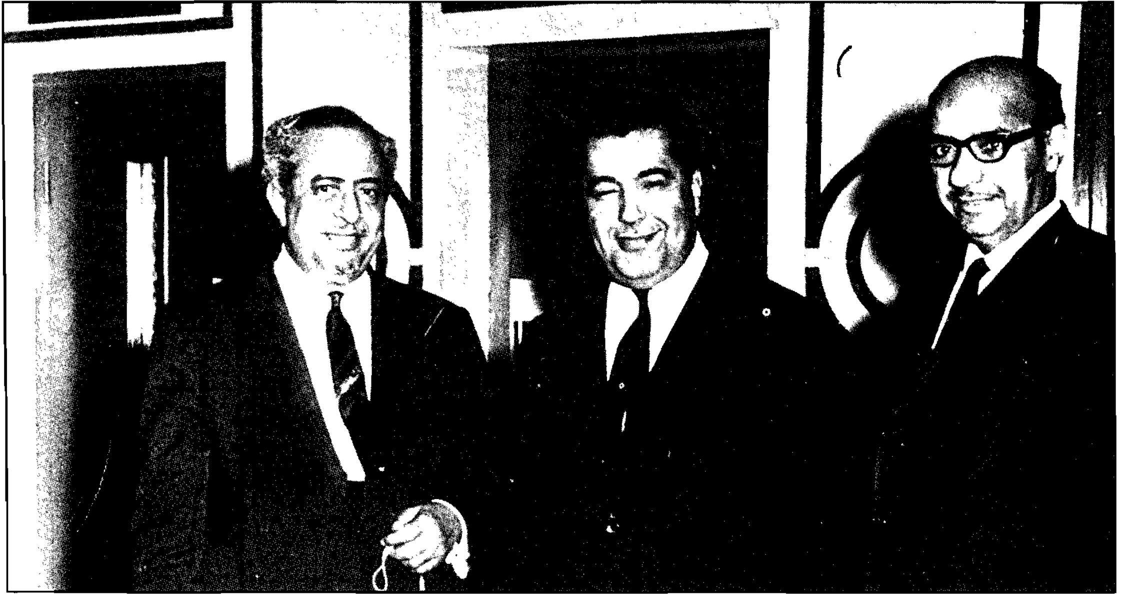
لقد كان في مخطط هذا الكتاب أن نورد شيئاً عن أصدقائه وزملائه الذين عملوا معه في سفارات المملكة الخمس وقنصليتها في البصرة، وبدأت المحاولة برصد أسماء أصدقائه الذين ورد ذكرهم خلال مراحل إعداد الكتاب، أو من هم معروفون لدى ذويه، أو ممن أشير إليهم في المقالات والصور، لكن البيانات تجاوزت الحجم المعقول لإيرادها في هذا الحيّز المحدود، وبخاصة بعد أن تم الاطلاع على سجل الزيارات الذي فتح لتسجيل أسماء زائريه إبان مرضه الأخير.



(في البصرة) مع مجموعة من أقاربه وأصدقائه محمد وعبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي وصالح الشملان وعبد العزيز السليمان الذكير وعبد العزيز وعلي ومحمد العبد الله الزامل وبندر السليم وعبد العزيز العمير وعبد الله القبلان وغيرهم.

وخشية الحرج من احتمال نسيان أسماء آخرين، قد يكونون بالمنزلة نفسها من الصداقة والعلاقة، وجدنا أن من الأنسب الاقتصار على نماذج لأبرز أصدقائه الذين ظل على علاقة مستمرة بهم لأطول فترة من حياته، من غير ذويه ومن غير الأسرة الحاكمة في المملكة، ودول الخليج، والدول التي عمل فيها مع الاعتذار مرة أخرى لمن لم يرد ذكرهم، وبخاصة أن الآلاف من معارفه يعتقدون أنهم كانوا على صلة خاصة، وعميقة به، نظراً لما كان يبادلهم إياه من خصوصية وعمق في علاقته بهم.

في المملكة: محمد وعبدالرحمن وعبدالله المنصور الزامل، وصالح العبدلي، وصالح الشملان، ومحمد الحمدالقاضي، وعبد العزيز الخويطر، وعبد الرحمن العمران، ومحمد المنصور الرميح، وفارس الحامد، وعبد الكريم الزامل، ومحمد وعبد الله إبراهيم السبيعي، وعبد الله القبلان، ومحمد المرشد الزغيبي، وعثمان الصالح، وسعد بن رويشد، وعلي الشاعر، وجميل الحجيلان، ومحمد النويصر، وإبراهيم العنقري، ومحمد عبد الله علي رضا، وصالح المحمد العثيمين، وعبد العزيز وعلي وصالح الصقير، وعبد العزيز بن زيد، ويوسف الدبيان، و سليمان وحمد المحمد الذكير وأبناؤهما، و عبد الله الحمد الخنيني وإبراهيم السويل، وعبد الرحمن الحليسي، وعدد من أسرة القاضي، والبسام، والزامل، والسليم، والذكير، والتركي، و الصقير، والعثمان، والعدوان، والحقيل، والدغيثر، والمبارك، والمنقور، والعساف، والحليسي، والمعمر، والجميح، والسديري، و السلّوم، والعيسى، والسلمان، والغانم، وآل الشيخ، والمانع، والغنام، وآل بن زيد، والحمدان، والجفالي، وأبا الخيل، والناجم، والقدهي، والمهباش، والعجروش، والعماري، وآل حافظ، والحركان، والفارس، والعوهلي.



مع إبراهيم السويل وصالح العبدلي في لبنان.

في الكويت: عدد من أسرة الصقر، والشايع، والفوزان، والبابطين، والنفيسي، والعومي، والوزان، والعصيمي.

في العراق: نجدة فتحي صفوت، وخير الله الطلفاح، ومحمود شيت خطاب، وبهجت الأثري، وعامر الكامل، وآل باش أعيان، وعبد الغني الراوي، وسامي آل معجون، و محمد سعيد النقيب و إخوانه.

في الهند: الشيخ أبو الحسن الندوي، وكافة رجالات أسرة القاضي والبسام وزينل المقيمة هناك.

في المغرب: عبد الهادي التازي.

في ماليزيا: تنكو عبد الرحمن، ومحاذير محمد، وعبد الرحمن بن يعقوب، ومختار بن الحاج أحمد يوسف.

في مصر: مجدي صبري، محمد عبد الرؤوف.

في أفغانستان: عبد الستار سيرت، أحمد الكيلاني، عبد الغفور فرهادي.

في دمشق: سليمان إبراهيم القاضي وأبناؤه عندما كانوا هناك.

في الباكستان: عدد من رجالات أسرة العوضي والمرزوق وزينل المقيمة هناك.



مع عبد الرحمن الحليسي (السفير في لندن سابقاً).

في بيروت: محمد العبد الله العريفي ومحمد السليمان الزبن عندما كانوا هناك.

في الإمارات: آل محمود والغرير.

في قطر: علي الأنصاري وعبد الله إبراهيم الأنصاري.

في سنغافورة: فاروق بن طالب وحسن العطاس.

وأما بالنسبة لأبرز من عمل معه في الخارج، سواء في السفارات والقنصليات أو في الملحقيات التابعة لها، فمنهم:

في قنصلية البصرة: محمد المنصور الرميح، فارس الحامد، يوسف الدبيان، عبد الله المرضي (ثم ابنه مرضي من بعده)، عبد الكريم الزامل (الذي كان قنصلاً عندما كان الشيخ محمد سفيراً في بغداد).

في سفارة بغداد: فارس الحامد، عبد العزيز العمير، جبارة الباحث، إبراهيم القدهي، عبد الرحمن إبراهيم الغنام، محمد سعيد قاري، محمد حبابي، علي الزبن، سعود الخنيني، سعيد السابر، سليمان الشدوخي، محمد الشعلان، صالح الضبعان، صالح العتيقي، إبراهيم السليمان، فاضل الصقعبي، صالح الحسن النعيم، ناصر المزروع.

في سفارة كراتشي: جميل الحجيلان، علي الشاعر، علي الفوزان، سليمان فطاني، محمد المرزوق الصانع، أحمد ميمش، طلعت حمدي، عادل أبو خلف.

في سفارة نيودلهي: فارس الحامد، علي الشاذلي، عبد الرحمن البيز، عباس فوانيسي، حسين السلمان، حسين أبو نمي.

في سفارة كابول: محمد حسن اليافعي، محمد حبابي، علي الفوزان، سعيد الخالد، خليل جزار.

في سفارة ماليزيا: ناصر الفارس، فايز الأسمري، عبد الرحمن الغنام، محمد سعيد قاري، عبدالقادر المزروع، جميل أحمد عالم.

ولقد عاش حتى توفي ــ يرحمه الله ـ محبوباً من الناس، مقدراً من الجميع، يحظى بدرجة عالية من الاحترام والثقة والمحبة من الدولة بدءاً من الديوان الملكي وديوان سمو ولي العهد ووزارة الخارجية وكافة المسؤولين، بصفتهم الرسمية والشخصية، تقديراً لإخلاصه وتفانيه ووطنيته وخصاله الحميدة وسمعته المتميزة في الخارج ممثلاً لمليكه ووطنه وأمته.

ولا يزال ذكره يصدح في المجالس والأذهان في كل مناسبة، شأنه في ذلك شأن الرجال النوادر الذين تجود بهم الأيام بين زمن وآخر، والذين يحظى مجتمعنا العربي الإسلامي بالعديد الأخيار منهم ممن سجّلهم التاريخ، كلاًّ في حقله، فأصبحوا جزءاً منه.

ويبقى على المجتمع أن يحفظ لهم مكانتهم ويخلدها بالوفاء والذكر والتذكير، وتوثيق حياتهم، ليبقوا مُثُلا عُليا للأجيال القادمة، كما كانوا في أذهان الأجيال الحاضرة:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذَى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(1)



مع عدد من أصدقائه وموظفي القنصلية في البصرة وهم: محمد المنصور الرميح، فارس الحامد، الشاعر سالم الحميّد، يوسف الدبيان، فهد المنصور الرميح، رفاه عبدالجبار وعدد من أقاربه.

(1) سورة البقرة: الآيتان ٢٦٢/ ٢٦٣.



مع أعضاء السفارة في بغداد، فاضل الصقعبي، محمد سعيد قاري، سعيد السابر، سعود الخنيني، جبارة الباحث، محمد حبابي، إبراهيم السليمان.



مع فخري شيخ الأرض وبعض الزوار في البصرة.



مع ابن عمه محمد العبد الرحمن الشبيلي وبعض موظفي السفارة (في ماليزيا).



الفصل الثاني

شخصيته : مآثره وخصاله

رؤية تحليلية

لابد لمن يسعى لفهم «تركيبة» شخصية الشيخ محمد، والتعرف على مختلف ملامحها وسماتها وظواهرها، والعوامل والأسباب التي ساعدت في تكوين معالم تلك الشخصية على اختلاف أبعادها، لا بد له من العودة ـ أولاً ـ إلى بيئته وطفولته وشبابه، وإلى مجمل المؤثرات المحيطة به، من اقتصادية وأسرية وثقافية وسياسية، وغيرها من المعطيات التي قدمناها عن سيرة حياته في الفصل الأول.

البيئة والمحيط :

من الناحيـة الجغرافية : وُلد الشيخ محمد في عنيـزة، بالقصيم، في بيئة متفتحة نسبياً بـالمقارنة مع بعض مناطق نجد المحيطة بها، ولها صلات وثيقة تجارية وبشرية مع البلدان المجاورة، كإمـارات الخليج والعراق وعربستـان والهند والشام، حيث كان قـد نزح بعض من أفراد أسرها إلى هـذه البلدان، واستقروا فيها طلباً للرزق وظلوا على صلة بموطنهم الأصلي.

وكان أبوه وأجداده من أولئك الذين أقاموا في جنوبي العراق، وكوّنـوا تجارة ومركزاً اجتماعياً مرموقاً.

نشأ الشيخ محمـد منـذ صغره متـأثراً بهذا الانفتـاح الثقـافي والجغـرافي والتجاري، بين بلدتـه والعـالم الخارجي القـريب، معتاداً على السفـر والغربـة والترحـال، متصلاً بثقافـات الهند والخليج والعـراق، متـذوقاً لها، فإذا مـا فكر في شيء خـارج عنيزة فإنـه يستـدير تلقـائياً إلى تلك الجهـات؛ لأن لـه جـذوراً ومصالح وعلاقـات أسرية واقتصادية معها، كما أن عنيـزة، نفسها، بحكم موقعها الجغـرافي، كانت ممراً للحج وطريقاً للتجارة، ولذا كانت مركزاً تجارياً نشطاً، مفتوحاً أمام العابرين، والقرى المجـاورة لهـا.

ولو سألـت طفلاً في عمر الشيخ محمـد ووضعه، في ذلك الـوقت، لوجـدته يعـرف عن مكة المكـرمة والمدينة المنورة والرياض والاحساء ثم الكويت والبصرة وبومباي والبحرين ودبي ومسقط، ولكنه لا يسمع عن باريس أو لندن أو طوكيو أو نيويورك إلا في الإذاعـات فقط، إن وجدت.

ـ **ومن الناحية الأسرية** : توفيت والدته بعـد أيام من ولادته، فتكفلت به خالاتـه ثم احتضنته إحداهن التي أصبحت زوجةً لوالده وربّته مع أخيه عبد الله ـ ابنهـا ـ فحظي بكل أوجه الرعاية الخاصة، وعاش في أسرة واحدة متكاملـة ليس فيها غريب وليس فيها تنافر.

ولا شك أن فقده لوالدتـه ثم لزوجتـه وعدم زواجه بعدها ثم فقده لابنتـه الوحيدة، حيث لـم يبق لـه إلا ابن واحد، قد جعله، ينشأ محاطاً بالعاطفة، ثم تتدفق عواطفه فيبحث عمن يغدقها عليهم، وقد انعكس ذلك بحنانه على ابنه وإخوانه ثم على الأطفال بشكل عـام.

وبقدر مـا كان لـدى الشيخ محمد، بما حبـاه الله من طبـاع متكونـة في شخصه أو موروثـة من والـديه وأجداده، ومـا يتمتع به ـ هبـة من الله ـ من موهبـة واستعداد فطري شخصي، ثم ظـروف مكتسبة، فإن





في وداع جلالة المغفور له الملك سعود من مطار البصرة وبجواره برهان الدين باش أعيان وزير خارجية العراق (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م).

هناك ـ في اعتقادنــا ـ ثلاثة عوامل مهمة ساعدت على انصرافه للناس ووقف عواطفه، وإنسانيته على أقاربه والآخرين:

أولها: إرادة الله بحرمانه من تعدد الذرية والأبناء في نسله بشكل جعله يخصص للأطفال جزءاً من مشاعره وأحاسيسه وعواطفه.

ثانيها: ما أراد الله له من فقد زوجته باكراً، وعدم زواجه من أخرى ينصرف إليها في جزء من وقته، وتستوعب الفائض من فراغه وطاقاته الإنسانية المتوقدة.

ولا شك أن ارتباط الإنسان بالأسرة (الزوجة والأطفال) يجعله، في الغالب، يوجه دخله ـ معظمه أو كله ـ إليهم، وربما تكون الأسرة أحياناً عاملاً من عوامل الحد من مصروفات الزوج أو الأب، والتدخل فيها، أو على الأقل في توازن إنفاقه بينها وبين الآخرين.

ثالثها: الطبيعة المرنة لعمل السفارات، والتي تختلف عن الإدارات الحكومية الأخرى المتسمة بزحمة

المراجعين والأوراق، ومراقبة الموظفين والاجتماعات الدورية، فالسفارة تعتبر ـ بالدرجة الأولى ـ شكلاً من أشكال العلاقات العامة، وتقاس كفاءة القائم عليها بقدرته على التحرك والاتصال والعمل الميداني والالتقاء بالناس والمسؤولين.



في البصرة (في الستينات الهجرية) مع عدد من أصدقائه مقبل الذكير، أحمد المحمد الذكير، عبد الله الخنيني، محمد المنصور الرميح، محمد وعبد العزيز العبد الله البسام وصالح النفيسي وعبد العزيز الحطاب.

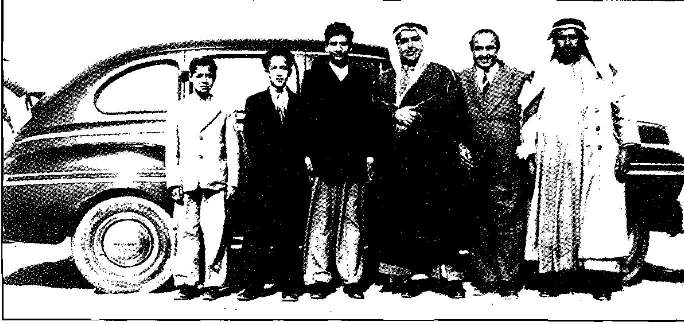
ولو أراد الله للشيخ محمد أن يتولى المنصب الوزاري الذي عُيّن فيه في مطلع الثمانينات الهجرية (الستينات الميلادية) فربما استولت الوزارة على جزء كبير من وقته وانهمك في العمل الإداري، فلا يبقى لاجتماعياته وعلاقاته إلا الجزء اليسير من وقته ونشاطه، ولربما فرضت عليه أنماطاً معينة من التعامل بحكم صلة تلك الوزارة بمصالح الناس.

ـ **ومن ناحية أخرى** : فالشيخ محمد فتح عينيه على الدنيا أمام والدين عرفا بالكرم، وشقيق لأمه اتصف بكرمه على مستوى الوطن، (وهو خاله الشيخ محمد السليمان الشبيلي) الذي يرد ذكره كلما ذكر مقدم الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ إلى القصيم مجاهداً أو زائراً، وعمه ناصر الذي أقام فترة في العراق، واشتهر بكرمه الواسع، وتزوّج الملك عبد العزيز، طيّب الله ثراه، من ابنته (نورة)، بل إن نسلهم عرف بهذه الخصلة بنسب مختلفة، وكذلك عماته، موضي وحصة ولولوة (والأخيرة كان الملك عبدالعزيز قد تزوجها أيضاً) وكذا خالاته وأبناؤهن : كلهم عناصر عرفت على مستوى الأسرة بالفضل والجود، فالمحيط كله مفعم بفعل الخير، فلا غرابة ـ عند من يعرف هذه الحقيقة ـ أن يأتي الشيخ محمد وتكون له الفرصة في وظيفة عامة، يستطيع من خلالها أن يمارس البذل والعطاء ويضع نفسه في خدمة الناس ثم يتفوق على بعض الآخرين في هذا المضمار.

أمـا والـده (الشيخ حمد) فهـو المؤثـر الأول في شخصيتـه ، حيث غـرس فيـه حب الفضيلـة والإكـرام والعطف على الفقراء والمحتاجين .

لقد كـان والده ، يرحمه الله ، يقوم على رعـاية أحد أقاربـه وهو معتل الصحة ويتولى خـدمته في المأكل والملبس والمسكن ، دون ملل أو ضجـر ، كما كـان يقـوم بتـوزيع التمـور والصدقـــات والأضـاحي على المعوزين وذوي الحاجـة ، وإفطار الصـائمين في منزلـه ، وكـان يصوم معظم أيـام السنة ، ويمضي معظم أيامه في تلاوة القرآن الكريم ، بصوت جميل كان مثار إعجاب الأهل والجيران .

ولا بد ، هنا ، من الإشارة إلى أن جارهم المباشر في المنـزل ، كان سماحة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي الـذي عرف على مستـوى العالم الإسـلامي بواسع علمـه ومكارمـه وخلقه الرفيـع ، ولابد أن تلك الجيرة قـد تـركت آثارهـــا وبصماتها على حياة الشيـخ محمد الـذي عاش طفـولته متمتعـاً بتلك الجيرة الحسنـة وما يتبعها من علم وديانة ومعاملـة .


في البر جنوبي البصرة في الستينات الهجرية .

ولقـد كـانت خـــالتـه «مـوضي» بمثابة والدتـه حيث تولت تربيته مع أخيه عبـد الله ـ ابنها ـ فهي إنســانة فـاضلة حـازمـة قـوية الشخصيـة ، تحب عمل الخير، وكان لها تأثير بالغ في تربية الشيخ محمد وأخيـه ، حيث كان يحترمها ويلتزم بتوجيهاتها ، وقد عاش يذكرها ويدعو لها ويوزع الصدقـات والأضـاحي ترحّماً عليها .

وكذلك الأمر بالنسبة لابنة عمه وخاله نورة الحمد الشبيلي (والدة زوجته) ، إذ كانت امرأة فاضلة تتمتع برجـاحة العقل ، ومـرجعاً لكثير من أفراد الأسرة ذكـوراً و إناثـاً ، ولقد أسهمت في تربيتـه و إخوانـه وابنه ، وظلّت مستودعـاً لهمومـه وشؤونـه ، وكانت تشكل مـركز تجمّع لأفـراد الأسرة في المناسبـات ، وتؤلف بين قلوبهم .



في البر بين البصرة والزبير، ومعه محمد المنصور الرميح وعلي العبد الله الصقير وصالح وسعود النفيسي وعبد العزيز الحطاب وغيرهم.

ومن الشخصيات المؤثرة في حياته كل من جده لوالدته سليمان الناصر الشبيلي وابنه محمد وكذلك عمه ناصر. وكان الثلاثة أسطورة في الكرم والرجولة والمواقف، كما كانوا من رجالات العائلة الذين اكتسبوا شهرة واسعة في كل من القصيم وجنوبي العراق، وممن كان لهم دور بارز في تعضيد جهاد الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ويقال إن الشيخ محمد اختار اسم سليمان لابنه تيمناً ومحبة لجده.

ـ وينتقل الشيخ محمد إلى البصرة وعمره عشر سنوات، فيرى التطبيق العملي للجود من قبل أبيه وأجداده، ليس على مستوى البلدة، هذه المرة، ولكن على مستوى «ملتقى الطرق الرئيسية» ومركز تجمع «حضري» للبادية والحضر والعشائر والساسة والتجار، وفي مثل «البصرة» ليس أمام ابن الجالية السعودية من مناطق نجد والأحساء المقيمة هناك إلا أن يكون «كريماً»، أو لا يكون؛ لأن متطلبات الاتّصاف بهذه الصفة تفرض اعتبارات تموينية وإدارية لابد من تحقيقها، إذا تصدّر المجتمع وانتسب إلى صف الأخيار، فهذا عابر سبيل، وهذا ضيف قادم للزيارة، أو طلب العلاج، أو البحث عن الرزق أو تقطعت به السبل أو خسر بضاعة، فلا فنادق، ولا دور ضيافة، إلا ما يوفره الأخيار من أهل نجد أو الأحساء،



مع عدد من أصدقائه وموظفي القنصلية (بالبصرة) ويبدو في الصورة محمد المنصور الزامل وعبد العزيز العمير وعبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي وصالح الشملان وعبد العزيز السليمان الذكير وعبد الله القبلان وعبد العزيز ومحمد وعبد الرحمن العبد الله العلي الزامل وعبد الله المرضي وعبدالله الحمد الخنيني وغيرهم.

المستقرون، الذين أسسوا عدة دور للضيافة الخاصة و«ديوانيات» للتجمع ومساعدة بعضهم بعضاً، ولا ننسى أن معظم من كان يفد إلى تلك البلدان يكون معدماً أصلاً وإلا لما اضطر إلى القدوم، ولذا فإنه يبحث عمّن يؤويه ويستضيفه ويستر عليه وربما يقيم لديه سنوات.

كما أن الظروف المعيشية في نجد، بخاصة، كانت في ذلك الوقت ضنكة، تتيح للقادر الكريم أن يبرز، فإذا ما فتح الإنسان بيته لضيافة الناس وجد من يأوي إليه ويحتاج إليه ويستفيد منه، ويشكر له ذلك.

المدرسة العملية الأولى :

وإذا كانت طفولة الشيخ محمد في عنيزة، ثم البصرة اللتين أحبهما وكانتا قريبتين إلى قلبه، قد أسهمت في بناء شخصيته والتأثر بالمحيط الأسري والاقتصادي والثقافي حوله، فإن فترة عمله قرابة خمسة عشر عاماً قنصلاً عاماً في جنوب العراق قد كوّنت جانباً من شخصيته بصفته دبلوماسياً «سعودياً» فلقد اجتمعت لديه كل المقومات والفرص، التي سخرها بإيجابية واستفاد منها بشكل جيد حيث عرفه



محمد المنصور الرميح (نائب القنصل) يستقبل كلاً من عبد الله المنصور أبا الخيل وعلي العبد الله أبا الخيل ومحمد العودة أبا الخيل في أحد الاحتفالات الرسمية في البصرة.

الناس على نطاق واسع.

فقد تخرج من مدرسة «الديوان الملكي» بعد تدريب شاق استمر اثني عشر عاماً وكان على رأسها الموجه والمشرف والقائد الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ حيث ترسم الخطط، وتسن الأنظمة، وتجرى المباحثات والمفاوضات والمشاورات والاتصالات.

ـ ثم انتقل للعمل في أهم بوابة من بوابات الجزيرة العربية، وهي مدينة البصرة ملتقى العشائر، وطريق الحجاج، ومنطلق أهل الأحساء ونجد الشمالية والشرقية من القصيم وحائل وسدير والوشم والزلفي وغيرها.

إن أحداً من المسؤولين قد يتقلب في مناصب مختلفة التخصصات، ولكنه لا يرتبط في أذهان الناس إلا بعمل واحد منها سلباً أو إيجاباً، فيعرف به أكثر من غيره، وهكذا الأمر بالنسبة للشيخ محمد في البصرة، فقد علق ذكره في أذهان الناس خلال عمله قنصلاً في البصرة بشكل واضح، وربما لدرجة فاقت، فيما بعد، أعماله الدبلوماسية الأخرى رغم أهميتها، كما أنني أعتقد أن قنصلية البصرة قد ارتبطت هي الأخرى لفترة طويلة باسمه وشخصيته وسمعته.

كانت البصرة، لفترة طويلة، كما ذكرت، أكثر من مهمة، ليس فقط لظروفها الاقتصادية، ولكن لأنها كانت همزة الوصل الرئيسية بين المملكة والعراق، والقنصلية فيها كانت لها أهميتها البالغة؛ لأن الفترة التي أنشئت فيها هذه القنصلية، والتي عمل فيها الشيخ محمد بشكل خاص، كانت فترة حاسمة بالنسبة للقبائل والمواطنين السعوديين هناك.

كانت فترة تحديد المصير بالنسبة لتبعيتهم وهويتهم، ويمكن القول إنه لولا حرص الدولة على إنشائها، واختيار الشيخ محمد لها، لبقي المئات من السعوديين على وضعهم في جنوب العراق، رغم انتمائهم الكلي لإحدى مناطق المملكة، فساعد المئات من سعوديي الأصل المقيمين في البصرة والزبير وسوق الشيوخ وغيرها من مدن العراق على استرداد جنسيتهم، أو إعطائهم تأشيرات دخول أو بطاقات مرور، حيث تمكنوا من إثبات أنسابهم وجذورهم واستخراج حفائظ نفوس لهم ولأولادهم.

من هنا، فإن وجوده في البصرة، قد ارتبط بمصالح الناس أكثر من مجرد كونه ممثلاً دبلوماسياً، ولقد قام بدور جليل في تحقيق هذه الغاية للمواطنين، وشاء الله أن يحميهم ـ بفضل تشجيع الملك عبد العزيز وأبنائه من بعده ورعايتهم ـ من التقلبات السياسية التي حصلت فيما بعد في تلك المنطقة، فضلاً عن تحقيق أهدافهم في تثبيت انتمائهم لوطنهم، ويذكر الشيخ محمد المنصور الزامل، يرحمه الله، أن جلالة الملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ، كان على سبيل المثال، يقر كل إجراء يتخذ بمعرفة الشيخ محمد وقناعته في هذا الصدد.



حمد المحمد السليمان الشبيلي وعبد اللطيف الصالح وفارس الحامد في أحد الاحتفالات في فندق مطار البصرة.

كما يذكر مؤلف كتاب «إمارة الزبير بين هجرتين» «**أن جلالة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ قد أوصى الشيخ محمد باحتضان قضية أهل نجد في العراق، وقد صدع القنصل بالأمر وأفاد من ذلك الزبيريون في الستينات الهجرية وتلقاها من بعده كل الممثلين السياسيين في البصرة وبغداد**».

فلا غرابة، إذن ـ بالنسبة لكثير من المواطنين السعوديين ـ أنه إذا ذكرت البصرة أن يذكر الشيخ محمد وبالعكس، وأن يحمد للملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ تفكيره في افتتاح قنصلية عامة في جنوب العراق،

تكون في خدمة الجالية السعودية التي أجبرتها ظروف الحياة قبيل قيام الدولة السعودية الثالثة، وقبل ظهور البترول، واستتباب الأمن وتوفر التعليم، على النزوح إلى خارج البلاد طلباً للرزق.

- **وكما هو معلوم من الناحية التاريخية والسياسية**، فإن السنة التقديرية لولادة الشيخ محمد هي عام ١٣٣٠هـ (١٩١٠م)، أي بعد مضي عشرة أعوام على استقرار القصيم في عهد الملك عبد العزيز، وبالنسبة لتاريخ نجد: ففي السنوات العشرين التالية لولادته، حدثت عدة فتوحات ومعارك من أهمها دخول الأحساء وحائل والحجاز وعسير، ومعركة جراب والسبلة، وحوادث الجهراء، وحرب اليمن، ولابد أنه كان يعي بشكل واضح معظم تلك الأحداث.

ثم جاء تعيينه في الديوان الملكي، قبل سنة من تسمية المملكة وإعلان توحيدها، وأدرك فترات الاستقلال لمعظم دول المنطقة، وعايشها بحكم أسفاره واطلاعه ومتابعته للأخبار، كما عاش أجواء الحرب العالمية الأولى وذيولها في صغره، ثم الحرب العالمية الثانية، ورافق البدايات التنظيمية للمملكة العربية السعودية الحديثة، من تكوين المؤسسات والدواوين والوزارات، وإنشاء هجر توطين البادية والمدارس، وأدرك مختلف وسائل النقل حيث سافر على الجمال، ورأى التحول التدريجي في المجتمع السعودي مع ظهور البترول وتوفر الأمن والاستقرار وفرص التعليم.



في البصرة مع عدد من أبناء المملكة والكويت، يبدو في الصورة ابراهيم المشرف وعذبي الصباح وخالد الصباح وعبد الله الفالح السعدون وغيرهم (في الستينات الهجرية).

هذه الفترة التي ظهر فيها الشيخ محمد كانت، إذن، من أهم فترات الجزيرة العربية في التاريخ المعاصر، حيث شهدت مخاضات ومتغيرات داخلية وإقليمية وعالمية، لم تشهد مثلها منذ انتهاء عصر

الخلافة الإسلامية، ولابد لمن عاشها من أمثال الشيخ محمد وجيله، وبخاصة ممن كانت لهم علاقات ومصالح وارتباطات بين طرفين من أطراف الجزيرة العربية، أن يتأثر بالأحداث ويتفاعل معها وتترك على شخصيته بصمات خاصة، إذ تصبح معرفة الأحداث والتاريخ والجغرافيا والقبائل والزعماء أموراً لم تكتسب من قراءة الكتب بل إنهم، هم، يعتبرون مصادر رئيسية ولهم حق الرواية والإخبار، ومن هنا تكمن أهمية ذلك الجيل الذي نشأ في تلك الفترة، وسر اعتماد الملك عبد العزيز عليهم في تمثيله خارجياً، فقد خرجوا من هذه الجزيرة مصقولين، قد جرّبوا الفقر وظروف الخوف والأمية، وراقبوا الأحداث وقدروا قيمة التحولات الحياتية، فتكونت لديهم مجموعة خبرات وتجارب، وبصائر في الأمور، وبعد في النظر، ومعارف لا تتوفر لغيرهم ممن جاء بعدهم، بحكم عامل السن والتجربة ومعايشة الأحداث والظروف.

لقد استفاد الشيخ محمد من عمله في الديوان الملكي بالاطلاع على كثير من القضايا التي كانت تعرض على جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، فكان يدرسها بتعمق واستقصاء، ويحتفظ في ذاكرته القوية بكل المواقف الإدارية والإنسانية لجلالته، داخلياً وخارجياً، وكان لتلك المواقف أثرها في نفسه إذ كانت تتصدر أحاديثه في كل موقع عمل فيه.

وقد لا يكون أبناء ذلك الجيل قد وقفوا على شيء من العلوم الحديثة، إلا أنهم، في مجالهم وفي زمنهم، ومقارنة بمن حولهم ومن يتعاملون معهم، كانوا أكثر تميزاً.

فالمقارنة تتم عادة مع الفترة الزمنية نفسها في ضوء المعطيات المتوفرة فيها، حيث بدأوا من فراغ وكوّنوا قدراتهم من العدم، واستطاعوا أن يقفوا ـ رغم محدودية الإمكانات الفنية وتواضع الموارد ـ أمام الساسة المحيطين بهم إقليمياً وعالمياً، ممن أتيحت لهم فرص التعلم والمدنية والظروف المعيشية الأفضل.

كما أن الظروف التي وضع فيها النابهون من أبناء ذلك الجيل، قد أجبرتهم على التطور والانصقال والاحتكاك والمران، فكان المتميزون منهم أهلاً لهذه الثقة، واستفادوا من تلك الفرص الخاصة، التي أتاحها الملك عبد العزيز لهم، والاختبارات والتحديات التي وضعهم أمامها، ولو اطلعنا على شريحة مصغرة من قائمة سفراء الملك عبد العزيز في ذلك الوقت، لأدركنا الثقة التي خص بها ـ طيب الله ثراه ـ مجموعة من السعوديين الذين ظهروا في هذه الجزيرة، ولم يسبق لهم نصيب كاف من التعليم، ومع هذا

نجده يختارهم ويضعهم جنبا إلى جنب مع عدد ممن استعان بهم، من غير أبناء المملكة الذين سبقوهم خبرة وتعليماً، وأحيانا يكلف السعوديين بالعمل مساعدين لهم حتى يكتسبوا الخبرة، فالشيخ حافظ وهبه كان في مفوضية لندن، والشيخ فوزان السابق والشيخ ابراهيم السويل في مفوضية القاهرة، والدكتور رشاد فرعون في مفوضية باريس، والشيخ عبد العزيز الزيد في مفوضية دمشق، والشيخ محمد الشبيلي مع الشيخ فخري شيخ الأرض في قنصلية البصرة، والشيخ عبد الله الخيال في مفوضية بغداد.



مع عبد العزيز الصقير وعبد الله العبد العزيز البسام وعلي الفوزان وغيرهم «في بغداد».

وهناك نقطة أخرى لابد من الإشارة إليها في هذا الصدد، وهي «تبلور» وظيفة السفير والسفارة السعودية في تلك الفترة.

فالمعروف أن المملكة كانت حديثة التأسيس، بالمفهوم الإداري المعاصر، وكان لها سفراء وقناصل فيما لا يزيد عن خمس عشرة سفارة أو قنصلية، وفي بعض الدول لم يكن يوجد إلا ممثل أو مفوض للملك عبد العزيز، وأغلب هؤلاء السفراء مثل الشيخ فوزان السابق، ويوسف الفوزان، وعبد العزيز الزيد، وابراهيم المعمر، وعبد العزيز الكحيمي، وعمر السقاف، وعبد الله الخيال، وابراهيم السويل، وأحمد عبد الجبار، وعبد المحسن الزيد، وحمود الزيد، وابراهيم السليمان العقيل، وسعود الدغيثر، وعبد الرحمن الحميدي، وعبد الرحمن الحليسي، وناصر المنقور، ومحمد المطلق، وعبد العزيز المعمر، ومحمد المرشد الزغيبي، ورياض الخطيب، وعبد الحميد الخطيب، وحمزة غوث، ومحمد عبد الله علي رضا، وعبد الله البراهيم الفضل، وفيصل الحجيلان، ومحمد المنصور الرميح، ومحمد العبيكان، وأمثالهم قد اختيروا لخبرتهم ومكانتهم الاجتماعية ومعرفتهم بالناس والقبائل والأسر، وقد عملوا تحت إدارة الملك عبد العزيز، وتطبعوا على الجود والكرم وفتح الأبواب، والاجتماع بالناس، والالتقاء بالزائرين، وإكرامهم، وتحديد

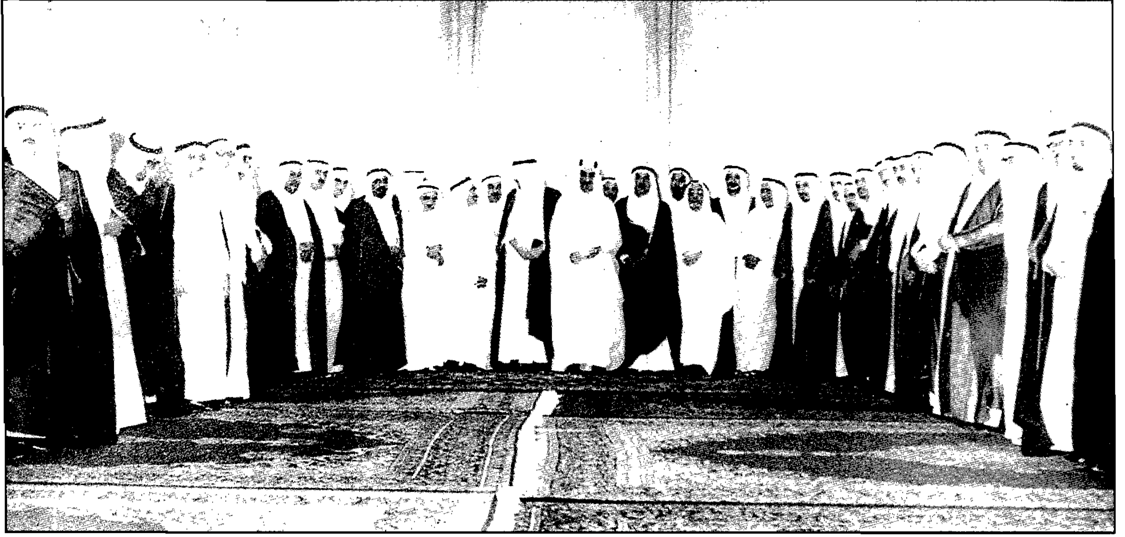
أوقات يـومية ومجالس مفتوحة للمـواطنين والمراجعين، كما أن الناس، بطبعهم، ممن يسافـرون للتجارة أو العلاج أو للزيارة، كانوا يتوقعون من السفـراء أن يفتحوا أبوابهم لهم للاستقبال أو للضيافة، كما هي عادة القبائل والأسر في المملكة.

من هنا كـان لابد لعمل السفير ــ إذا كان لــه أن يمثل المملكة تمثيـلاً صادقـاً ـ أن يتطبع بطبـاع كبار المسؤولين في المملكـة، تلك الطباع المتسمـة بالانفتـاح على الناس وعـدم إقفال الأبواب، وهـي من أبرز طباع الأسرة الحاكمة السعودية إلى اليوم.

والشيخ محمـد نشأ، كما أشرنـا، وترعـرع في كنف والـده وجـده لأمه، المشهـورين بأريحيتهما وكـرمهما «وديوانيتهما» المفتـوحة للنـاس، ثم عمل في الديـوان الملكي، وشاهد طبـائع الملك عبد العـزيز وعـاداته وتقاليده، ثم عُيّن في منطقة عربية ذات تقاليد عريقة، تكثر فيها القبائل والعشائر، ويوجد فيها عدد من كبار الأسر السعودية، مثل: الذكير والبسام والقاضي وأبا الخيل والشملان والصالح والإبراهيم وأبابطين والربيعة والـزهير والعقيل والثاقب والمانع والمهيدب والعسافي والمزروع والراشـد والشماس وأمثالهم، فكان لابد لـه، وكـان لديه الاستعداد، أن يتكيف مع ما يتوقعـه الناس من قنصل، لا يقل في أعين الناس عن الحاكم أو الأمير، بل إن شهرة القناصل، في ذلك الوقت، كانت تفوق شهرة السفراء.

هؤلاء السفراء الـذين كانت لديهم القدرة على العطـاء، وتأثروا بعادات المملكة، ونقلـوا معهم طباعها وتقاليـدها في الكرم والضيافـة واستقبـال الناس، وضعوا، بشكل تلقائي، التقـاليد والأسس الأولى، لما يجب أن يكون عليه السفراء السعوديون، وصـار نمطهم هو المقياس فيما بعد، فأصبح الناس يعتقدون أن «مدرسة الشيخ محمد وأمثاله» هي النموذج الذي يودون أن يروا عليه بقية السفراء.

ومن جهة أخرى، فلقـد أدرك السفراء الجدد، فيما بعد، أن هذه المدرسة قـد اكتسبت سمعة وشهرة، وأصبحت هي المقيـاس للسفير النـاجح في أعين المواطنين، فصـاروا يحاولـون قـدر طـاقتهم الالتـزام بها ومحاكاتها، فتبلـورت مع الأيام «طـريقة» خـاصة للسفراء السعـوديين في الخارج تمتد جـذورها إلى تقـاليد الأسرة الحاكمة، وأمراء المناطق، والقبائل، وكبار رجالات المجتمع، والأسر والبيوت العريقة، المنتشرة في كافة أنحاء المملكة، بطباعها وتقاليدها العربية الأصيلـة.



مؤتمر السفراء السعوديين في الخارج (عقد تحت رعاية الملك فيصل) سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م.

وعندما نقول، إن هذا الجيل من السفراء، أو من رجالات الدولة، قد تطبّعوا وتدرّبوا وتخرّجوا في مدرسة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ فإن هذه المدرسة كانت لها « بروتوكولات » خاصة لا زال يعمل بأكثر رموزها حتى الآن، فالملك عبد العزيز كان له أسلوبه الخاص في الإجابة على الرسائل والبرقيات والشروحات والتعليقات، ومخاطبة زعماء القبائل، وعامة الناس والرؤساء والملوك، وله لغته الخاصة في ديوانه، وفي تقديم القهوة وطلبها، وله إشاراته ومصطلحاته، وله طريقته في التعامل مع الناس والأحداث، وفي الحكم على الأمور، ولا يفهم تلك اللغة الخاصة ولا يدركها ولا يعرفها ولا يقدّرها إلا من كان قريباً منه، وتعامل معه لفترة طويلة، فليس من السهل على أي شخص أن يتفهم هذه «البروتوكولات» لمجرد تعيينه في منصب قريب منه، ولهذا فلا مبالغة إذا أسمينا تلك البروتوكولات «مدرسة» ونسبناها إلى الملك عبد العزيز، لأنه هو صاحبها ومؤسسها ثم تبعها أبناؤه من بعده.

وأولئك السفراء ورجالات الدولة، تعلّموا هذه المنظومة من «البروتوكولات» وأصبحوا يتعاملون بها ويفهمونها ويسيرون عليها، فيسهل عليهم معرفة المقصود مما يردهم من توجيهات أو أوامر، حتى ولو

كانت موجزة أو مبهمة، وهي ـ بلا شك ـ مهارة خاصة، كما أشرت، يندر على غيرهم اكتسابها بيسر.

فالشيخ محمد، تخرج في مدرسة الملك عبد العزيز تلك، وتطبّع في بيت آبائه وأجداده، ثم صاغ طريقة خاصة، اشتهر بها وطوّرها والتزم بها من ثم حتى وفاته.

عاداته ونمط حياته:

كان له ـ يرحمه الله ـ من العادات والأساليب في طريقة حياته ما يختلف فيه عن كثير من الناس، وما يهم في وصف هذا الجانب هو ما انعكس من هذه العادات والصفات على شخصيته وخصاله وعلاقاته مع الناس، وهو موضوع هذا الفصل.

ولعل أحد أسرار بروزه وتفوقه في بعض الخصال الإنسانية، يعود إلى بعض ما زرعه الله فيه من صفات واختلاف فيزيولوجي وطبعي عن كثير من سائر الناس.



مع محمد علي زينل وعبد الرحمن العمران في باكستان.

من ذلك مثلاً، أن إحدى سماته الرئيسية التي عرفت عنه، هي «طول البال» وعدم التقيد بالوقت سواء عند استقبال الناس أو عند زيارتهم (إلا فيما يتصل بالمواعيد مع الآخرين أو مع الالتزامات الرسمية)، فقد شاء الله أن يزرع فيه هذه الصفة التي ينظر إليها في أعين البعض على أنها نوع من «الفوضوية»، إلا أنها في الواقع جاءت منسجمة مع خلاله الإيجابية، وساعدته على التميز ببعض تلك الخصال التي اشتهر بها، فيومه بالنسبة له هو أربع وعشرون ساعة متواصلة، لا فرق عنده، إلى حد ما، بين الليل والنهار، وقد نفعته تلك (الخاصية) في تعامله واتصالاته مع المملكة، بسبب فارق التوقيت، فهو يستقبل مكالمة رسمية أو اتصالاً شخصياً من

سيدة ترجوه مساعدتها في خدمة معينة، وكثيراً جداً كان يستقبل ضيوفه أو يودعهم شخصياً في رحلات تصل أو تغادر عند الفجر.

ومن ذلك أيضاً، ما كان معروفاً عنه من قلة النوم حتى بعد تقدمه في السن، فهو يكتفي بالقليل جداً من النوم مهما كان الوضع الذي ينام فيه، بل لقد اشتهر عنه أنه يحب النوم في السيارة أو على الكرسي، ولا شك أن هذه الخصلة الفريدة التي زرعها الله فيه، قد مكّنته من خدمة الناس على النحو الذي عرف عنه، على حساب راحته، فمواعيده مستمرة ويؤدي أحياناً عدة التزامات في آن واحد، ولو كان ممن يحرص على النوم المبكر، أو لا يكفيه من مدة النوم إلا ما يكفي معظم الناس، أو لو كان من الفئة التي تحب القيلولة، أو أنه لا ينام إلا في غرفة نوم هادئة مظلمة بعيدة عن رنين الهاتف، ما كان بإمكانه أن يقوم على خدمة الضيوف والناس بالأسلوب الذي وصف به.

فهو ــ يرحمه الله ـ لم يكن يعرف الإجازات بمفهوم الآخرين، وليس لديه وقت فراغ، فكل وقته ملك لغيره، ولأنه ـ يرحمه الله ـ عاش أعزب، لم يكن لديه «الخصوصية العائلية» التي يعرفها الآخرون.

وعندما تقدمت به السن في السنوات الأخيرة من عمله في ماليزيا، كان يدير كافة أعمال السفارة من منزله، ولذلك كنت تجده، منذ الصباح الباكر وحتى بعد منتصف الليل، بين عمل واستقبالات وضيافة وحضور مناسبات واحتفالات رسمية واستقبال أو توديع في المطار، وبخاصة أنه أصبح عميداً للسلك الدبلوماسي في ماليزيا، حيث طلب أن تقام كافة حفلات زملائه السفراء، ولقاءاتهم الدورية في منزله.

- ومن رسالة أعدها ابنه سليمان عن عاداته ونمط حياته، يمكن استخلاص النقاط الآتية:

- إنه رجل اجتماعي، يحب الجلوس مع الناس، ومجلسه لا يخلو من الزائرين والضيوف من مختلف الفئات والأعمار.

- إنه كان يحرص عند زيارته مسقط رأسه - عنيزة -، على الالتقاء بالأهالي والأقارب والأصدقاء والمسؤولين فيطلّع منهم على ما يهم مدينته.

- كان يحب الاختلاط بكبار السن والرواة والشعراء ويجالسهم ويسمع منهم.

- كان يفضل رواية الذكريات والطرف في مجلسه تجنباً للحديث في شؤون الآخرين.

ـ كـان أنيقاً في ملبسه ومظهره، ينتقي أفضل الأقمشـة والبدل والمشالح والأحـذية، ونظيفاً في مأكلـه ومشربـه وأوانيه ومنزلـه.

ـ كان يحب أن يظهر بملابسه الرسمية أو الأفرنجيـة (ما لم يكن الجو حاراً جداً)، وفي السنوات الأخيرة من حياته صار يتقيد بالملابس العربية.

ـ كان يحب استخـدام المناديل (القطنية) أثناء عطاسـه أو حديثه مع الآخرين (التـزاماً منه بقواعد الصحـة واللياقة)، والتزم بهذه العادة حتى أثناء مرضه الأخير.

ـ كان يحب استعمال الأطياب والبخور في ثيابه ومنزلـه وسيارته، وله خبرة ومعرفة جيدة بأنواعها.

ـ كان ينـام قليلاً ويسهـر كثيراً ويعمل كثيراً، ويستبقي زواره لديـه، حتى وهو في حـالة النعـاس، ويستزيـدهم في الحديث والكلام، ويبدي مقدرة خاصة على إشعارهم بأنـه يتابع حديثهم، وإذا أراد زائره الاستئذان للخروج، يلح عليه بالبقاء، مستخـدماً كلمته المشهورة «دقيقـة» أو «لحظة» وذلك ليتمكن من تقديم مزيـد من المأكولات والمشروبات حيث يحثه على تناولها، بشرح مزاياها كأن يقول: إنـه مشروب مهضم، وإذا ما قدم للضيف مشروباً بارداً مثلاً فإنه يصر على أن يقدم له المشروب الساخن، وهكذا.

ـ كان يتحدث بهدوء، فلا يرفع صوته، ويعبر بالابتسام عن الضحك، ويلتزم بقواعد الذوق الرفيع.

ـ كان لبق الحديث إلى حد بعيد، مهذباً ومجاملاً، لا يشتم ولا تصدر عنه كلمات نابية، يختار عباراته بعناية.

ـ كان يختار مع هداياه عبارات لبقة مثل: تحياتي وتقديري، هذه عينة، مأكول العافية، أطعمكم الله من ثمار الجنة.

ـ كان لا يحب السفر بالطائرة إلا للضرورة، ويفضل السيارة، وإذا كان سفره طويلاً فإنه يقسمه إلى مراحل يتوقف في كل مرحلة منها عدة أيام، وذلك بناء على نصيحة طبية.

ـ وبشكل عام، فإنـه كان يتردد في بدء سفره، وقـد يؤجله عدة أيام، وكـان يتأخر إما لقضاء حـاجات الآخرين، أو لحرصـه على وداع أقاربـه وأصدقـائه، وقـد يعود من جـزء من الطـريق إذا تذكّـر شيئـاً لـم يفعلــه، وبخاصـة في مجال المجاملات.

– وأخيراً فإنه لم يدخن أبداً رغم أنه عاش معظم سنوات حياته في بلدان يشيع فيها التدخين.



يستقبل مواطنين سعوديين مقيمين في العراق.

- كانت لديه عقلية توثيقية جيدة، فهو يسجل كل شيء ويحفظ كل صغيرة وكبيرة، وقد ظهر ذلك لي جلياً عندما اطلعت على أوراقه الخاصة، إلا أن عدم وجود أسرة مباشرة تقيم معه وتعينه على تنظيم شؤونه وأوراقه وملفاته وصوره وحفظها، بالإضافة إلى عامل التنقل، قد جعل معظم الأوراق تتكدس لديه دون ترتيب أو تصنيف.

- كما كان يهتم بالتسجيل الصوتي لقصص الرواة والأشعار، أو يدونها أحياناً بخط يده، أو يكلف من يكتبها، فلقد حرص مثلاً على تدوين قصائد شاعر الزبير، سالم الحميّد، فلما أراد الشيخ أبابطين والدكتور علي أبا حسين إصدار كتاب عن الشاعر، كان مخطوط الشيخ محمد أفضل مصدر لهما، وهي عقلية متقدمة لا يحوزها إلاّ من له ذهن أكاديمي أو خبرة إدارية بعيدة النظر، تهتم بالتوثيق وحفظ التاريخ وتدوين المعلومات، ويدخل في ذلك أنه عندما يكتب رسائله كان يضع اسم المدينة، مصدر الرسالة، والتاريخين الهجري والميلادي، ولا بد أن عمله السابق في الديوان الملكي قد أكسبه هذا الاهتمام.

ويقول الدكتور نزار مدني - السفير السابق بوزارة الخارجية - عضو مجلس الشورى :

- كان إذا زار وزارة الخارجية عند قدومه يحرص على السلام على كافة الموظفين، مهما كانت أعمارهم ومراكزهم بمن في ذلك الجنود والفراشون، وإذا قام بالسلام على موظف فإنه يرجع إلى الوراء ثم يتجه إلى الموظف الثاني حتى لا يلقي ظهره للأول .

الأبعاد الأربعة الرئيسية في شخصيته :

١ ـ سفير أرض الحرمين الشريفين : (البعد الديني) :

شاء الله أن يكون اختيار الشيخ محمد سفيراً في خمسة بلدان إسلامية أو ذات نسبة إسلامية مهمة (باكستان ـ الهند ـ العراق ـ أفغانستان ـ ماليزيا)، ففضلاً عن كرم سجاياه ونبله وأخلاقه وسخائه، فإن الشيخ محمد كان نعم الممثل لبلاده من الناحية الإسلامية : والكل يعرف مقدار ما تمثله عاطفة الدين في هذه الدول ونظرة مواطنيها إلى المملكة، حيث الحرمان الشريفان، قبلة المسلمين في صلواتهم وآمالهم وتطلعاتهم وقدوتهم، وما كان المواطن السعودي القادم من الأراضي المقدسة يمثل في أعين مواطني هذه الدول من المسلمين.



مع مجموعة من ضيوفه في أفغانستان أمام قطعة من كسوة الكعبة المشرفة في منزله.

ولقد جاء الشيخ محمد سفيراً نموذجاً في نهجه الشخصي، وفي مسلكه، وفي تمسكه بالدين مظهراً واعتقاداً، وكأني بهم يرونه ممثلاً حقيقياً لما يجب أن يكون عليه سفير أرض المقدسات، وكما يتوقعونه من مواطنيها، فكان يحرص ـ عن صدق وعقيدة ـ على أداء فروض الصوم والصلاة وصلاة الجمعة والتمثل بآداب الإسلام شكلاً وموضوعاً، بالإضافة إلى ثقافة دينية جيدة، وصلة بالقرآن الكريم حتى أنه كان، أحيانا، يشرح بعض الآيات التي تفسر العلم الحديث، كما كان يهتم بالحج وبتسهيل سبل أداء الفريضة للراغبين، وعلاوة على العدد الذي كانت كل سفارة سعودية تقترح دعوته للحج، فلقد كان في كل عام

يرفع إلى الديوان الملكي قائمة إضافية بمن يرى استضافتهم، لتأليف قلوبهم للدين، أو لتكريم من قدم خدمات خاصة للإسلام أو للمملكة، وكان المقام الكريم يقدّر ذلك ويؤيد اقتراحاته ويأمر باستضافتهم وتسهيل أمور حجهم.

كان ينصب كسوة باب الكعبة المشرفة في واجهة الصالون الرئيسي بطول عدة أمتار، ثم يمدها أمام الضيوف عند زيارتهم له في المناسبات الرسمية، وقد ذكر أنه اقترح قبل أن يبدأ بصناعة كسوة الكعبة في المملكة أن تصنع مؤقتاً في باكستان، وذلك إبان وجوده سفيراً هناك وقد أخذ باقتراحه، ونفذ لعدة سنوات في مطلع الثمانينات الهجرية.

كما كان يقيم حفل إفطار يومي في داره، مع إقامة صلاة التراويح في رمضان، ويهدي المصاحف والتمور وماء زمزم لأصدقائه والرسميين، وكان وثيق الصلة مع الجمعيات والشخصيات الإسلامية، يخصها بالتبرعات والرعاية ويتعهد صلاتها بمثيلاتها في المملكة، وقد أسلم على يديه العديد من مواطني الهند وماليزيا، وله جهود عظيمة في الدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والسلوك القدوة.

ويذكر أخوه الأستاذ عبد الله أن الشيخ محمد:

- «قام بالعديد من الرحلات البرية والجوية، في جميع البلدان التي عمل بها أو المجاورة لها، أو التي زارها أثناء إجازاته الإدارية، لتفقد أحوال المسلمين في مدنهم وقراهم ومعسكراتهم، متجشماً الصعوبات وبعض المخاطر لتقديم المساعدات المالية، وله تقارير عديدة في هذا الميدان رفعها إلى كبار المسؤولين في المملكة، وكان جلُّ اهتمامه هو إيضاح بساطة الإسلام وسموه لهم» .

وقد أورد حواراً طريفاً مع أحد الإخوة الأمريكيين السود حديثي العهد باعتناق الإسلام، إبان زيارة له إلى أمريكا في مطلع السبعينات الهجرية[1].

كما أشار إلى أنه كانت للشيخ محمد مكانة خاصة لدى المؤسسات والجمعيات الإسلامية في الدول التي عمل فيها سفيراً، وكانت مساعداته لهذه الجمعيات والمؤسسات تتم مباشرة إلى المستفيدين منها، دون المرور على القنوات الدبلوماسية، كما قدم مساعدات للاجئين المسلمين في الحرب الكمبودية عبر الحدود

---

(١) الفصل الخامس.

التايلندية وبـورما، وكان يهبّ من موقعه في مـاليزيا لنجدة المسلمين في تايلند في اجتهـاد دبلوماسي منه، مستنداً فيه إلى تقدير النـاس له ومكانة المملكة الخاصة بينهم، وكان المسؤولـون في المملكة يثقون بتصرفاته وحرصه وغايـاته، ويأخذون بآرائه ويشجعونه على نهجـه.

كما أشار الأستـاذ أحمد عبد الله القاضي، في مقـابلة أجـريت معه في الهند، (الفصل الرابع) أنه كان يحرص على أن تكون معظم العمالة الوافدة للمملكة من المسلمين.

ويقول الأستاذ فايز الأسمري، الـذي عمل معــه في السفـارة السعودية في ماليزيا:

- لقد كـان أبو سليمان يتمتع بكثير من عــزة النفس من غير غطـرســة، والابتعـاد عن صغـائر الأمـور ومـواطن الشبهـات، وكــان واضح الالتـزام بمبـادئ العقيـدة الإسـلاميـة، وتطبيق شيم العـرب بكل فنونها، معتـزاً بهويته العربية الإسلامية السعودية.

بسم الله الرحمن الرحيم من عنيزة في ١٧/٤/١٣٨٧هـ
من محمد بن الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم حميد الشيم وكريم الطباع محمد بن ... الشبيلي حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أرجو الله تعالى لكم ولمن تحبون دوام الصحة والعافية
تشرفنا أمس بحضور محب الجميع محمد ... الذي وافانا بأنكم ... بالغة عما شاهده بمعيتكم الكريمة
من أحوال المسلمين فسرنا ذلك كثيراً وسبحان الله العظيم الذي بلغ دينه إلى تلك البقاع الشاسعة
ولم يزل فيها من يقوم بما يمكنه من نشر دين الله وإعلاء كلمته والحمد لله رب العالمين.
هذا وقد زاد تشرفنا بالأخ محمد ما تشرفنا به من خطابكم الكريم الدال على ما تضمرونه
لنا من حب وتقدير حيث لم نغب عن ذكركم رغم تطاول الزمن وتباعد المسافة فجزاكم الله عنا
خيراً وذكركم فيمن عنده. والهدية التي معه هدية الطيب المعنوي والطيب الحسي وصلت
وقبلناها شاكرين لكم راجين من الله تعالى أن يثيبكم عنا بأفضل ثواب ولقد كان لها أثر
عميق في نفسي حيث كانت نادرة الوجود. والكتابان القيمان (تحفة الأشراف) و(الكشاف)
لا يوجدان عندنا وما رأيتهما قبل ذلك وقد تصفحت مقدمة الطابع وما أولاه الكتاب
من عناية بالغة جزاه الله خيراً وأعجبني الكتاب جداً وقد ذكر الطابع أن الكتاب (التحفة)
سيقع في عشرة مجلدات والموجود في المجلدين الأول والثاني إلى حرف الحاء فنسأل الله تعالى
أن ييسر إخراج باقيه. حبذا لو تم زيارتنا للهند كما زاره محب الجميع لما يترتب على ذلك من
الإرشاد والتوجيه وتمنيتم أن تكونوا وأنتم هناك لتقوموا بالواجب نحونا فلقد قمتم
يا محب بما هو أكثر من الواجب نحونا ونحو غيرنا ممن يتصلون بكم ونسأله فزادكم الله تعالى
من نعمته وألهمكم الشكر عليها إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين
هذا ما لزم شرفونا بما يلزم بلغوا سلامنا كل عزيز لديكم كما منا الوالد والعائلة والقرابات
لنا ولكم بخير والله يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالة خاصة من فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين.

ويـذكر الأستـاذ محمد صـالح أبـو بكـر أنه كـان يصر على استضـافـة جميع المشاركين في مسابقة تلاوة القرآن الكريم في ماليزيا، وجميع الكوادر العـاملة في تنظيم المسابقـة وعددهم جميعاً حـوالي أربعمائة شخص، ومن لطيف ما يرويـه عنه في



مع بعض علماء باكستان في كراتشي.

هذا الصـدد، أنه قدم يومـاً شيكاً بقيمة عشرة آلاف دولار ماليـزي، إلى أحد رؤساء الجمعيات الإسـلامية وقال له معتذراً : العين بصيرة واليد قصيرة، وأنه تقدم إليـه أعضاء جمعية اللغة العربية في الجامعة الوطنية الماليزية يطلبون مساعدة الجمعية بثلاثة آلاف دولار فأرسل لهم خمسة آلاف.

كما يروي أن الشيخ محمد عندمـا سمع بقيام فئة من الناس بمظاهرة في مـوسم الحج، أنه رفع رأسه إلى الآية الكريمة ﴿**الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَـات . . الآية**﴾[1] المنسوجـة في قطعة من كسوة الكعبـة المشرفة وذرفت عيناه بالدموع، وأنـه كان يصحب معه كافة أعضاء السفارة أثناء التهنئة بـالأعياد، كما كانوا يحضرون معه الاستقبال الكبير الذي كان يقيمه في المناسبات الدينية والوطنية.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٩٧.



يلقّن الشهادة لأحد الراغبين في الدخول إلى الدين الإسلامي في ماليزيا .

ويقول اللـواء محمود محمد بخش في رسـالة خـاصة إلى المؤلف «إن شخصية الشيخ محمـد تستحق أن تدخل التاريخ ليس لأنها حققت نـدرة أو اكتشافاً في العلم، وإنما لأنها أدركت المعاني السـامية في الإسلام، وعرفت التـوجهات النبوية الـرحيمة، وتأثرت بالمكـارم العربية والأخلاق الحميدة، فجعلت من هـذه الأمور هدفاً يعتقـد وسلوكاً يطبّق، ولم تفكر في أي عائق يحول بين الاعتقاد والتطبيق، حتى لاقت وجه ربها موكدة لمن يجيء بعدها أن في هذا المجتمع أعلاماً من نوع خاص يستحقون التقدير لعملهم الفذ في العلاقات الإنسانية والإسلامية» .

ـ وفي كلمات الأستـاذ عبد الستـار سيرت والشيخ أبو الحسن الندوي والأستـاذ ناصر الفـارس وشريفة الشهاب وغيرهم شواهد مهمة على الجهود الرسمية أو الذاتية التي كان ينفذها لخدمة الإسلام والمسلمين .

فعنـد انتقالـه إلى مـاليزيـا سفيراً هنـاك، كان مـن أول اهتماماتـه الإسهـام في كل مناسبـة خيّرة، كاجتماعات الهيئات الإسلامية والوقوف معها ودعم نشاطها، وقد شهد دخول أعداد كبيرة في الإسلام من

ولاية صباح وغيرها من الولايات الماليزية وأسهم في تلقينهم شهادة الإيمان، وقدم لهم المساعدات السخية باسم قادة المملكـة .

وكان لا يدخـر وسعاً في تقديم العون المادي لفقراء المسلمين هنـاك، وعندما كان يبلغه أن فئة مـاليزية تـرغب الدخـول في الإسلام، فإنـه لا ينتظر حضـورهم إليـه بل يذهب بنفسـه ومن معه من الضيـوف، للجلوس معهم في منازلهم وتلقينهم الشهادة وتفقد أحوالهم .

كما كان يحرص على تكريم الوفود المشاركة في مسابقة القرآن الكريم في ماليزيا كل عام، وتقديم الهدايا لهم بهذه المناسبة في حفل عام يقام بحضور ملك ماليزيا .

ويقـول اللواء الـركن محمود شيت خطـاب[1] عضـو المجمع العلمي العراقـي (في اتصال هـاتفي من العراق) :

ـ «عـرفت الشيخ محمد حين كان سفيراً في العـراق، فلمست فيه ميـلاً إلى العلماء والأدباء ورجالات الأدب والثقـافة، حيث كان يـدعوهم إلى حفلاته الـرسمية؛ لأنه كـان منهم، ولمست فيه أيضاً دماثـة الخلق، ودفء اللسان، والتصرف الحسن في معاملة الناس، كانت السفارة في أيـام الحج تمتلئ بالكثير من الناس طالبي تأشيرة الحج لبيت الله الحرام، فكان يشرف على ذلك إشرافاً مبـاشراً، ولا يعيد راغباً في الحج لمراجعـة السفارة مرة أخرى، ولم ألتق بإنسـان له حاجـة عنده إلا كان قاضياً له إياها .

وقد كان كل من يؤم السفارة في أيامه مرتاحاً مـن حسن المعاملة، والإحساس الصادق بأنه سيؤدي إليه الخدمة وقضاء حاجتـه، وفي أيام الحج بـالذات كان عـدد الحجاج آنـذاك يبلغ عشرات الألوف، وتقـديم الخدمة لمثل هـذا العدد ليس بالأمر الهين، ورغم ذلك ما وجدت أحداً منهم يتذمر، بل كانوا يعودون شاكرين من حسن المعاملة .

لقد نال إعجاب الناس وتقديرهم من حسن إدارته للسفارة، وكان مثالاً للإدارة الحازمة الخلوقة، وفوق كل هذا، كان رجلاً إدارياً فذاً يتسم بالخلق الكريم والعلم والأدب والثقافة .

(١) عضو المجمع العلمي العراقي، عين وزيراً مرتين قبل العام ١٩٦٨م وقد تخصص بالكتابة في التاريخ العسكري الإسلامي، وله مؤلفات تصل إلى ما يقارب الثلاثين .

٢ ـ مكارم الأخلاق : (البعد الأخلاقي) :

قبل أن ندخل في استعراض البعد الثاني في شخصيته وصفاته وسجاياه، وتحليلها، في ضوء العرض السابق للمؤثرات المحيطة به، لابد من الإشارة ابتداءً إلى أن كثيراً ممن يذكر الشيخ محمد في أحاديث المجالس أو الكتابة عنه أو يستعيد رواياته ونوادره وحكاياته الكثيرة، يميل إلى التركيز على ظاهرة الكرم عنده.

والواقع أن الإنصاف يفرض علينا ألا ننسى أن للرجل سجايا وخصالاً عديدة لا تقل أهمية ووضوحاً عن صفة الكرم، وإننا ـ في الحقيقة ـ نظلمه إذا قصرنا الحديث على كرمه وسخائه، فقد يكون الكرم هو فعلاً أول ما يلفت الانتباه إليه، أو ربما تكون تلك الصفة هي من أبرز سمات شخصيته التي تتصل بعامة من عرفوه معرفة سريعة أو عرف بسببها، ولكن الشيخ محمد ـ في حقيقة الأمر ـ هو مجموعة مترابطة من الخصال تكمل بعضها بعضاً، ولا تقل الواحدة لديه عن الأخرى في الأهمية والوضوح لمن يتتبعها ويعرف عنها.

والكرم قد يكون موجوداً في العديدين في مجتمعنا الخيّر، وربما يوجد منهم في كمية البذل من ينفق بقدر أكبر، ولكن الكرم لدى الشيخ محمد كان مختلفاً عن غيره؛ لأن السجايا الأخرى تكمله وتضيف إليه، فكرمه يحمل معه سمات إضافية تجعله يختلف في كرمه عن كثير من الكرماء، ومنها :

١ ـ أنها تمتد إلى كل من يصل إليه الشيخ محمد، سواء كان كبيراً أو صغيراً، فقيراً؛ أو غنياً، سعودياً أو غيره، يعرفه أو لا يعرفه، قريباً منه أو بعيداً.

٢ ـ أن كرمه لا يصل إلى رب الأسرة فقط، ولكنه يشمل الطفل والشاب والمرأة والخادم، وكل أفراد الأسرة.

٣ ـ أن الكرم لديه قد لا يكون في إنفاق لمبالغ نقدية أو عينية ذات قيمة مالية كبيرة، بقدر ما هو في تقديم أشياء تحمل معاني خاصة أو في مناسبات معينة، أو لأشياء لها نكهة خاصة، ولذا فهو يختار لهداياه ما يداعب عواطف الأطفال والشباب وقلوبهم.

٤ ـ أن صفة الكرم تكون مصحوبة عادة بلطف في المعاملة ولين في الجانب وطيبة في النفس مع حسن في



في بغداد مع عبد الله وعبد العزيز العبد الرحمن القاضي وعبد الكريم الزامل ومحمد سليمان القاضي عام ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م.

الاستقبال وبشاشة في الوجه، فهو لا يقدم الهدية ـ إذ يقدمها ـ من أجل الإهداء، بقدر ما هي للملاطفة واصطفاء القلوب، وتكون مصحوبة بأريحية خاصة، تبدأ مع بداية اللقاء ولا تنتهي إلا بعد الوداع.

٥ ـ أنه لا ينتظر مقابلاً عن كرمه، ولا يتوقع المعاملة بالمثل، ولا يقوم بالمجاملة نظير خدمة، بل لقد عرف عنه أنه نادراً ما كان يستجيب للدعوات، فإذا ما استجاب لدعوة فإنه قد يصرف من أجل أطفال الداعي والعاملين عنده أكثر مما تكلفت الدعوة.

٦ ـ أنه لا ينتظر الناس كي يأتوا إليه، فهو يبحث عنهم، ويتحايل عليهم، من أجل أن يستضيفهم أو يستبقيهم لديه أياماً إضافية، وقد يبلغ به الأمر أن «يستدرج» معارف له لزيارته إذا كانوا مارين في دولة قريبة.

٧ ـ أن الضيافة وإكرام الناس، في مفهومه، لا يكفيها مجرد إقامة حفل أو وليمة، وإنما هي عملية



في حديقة السفارة في بغداد مع عبدالعزيز الحماد الشبيلي وابنه ماجد وعبدالكريم الزامل وابنه خالد (الحجة ١٣٩٠هـ - يناير ١٩٧١م).

متكاملة، تبدأ بالاستقبال في المطارات، وتأمين المواصلات والفنادق والوجبات والاتصالات، وحتى الوداع عند سلم الطائرة، فقد نقل أحد الأقارب أنه أحصى مرة خروجه خمس مرات إلى مطار كوالالامبور في يوم واحد.

ـ على أنه من الأمانة القول إنه رغم ما قد يوحي به الحديث عن مبالغة الشيخ محمد في إكرام الضيوف، فإن الأمر لا يصل لديه إلى حد التبذير والإسراف، أو الإساءة إلى «نعمة الطعام» كما يلاحظ في بعض العادات المؤسفة في مجتمعنا، فمع كل مظاهر إكرام الضيوف، والتعبير عن ذلك من خلال تقديم الطعام وجزالته ومظاهر الحفاوة عبر تكرار عرض الشاي والقهوة واللبن والرطب وأمثالها بين الوجبات، فإنه يسجل له اختياره لأنواع الأطعمة التي يسهل حفظ ما يتبقى منها، واتباعه لأسلوب «البوفيه» في تقديمها، الذي يمكّن الضيف من اختيار حاجته والاحتفاظ بالباقي نظيفاً يمكن العودة إليه أو إهداؤه، والابتعاد عن أصناف الأطعمة التي لا يمكن تدبيرها كالذبائح مثلاً، ولقد قال للمؤلف مرة إن عادة البوفيه هذه، وإن كانت من عادات الغرب فإن المسلمين أولى بها؛ لأنها تساعد على ترشيد استخدام

الطعام واحترامه، والكلام نفسه أبداه بالنسبة لبعض أنواع الملابس التى تحقق الاقتصاد في الاستهلاك.

ولقد أمكنني الوقوف على نماذج لمصروفاته في عدد من البلدان، وذلك من خلال تقارير محاسبي السفارات ومراسلاته التي تصدر عنه أو ترسل إليه، من عنيزة والرياض وجدة والدمام والبصرة والكويت والقاهرة وبيروت وسنغافورة والعواصم التي عمل فيها وغيرها، بدءاً بالسنوات الأولى من حياته العملية في الخمسينات الهجرية في الديوان الملكي وحتى السنوات الأخيرة من عمله في ماليزيا:

فإذا ما استبعدت الأضحيات والصدقات والنفقات الواسعة لابنه وإخوانه وذويه التي قد تدخل في حكم القيام بالواجب أو تنفيذ الوصايا، وكذلك المصروفات التقليدية للسفراء، مثل حل مشكلات المواطنين في البلدان التي يعملون بها، فإن شريحة من مصروفاته في بعض السفارات تشمل المبادرات الآتية:

١ ـ قوائم بالأسر الفقيرة (وبخاصة في مدن المملكة والبصرة وبغداد) برواتب شهرية أو سنوية لها.

٢ ـ تسديد مصاريف وتذاكر لسعوديين وقعوا في مشكلات في بلدان مجاورة لا تشملها صلاحياته (مثل تايلاند وسنغافورة).

٣ ـ مصاريف علاج لمسؤولين في الدول التي يعمل بها.

٤ ـ مكافآت تشجيعية للطلاب في احتفالات المدارس أو الجامعات أو الجمعيات (مثل جمعيات تحفيظ القرآن الكريم).

٥ ـ نفقات لأشخاص رسميين، ولكنهم ليسوا من مواطني المملكة أو البلد الذي يعمل فيه.

٦ ـ هدايا متنوعة للأسر والأطفال والشخصيات على مختلف صلاتهم ومسؤولياتهم.

٧ ـ تغطية نفقات سفر لشخصيات إسلامية من خارج البلد الذي يعمل فيه (مثل استراليا).

٨ ـ تبرعات لجمعيات إسلامية في دول أخرى خارج نطاق عمله، (مثل سنغافورة وبورما واستراليا).

٩ ـ دعوات تكريمية كبرى لزواره، رسميين أو عاديين، وسعوديين أو خليجيين أو لغيرهم.

١٠ ـ رفع تذاكر بعض زواره إلى درجة أفضل.

١١ ـ تمكين بعض المواطنين أو المسؤولين من أداء فريضة الحج على نفقته الخاصة.

١٢ ـ تعميد ممثلين له في المملكة باستضافة بعض من يرسلهم للحج أو لزيارة المملكة ممن لا يوجد وجه لاستضافة الدولة لهم.

ولو أراد المحلل لشخصية الشيخ محمد أن يرسم خطاً بيانياً لقياس ظاهرة الكرم والسخاء عنده، لوجد أنها كانت قد لوحظت في سنوات مبكرة من حياته، فرسائله المتبادلة مع أصدقائه وأقاربه في الخمسينات الهجرية كانت تنبئ بإنسان معطاء، يعرض عليهم «ما يلزم» من خدمات أو احتياجات، ويرسل لهم الهدايا التقليدية من منتوجات مسقط رأسه و «يقرض» أصحابه من رواتبه.

ثم تنامت هذه الظاهرة لديه في خط تصاعدي، حتى وصلت أوجها خلال عمله في البصرة ـ كما أوضحنا في مطلع هذا الفصل ـ وكذلك الشأن في باكستان والهند وبغداد، وربما استقرت مصروفاته إلى حد ما في أفغانستان، بسبب تعثر صحته وقصر المدة التي قضاها فيها ولبعدها جغرافياً عن طرق السياحة والترحال، ولكنه ما إن وصل إلى ماليزيا، حتى بلغ الذروة في خصلته هذه، فلقد حوّل من ماليزيا ـ المجهولة نسبياً للسعوديين في السابق ـ إلى مزار سياحي، وملتقى للزيارة والعمل والنشاط الإسلامي وغيره، ثم جاءت عوامل جديدة أضافت إلى أوجه الإنفاق، ومن بينها عمادته للسلك الدبلوماسي، حيث حرص على أن تقام كافة حفلات السفراء ومناسباتهم في منزله.

وبالإضافة إلى ذلك أصبح ـ من ماليزيا أو غيرها ـ يزود المئات من أصدقائه ومعارفه في المملكة بما يحتاجونه من مستخدمين لمنازلهم وعلى نفقته، حيث كان يتغاضى عن التكاليف إلا ممن يصر على تحويل النفقات إليه.

ولقد سبقت الإشارة إلى أن كثيراً من أوجه الصرف تلك، التي كان يعشقها في نظره، والتي يتكبدها في نظر سواه ـ سواء كانت ذات طبيعة خاصة أو عامة ـ لا تستند إلى مسوغات نظامية في العرف الإداري الحكومي، فهو على الأقل، كان لا يستأذن سلفاً من صاحب الصلاحية الإدارية، فإذا ما وجد مثلاً أن

جمعيــة أو شخصاً ما سعودياً أو غيره، وسواء كان من رعايا الدولة التي يعمل فيها أو من غيرهم، بحاجة إلى مساعدة، فإنـه كان يبادر إلى ذلك، ثم تُعدّ المصروفات الـرئيسية في بيانات ليتم فرزها واستبعـاد ما له طبيعة شخصية بحتة والتي تشكل النسبة العالية في تلك البيانات.

أما تلك المصروفات التي ــ في الغالب ـ لا يستند في صرفهـا إلى صلاحية أو مسوغات نظـامية، فإنه، أحيانا، كان يرسلها إلى الـديـوان الملكي مبـاشرة ملتمسـاً إجـازة الصرف، وذلـك حتـى لا يحرج الجهــــات الماليــــة في وزارة الخارجية.

ولثقـــة ولاة الأمــــر بــــه وبتصرفاتـه، ومعرفتهم بأسلـوبه وطـريقتـه، وأن كل مســاعيـه تصـب في سبيل المصلحــــــة العامة، وأنه هو ــ شخصياً ـ قد يصرف دخولـه الـذاتية في الاتجاه نفسه، فما كانت تلك الحسابات يـوماً تـرد بأي مـلاحظة، فلقـد كان ولاة الأمر يقدرون خدماته، وربما، وفي حــالات عـديــدة ـ وبصفـة شخصيــة أو رسميـة ـ صـــــاروا يغطون نفقاته داخل المملكة وخـارجها متى مـا وقفوا عليها أو علموا بها.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي
المكتب الخاص

الرقم : [illegible]
التاريخ : [illegible]

حضرة المكرم الشيخ محمد الحمد الشبيلـــــي
سفير المملكة العربيه السعوديــه في كوالالمبــــور

بعد التحيــــــــه :ــ

نشير الى برقيتكم رقم ١٥/١٥٢ في ١٤٠٠/٤/١٦هـ بخصوص الاحتفال الذى اقيم في ولاية صباح بمناسبة اشهار اربعة اشخاص اسلامهم وتبرعكم بمبلغ مائة الف دولار لتوزيعـــه عليهم ، وما اوضحتموه من ان هناك اقبال متزايـد للدخول في الاســـلام .

ونبعث اليكم مع هذا الشيك الصادر من مؤسسة النقد العربي السعودى برقــــم ١٥/١٥٤٥/٢٢٦٧ وتاريخ ٢٥ مارس ١٩٨٠م ، القاضي بتسليمكم المبلغ المشار اليه اعلاه وقــــدره مائة الف دولار امريكي ، مقدرين ما تقومون به من مجهودات طيبه ، ونرى انـه من المستحســـن ان تبعثو لنا تفصيلا عن هذا الموضوع وما ترونــه بخصوصـــــه .

والله يحفظكــــــــــــم .

خطاب بتوقيع جلالة الملك خالد يرحمه الله، يؤيد تبرعه، ويقدر جهوده.

لقد تم التأكيد في مقدمة هذه الدراسة، على أنه ليس من أهدافها سرد قصصه وتتبعها ورصدها وتسجيلها، ولكن القصد الأساسي لها هو التحليل. وإذا تصادف واضطررنا إلى إيراد بعض القصص، فإن الغاية من ذلك هي توفير الأمثلة فقط، والواقع أن نوادره وقصصه أكثر من أن تحصى في دراسة مركزة كهذه.



في بغداد مع سمو الأمير سعود الفيصل بن عبد العزيز بعد زيارة الأثر التاريخي (طاق كسرى) شعبان ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م)

على أننا بالنسبة لبعض مآثره ومن بينها صفة الكرم، سنكون مضطرين لإيراد نماذج من عشرات الحالات التي عشناها، أو رويت لنا وذلك لإيضاح الاستنتاجات التي أشرنا إليها، وإن كانت هناك أربعة أنواع من عاداته الكريمة المتكررة، سوف لن نوردها أو نكثر الأمثلة منها نظراً لتعددها؛ ولأنها كانت القاعدة العامة لديه كل يوم:

أولاها: مساعداته الإنسانية المنتظمة للأسر الفقيرة، في عدد من البلدان، حيث كان يرسل إلى ممثليه قوائم بهم، كما أنه - نادراً - ما كان يقوم بأي زيارة، وخصوصاً إذا كانت أسرية أو خاصة، أو لأسر محتاجة ما لم يصطحب معه مختلف أنواع المساعدات والهدايا للأسرة ككل، أو للأطفال، إن وجدوا، أو للسيدات أو لهم جميعاً. وقد يقدم في حالات خاصة - إذا لم يكن مستعداً من قبل - جنيهات ذهبية سعودية للأطفال والمستخدمين. (حتى أن ابنتي الصغيرة كانت تلقبه: «عمو أبو الذهب»)، ولقد روت لي - مثلاً - سيدة من إحدى الأسر التي يعرفها الشيخ محمد ولكنه لا يرتبط معها بقرابة: إنها سافرت مرة إلى بلدتها في المملكة، في الستينات الهجرية، مطلقة من زوجها، ومعها طفلان، ولا تدري كيف

تعيل نفسها وتعيلهما، ويشاء الله أن يعلم الشيخ محمد بحالتهم تلك الليلة، فيرسل لهم سبعة جنيهات ذهبية سعودية، وهي ما كانت توازي في ذلك الوقت راتبه لثلاثة أشهر.

ثانيها: الاستضافة في الفنادق، فمنذ أن كان قنصلاً في البصرة إلى أن غادر ماليزيا لآخر مرة، أي طيلة حياته الوظيفية في الخارج، وهو لا يدع مجالاً لأي ضيف يعلم عنه إلا ويسدد حساب الفندق عنه، قريباً كان منه أو بعيداً، صغيراً كان أو كبيراً، قصرت إقامته أم طالت، وفقيراً كان أم غنياً، قلّت غرفه أم كثرت، ولقد بلغ به الأمر أن الفنادق أصبحت تتوقع عتابه لها إذا لم تبلّغ عن ضيف سعودي، بل إنه كثيراً ما استضاف أناساً وهو وهم في بلد ثالث، مثل لبنان أو لندن، أو يستضيفهم وهو في دولة وهم في دولة أخرى، كأن يستضيف أناساً في سنغافورة وهو في ماليزيا، ولقد كان يتأثر، إذا ما بلغه أن أحداً من ضيوفه تحايل على الفندق لتسديد حسابه، وتواترت قصص مفادها أنه كان يردّ إلى ضيوفه ما دفعوه حتى بعد عودتهم إلى بلادهم، أو قد يرسل مندوباً عنه بذلك للحاق بهم في أقرب محطة لهم غادروا إليها (مثل سنغافورة بالنسبة لماليزيا).

وفي اعتقاد البعض، ممن كان يشفق عليه من أهله وأصدقائه المقربين ومحبيه، أن هذه الخصلة كانت من أكثر حالات كرمه مبالغةً وإسرافاً على نفسه وإزعاجاً لضيوفه مع أنه كان يمارسها منذ أكثر من أربعين عاماً عن طيب نفس وخاطر، وبدون تظاهر أو رياء.

هذه الصور هي التي كانت تجعل بعض أهله وعارفيه يترددون في زيارته أو المرور بالبلد الذي يقيم فيه، وإذا ما زاروه فإنهم يضعون برنامجاً يلزمهم بمغادرة البلاد في غضون أيام معدودة حتى لا يضطروه لممارسة هوايته تلك، كأن يزوروه قبل مؤتمر أو في إجازة عيد محدودة.

ثالثها: الهدايا الدورية زالمجاملات الخاصة، مثل قيامه بزيارة المرضى السعوديين في البلدان التي كان يعمل فيها أو يزورها وتقديم الورد والهدايا لهم، أو عادته المستمرة بإهداء الفواكه أو البخور والطيب إلى مختلف معارفه في المملكة، أو إهداء التمور والكليجا وأمثالها من إنتاج المملكة إلى أصدقائه والرسميين في الدولة التي يعمل فيها، ولذا فإن الرحلات الجوية بينه وبين المملكة، نادراً ما كانت تصل أو تغادر دون أن يكون عليها شحنات خاصة منه أو إليه للإهداء.

روى معالي الشيخ ابراهيم العنقري أنه زاره مرة في لندن فوجده قد جهز عدداً من الهدايا لتقديمها إلى المرضى السعوديين في المستشفيات، حيث كان يقوم يومياً بزيارتهم وتفقد أحوالهم، ويذكر معالي الشيخ ناصر المنقور، السفير السابق في بريطانيا؛ أنه دعاه مرة للعشاء فلم يحضر إلا في الساعة الحادية عشرة ليلاً، إذ كان يقوم في المساء بزيارة المرضى في المستشفيات، ثم لاحظ أن أحدهم بحاجة إلى مساعدة مالية، فلم يصبر حتى الصباح، بل رجع إلى حيث كان يقيم لأخذ مبلغ من المال ثم عاد إليه في المستشفى.

رابعها: أنه دأب على تلبية احتياجات أقاربه وأصدقائه وعارفيه من المستخدمين والعمال والسائقين، فإذا لم يجد بغيتهم في ماليزيا فإنه كان يستقدمهم لهم من دول مجاورة مثل الهند وأندونيسيا وتايلند وعلى نفقته الخاصة مع ترتيب التأشيرات لهم، ولقد وقفت على حالات كان يستبدل فيها الخادمات أو السائقين بغيرهم وعلى نفقته أيضاً إذا لم تثبت صلاحية من أرسلهم من قبل.

ولقد روى أحد أساتذة جامعة الملك سعود، في هذا الصدد، أنه زار ماليزيا مرة لاختيار أحد العاملين لمنزله، ولم يكن يعرف طريقة الشيخ محمد، وأثناء ضيافة «أبو سليمان» له امتدح الضيف كفاءة العاملين في منزل السفير، فما كان من الشيخ محمد بعد مغادرة الضيف بأيام إلا أنه أرسل اثنين إليه، مع أن حاجة الضيف كانت لشخص واحد فقط.

ولقد مرت سنوات في منتصف الثمانينات تقريباً، خلال عمله في ماليزيا، لم تكن تخلو فيها رحلات الخطوط الماليزية من الخادمات والسائقين، ولقد عين، نيابة عنه، بعض الإخوة في الرياض وجدة لاستقبالهم وتوزيعهم بشكل أسبوعي، كما كان يوصي ـ بشكل عام ـ بإكرام فئة العاملين في البيوت تقديراً لأحوالهم وتبدل أجواء العمل وظروفه عليهم.



نماذج من كرمه :

وفيما يلي نماذج من أبرز الحكايات والقصص التي عشناها أو رويت عن كرمه :

كيف أكرم ممثل وكالة الأنباء ؟:



مع سمو الأمير تركي الفيصل بن عبد العزيز في بغداد.

عام ١٣٩٦هـ (١٩٨٦م) وعندما كنت مديراً عاماً للتليفزيون السعودي، تقرر أن يقوم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ــ يرحمه الله ــ برحلة رسمية إلى بريطانيا، وجاء في الذهن أن يستعين التليفزيون بوكالة الأنباء البريطانية ـ الأمريكية (UPITN) لتغطية زيارته، بهدف إمداد التليفزيون السعودي بصور إضافية للزيارة، ولكي تقوم الوكالة بتزويد مشتركيها في سائر أنحاء العالم بتلك الأخبار، فاتصلت بأحد مديري هذه الوكالة المسؤول عن منطقة الشرق الأوسط، ودعوته لزيارة المملكة للتباحث معه بشأن تلك الخدمة، فأفاد معتذراً أنه سيكون في أندونيسيا لتغطية دورة رياضية، فاقترحت عليه أن يزور المملكة وهو في طريق عودته، أما بالنسبة للتأشيرة فإن من الأسهل عليه أن يتوقف في ماليزيا ويقدم نفسه للسفير السعودي هناك للحصول عليها، ولما وصل بعد أيام، سألته عما إذا كان قد واجه أي مصاعب فقال : يا أخي توقفت عدة ساعات في ماليزيا، حاول السفير خلالها إقناعي بالبقاء واستضافتي، وسألني ما إذا كنت بحاجة إلى مال، ولما لم يتمكن من إكرامي بذلك وذهبت إلى المطار وجدت تذكرة سفري قد حوّلت إلى الدرجة الأولى (وهي لفتة روي أنه كان يقوم بها مع من تفوته فرصة استضافتهم بأساليبه الأخرى).

تباع الفضيات ثم تعود لصاحبها :

وروى معالي الشيخ جميل الحجيلان، السفير السعودي في فرنسا، الذي سبق أن عمل معه في باكستان، إنه بعدما أصبح الشيخ جميل وزيراً للإعلام في مطلع الثمانينات الهجرية (الستينات الميلادية) تلقى طروداً أرسلت إليه من السفارة السعودية في باكستان (بعد انتقال الشيخ محمد منها إلى الهند) فلما فتحها الشيخ جميل وجدها مجموعة الفضيات التي حاول بيعها في باكستان قبيل نقله إلى المملكة، وقد تبين أن الشيخ محمد كان قد كلف من يشتريها من الشيخ جميل من أجل تخليصه من التفكير في نقلها، ثم أبقاها الشيخ محمد في مستودع السفارة دون فتحها؛ لأنه لم يكن بحاجة إليها، فلما جاء السفير الجديد ظن أنها تخص الشيخ الحجيلان فأرسلها إليه.

يتبرع لعنيزة قبيل وفاته :

وأثناء مرضه الأخير عام ١٤٠٦هـ قرر أمير مدينة عنيزة وأعيانها ولجنة العمل الاجتماعي فيها ولجنة تجميل المدينة وتحسينها، أن يكتبوا له خطاباً يعبرون له فيه عن مشاعر الأهالي نحوه ودعائهم له بالشفاء، كما أعلموه أنهم قرروا تسمية أحد شوارع عنيزة باسمه تقديراً لخدماته وسمعته ومكانته، فما كان منه، وهو في المستشفى بالرياض، إلا أن أوعز لابنه بالتبرع بمبلغ ثلاثمائة ألف ريال من أجل جهود العمل الاجتماعي في عنيزة.

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة تجميل وتحسين مدينة عنيزة

الرقم : ....
التاريخ : ٢٤/٦/١٤٠٦هـ
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

صاحب المعالي الاخ الفاضل / محمد الحمد الشبيلي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

يشرفنا نيابة عن أهلكم في عنيزة نقل خالص مشاعرهم ودعواتهم الصادقة لكم بالشفاء والعافيه .. ويسعدنا أن نعبر لكم عن عميق التقدير والاحترام لماسجلتموه في صفحات خالده من أروع الامثله على سماحة الخلق وكرم النفس وسمو الخصال والتفاني في الواجب طوال حياتكم المديده انشاء الله واثناء فترة عملكم الطويله وفي مواقع متعدده، حيث ساهمتم عن جدارة باعطاء الصوره المشرقه عن وطنكم شعبا مسلما مسالما وحكومة عادله سخيه .. وحققتم لنا حفظكم الله وشفاكم مصدر فخر واعتزاز عظيم .. وتعبيرا عن مايكنه لكم كل فرد بمدينتكم عنيزة من حب واجلال .. وابقاءا لذكراكم العطره أثرا يتعلم منه الاجيال درسا عميقا عن اسمى صور النبل والخلق الفاضل والاخلاص للدين والوطن ... فقد رأينا أن يطلق اسمكم الكريم على أحد المعالم الرئيسيه في عنيزة .
وقد حدد مدخل المدينه الرئيسي من الشرق لتسميته بأسمكم وتم تنفيذ ذلك

شفاكم الله ومتعكم بالصحه والعافيه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمير وأهالي مدينة عنيزة



في بغداد مستضيفاً حسن المشاري وزير الزراعة السابق وسمو الأمير محمد الفيصل بن عبد العزيز محافظ مؤسسة تحلية المياه الأسبق (شعبان ١٣٨٨هـ ـ نوفمبر ١٩٦٨م)

قصته الشهيرة مع زوج المرأة الحامل :

ومن القصص الشهيرة كثيرة التداول ـ وقد رويت في الفصل السادس بصيغ متقاربة ـ أنه أثناء عمله في باكستان، وعندما كان يتمشى في إحدى الليالي بجوار منزله التقى بأحد الباكستانيين الذي كان يبحث عن سيارة لنقل زوجته إلى مستشفى الولادة فأعطاه سيارته، ولما عاد السائق تحقق الشيخ محمد من رقم غرفة الزوجة وسدد نفقات المستشفى، وتروي الروايات أن هذا الأخ الباكستاني وهو صاحب بقالة أو مطعم في لندن كان يحاول أن يقابل هذا المعروف بعدم استلام قيمة ما يشتريه السعوديون من بقالته.

يكرم ضيفين في مكانين مختلفين في وقت واحد :

وفي عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) عقد مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول في أندونيسيا برعاية رابطة العالم الإسلامي، وحضرتُه مدعواً من الرابطة، ومقرراً للمؤتمر.



في الهند ومعه عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن السعدي وأحمد العبد الله القاضي (ذو القعدة سنة ١٣٨٦ هـ فبراير سنة ١٩٦٧ م).

كان من المفروض أن نستقل رحلة «الجارودا»، (الخطوط الأندونيسية)، من جدة إلى جاكرتا، ولكن الرابطة غيرت الحجز في آخر لحظة واختارت الماليزية، مع توقف ليلة في كوالالامبور، مع أنني كنت أحرص على عدم زيارته تلافياً لتحميله مشقة الاستقبال والضيافة كعادته.

وسافر معالي الشيخ محمد الحركان أمين عام الرابطة إذ ذاك ـ يرحمه الله ـ وبرفقته وفد من خمسة عشر عضواً ـ ومن بينهم المؤلف ـ ووصلنا عند الغروب إلى كوالالامبور، وأبو سليمان كان ينتظر في صالة المطار الرسمية ليستقبل الوفد، وقد رتب وجبة خفيفة في المطار، والسيارات والفندق بعدد الأعضاء، ثم استقبل الجميع في منزله وتحايل عليهم للعشاء، مع أنه كان مرتبطاً بعشاء رسمي، وفي الصباح جمع الشيخ الحركان الوفد للاتفاق على التسلل إلى المطار، ففوجئنا بأنه كان قد سبق إلى دفع حساب الفندق، وأنه رتب الغداء في مكان آخر قبل موعد المغادرة ظهراً.

وذهبنا إلى المطعم لنكتشف أنه كان مرتبطاً على الغداء مع شخصية رسمية كويتية في مكان آخر، إمعاناً في إكرام الطرفين، وبعد الغداء وجدنا الشيخ محمد في وداع الجميع حتى سلم الطائرة.

ضيافته تبدأ من سنغافورة وهو في ماليزيا :

ولما وجدني مصادفة مع الوفد عاتبني كثيراً حيث لم يسبق لي وأسرتي أن زرناه زيارة خاصة في أي من الدول التي عمل فيها، فلما كان في عام ١٤٠٤هـ سافرت إلى أندونيسيا لأعمال اللجنة الثقافية المشتركة، ووعدته بالزيارة، كما تواعدت مع أسرتي للالتقاء في سنغافورة بعد انتهاء زيارتي لجاكرتا، ثم الذهاب جميعاً إلى ماليزيا لزيارته.

وفي سنغافورة فوجئنا بسيارة وسائقها يرسلهما أبو سليمان من ماليزيا لمرافقتي، وأن مبلغاً من المال قد وضع في حساب الفندق، ولما عرف بوجود زميل معي وأسرته، هو الأخ الأستاذ عبد الله الحصين، أرسل سيارة أخرى، واتصل به محاولاً إقناعه بزيارة ماليزيا ولكنه اعتذر اشفاقاً عليه، وعند وصولي إلى كوالالامبور وجدته في استقبالي في أحد المطاعم، على بعد خمسين كيلو متراً خارج المدينة، وقد قمنا بتصفية حساباتنا مع الفندق أولا بأول حتى لا يبقى في الفاتورة إلا حساب اليوم الأخير، كما تركت له رسالة شكر أعدتُ فيها المبلغ النقدي الذي بعثه إليّ في سنغافورة، متحججاً بأني كنت في ضيافة الدولة، وقد وجدنا العديد من الهدايا مرسلة مع «العفش» للأولاد وللآخرين، كجاري عادته، وكان قد حاول تمديد فترة زيارتنا لولا وفاة صديق عزيز حرصنا على المشاركة في التعزية به.

قصته مع العمال المغاربة:

ويروى عن السفير عبدالعزيز المبارك أن ثلاثة من العمال المغاربة زاروا يوما السفارة السعودية في الرباط طالبين مقابلة السفير السعودي، ولما سئلوا عن حاجتهم، تبين أنهم أتوا ليرسلوا شكرهم لجلالة الملك خالد ـ يرحمه الله ـ على مساعدة تلقوها من سفيره في ماليزيا، حيث أن هؤلاء العمال كانوا على ظهر باخرة لم يسمح لها بالرسو في ماليزيا، وقد كلفت كل سفارة بتولي شؤون رعاياها ممن كانوا على ظهر السفينة.

ولما لم تكن للمغرب سفارة، فقد اتصلت السلطات الماليزية بالسفارة السعودية فقام الشيخ محمد باستضافتهم وزودهم بتذاكر سفر إلى بلادهم قائلا إنها هدية من الملك خالد.

يصيد ضيوفه من الشارع :

وتروى في عدة صيغ ـ وربما تكون حدثت مراراً ـ قصته مع شباب سعوديين التقى بهم وهم يتجولون في إحدى المدن الأوربية باحثين عن فندق، ويتفرجون على بضائع أحد المحلات، وكيف أنه لاطفهم واستضافهم تلك الليلة، وعندما ودعوه قدم لكل واحد منهم هدية من بضائع ذلك المحل .

يعالج من لا يعرفه :

وينقل معالي الشيخ محمد بن جبير رواية تقول : إن أحد المواطنين ذهب إلى بلد أوروبي طلباً للعلاج، فزار السفارة لمساعدته في الترجمة والبحث عن عيادة مناسبة، فاعتذر له المسؤول بحجة أن السفارة لا تستطيع توفير مترجم لكل طالب علاج، وأن بمقدور المواطن البحث بيسر عن الطبيب المناسب، وتصادف وجود الشيخ محمد خلال هذا اللقاء، فوضع نفسه دليلاً ومترجماً لذلك المواطن واستضافه، بل وساعده على استكمال العلاج في بلد أوروبي آخر.

ألا تعلم بأن ابن سعود يعطي الناس ولا يأخذ منهم ؟:

وروى الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل القصة التالية :

– كنت عنده في البصرة فأتاه رجل كبير السن، وكان قد سمع من الناس في العراق بأن الأمور «لا تمشي» إلا بعد أن يقدم الشخص رشوة، فقام هذا الرجل، وقدم له جواز سفره، ووضع بداخله نصف دينار، فاستلمه أبو سليمان وشكر الرجل وأجلسه بجانبه، وكان هذا الرجل يريد أن يسافر من البصرة إلى المملكة، وعندما اطمأن إلى أن الشيخ محمد قد قبل الهدية قال له : ـ أريد أن أسافر وأريد الجواز الآن .

وكانت لا توجد في ذلك الوقت إلا سيارة واحدة في اليوم، تسافر من البصرة إلى الكويت فاستدعى أبو سليمان أحد الموظفين وقال له : بلغ الشركة ألا تتحرك السيارة حتى يأتيهم شخص من قبلنا، والرجل المسكين بدأ يلح، لأنه خشى أن تفوته السيارة، فقال له اطمئن فإن السيارة لن تمشي إلا وأنت معها ؛ لأننا نرسل معها البريد، وكان قصد أبو سليمان أن يؤخره حتى موعد الغذاء .

ولما حان وقت الغداء دعاه وأجلسه بجانبه وتغدى واطمأن، فلما أراد الذهاب ودعه وأمر بسيارته أن توصله، وقال له بالحرف الواحد : ألا تعلم يا أخي بأننا موظفو الملك عبد العزيز بن سعود؟، قال : نعم أعرف ذلك، فقال له : لماذا

أعطيتني والملك عبد العزيز يعطي الناس ولا يأخذ منهم ؟ قال الرجل : إن الناس أخبروني، أنه في العراق لا تمشي معاملتك إلا بدفع شيء، ثم سلّمه أبو سليمان خمسين ديناراً، وكانت في ذلك الوقت لها قيمة كبيرة وأعطاه كتاباً للنفيسي بالكويت ومشلحاً، وراح الرجل يدعو له وهو يبكي .



الوفد الصحفي الرسمي الذي زار الهند عام ١٣٨٥هـ بمناسبة افتتاح أول رحلة «للسعودية» .

يستبدل الفندق للوفد على حسابه :

وعندما زار وفد من المملكة الهند لافتتاح الخط الجوي بين الرياض وبومباي كان سفيراً في الهند، وتصادف أنه كان تحت وطأة الأنفلونزا، لكنه تحامل على نفسه وسافر إلى بومباي لحضور هذه المناسبة رغم إلحاح الوفد السعودي عليه بالتزام الراحة، فقابلهم وأعدّ برنامج زيارة لهم ونقلهم إلى فندق أفضل، ثم استأجر طائرة خاصة لهم إلى نيودلهي ورتب مع زملائه العاملين بالسفارة والجهات الرسمية بالهند لاستقبالهم والحجز لهم في فندق ممتاز على حسابه مع تزويدهم بمترجمين وأدلاء للسياحة، فتم لهم الاطلاع على الكثير من المواقع في العاصمة، وزاروا تاج محل، كما أقام لهم حفلاً كبيراً دعا إليه أعضاء السلك السياسي العربي والإسلامي والأجنبي والهيئات الرسمية في الدولة والجالية السعودية فيها، وساد الحفل جو من المحبة والألفة والارتياح، ثم غادر الوفد العاصمة وأفراده ممتنون له ولما بذله من الرعاية، وحرارة الاستقبال والتوديع .

كيف كان يستقبل ضيوفه العابرين :

وعندما كان سفيراً في الهنـد بلغه أن أحد المسؤولين في المملكة، وربما كان سمـو الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ سيتوقف في مطار نيودلهي، لتتزود طائرته بالـوقود في حدود منتصف الليل، وعندما وصلت الطائرة الخاصة وجد سموه ومـرافقوه أن الشيخ محمد الذي كان بانتظارهم قد أعـد صيواناً خاصاً جمع فيه أبرز المسؤولين الهنود وزعماء المسلمين وعلماءهم للسلام عليه والالتقاء به، وبعد العشاء، ولما لـم يتمكن من إقناعه بالمبيت، صعد ومرافقوه إلى الطائرة ليجد كل منهم هدية خاصة من أفخر أنواع البخور والطيب ودهن العـود الهندي، وهـو أسلوب كثيراً مـا اتبعـه مع كل من كان يستقبلهم في صـالة العبـور (الترانزيت) ممن لا تسمح لهم ظروفهم بقبول إلحاحه عليهم بالبقاء.

يسعى لعلاج عدد من المواطنين في الخارج :

وحدث أن تعرض أحـد المواطنين لمرض فقد بصره تماماً على أثره، فكتب هـذا المواطن إلى الشيخ محمد طالبـاً الرأي والمشـورة عن المستشفى الذي يتـوفر فيه عـلاج لمثل هذه الحالـة، فما كان منـه إلا أن رتب له العلاج في أحـد مستشفيات سنغـافورة، وأمّن لـه التذكـرة والفندق، وطلب من السفـارة هناك استقبـاله والإشراف على علاجه، وقد شفاه الله وعاد إليه بصره تماماً، ثم دعاه الشيخ محمد لزيارته في ماليزيا والبقاء لديه بعض الوقت وكان موضع عنايته ورعايته.

ـ وهذه القصة تقود إلى قصة أخرى حدثت لأحد أصدقائه المقرّبين إليه وهو الشيخ محمد العويد، من السعوديين المقيمين في جنوب العراق، والذي أصيب بمرض خبيث استلزم سفره إلى خارج العراق.

فقـد تحمس الشيخ محمد وأرسل في طلبـه إلى بغـداد، وأدخلـه في أحـد المستشفيـات المشهورة فيهـا، ليكون تحت الملاحظة والرعاية الطبية، وفي الـوقت نفسه والى اتصالاته بالسفارة والمكتب الصحي في لندن وأنهى كل الترتيبات الـلازمة لسفر المريض إلى لنـدن، ثم شاء الله أن يحول دون سفره بـوفاته، وقـد انتاب الشيخ محمـد كثير من الألـم والحسرة، وأجهش بـالبكـاء، وظل على حـال من الحزن والاكتئـاب مـدة طويلـة، لما كان لهذا الصديق من مكـانة في نفسه، وتـولى مساعدة أسرة هـذا الصديق بعد وفـاته بترتيب شؤونهم واستثمار إرثهم وساعـدهم في العودة إلى وطنهم (المملكـة) واختار لبناتـه أزواجاً صالحين وحضر



زواجهن، وهن الآن يعشن بين الرياض وجـدة في صحة وسعادة ويعتبرنه بمثابـة والد لهن، (ومن خلال إحدى رسائله المنشورة في الفصل التالي يتضح مدى اهتمامه بهذا الأمر).

ـ ولقـد دأب ـ يرحمه الله ــ أثناء زياراته وإجـازاته التي كان يقضيهـا في المملكة أو خارجهـا على القيام بزيـارة المرضى في المستشفيات، ويستطلع أمورهم ويعـرض عليهم إمكاناتـه المادية والمعنويـة، ويوصي المكاتب المسؤولة بالوقوف على أوضاعهم وتوفير العنـاية والرعاية لهم، وكثيراً ما كان يدعو بعض المواطنين المرضى ـ كما رأينـا في أمثلة سـابقة ــ لزيـارته، ثم يهيئ لهم السفـر إلى الخارج للعلاج على نفقتـه ويوصي بالعنايـة بهم وإفادته عن حالتهم أولا بأول، أو يتـوسط لعلاجهم على نفقة الدولـة، ومـن أمثلة ذلك أنه تكفل بإرسال الأستـاذ الشاعـر حمد الحجي وحمد المهباش ويـوسف الدبيان وسعـد ابن سليمان بن سيف وغيرهم للعلاج خارج المملكة على نفقته كما بعث مرافقين معهم للعناية بهم طيلة فترة العلاج.

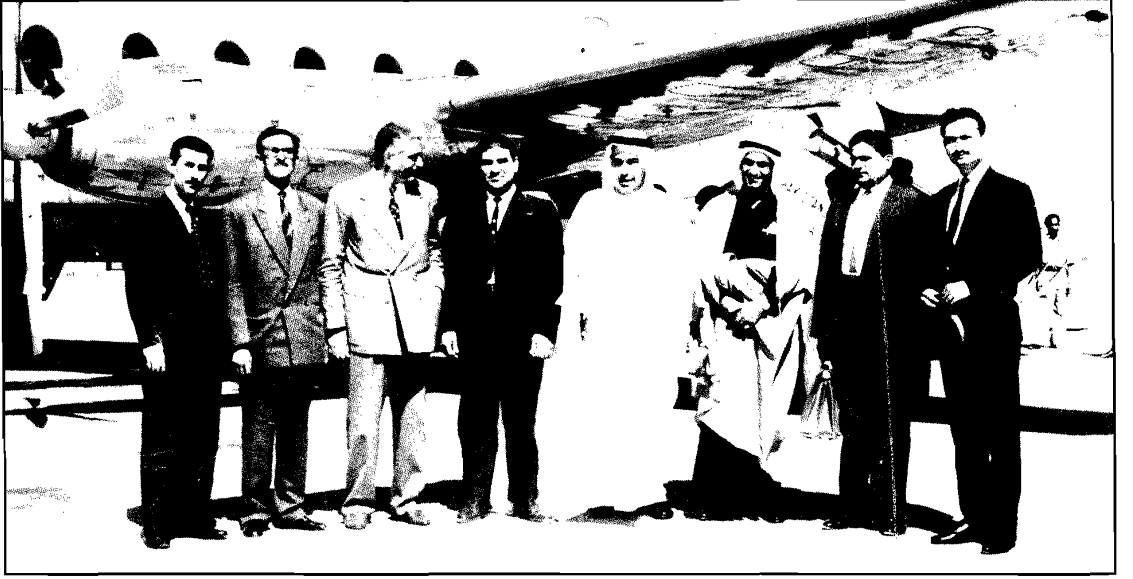
ماليزيون يعالجون في المملكـة:

وقع لأحد الماليزيين العاملين بـالسفارة السعودية في ماليزيا حادث تصادم بسيـارته الخاصة نتجت عنه كسور في ساقيه، وبإدخالـه المستشفى في كوالالمبور اتفق الأطباء على بتر إحدى ساقيه.

ولما علم بما استقر عليـه الرأي ـ وهو الـذي يعرف أوضـاع الرجل الماديـة وأنه العائل الوحيـد لأسرته ـ أرسل من يبلغهم بـالتريث، وأبرق إلى سمـو الأمير سلطان بن عبد العـزيز وزيـر الدفـاع شارحـاً لسموه الأمـر، وراجياً تمكين الـرجل من العـلاج في المستشفى العسكـري بالـريـاض على نفقـة سموه الكـريم، واستجاب سمو الأمير سلطان على الفور، ونقل الرجل إلى الرياض حيث أجريت لـه عملية بالغة الدقـة كتب الله له بها السلامة.

وقد أوعز لمن يلزم بأخـذه إلى سمو الأمير سلطان للسلام عليه وتقديم جـزيل الشكر والامتنان لما قوبل به من رعاية واهتمام.

وللشيخ محمد مـوقف إنساني كريم مع إحدى العـاملات لدى إحـدى الأسر السعودية، فقد سـافرت هذه الأسرة خارج الريـاض، وتركت الخادمة مع زميلتها في المنزل، وتعرضت هـذه الخادمة لمرض شديد، ولما علم أحـد الجيران، أرشدهم إلى مقـر سكن الشيخ محمـد الذي سـاعد على إدخـالها مستشفى الملك فيصل التخصصي، فـاتضح أنها تعاني من ورم خبيث، وأجـريت العملية الجراحيـة اللازمـة لاستئصالـه



يستقبل وفداً من الكويت (في باكستان) .

منها ، وبعد نجاح العملية زارتـه لتشكر لـه نبله و إنسانيته فأكرمها وأعاد ها إلى بلادها على نفقته .

عندما أسعف في الطريق أسرة هندية :

وكان يوماً على موعـد مع إحدى الجاليات السعودية المقيمة بالهند خـارج العاصمة دلهي ، وفي الطريق شاهـد أسرة كبيرة تقف إلى جوار سيارة معطلـة فأمر السائق بالتـوقف ، ولكن السائق تردد في ذلك خـوفاً عليه ، لكنه أصر على العودة إليهـم ، وأمره باستطـلاع الأمر، فتبين أن السيارة مصابة بعطل كبير لا يمكن إصلاحه إلا بتـوفر قطع غيار من دلهي ، فعرض عليهم اصطحاب السـائق وبعض أفراد الأسرة للعودة إلى العـاصمة لشراء قطع الغيـار اللازمـة وإرسال فني لإصـلاح السيـارة ، فوافقـوا وركبوا معـه ، فتوجـه إلى السفارة ، وأمر المستخدمين بتهيئة المكان المنـاسب ، وإحضار الطعام لهم ، ثم أرسل سائقه وسائق الأسرة لشراء قطع الغيار بعد أن زودهم بالمال اللازم ، وكلفهم بأخذ فني جيد معهم ، لإصلاح السيارة ، وجلب باقـي الركاب والسيـارة بعد إصـلاحها ، وقـد استضافهـم وقـدم لأبنائهـم الهدايـا ، فكانـوا مندهشين لهذا الموقف الإنساني من إنسان لا يعرفونه ، ولا يعرفهم ، ولكنهم علموا أنه السفير السعودي عندما وصلوا إلى مقر السفارة ، وانصرفـوا شاكرين له ومقدريـن نبلـه و إنسانيته ، وأرسل رب الأسرة برقيـة شكر إلى جلالـة

الملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ سرد فيها القصة كاملة وقال في نهاية البرقية : إذا كان هذا هو عمل سفيركم، فكيف تكونون أنتم يا صاحب الجلالة ؟ إن كان لي رأي في هذا الموضوع فإني أرجع هذه الدوافع إلى ما تمليه عليكم عقيدتكم الإسلامية .

مع هموم المواطنين في تايلاند :

ومن تلك المواقف ما علمه خلال اتصال هاتفي قبيل مرضه بمدة وجيزة، من تعرض بعض المواطنين في تايلاند خلال زيارتهم لها لظروف استوجبت توقيفهم، فأجرى اتصالاته بالقائم بالأعمال السعودي في تايلاند، والسفير التايلندي في كوالالمبور وعرض عليهما الأمر وطلب تدخلهما لإطلاق سراح الموقوفين، وفي صبيحة اليوم التالي اتصل به السفير التايلاندي وأبلغه بانتهاء الموضوع، ثم اتصل الشيخ محمد بالقائم بالأعمال السعودي، وطلب إليه التوجه لاستلام المواطنين، ومنحهم تذاكر سفر لزيارته في ماليزيا على حسابه، ودفع حساب الفندق الذي كانوا فيه وإعلامه بموعد قدومهم، وأرسل من يستقبلهم في مطار كوالالمبور وأعد لهم برنامجاً خاصاً لزيارة المناطق السياحية في ماليزيا، وبعد أن أنهوا برنامجهم استأذنوه في العودة شاكرين له موقفه الإنساني النبيل .

ماليزي يسقط مغمى عليه في النمسا :

مواطن ماليزي تعرض لموقف سياسي معيّن في بلده، استوجب سفره إلى أوربا للإقامة فيها، وقد حاول عدة مرات العودة إلى بلاده، وعندما شاءت إرادة الله أن تقدر له العودة إلى وطنه، أشار عليه أحد أصدقائه بالاستعانة بالسفير السعودي في ماليزيا، فكتب له شارحاً كامل الموضوع، ورجاه التوسط لدى الحكومة الماليزية فقام بالاتصال بالسلطات الماليزية، طالباً السماح للرجل بالعودة إلى وطنه وتمكينه من استلام عمله السابق حتى يستعيد وضعه الطبيعي في مجتمعه، وكان له ما أراد تقديراً لمكانة المملكة لدى الحكومة الماليزية وإكراماً له .

وذات يوم، وبينما كان الشيخ في النمسا حيث كان يعالج، دخل رجل مقر إقامته وسأل الحاضرين : أين الشبيلي ؟ وكان الشيخ محمد يجلس في صدر المجلس فقيل له : إنه هذا الذي أمامك، وكرر السؤال عدة مرات، وعندما أكدوا له أنه هو، سقط الرجل مغمًى عليه وأسعفه من كان حاضراً من الأطباء، وعندما أفاق سأله الحضور عن سبب هذا الإغماء، فأخذ الرجل يسرد القصة وقال : أنا الماليزي الذي

أعادني إلى وطني وعملي، لقد جئت لزيارته وشكره، ولـم أكن أتصور أن المرض قد أخذ منه هذا المأخذ، وأخذ يبتهل إلى الله أن يمن عليه بالصحة والعافية.

يستعجل إعادة رسالة الدكتوراه لطالب سوداني:

ومن مواقفه الإنسـانية أيضاً، أنه عندمـا كان سفيراً في بغداد اتصل به ذات يوم السفير السـوداني طالباً توسطـه في قضية طـالب سـوداني أنهى دراسته في كليـة الحقوق بجـامعة بغـداد، وأعد رسـالة الـدكتوراه وأرسلها للأساتذة الـذين كانوا يشرفون على رسالته للتوقيع عليها، والمشكلة أن الأسـاتذة كانوا يعملون في كلية التربيـة بجامعة الملك سعـود في الرياض، وأن الـرسالة أرسلت خطأً إلى جـدة، ومضى عليها وقت طويل تحدد خلالها أكثر من موعد للمناقشة، وأصبحت الرسالة في حكم المفقودة، وحدد لـه موعد آخر بعد أيام من مكالمة السفير السوداني.

وبادر الشيخ محمد إلى الاتصال بـالجهات المعنية وبأصدقائه في كل من جدة والـرياض، وبتوفيق من الله عثر على الرسالة وتم توقيعها من الأسـاتذة المشرفين، وأرسلت في أول طائرة إلى بغداد، وقدمت للكلية في الموعد المحدد وتمت المناقشة وحصل الطالب على الدرجة.

وتلقى المؤلف بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٤١٤هـ رسالة من الدكتور يوسف عز الدين [١] يقول فيها:

ـ «لا شك بأنه ظـاهرة من ظواهر المجتمع العـربي التي قلما تتكرر، إذ لـم أجد لـه مـن ضريب مع سفراتي المتعددة في العالم كله، لم أجد إنساناً كـريماً مثله يمتاز بالحياء والطيبة ودماثة الخلق، وقد سارت بـأخباره الركبان، فهو سفير العراق في المملكة وسفير المملكة في العـراق، ولا عجب، فإن لأسرته أعمق الجذور في القطرين الشقيقين، فـاسم أسرته معروف في البصرة، وتعرف مؤسسة باسمهم، وهي (خان الشبيلي) الذي يرتاده التجار والسراة والأعيان.

عرفتـه في بغداد ولعلـه جاء إلى المجمع العلمي العـراقي زائراً، فرددت لــه الزيـارة في السفارة التي كانـت محطة لكل الناس، فقد كان يدعو في المناسبات جمعاً غفيراً من الناس حتى تغص السفارة على سعتها بهم.

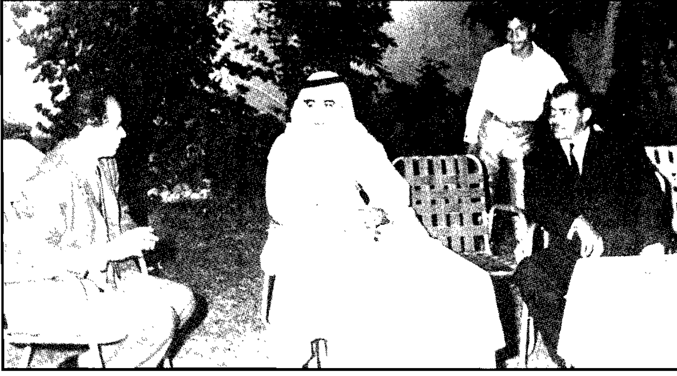
حملت إليه بعض المطبوعات التي يصـدرها المجمع مع بعض مؤلفاتي، وفي مناسبة من المنـاسبات التي كان يغتنمها،

(١) من أبرز أدبـاء العراق المعـاصرين، كان أستاذاً في جـامعة بغـداد وعدد من الجامعـات العربية، وهـو الآن عضو في عـدد من المجامع اللغوية، وأستاذ الأدب العربي في جامعة أم القرى بمكة المكرمـة (فرع الطائف).

عدت إلى الدار فوجدت حقيبة من الحقائب الممتازة وفيها أنواع من الهدايا التي لـم يصلني مثلها من قبل لندرتها وجودتها وأذكر منها تلفـاز سيارة في وقت كان هذا الاختراع فيه من النوادر.

وفي مرة ذهب أحد أبنـائي إلى الشرق حيث كان سفيراً، فأكرمه إكـراماً كبيراً وأرسل معه سلـة من فـواكه المنطقة كبيرة الحجم ودفع أجور نقل هذه السلـة.

كـان، يـرحمه الله، فـذاً بين الرجال، وكنت أزوره عندما يصل إلى الرياض، ولـم أحاول أن أقدم له هدية خوفاً من هداياه الكبيرة».



- ثم يشير الـدكتـور يـوسف عـز الدين إلى مشروع هـذا الكتاب فيقول في ختام رسالته:

أسعدني مـا تقوم بـه، فإن هذا الـرجل سيكـون حديـث التاريخ أكثـر من حـاتم الطائي؛ لأنـه ظاهـرة قلما يجود بها الزمن، وسيكـون الكتـاب وثيقـة يعتمـد عليهـا المؤرخـون لعلم الاجتماع والتاريخ، فبـورك فيك وأرجو أن أرى الكتاب بين يدي المعجبين به وبكم.

ـ ومن طريف ما نشر عنه خارج المملكة، أن أستاذاً سـودانياً اسمه عباس ابراهيم نشر عنه مقالاً في صحيفة حائط في إحدى المدارس في دولـة الإمارات العربية المتحدة، وصف فيه زيـارة له ولمجموعة من الطلبة العـرب إلى أفغانستان ولقاءهم بـه، وكيف أنه تحدث معهم عن العلاقات الخاصـة التي تربط بين الشعبين السوداني والسعودي، كما وصف مكارم أخلاقه وأنه تحمل مصاريف إقامتهم هناك.

ـ يقول عنـه الأستاذ عبـد الرحمن عبد العـزيز الشبيلي ـ السفير السـابق بوزارة الخارجيـة والكاتب المعروف ـ إن المال بالنسبة له «غريب» عنه فهو لا يستقر لديه، بل إنه يشعر بالضيق حتى ينفقه بشتى السبل الكريمة.

ويتواتر عن الملك فيصل ــ طيب الله ثراه ـ أنه كان أمـر باختيار بلد له تكون بعيـدة عن وصول الناس إليه لمعـرفته بطبيعته، حيث يبحث عن النـاس ويجد متعة في اجتـذابهم واكرامهم، وكان هـذا هو سبب

اختياره لأفغانستان وماليزيا ، مع أنه ذكر أن شخصيات عديدة من عشائر العراق راجعت الملك فيصل طالبة إبقاءه في العراق ، إلا أنه ـ رأفة به ـ فضّل نقله بعيداً عن البلاد العربية ، ولكنه مع ذلك ظل يدعو من عرفهم سابقاً لزيارته واللحاق به .

ويذكر نقلا عن سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ـ تغمده الله برحمته ـ أنه قال :

- **«لقد حاولت الدولة مكافأة هذا الرجل بمنصب وزاري فاعتذر عنه فلا ندري كيف نكافئه»** .

ويذكر الشيخ حمد المبارك : أن سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن ـ يرحمه الله ـ عند زيارته لماليزيا عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٧م ، أعجب به كثيراً وقال للشيخ حمد : إنه وجد «أبو سليمان» يتمتع بصفات جيدة في الأمور السياسية والثقافية وحسن التصرف فيما يعود بالنفع على المصلحة العامة ، وأنه كان يعتقد أن الشيخ محمد يتمتع بالكرم وحسن الخلق ، ولكن اتضحت له صفات عديدة أخرى ، وكان يأسف لأنه بقي دون زوجة .

وفي المستشفى العسكري ، في بداية مرضه الأخير، زاره سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ، فلما رآه ملتزماً السرير والزيارة محظورة ، قال ، يحفظه الله ، مازحاً : هل تريدونه أن يتعافى ؟ أخبروه أن الضيوف والزوار ينتظرونه في الصالون .

ولقد سبق أن قلنا إنه كان ـ يرحمه الله ـ يعاتب السفراء المجاورين له في جاكرتا وسنغافوره وبانكوك إذا لم يبلغوه بالقادمين إلى المنطقة حتى يتمكن من دعوتهم وإكرامهم .

يتحايل على ضيوفه لزيارته أو للبقاء عنده :

كما أن من الموضوعية أن نشير، مرة أخرى ، إلى أنه كان اجتماعياً لبقاً ومحباً للناس إلى درجة كانت تقيّد حرية ضيوفه أو تسلبهم إرادتهم ، حيث كان يتحايل عليهم بأساليب محببة لاستبقائهم عنده مدة أطول قد تزيد عن طاقتهم .

ومن لطيف ما يروى في هذا الصدد قصة طريفة له مع ابن خالته الشيخ محمد المنصور الزامل ، يرحمه الله ، عندما زاره في البصرة ، ولاحظ أنه كان يستعجل العودة إلى المملكة بينما يلح عليه أبو سليمان بالبقاء ، وكان كثيراً ما يسأل عن أخبار المملكة من خلال ما يرد إلى القنصلية من الصحف ، فقال له أبو سليمان في

أحد الأيـام بأنهم في المملكـة يفكرون في أن يستعــان بطلبــة الشيـخ ابن سعـدي في السلـك القضـائي، وأن فلانـاً وفلانـاً قد اختيروا لمدن ذكـرها له، فما كان من الشيخ محمد المنصور الــزامل إلا أن اقتنـع بــالبقــاء مدة أطـول، وذلك لخوفـه من أن يشملـه اقتراح التعيين، إلا أنــه بعــد مــدة وبعد ما لاحظ عليه من القلق أطلعه على حقيقة الأمر.



في زيارة للجنرال محمد أيوب خان الرئيس الباكستاني في منزل الرئيس في كراتشي يوم ١٨/ ١١/ سنة ١٩٥٨م.

وفي حادثة طريفة مماثلة مع الشيخ عبـد العـزيـز النـاصر التركي ــ زوج أخته ـ الذي زاره مرة في مـاليزيا وكان يتحـايل عليـه لابقـائه مـدة أطـول، وعنـدما بـان عليـه الضجر لابتعـاده عن زوجتـه وأولاده، اتصل ـــ يـرحمه الله ـــ بأخته وقـال لها: إنـه لاحظ أن زوجها يفكر بالزواج من ماليزية، واقترح عليها أن تحضر لمنعه من ذلك، فما كان من أخته إلا أن حضرت في أقرب رحلة، وبهذا كسب الاثنين معاً، وأزال دواعي الملل والقلق عن زوج أخته.

ومن طُرفه ـ يرحمه الله ـ أنه عندما كـان في باكستان، اتصل بصديقه الشيخ محمد المنصور الرميح الذي خلفه قنصلاً في البصرة وكان (أي الرميح) في بداية إجازة له ينوي قضاءها في عدد من الدول.

ولكي يتحايل عليـه لزيارته في بـاكستان، ضمن برنـامج إجازته، اتصل به «واستفـزعه» للمجيء إلى كـراتشي فـوراً للمساعـدة في حل قضيـة صعبـة ومعقـدة، فعـدّل الشيخ الـرميح بـرنامج زيـارتـه ليبـدأ



محمد المنصور الرميح يصل إلى كراتشي (١٣٨٢هـ-١٩٦٢م).

بباكستان، حيث وصلها ليلة عيد، وطلب منه أبو سليمان أن يمضي ليلته عنده وأن يذهبا معاً في فجر اليوم التالي إلى مسجد العيد، وفي المسجد كانت المفاجأة إذ استقبلهما الرئيس الباكستاني الراحل محمد أيوب خان، الذي كان قد أبدى عدة مرات للشيخ الشبيلي رغبته برؤية الشيخ الرميح، لاستعادة ذكرى طريفة حصلت لهما قبل تولي الرئيس خان مقاليد الأمور في باكستان، وقد أصر الرئيس الباكستاني على استضافة الشيخ الرميح واضطره للبقاء ثلاثة أيام(١).

ولا بد من قبيل تحري الموضوعية، أيضاً، أن يشار إلى ملامح أخرى في شخصيته، تعتبر في نظر عارفيه أنها قد تندرج تحت السلبيات، وفي مقدمة تلك الأمور المبالغة في الإكرام، وبخاصة عند تسديد مصاريف الفنادق لكافة ضيوفه، أو استبقاء الضيوف فترات أطول عند زيارتهم له.

(١) ومفاد هذه الذكرى أن الرئيس خان كان جنرالاً في الجيش الباكستاني، ومرّ مرة بالبصرة بعد مغادرة الشيخ الشبيلي، وأراد خلفه الشيخ الرميح إكرامه، فدعاه إلى رحلة صيد قرب شط العرب داخل الأراضي الإيرانية، وعند عودتهما أوقفتهما دورية إيرانية، ورغم وجود رسالة توصية وتعريف من القنصل الإيراني المسؤول عن قضايا الحدود، إلا أن الدورية لم تعترف بها، وطلبت منهم الذهاب معها إلى الأهواز، فما كان من الشيخ الرميح إلا أن تخلص بحيلة ماهرة حيث أشهر سلاح الصيد على ضابط الدورية، ليضمن تخليص الجنرال أيوب خان من التعطيل، وقد ظل الجنرال يتذكر هذه الواقعة، ويصف الشيخ الرميح بأنه «الجنرال».

فبالنسبة للبعض، وبخاصة القادرين منهم، فإنهم يـرون فيهـا إحــراجـاً لهم وتجاوزاً للحــد المعقــول في الضيــافــة والتكريــم، كما أنه بـالنسبة لـلأشخاص الـذين لا تسمح لهم ظـروفهم بالبقـاء في زيـارته مـدة أطـول فإنهم كـانوا يـرون في أسلوبه تقييداً لحريتهم وسلباً لارادتهم.

وكـان لا بـد لـزائره أن يحسب أطـول وقت ممكن للـزيـارة، احتيـاطـاً لإصراره على ابقائه مدة طـويلة، وأن يتوقع المرور بكافة مظاهر التكريم وواجبات الضيافة والحفاوة.



(في الهند عام ١٩٦٦م) يصافح يعقوب الرشيد سفير الكويت في الهند (آنذاك).

وبقـدر ما كـان ــ يـرحمه الله ـ يغـدق بسخاء على كـل العاملين لـديه في منزله أو في السفــارة، وهم الأقــربـون إليــه والملازمون لـه والعارفون بطبـائعه، إلا أن البعض منهم كـان لا يستطيع مجاراتـه، والصبر على أسلوبـه في المجـاملات والتحمل وإجهـاد النفس، والقناعة بممارساته في الصرف أو تأييد إنفاقه إلى حد يقرب من الإسراف.

نزاهة اليد:

ومن الخصال التي لا بد لمن يكتب عن أي مسؤول حكومي أن يتناولها جـانب الأمانة ونزاهة اليد، إلا أننا لن نتوسع في هـذه المسألة لسببين، أولهما، وهو الأهم، أن إنساناً يصرف وارداته ورواتبـه وما يقدم إليه بل وقد يستزيـد بالاقتراض من أجل تحقيق سجية مغروسة في وجدانه، حـرّي به أن يكون عف اليد،



في بغداد يستقبل أحد المدعوين وبجواره الملحق العسكري السعودي سليمان الشدوخي.

(فالخوف عليه وليس منه) ـ كما يقول المثل الشعبي ـ بالنسبة للمال العام، فهو يصرف دخله على وجوه الخير، ولم يخرج من هذه الدنيا ـ كما تقول الروايات ـ إلا بمنزل اشتراه ولي الأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز آل سعود، يحفظه الله، ووهبه له إبان مرضه، إضافة إلى قطعتي أرض، هما منحة من الدولة، وبسعي من محبيه، لمحاولة مكافأته، وتعويض نفقاته المتراكمة، وكان يسعى ـ بمعرفة المؤلف ـ في السنوات الأخيرة للتصرف فيهما حتى تعيناه على تحمل مصاريفه، وكان الجهد يبذل في التحايل عليه لإقناعه بإبقائهما في حوزته رغم تواضع قيمتهما قياساً على مصروفاته ولتكونا ذخراً له بعد تقاعده.

السبب الثاني: أن هذه الناحية ليست ـ بكل تأكيد ـ من الأمور التي يقبل من قريب له أن يشهد بها، إلا أنه يمكن الاكتفاء بالاقتباسات التالية في هذا الصدد:

فقد قال عنه معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر: **أما نظافة اليد فهو معروف بالعطاء، ولم يعرف عنه الأخذ، والأمانة في العمل كانت تتجلى في أبرز صورها في أدائه عمله على الوجه الأكمل، والأمانة في خدمة الناس كان فيها مثالياً، فلم يكن فقط يقوم بحقهم إذا طلبوه، ولكنه كان يبحث عنهم لخدمتهم.**





وقال الشيخ حمد الجميح في معرض حديثه عن أمانته ونزاهته :

يشهد بذلك كل من يعرفه ، وقد روي عنه أن سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز، يحفظه الله ، أعطاه مرة مبلغاً من المال في لندن ، ولكنه حوّل المبلغ إلى الملحق الثقافي السعودي في لندن لتوزيعه وصرفه على الطلبة أو المرضى السعوديين ، ولم يرضَ أن يأخذ جزءاً من المبلغ للإسهام في بعض مصروفاته مع ما كان يعرف عنه من كثرة المسؤوليات .

وفي موقف آخر، تلقى ـ يرحمه الله ـ من أحد الأمراء هبة مالية وسيارة وقطعة أرض ، وقد اعتذر بلباقة عن عدم قبول المبلغ والسيارة ، أما الأرض فلم يراجع بشأنها حتى يومنا هذا .

وقال عنه الشيخ محمد المنصور الرميح : **كان في منتهى الأمانة ، عفيف النفس ، يعطي دون انتظار لمقابل .**

مع أقاربه :

وكان لأقاربه نصيب كبير من رعايته وحنانه، يتألف الأطفال الصغار، ويحفظ أسماءهم، ويتعرف باستمرار على مواليد الأسرة، ويحيط بأنسابها وأرحامها ولا يغفل عنهم في المناسبات وأثناء زياراته، فيشاركهم أفراحهم وأتراحهم ويهتم ببرقيات المناسبات.

ومن عاداته أنه كان يفضل القيام بزياراته بشكل مفاجئ على أن يتقبل دعوات مسبقة، مصطحباً معه هدايا الأطفال والحلوى، فلا يغادر المنزل إلا بعد أن ترتسم السعادة على وجه كل طفل وخادم.

وبهذا كان من الصعب إكرامه أو مجازاته فإن المرء مهما يفعل معه فإنه يقدم أكثر.



في باكستان (١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٨ م) وفي حضنه فيصل جميل الحجيلان.

ـ وكان حريّاً به ـ وهو البار بعموم الناس ـ أن يكون مثالياً في برّه بوالديه ووفائه لأهله وذويه وأن يكون حريصا على الصدقات والأضحيات، ويذكر أخوه الأستاذ عبدالله أن الشيخ محمد تولّى تربية ابنه وإخوانه بأسلوب تربوي يجمع بين الحنان والتوجيه والحزم والرفق، فقد كان يقدم لهم النصح والإرشاد مستشهداً بالمبادئ التربوية، كما كان يشرف على العديد من أبناء الأسر التي أرسلت أبناءها للدراسة بجواره، حيث يراقب سيرهم الدراسي وسلوكهم، كما كان يتابع دراسة الطلبة والطالبات الذين يدرسون في مختلف التخصصات في البلدان التي عمل فيها، ويجمعهم وينظم لهم الجولات وزيارة المتاحف والآثار التاريخية.

وكان يوجه الدعوات بشكل مستمر لأقاربه لزيارته ويبدي لهم كافة أوجه الإقناع وصور الترغيب، فيغري السيدات والأطفال بالمراكز التجارية ووسائل الترفيه المتوفرة في المدن التي عمل فيها، وينظم لهم الرحلات البحرية والبرية.


(في كراتشي).

ومن الطبيعي لإنسان اجتمعت فيه هذه الخصال أن يكون على قدر عال من التواضع، بسيطاً مع الصغير والكبير، والفقير والغني، والسعودي وغيره، بحيث يشعر كل من يعرفه بأنه يرتبط بعلاقة خاصة به.

الطفولة والأطفال عند «أبو سليمان»:

والطفولة عند الشيخ محمد كان لها معنىً خاصٌ جداً، ومن المؤكد أن الجو العاطفي الأسري الذي نشأ فيه وأحيط به، وما قدر الله عليه من وفاة والدته وهو في سن الرضاعة، ثم فقدان زوجته في السنوات الأولى من زواجهما وإنجابها مولوداً واحداً فقط قدرت له الحياة، قد جعلت الشيخ محمد يخصص جزءاً كبيراً من وجدانه للأطفال، فقد أعطى الكثير من حنانه لأنجال إخوانه وأخواته وأقاربه وأصدقائه، كما قام في ماليزيا على تربية طفلة ماليزية مع أبويها في منزله.

ومن الطريف أن نذكر أن أحد السفراء الأجانب أسماه (بابا نويل) لكثرة ما لاحظ عليه من حب الأطفال وملاطفتهم والاهتمام بهم، إذ كان يخصص غرفة لديه لهداياهم وألعابهم، وكثيراً ما كان ينزل من سيارته ليلاطف طفلاً في الشارع.

يقول الأستاذ عبد الرحمن عبد العزيز الشبيلي:

الأطفال يمثلون الحياة والأمل والسعادة في قاموسه، ولذا كانوا دائماً موضع سعادته واهتمامه.



في منزل جميل الحجيلان بجدة (١٣٨٦هـ - ١٩٥٦م) وبجواره السفير أحمد الكحيمي.

ويذكر ابنـه سليمان أن والده كان يشعر بكثير من الراحة النفسيـة والطمأنينة عندما يقوم برحلـة جوية يوجد على متنها بعض الأطفال.

كـان يستلطف الأحـاديث مع الصغـار فينـاقشهم في دروسهم وميـولهم ورغبـاتهم ويحفظ قصصهم ونوادرهم وملحهم وطرفهم معه، وما يسمعه عنهم، ويظل يرددها بتندر واستلطاف.

يقول الأستاذ فايز الأسمري الذي عمل معه أربع سنوات في ماليزيا :

- كان أبو سليمان، حين يلتقي به الأطفـال، في غاية اللطف بالمعاملة فهـو يمازحهم، ويحاول غرس الخصال الحميدة فيهم ويشعرهم بالثقة في نفوسهم، وإذا حصل له موقف طـريف مع الصغار فهو لا ينساه، ويردده دائماً، ويجد فيه متعة وتسلية، ويعلق عليه بين فترة وأخرى تعليقات مختلفة لطيفة.

والواقع أن عالم الأطفال عند الشيخ محمد هو عالم خاص قائم بذاته يستحق في الواقع أن يفرد له فصل خـاص، ولكنه أخـذ من الـذكـر ما يكفي لـلإيضـاح من خـلال أقوال عـارفيـه ورواياتهم (في الفصـول القادمة).

المجاملة فن :

وكان مجاملاً إلى أبعد الحدود، ورغم أن المجاملة هي جزء لا يتجزأ من مقومات الكرم وحسن الأخلاق إلا أنه كان يضغط على نفسه وراحته وأعصابه من أجل مجاملة من عنده.

كان، مثلاً، لا يكتفي باستقبال الناس في المطار، بل يبذل الجهد في سبقهم إلى الفندق ليكون أيضاً أمامهم عند وصولهم إليه، وليحقق بذلك أصول المجاملة «البروتوكولية» في استقبالهم، كان لا ينام قبلهم، ويتخلى عن كل سياراته لضيوفه، ويعطل نفسه، كما كان يضع البرنامج للسائقين عندما يرسلهم في صحبة ضيوفه، فيرسم لهم خط الذهاب والعودة، وفي أي مطعم أو مقهى يتوقفون، وما جاء ضيف له إلى البلاد التي عمل فيها إلا وحرص على أن يكون ضمن برنامج زيارته أهم المعالم السياحية والبقاء فيها عدة أيام.



مع بعض أصدقائه في إحدى رحلاته (القاهرة غالبا) ويبدو في الصورة حسن أشعري وماجد برزنجي وعبد العزيز داغستاني وغيرهم.

ولنا أن نتصور كيف يمكنه ـ والحالة هذه ـ أن يوفق بين إدارته لبرنامج ضيوفه ومتابعته لهم وبين التزاماته الدبلوماسية، وبخاصة أنه أصبح عميداً للسلك الدبلوماسي في ماليزيا مع ما يتطلبه ذلك من مقابلات إضافية ودعوات وحضور مناسبات.

ولقد سبقت الإشارة إلى أن دعوة واحدة لزواره لا تكفي، فطوال إقامتهم لا بد وأن يتناولوا الغداء والعشاء في منزله، أو في أحد المطاعم بدعوة منه ما لم يكونوا في برنامج يضعه هو لهم خارج المدينة.

وكريم بجاهه :

وبطبيعة الحال فإن صفة الكرم لا تكتمل عند إنسان ما، إذا لم تقترن بنسبة عالية من الشهامة والنخوة وخدمة الآخرين، لتتحقق بذلك سمة «الرجولة» بمعناها ومفهومها الاجتماعي الواسع، حيث يكون الإنسان على قدر معين من مجموع تلك الصفات الحميدة، بل إن الكثير من الناس في مجتمعنا يعتقد أن الكرم الحقيقي ليس في بذل المال بقدر ما هو في بذل الجاه.

ولقد وفّق الله سبحانه وتعالى الشيخ محمد؛ لأن يضع نفسه في خدمة الآخرين، فبقدر ما كان يجد الراحة والمتعة في الإنفاق، فهو كذلك لم يتردد في استثمار جاهه، وتقدير الناس له، ليكون عوناً لمن يحتاج إليه سواءً في الداخل أو الخارج، وسواءً كان المحتاج قريباً له أو بعيداً عنه وسواءً كان مواطناً سعودياً أو من رعايا دولة أخرى.

والمقالات التي كتبت عنه ـ في الفصول القادمة ـ تزخر بالأمثلة، وإن كان من أفضل ما يمكن الإشادة به، وتسجيله، من خدمات له في هذا المجال إقدامه وبكل جرأة وشهامة على التوسط والشفاعة في قضايا حساسة وخطيرة، يكون من تورط فيها قد غُرّر به أو وقع فيها عن جهل، وتكون تلك الوساطات من قبل الشيخ محمد مدعاةً للتقدير والإكبار بشكل أكبر عندما نعرف أنها تتم أحياناً مع سلطات خارجية عرفت بالقسوة والشدة والبطش.

وكنا نراه عندما يحضر إلى المملكة وهو يتنقل بين الوزارات والدوائر الرسمية، ومن حالة إلى أخرى، ليس له فيها أي مصلحة إلا أنها سعي لخدمة الآخرين، يرجو بها وجه الله سبحانة وتعالى، وكثيراً ما

كانت هذه الجهود من الأسباب الرئيسية في تأخير سفره، وبقائه في المملكة أياماً إضافية حتى يتمكن من إنهاء قضايا كان قد بدأ بها.

وكان لسانه يلهج دائماً بالشكر والثناء لولاة الأمر والمسؤولين، لاستجابتهم لشفاعاته ووساطاته، ويشير، بوجه خاص، بكثير من التقدير، إلى مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، يحفظه الله، وسمو الأمير عبد الله، ولي العهد، وسمو الأمير سلطان، وسمو الأمير نايف، وسمو الأمير سلمان، وسمو الأمير أحمد، فهم من أكثر من كان يعينه على حل المشكلات التي يبذل جاهه فيها، وكان يعزو الفضل لأهله، بعد الله، فيما يوفّق فيه عند قضاء حاجات الآخرين ومساعدتهم.

ولو استعرضنا بعض الحالات التي بذل جهوده فيها لوجدنا أن كثيراً منها لا يمتّ إلى عمله أو اختصاصه بأية صلة، وأحياناً قد تتم مع شخصيات لا يعرفها أو لا علاقة له بها، فالعديد من أصحاب الحاجات الذين يقصدونه يعرفون مقداره ومكانته عند المسؤولين، وأنه بالأحرى سينجح في الوساطة تقديراً له.

ويذكر الأستاذ محمد صالح أبو بكر أنه كان يعلق الأبيات التالية في مجلسه (وهي من نظم الإمام الشافعي يرحمه الله):

النـاسُ للنـاسِ مـادَامَ الحيـاة بهم	والسّعـدُ لاشك تـارات وهبّـاتُ
وأفضلُ النـاسِ مـا بينَ الـوَرَى رجلٌ	تُقضىَ على يـده للنـاس حـاجـاتُ
لا تمنعن يـد المعـروف عن أحـدٍ	مـا دُمت مقتـدراً فـالسّعـد تـاراتُ
واشكـر فضـائل صنع الله إذ جُعلتْ	إليكَ، لا لـك، عنـد النـاس حـاجـاتُ
قـد مـات قـوم ومـا مـاتت مكـارمُهم	وعـاش قـوم وهـم في النـاس أمـواتُ



صور من شهامته :

ومن الأمثلة البارزة لصور الشهـامة التي قـام بها، نستشهد بعـدد من القصص التي رواهـا أخوه الأستاذ عبد الله حيث يقول في رسالة خاصة بعث بها إلى المؤلف :

- حينها كان يعمل في العـراق ممثلاً لبلادنـا، تعرضت أسرة سعودية كـريمة مقيمة هنـاك إلى امتحان صعب، تمثل في التغرير بإحـدى بناتها من قبل شخص، انتهز صغر سنهـا وجهلها، حيث داعب عواطفها الطفوليـة البسيطة بإغراءات الزواج والسعادة مع الوعـود البراقة الأخرى، مع أن هدفـه كان ابتزاز أهلها؛ لأنـه لـم يكن من مستواها الاجتماعي ولا من مـذهبها، وحينها علم الشيخ محمـد بـذلك هب لنجدة الأسرة حتى تمكن، بفضـل الله، من إعادة ذلك الشخص ومعـه الفتاة من بلد مجاور، حيث كان ينوي مساومـة أهلها ، وأجبر على التخلي عنها وأودع السجن، وحفظت للأسرة كرامتها وسمعتها، ودون أن تمس الفتاة بـأي أذى، وقد ساعده على ذلك توفيـق الله ثم مكانة بلاده ورصيده الكبير مـن الصداقة مع العديد من مسؤولي تلك البلاد.

- وأثناء عمله قنصـلاً بالبصرة قدِم أحد المواطنين بقصد السياحـة و إصلاح سيارته وشراء ما يحتـاجه من قطع الغيار، وأثنـاء وجوده في محل عـام حصلت مشادة بينـه وبين آخـرين كانـوا يحاولون ابتـزازه ومضـايقته، وأسفـر ذلك عن مقتل أحدهـم، وقد تمكن بما له من الصداقة مع المسؤولين هناك من إنقاذه و إعادته للمملكة بعد دفع الدية عنه.

- تمكن خلال عمله سفيراً في بغداد من إنقاذ العديد من أبناء البـادية السعودية والعراقية القاطنين في المناطق الحدودية بين العراق والمملكـة، حيث كان ابن البـادية يجتـاز الحدود بين البلدين، دون اعتبـار للتعليمات المتصلة بحمل الـوثائق الثبـوتية، جهـلاً منهم بها، وكانـوا حين دخولهم للعـراق يعتبرون مهربين، وتقـوم السلطات المحليـة بمصادرة أمـوالهم وركائبهم، وقـد بذل الكثير في هـذا المجال مع السلطات في البلـدين، لتوعيـة هؤلاء السكـان والسماح لهم والعفو عنهم بحجة جهلهم وحسن نيتهم، وآخر حادثة حصلت كانت قبل يوم من مقـابلته للرئيس أحمد حسن البكر بقصد توديعه، قبل مغادرتـه العراق، وأثناء الحديث عن الباديـة مع الرئيس الذي كـان يرتاح لحديث الشيخ محمد في هـذا المجال، أتى على ذكـر تلك الحادثة التـي كان ضحيتهـا مـواطن سعودي من قبيلـة مطير، صـودرت جماله ومـا تحملـه من دهن وإقط وخلافه، فما كان من الرئيس العراقي بعد سماعه للحـادثة إلا الاتصال بمحافظ المنطقة، وتعميده بإخلاء سبيل المواطن، مع إعادة جمالـه وأحمالها، وأن يعتبروه ضيفاً على المحافظـة، ويرحّل على حسابها إلى بغـداد لمقابلة السفير وتطمينـه بأنّ ما قدم به أعيد له، وسمح لـه ببيع أحماله وشراء ما يلزمه قبل عودته للمملكة.



- وخـلال عمله في بـاكستـان تعرضت أسرتـان عـربيتان لامتحـان صعب حيث غـرر مواطنـان بـاكستانيـان ببنتين للأسرتين، وهـربا بهما إلى باكستان، وعنـد الاستنجاد به تمكن بما لـه من رصيد كبير مع المسؤولين، من إعـادة الفتاتين، وبذلك صان كرامة الأسرتين وسمعتهما.

- وفي يوم من الأيام حـدثت مشادة بين سائق مرافق لـوفد أفغاني زائر وبين أحد الشباب بجـوار المسجد الحرام في مكة المكرمة، أدت إلى احتجـاز السائق لتجاوزه بالضرب، وكـان الشيخ محمد يومها في جدة، فتـوجه إلى مكة المكرمـة لمقابلة الشاب وطلب العفو عن السـائق، وكانت المفاجأة أن والد الشاب كان ممن شملهم الشيخ محمـد بلطفه من قبل، وكان يتمنى أي فرصة تتاح له لرد الجميل.

-خلال عمله في العـراق تعرض أحد موظفي وزارة الخارجية إلى زلـة غرر بالوقوع فيهـا، ولولا فضل الله ثم غيرة خادم الحرمين الشريفين ـ يحفظـه الله ـ على أبناء وطنـه (وكان وزيراً للـداخلية آنذاك) لطـال موضوعـه، إذ بمجرد أن التمس العفو عنه مؤكداً على حقيقة أمانته وحسن خلقه وبعده عن أي شائبة خلقية أو مسلكية مع ضمانه لتلك الصفات، حتى أمر ــ يحفظه الله ـ بإخـلاء سبيله وحفظ قضيته وعـاد لذويه ولعملـه في الوزارة، كما طلبه أبـو سليمان للعمل في معيته في سفارة أخرى.

كما حصل التبـاس في الحادثة نفسها لمواطـن مقيم بالـزبير، وكان لاتصـاله بسمو الأمير نـايف بن عبـدالعزيـز وزير الداخلية ـ يحفظه الله ـ أثره في إبراء ساحة المواطن، وقد أعيد لأهلـه بعد أن استقبله سموه وطيّب خاطره.

- وخلال عمله في مـاليزيا بذل جهـوداً جبارة لإنقاذ عدد من شباب المملكـة ممن تعرضوا للمساءلـة والاعتقال نتيجة ارتكاب أخطـاء نظاميـة (سواء في مـاليزيا أو أنـدونيسيا أو تـايلند) حيث كـان يحل مشكلاتهم مع السلطـات، ويدفع الغرامات عنهم ويعيـدهم إلى أهاليهم مع إيضاح حقيقة تصرفاتهم، وشرح ضرورة مراقبتهم، وقـد زار المناطق التي يكثر فيها الشباب الخليجي، كما ذهب إلى حـدود تايلند مع بورما وكمبـوديا وقابل المسؤولين هناك وطلب المسـاعدة على حماية الشباب الذين يفدون إلى تلك المنطقة.

- وفي مـاليزيـا، حينما كـان يعمل هنـاك، حصلت أزمـة داخل الحزب الحاكم ومع الحزب المعـارض أيضاً، وكـان الاختـلاف حول تطبيق الشريعـة الإسلاميـة هنـاك، وقد اقترح حـلاً مناسبـاً لإنقـاذ الموقف بعد أن استشـاره أحد كبـار المسؤولين الذين كانوا جميعاً يقدرون مكانة المملكة ويكنون لـه الاحترام ويعتدون برأيه ومشورتـه.

ـ ويروي الشيخ محمد المنصور الرميح تفاصيل الدور الذي قام به الشيخ الشبيلي مع بداية عمله في باكستان للتدخل في قضية شخصية كويتية من أسرة «الشاهين» احتجز في باكستان، وقد تدخل بكل ثقله، وكان مما عمله أنه استدعى الشيخ الرميح من موقعه في البصرة (حيث خلف الشيخ محمد قنصلاً في البصرة) ليستعين به في التأثير على القنصل الباكستاني في البصرة، ويصور له عواقب استمرار احتجاز تلك الشخصية على مصالح الباكستانيين في الكويت حتى أفرج عنه.

ـ وكان لأسرة الذكير ـ المعروفة في عنيزة ـ حضور وتجارة وجاه بارز في بغداد والبصرة، وكانوا قبل إنشاء القنصلية في البصرة يتلقون أوامر الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ مباشرة، وتأتي قضايا التموين في مقدمة الخدمات التي كانوا يقومون بها، وفي الخمسينات الهجرية، تعرض الشيخ سليمان وشقيقه حمد المحمد الذكير لمضايقات من الحاكم العسكري الإنجليزي في البصرة ويدعى «مستر لويد» ثم احتجزهما، وبعرض الأمر على الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ استدعى القنصل البريطاني في المملكة،



عبد الرحمن الصالح الذكير (في بغداد) يصافح سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز. (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)

وطلب منه سرعة الإفراج عنها معتبراً ـ طيب الله ثراه ـ أن مضايقتها بمثابة مضايقة لابنيه سعود وفيصل .

ويذكر الشيخ محمد المنصور الرميح ـ الذي أورد تفاصيل هذه القصة المعروفة ـ أنه كان للشيخ الشبيلي دور كبير في متابعة الموضوع وعرضه على أنظار جلالته ، إبان عمله في الديوان الملكي وذلك بالتعاون والتنسيق مع الشيخ عبد الله ابراهيم التركي وكيل الذكير بالبصرة في ذلك الوقت .

ـ وفي التسعينات الهجرية (السبعينات الميلادية) ، وأثناء الطفرة الاقتصادية وما تبعها من متغيرات في أسعار العقود وتكلفة تنفيذها ، تعرض بيتان من البيوت التجارية المعروفة في المملكة للخسارة في بعض المشاريع بسبب تلك الظروف ، فوقف الشيخ محمد معهم وساندهم في التماس تخفيف تلك الآثار وتقدير الظروف الاقتصادية العامة التي تمر بها المنطقة ، وتابع موضوعاتهم حتى انتهت نهاية إيجابية .

ـ وروى الدكتور محمد عبده يماني من ذكرياته مع الشيخ محمد وقدرته على مساعدة الناس كافة ، دون تفرقة ، أنه زاره يوماً في بغداد ، وأثناء السلام عليه ، لاحظ أنه يوصي بضيف من الضيوف ، وينبه على الخدم بأن يعدّوا له الإفطار وألا يزعجوه في نومه ، وقد قدّر أن الضيف لابد وأن تكون له مكانة اجتماعية أو سياسية كبيرة ؛ لأنه أنزله في ضيافته وخصص له في ذلك الوقت غرفة خاصة وهو يتابع على هذا النحو موضوع طعامه وراحته ، وبعد فترة نزل الضيف فإذا هو رجل من البادية جاء يشكو إلى السفير أن بعض جماله قد ضلت الطريق ، ودخلت الحدود العراقية ، وهو يطلب الوساطة لرد إبله بعد أن صودرت في العراق .

وقد اصطحب الشيخ محمد الضيف معه إلى وزارة الداخلية العراقية ثم عاد به بعد الظهر وقد أنهى موضوعه وأكرمه وساعده على الرحيل .

ـ ويروي الأستاذ عبد الرحمن الغنام الذي عمل في مكتب الملحق الثقافي في بغداد هذا الموقف الإنساني للشيخ محمد :

- زرته يوماً بعد المغرب ووجدت عنده الملحق العسكري السعودي ، وقبل أن أجلس طلب مني مرافقته في زيارة قصيرة ، حيث دخلنا في أحياء شعبية إلى منزل صغير لتقديم العزاء في وفاة قريب لسكانه يعمل في منطقة القصيم ـ توفي في حادث سير ـ وقد كان لهذه الزيارة أثر كبير في نفوس أفراد هذه الأسرة ، فنسيت حزنها بمبادرته ومواساته ، وقد قدم



مع مجموعة من الطلبة السعوديين في باكستان.

الهدايا لأطفالها وطلب من أحد أفرادها أن يسافر إلى المملكـة لإحضار الجثمان إلى بغداد، وقدّم لهم كل ما يلزم لذلك، كما اتصل بابنه سليمان لاستقبال المرافق وإكمال اللازم هناك.

- وموقف إنساني آخـر :

- كنا في اليوم السابع من ذي الحجة وقد وصلت إلى السفارة في بغداد مجموعة من الحجاج الأفغان قادمين من الكويت بعد إقفال الحدود في التاريخ المحدد المعتاد لانتهاء فترة دخول الحجاج، وقد نصحوا في الكويت بمراجعته حالاً في بغداد، وما إن علم بالأمر حتى اتصل بالديوان الملكي، وعرض المشكلة ملتمساً الإذن لهم واستضافتهم وحجهم على نفقة الدولة، وتم ذلك بالفعل بتجاوب كريم من ولي الأمر.

- ويُذكر أن الشيخ عبد الله المطلق الفهيد - يرحمه الله - كان يشتري المعدات والآلات من مخلفات الجيش البريطاني (بالشعيبة في العراق) ومرة استأجر أناساً لإيصال ما اشتراه إلى الكويت، ثم ساءت نية هؤلاء وادّعوا أن دورية الحدود صادرت البضاعة، فذهب إلى الشيخ محمد، منزعجاً من خيانتهم فتأثر مما

حصل، واستدعى الشيخ راشد الفقيه وأخبره بالقصة، وكان الشيخ الفقيه شجاعاً وشهماً وله معرفة بهؤلاء وأعمالهم.

قال الفقيه: «**الحمد لله يا أبو سليمان أني رأيتك واجتمعت بك وحصل لك لازم**».

وأكد له أن كافة بضاعة الشيخ عبد الله سترد في الغد.

ثم سأل أبو سليمان الشيخ الفقيه عن أولاده وأين يدرسون فأخبره بأنهم يدرسون في الزبير، فقال له: **أنتم منا ومنشؤكم من سدير، ولابد من أن تستعيدوا الجنسية السعودية.**

وتمّ ذلك بالفعل، وأكمل أبناء الشيخ الفقيه دراستهم في بغداد على نفقة الحكومة السعودية، وهم الآن، من خيرة الكفاءات الوطنية.

- ويذكر الشيخ حمد بن علي المبارك أحد أصدقائه القريبين منه:

- عند انفصال بنجلاديش (باكستان الشرقية سابقاً) عن باكستان الغربية، خرج عدد من الطلبة السعوديين إلى أفغانستان، فاستضافهم وأسكنهم ورتّب لهم المواصلات لقضاء عدة أيام في أفغانستان، ثم طلب لهم طائرة سعودية خاصة نقلتهم إلى الظهران ثم الرياض ثم جدة وكان عددهم في حدود مائة وخمسين طالباً.

مربياً وأديباً:

ومع أن الظروف وطبيعة الوقت لم يسمحا للشيخ محمد بمواصلة دراسته العليا، فقد كان هاجسه الأول بالنسبة لابنه وإخوانه وأقاربه وعدد من أصدقائهم، هو حثهم على إكمال دراستهم في أفضل المدارس والإنفاق عليهم بسخاء لتحقيق هذا الهدف، كما كان يتولى الصرف على بعض زملائهم في الدراسة، فبعد إكمالهم المرحلة الابتدائية، بادر بنقلهم إلى مدارس في الهند، ثم أتاح لهم فرصة الدراسة الجامعية في مصر، ثم انتقلوا إلى المملكة بعد بداية الستينات (الميلادية) مع غيرهم من الطلبة السعوديين، لإكمال دراستهم الجامعية في جامعة الملك سعود، وكان يحثهم فيها بعد على مواصلة دراساتهم العليا واكتساب اللغات.

وفي الدول الثلاث التي عمل فيهـا وتتشابه أنظمتها التعليميـة مع أنظمة المملكة ـ (العـراق وباكستان والهند) ـ وحيث توجد بعثـات تعليمية سعودية ، كان يولي عناية خاصـة لرعاية أبناء المواطنين المقيمين أو المبتعثين للدراسة ، من طلبـة وطالبات أو من الوافدين للتـدريس ، فيتحرى عن أوضاعهم ويشجعهم ، ويحثهم على التحصيل ، ويتـولاهم بـالاهتمام والمتابعـة وتـذليل المشكلات والعقبـات ، ويحضر تخرجهم ، ويشعر من يتفـوق منهم أو من يتابع دراسـاته العليا من ذوي التخصصـات العلمية والنـادرة والتطبيقية بكثير من الاهتمام الخاص والتقدير والإشادة بهم ، ويقيم لهم حفلات التكـريم ، ويخصهم بالهدايا المتميزة تعبيراً عن اعتزازه وفخـره بهم ، ولقد سـاهم ـ يرحمه الله ـ بشكل خاص في سنـوات حياتـه الأخيرة بتقديم الدعم لإنشـاء الجامعة الإسلامية العـالمية في ماليـزيا ، واشترك في عضويّـة مجلس أمنائها ، ممثلاً لحكـومة خـادم الحرمين الشريفين ـ يحفظـه الله ـ التي أسهمـت إسهامـاً سخياً مـاديـاً ومعنويـاً ، في تأسيس تلك الجامعـة وأمثـالها في البـاكستـان والنيجر وغيرهـا ، (وكلهـا من ثمار التعـاون ضمن إطـار منظمـة المؤتمر الإسلامي) .

فقد ذكر الدكتور محمد عبـد الرؤوف مدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليـزيا ؛ أن الجامعة الإسلامية تلقّت بواسطـة الشيخ محمد تبرعـات إضافيـة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهـد بن عبدالعـزيز آل سعود ـ يحفظه الله ـ بلغت مليوني دولار في العام الأول من إنشاء الجامعة (عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

وكان من مظاهر عنـايته بالجامعة الإسلامية العـالمية في ماليزيا ، أنه أثنـاء مرضه الأخير طلب إلى أخيه عبد الله أن تسلـم قطعة كسوة الكعبـة المشرّفة التي ظـل يحتفظ بها سنين طويلـة هدية إلى تلـك الجامعة ، لتبقى رمزاً وذكرى للدور السعودي الكبير في تأسيسها .

ـ ويقول الـدكتور محمد عبـده يماني والأستاذ عبد الله النعيم والـدكتور يحيى ساعـاتي أن للشيخ محمد دوراً كبيراً في دعم جامعـات المملكة بشراء عدد كبير من المخطـوطات النادرة ، وكـان يضحّي بالكثير من الوقت والجهـد ويستفيد من قنوات اتصالاتـه وقدراته الدبلـوماسية لنقلها وإيصـالها إلى الجامعات ، وأن كثيراً من الكتب النادرة في جامعة الملك سعود قد توفرت بمساعدته .

كما يذكر الأستاذ عبد الرحمن العليان ـ مدير التعليم الأسبق في عنيزة ـ في مقابلة مطولة أجراها معه مركز ابن صـالح الثقافي ، أن هنـاك صوراً متعددة من الخدمـات الجليلة التي قـدمها الشيخ محمـد للتعليم في



صورة لمجموعة من الطلبة السعوديين وزملائهم البريطانيين، التقطت في حديقة جامع لندن، من الجالسين: براهيم الحماد وعبد العزيز الخويطر، وعبد الرحمن أبانمي، وسليمان العبد الله الشبيلي، ومن الواقفين: محجوب حسنين، (وقد وجدت ضمن أشيائه الخاصة وربما التقطت عام ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).

عنيزة، وأنه شهد توقيع عقد إقامة المركز، وأن مدارس عنيزة كانت تحتفل بزياراته تقديراً لمكانته ووطنيته وخدماته، وأنه أجّل سفره مرة، لكي يتمكن من زيارة معرض فني أقيم فيها، وأنه قدّم الهدايا للمشاركين فيه تعبيراً عن سروره البالغ بالمعرض وتشجيعاً لهم، وكان يشجع تعليم المرأة، قبل بدء تعليم البنات الرسمي في المملكة.

- ويقول العلامة العراقي «محمد بهجت الأثري»[(١)] (في اتصال هاتفي من العراق):

- لقد عرفت الشيخ محمد رجلاً صادقاً ودوداً حليم الخلق، أديباً مثقفاً وقريباً من الأدب والأدباء، يشملهم برعايته ويكرمهم تكريماً معنوياً بإقامته أمسيات أدبية ثقافية لهم، ويحرص على حضور أمسياتهم الأدبية التي كانوا يقيمونها، أديباً مثقفاً له رأيه الصادق الحر في كل ما يقدمونه من أعمال أدبية، وقد كان وجهاء الأدب والعلم آنذاك يأخذون برأيه

---

(١) عضو المجمع العلمي العراقي وشيخ من شيوخ العلم، وأديب موسوعي، عرف شاعراً وباحثاً ومؤلفاً وسياسياً وعالم لغة ومؤرخاً وعضواً في عدة مجامع علمية عربية (عضو المجمع العلمي المصري والمجمع العلمي السوري والمجمع العلمي المغربي)، نال العديد من الجوائز والأوسمة، منها جائزة الملك فيصل في الأدب العربي.

كواحد ممن يوثق في رأيهم .

لقد عرف الشيخ محمد بمواقفه الوطنية المتميزة والثابتة من خلال صدقه في التعامل مع الأحداث التي مرت بها الأمة العربية في ذلك الوقت ، ولقد كان مخلصاً وصادقاً في كل ما قدمه خلال مسيرته سواء في الحياة أو العمل ، وكان كريماً بشكل أسطوري يذكّرنا بمشاهير العرب الذين تميزوا بالكرم والخلق والحلم والجلد والصبر.

ـ إن الذي يطلّع على نماذج من رسائله إلى ابنه وإخوانه يلاحظ بوضوح كيف أنه خصّهم وأبناءهم وأقاربه برعاية خاصة ، واهتم بأمور تربيتهم وتعليمهم وزرع الصفات الخيرة فيهم وتعويدهم على الإيثار والبر والفضيلة ، ويندر أن يوجد في أسرته من لم يتلقَ شيئاً من متابعته وتوجيهاته ، ويتأثر بإرشاداته ونصائحه في القرب أو البعد ؛ لأن الكل كان يدرك حبه واهتمامه وحرصه في مسألة الدراسة ، بالذات ، ومواصلتها والتفوق فيها ، وكانوا يهابون اللحظات التي يلتقون به خلالها ، إذ يجدون في أسلوبه الرقيق والودود ، ما يؤثر فيهم ويحفزهم أكثر مما كان يجدى أسلوب آخر ، فتجد بعضهم يجتهد طوال العام تحسباً للموقف الذي يقفه أمام الشيخ محمد عند لقائه ، حيث يناقش ويسأل بالتفصيل عن مراحل الدراسة والتحصيل .

كان يتطلع ، وقد أدرك ابنه وإخوانه في موقع مسؤوليات إدارية ودبلوماسية ، أن يخطوا خطواته ويقتدوا به في خدمة الناس ويقتفوا أثره في البذل وصلة الرحم ، وكل الصفات الفاضلة التي كان يحرص على غرسها فيهم ومارسها هو بنفسه ونال تقدير الآخرين ومحبتهم بسببها .

ومن هنا ظل الشيخ محمد مثلاً أعلى لذويه وأقاربه ، ومصدر فخر واعتزاز وقدوة فاضلة لهم ، ومدرسة تتلمذوا فيها على يديه وتعلموا من خلال مراقبتهم له واحتكاكهم به وقربهم منه ، ما جعلهم يقرون بأن السمعة الحسنة التي خلّفها بعده رصيد كبير وكنز من الفضائل لأسرته كافة ، لا يجوز أن تذبل أو تتلاشى أو تختفي من بعده .

ـ يقول ابنه سليمان :

عندما كان سفيراً في باكستان ، حالفه الحظ بتقديم خدمات جليلة للمبتعثين للدراسة (بنين وبنات) ، عسكريين ومدنيين في كلّ من كراتشي ولاهور، وكان بمثابة الوالد لهم ، فهم موضع اهتمامه ورعايته ، وقبل تأسيس مكتب للبعثات

هناك كـانوا يتلقـون رواتبهم من السفارة، فكـان يسانـدهم ويدعوهـم لحضور كل مناسبـة، كما شجعهم على تأسيس صندوق للطلبـة ودعمه بالمال الـلازم، وما من زائر لتلك البـلاد إلا وشجعه على زيارة الطلبـة في أماكن إقـامتهم، وكان يـدعو دائماً للمسـاهمة في صندوقهم، ونجـد بين أوراقــه خطابـات عديـدة من إدارة الصنـدوق بالشكـر والتقديـر على مساهماته، ودعمه السخي وتشجيعه المتواصل للطلبة والمبتعثين.

وكان للجـاليات السعودية المقيمـة هناك، نصيب وافر من هـذه الرعاية، فهـو يجتمع بأفرادها ويـزورهم في منازلهم، ويستقصي أمورهم، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم مهما بَعُد المكان.

وكـان يحرص على دعوتهم للسفـارة في جميع المناسبـات، وعلى اصطحاب الهدايـا لأطفالهم بما يتنـاسب مع أعمارهم، فقويت الصلات وتعمقت العلاقات بينه وبينهم، وظلت هذه الذكرى الطيبة تلازمه حتى رحيله إلى الرفيق الأعلى.

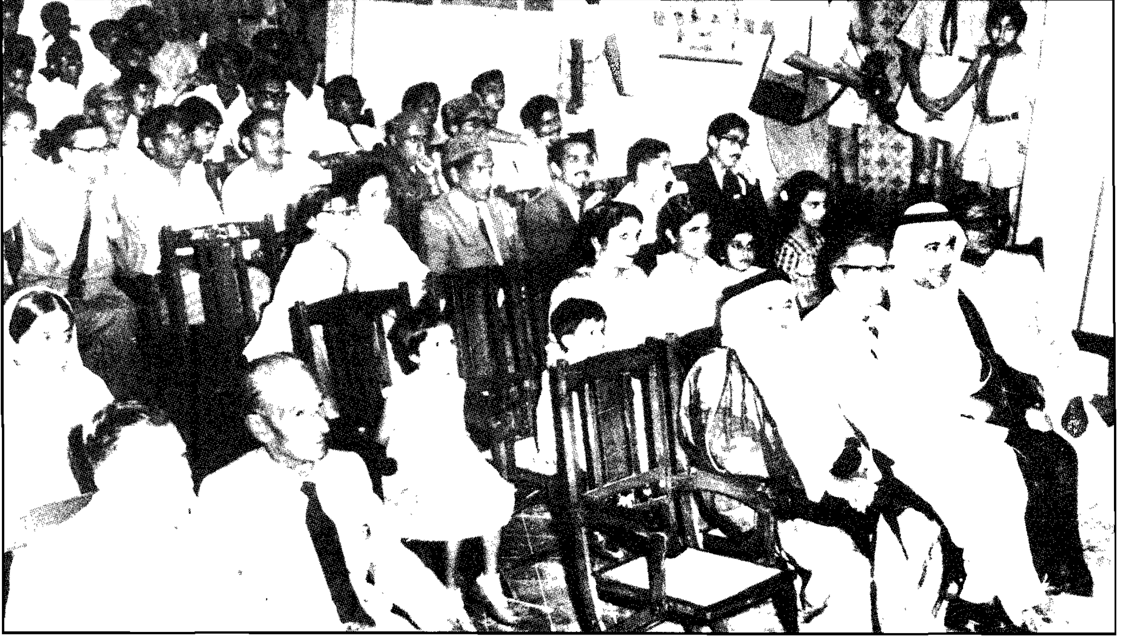
أما الطالبات المبتعثات، فكان لهن عنده نصيبٌ طيبٌ من العنايـة والرعاية، حيث كان يرسل لهن الهدايا الجميلة التي تذكرهن بوطنهن، وكان يحرص على إرسال بعض الأكلات الشعبية لهن في الأقسـام الداخلية كما كان حريصاً على متابعة تقدمهن في الدراسة.

وعندما كان سفيراً في أفغانستان، دأب على دعـوة الطلبة والطالبات من باكستان لزيارته، شـارحاً لهم ما يتميز به هذا البلد المسلم (أفغـانستان) من منـاطق سياحيـة وتاريخيـة، لتشجيعهم على زيارتـه، وكان معهم، كعادتــه في استقبالهم وإعداد البرامج اللازمة لهم، فكانت صلته بهم على أوثق ما تكون الصلة بين الأب وأبنائه.

كما كان الأسـاتذة السعـوديون هنـاك موضع تقديـره وعنايتـه، فكان يحرص دومـاً على الاجتماع بهم، وتقصّي أمورهم وزيارتهم في منازلهم بقدر ما يسمح له الوقت، ويدعوهم للمشاركة في كل حفل أو مناسبة يقيمها.

مع الشبــاب :

ومن الجوانب المحببـة في شخصية الشيخ محمـد، التقـاء الشباب في مجلســه، ولا شك أن مكمن هذا السر ليس في المكـان بقدر مـا هو بصاحبـه، فمنذ أن كان شـاباً وحتى آخر يـوم سقط فيه مـريضاً، متقدمـاً في السن، كان يجتمع في مجلسه الطفـل والشاب، ويطيلون الجلـوس عنده، فلا يتخلصـون منه بسهـولة، كـانت علاقتـه بـالشباب عـلاقـة صحيحة، وطـريقته معهم كـانت خـاصة، فهـو يفهمهم ويتفهمهـم، وكانوا يجلّونه ويحبّونه؛ لأنه يقدّرهـم ويعاملهم بود ولطف وهدوء ورفق.



مع عبد الرحمن المنصور الزامل في حفل مدرسي.

وكان الصغار قبل الكبار يتوقون إلى رؤيته، يتذكّرونه بكلماته ولطفه وبنوع هداياه، والشباب يهابونه بحب وإكبار، فيأنسون إلى مجلسه وحكاياته رغم فارق السن، ويستمعون إلى حديثه ويتقبلون توجيهاته برحابة صدر، ويحسبون للقائه كبير حساب، ليس خوفاً منه بقدر ما هو تقدير واحترام وإجلال ممزوج بالإعجاب، وإذا أكرم أُسرهم فإنه كان يضع ترتيباً خاصاً للشباب فيهم، ويخصهم بمبالغ لتسوّقهم، فهو يشعرهم بالاهتمام والثقة بأنفسهم، ويكاد يعرف ما يدور في أحاسيسهم وأذهانهم من اهتمامات، فيلبّيها ويحقّقها لهم ولذا فإنه يبقى في ذاكرتهم ويتلهفون للقاء به مرة أخرى.

ـ يقول عنه الدكتور محمد عبده يماني:

- كان «عِشري الطبع» طيب القلب، يألف الناس ويألفونه ويرتاح للمناقشة والحوار معهم، وكان الشباب يحبون الاجتماع إليه والحديث معه؛ لأنه كان يتمتع بتواضع كبير ويحسن التحدث إليهم بلغة يفهمونها ويناقشهم بصدر رحب، لا تزمت فيه، ويعرض لهم ذكرياته بأسلوب شيق يتناسب وعقلياتهم.



(في بغداد) يزور سفارة أندونيسيا مهنئاً بيومها الوطني.

ـ ويقول الأستاذ عبد الستار سيرت :

– كان الشباب في مجلسه يشعرون وكأنهم في حلقة درس جذابة من مدارس الخبرة والحياة والأخلاق، ويتمتعون في الوقت نفسه بحنان الوالد الشفوق والأخ الكبير، يضعون ثقتهم فيه ويحترمونه بكل قلوبهم.

ـ أما الدكتور عبد الهادي التازي فقد قال عنه :

– كان في تعامله مع الشباب الأب المرشد، يأخذ بيد الشباب الحائر والمتردد.

ـ ومن الأمثلة التي تبرز تفاعله مع الشباب، تلك الأخبار التي تناقلتها الصحف السعودية عندما أقيمت دورة تصفيات آسيا لكرة القدم وشارك فيها منتخب المملكة.

فلقد عاش مع المنتخب فرداً منهم، وشاركهم في كل تفاصيل برامجهم، وجنّد لهم المشجعين وأقام لهم ولمنافسيهم الدعوات، ووفّر لهم كافة التسهيلات التي جعلتهم يستمتعون بإقامتهم، وينجحون في مهمتهم وجعل من زيارتهم رحلة رياضية إعلامية ثقافية ممتعة.

- أما الأستاذ خالد فهد الحسين، من رعاية الشباب، فيصوّر في مقال كتبه عن الدورة؛ العناية التي أحاط بها وفد الشباب السعودي الذي أقام شهراً كاملاً في ماليزيا، وكان من اللفتات الرائعة التي شعر فيها بإحساسهم، عندما رتّب لهم في أحد أيام إقامتهم، زيارة سنغافورة لتشجيع الفريق السعودي للناشئين الذي كانت له مباراة هناك.



في جدة (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) يحتضن عماد جميل الحجيلان.

- ويصور الدكتور عبد العزيز الخويطر مواقف الشيخ محمد مع الشباب بالتعبير التالي:

- كان أبو سليمان يكسب الشباب؛ لأنه يجعل نفسه منهم، فلا تشعر وأنت معه إلا أنه من جيلك، وبهدوء وبمقدرة يكسبك إلى مستواه الناضج، فيبعدك عما قد تتصف به من حماسة لبعض ما لا يجب أن تتحمس له، بالإقناع الهادئ، وبالتسليم الجزئي المؤقت، وبالابتسامة الحلوة وطول البال الذي قد لا يفهمه المراقبون له، وينصرف الشاب وقد امتلأ إعجاباً.

يصنع «النكتة» وينسبها إلى غيره:

كان يحب المزاح وصناعة «المقالب» الخفيفة، ويتذوقها ويروي قصصها بأساليب متجددة، كما كان يجيد صياغة الطرائف والنكت، وينسبها أحياناً، وهي من حبكه وتأليفه وإخراجه، إلى أشخاص

أمثـــال عبد العزيز الحطاب المشهور بـ «ولد بلاله» الذي رافقه منذ الخمسينات الهجرية، حيث تعرف عليه من خلال محمد المنديل بالرياض.

ومن خلال ملازمة عبد العزيـز الحطاب له فترة طويلـة ـ حيث أنهما متقاربان في العمـر ـ ظل الشيخ محمد يروي النكتات والملح التي تصدر عنه، كما يضيف أو يركب عليها، أو يرويها بصيغ مختلفة.

ولقد عُرف عبـد العزيز نفسه عند النـاس من خلال هذه الرفقة الطويلـة لـ «أبو سليمان»، بكثير من الطرائف والملح والنـوادر معه، ممـا يصعب حصره، ولكن الموقف الإنساني الـذي لابد من تسجيلـه هو دور الشيخ محمد في تعرّف عبد العزيز على والده (عبد الباقي) الذي كان يعيش في الموصل (بالعراق).

فلقد كان قبلهـا يشتهر باسم «ولد العسكري» أو باسـم والدته التي تزوجها والده في عنيـزة، وقد قدم والده من العـراق ضمن الجيش التركي، ثم أقام فترة في عنيـزة يمتهن «الخرازة» وقد سـاعده إمـام المسجد على الزواج من عايشة البـلال، ثم سافر ولـم يعـد والأم حامل بابنها، ثم اكتشفه الشيخ محمد مصادفة، بمساعدة تاجر سعودي هـو «محمد الضبيعي»، فجمع أبو سليمان بين الأب وابنه إبّان عملـه في البصرة، وذلك في حدود عـام ١٣٧٠هـ (قبل وفـاة الأم بلالـه)، حيث سافـر الشيخ محمد من البصرة إلى الموصل ومعه عبد العزيز لهذا الغرض.

ومن «المقالب» التـي تروى عن الحطاب أنـه أقنع مرة أحـد التجار الخليجيين المعـروفين بأن يتقدم إلى القنصل (الشيخ محمـد) مدّعياً بأنـه أبوه، وأوهمه بأن ذلك سيسـاعد على فك الحجـز عن مبالغ لـه لدى القنصلية، وفي الوقت نفسه أخبر الشيخ محمد بهذه «التمثيلية».

وفي صباح الغد، جاء التاجر إلى الشيخ محمد مدعيـاً بأن لـه ابناً يعمل في القنصلية وأنه ـ أي التاجر ـ هو والده حيث كان قد سافر إلى عنيزة وتزوج والدة عبد العزيز، وأن الدنيا حياة وموت، وقد حان الوقت لكشف ذلك، وفي هذه الأثناء، دخل عبد العزيز وقبّل (والده) تمثيلاً.

أما الشيخ محمـد ـ الذي كان يحاول أن يمسك نفسه عـن الضحك ـ فقد قال للتـاجر: الحمد لله على هذه السـاعة الطيبـة التي جمعت بينكما، ورد ضالتكما، كما نحمـد الله أن عثرنـا عليك؛ لأن ابنك تحت

كفالـة القنصلية؛ فهـو مدين لآخـرين بمبالـغ كبيرة، فما كان من التـاجر إلا أن سحب ادعـاءه بسرعة، وتنكر لبنوّتـه، ثم انقلب الموقف إلى ضحك عندما انكشفت التمثيليـة.

ويتداول الكثير من أقـارب الشيخ محمد وأصدقـائه وعارفيـه العديد من القصص والطـرائف والمقالب التي صدرت عنه أو شارك فيها.

ومن لطيف ما يمكن روايتـه من طرائف الشيخ محمد، أنه في آخـر زياراته للمملكة قبيل وفـاة جلالة الملك خالد ــ طيب الله ثراه ـ لاحظ أن جلالتـه يعاني من ألم في رجليه، فتوسع الشيـخ محمد في ذكر دواء مجرب «من الهند»، وبعد أيام من استعماله قال جلالته مازحاً:

- هذا الـدواء يا شيخ محمـد لا يعدو أن يكـون «مرهم أبو شنب» الشعبي المعـروف لدينـا قديمـاً ولكنـك أخفيـت اسمه.

فقال الشيخ محمد:

- المهم يا طويل العمر أنه نفع.

الصبر وسعة الصدر:

وكان يشتهر ـ وربما يضرب به المثل لدى كل عارفيه ومحبيـه ـ بسعة البال، من ذلك أنه كان يتأخر عدة أسابيع عندما يعد بزيارة المملكة، ولكنه عندما يأتي لا يعود إلا بعد أشهر.

وكان يذهب لزيـارة إحدى مناطق المملكة لمدة يومين ثم تمتد الزيارة إلى أسـابيع وربما كان ينوي السفر في الغد ثم لا يسافر إلا بعد أيام، وكانت وزارة الخارجيـة تتجاوز عن ذلك لمعرفة المسؤولين فيها أنه يعطي من وقته وجهده وماله لأداء مسؤولياته أكثر مما يأخذ وفي أي موقع كان.

كان الوقت بالنسبة إليه لا يعني شيئاً طالما أنه في خدمة الناس، أو في استقبالهم، وأذكر أنني في حدود عـام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣هـ) رافقته مع والـدي ومعنا محمد المنصور الهديـان من مكـة المكرمـة إلى عنيزة، وفي صباح أحـد أيام السفر، وعنـد طلوع الشمس تقـريباً مررنـا بشخص تعطلت سيارتـه، وكان الشيخ



سمو الأمير متعب بن عبد العزيز وعبد العزيز بن أحمد السديري والشيخ محمد في لبنان .

محمد متكئاً على باب السيارة الخلفي وقد غلبه النعاس كعادته في النوم، وتوقف السائق وسأل صاحب السيارة المعطلة ما إذا كان بحاجة إلى مساعدة، فعرفنا أنه بحاجة إلى قطعة غيار، ولما كان نوع السيارة مختلفاً فقد اعتذر له السائق وواصلنا السفر في طريق ترابي غير مسفلت في ذلك الزمن، وبعد عدة كيلومترات، تنبه الشيخ محمد وسأل السائق عن سبب توقفه قبل قليل، إذ كان وقوفه أشبه بحلم، ولما علم السبب أمر السائق أن يعود الطريق كله للتأكد من عدم حاجة الرجل إلى مال أو طعام والأخذ بخاطره أكثر.

ومن طريف ما يروى عن طول بال الشيخ محمد، تلك القصة التي تقول: إنه كان يتحدث، مرة، مع صديقه الشيخ محمد المرشد الزغيبي بعد صلاة العشاء، وكان كل منهما يمشي مع الآخر كي يوصله إلى



مع عبد الهادي التازي (سفير المغرب) ومحمد عبد اللطيف الحمد (سفير الكويت) في بغداد (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).

منزلـه، حتى أدركهما أذان الفجـر، فاقترح أحدهما أن من الأنسب طالما أنهما انتظـرا حتى ذلك الوقت أن يصليا الفجـر قبل أن يفترقا، وتكـرر مثل هذا الموقف مـع سمو الأمير متعب بن عبـد العزيز حيـث ظلا يتحـدثان بين صـلاتي المغـرب والعشاء، وهما واقفـان عنـد باب الفنـدق، حيث كـان أبو سليمان يـودع سموه، ولعل مثل هذا الموقف أو قريباً منه حصل مع آخرين.

- كان صبوراً وجلداً، عاش حياته، منذ صغره، قانعاً زاهداً بالمال والمنصب راضياً بما وهبه الله، ولقد تعرض لعدد من النكسات الصحية والمالية والاجتماعيـة التي تحملها بصبر واحتساب، وكان جل اهتمامه طـول حيـاته رعـايـة الآخـرين وإسعادهم، ويـذكـر الأخ عبـد الله الحمد الشبيلي في مقـالـه «في الفصل الخامس»:

– كان يـردد القول إنـه لا يحسد الآخـرين مهما بلغت منزلتهـم الرسمية والاجتماعيـة والمالية، ولكنـه يغبط فئتين من الناس فقط : من أدرك والديـه ووفق للبر بهما، وهو بكامل قدراته الصحية والماليـة، أو من منحه الله ملكة الشعر للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه .

وقد روى ابنه سليمان عنه في هذا الصدد ما يلي :

– عرف عنه الصبر والجلد والتحمـل وقوة الإرادة والاعتمـاد على نفسه في قضاء أموره، وكثيراً ما كـانت تعترض طريقة مشكلات إلا أنه كان يحرص على ألا يفضي بها حتى لأقرب الناس إليه .

ـ ولقد تـوّجت تلك الشمائل التي حباه الله إيّـاها بنعمة كبرى متممة لكل خصـاله، ألا وهي «نعمة التواضع»، وهي سجية لا يتصنعها ولا يفتعلها ولا يتظاهر بها .

وفي الكتابات العديدة التي تضمنتها الفصول القادمة من هذا الكتاب شهادات كافية على تمتعـه بهذه الصفـة .

ولقد أشـار معالي الشيخ تركي خـالد السديـري إلى أن مكانته في المجتمع ومـا يحظى به من تقديـر، ما كانت لتزحزحه عن التمسك بسمة التواضع، التي لا يتكلف فيها، دلالـة على الأصالة والنبـل .

«**الدين والمرجلـة دربها طويل**» مقولة أو مثل شعبي يرد أحيانـاً على ألسنة بعض المجربين من كبار السن من أهل نجد، وربما يوجد له شبيه في مناطق المملكة الأخرى أو في الشعر العربي، ولكن من يرقب مـا تتطلبـه المحـافظـة على الرجولـة وحسـن الخلق، من قبل «أبـو سليمان» ــ أو أي شخص مثلـه ـ و إصرارهم على أن يكـونـوا في الصفوف الأولى لمواجهـة الأمـور والقيام بـالـواجبـات وبـذل المـال والجاه والمبـادرات، لا يملك إلا أن يصدّق هـذا المثل، ويجد أنه ينطبق عليهم بصـدق ودقة، ولـذا فقد اخترنـا الآية الكريمة ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَـا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَـرُوا وَمَا يُلَقَّـاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عظِيمٍ**[1]﴾ . . مدخلاً لهذه الـدراسة وافتتاحية لها .

(١) سورة فصلت ـ الآية ٣٥ .

٣ ـ الدبلوماسية والإدارة : (البعد الدبلوماسي):

وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن البعد الثالث من أبعاد شخصية الشيخ محمد، رجل الدبلوماسية والإدارة، فإنه لابد من مقدمة :

يتصور البعض أن الدبلوماسية هي العمل في وزارة الخارجية، وأنها مجرد اختيار رجل ما سفيراً أو موظفاً في السفارة، أو أن هذا الرجل خبير في العلوم السياسية أو حاصل على دبلوم أو شهادة من مدرسة للعلوم الدبلوماسية.

والواقع أن «الدبلوماسية» المتفوقة أو الناجحة، هي مجموعة من الكفاءات النوعية التي تبدأ بالخلق الرفيع وتنتهي بالوظيفة، مروراً بمجموعة الصفات والخبرات والمؤهلات الذهنية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية التي لابد من توفر قدر ملحوظ منها كلها.



مع الرئيس الهندي رادا كريشنان.

فالشيخ محمد لـم يكن خـريج جامعة أوربية أو أمريكية، ولم يكن يجيد لغات عـديدة ولكنه ـ في رأي الإجماع ـ حقّق، ببساطة تعامله، لوطنه ولصورة العرب، الشيء الكثير، وترك في كل بلد عمل فيه، أثراً باقياً وسمعةً عالية استقرت في أذهـان مواطنيها والمسؤولين فيها إلى اليوم.

ومع أنه حقق «درجة الأستاذية» في ممارسة الدبلوماسية، إلا أن نجاح دبلوماسية «أبو سليمان» جاء نتاج كرمه وعلاقاته الطيبة، أي أن دبلوماسيته جاءت محصلة تلقائية نهائية لحسن تعامله وطيب أخلاقه، واستفادته من الدروس التي عاشها وتعلمها إبان خدمته في ديوان الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ولأنه ينظر إلى الدبلوماسية على أنها رسالة، وليست منفعة أو مهنة.

والعمل الإداري والدبلوماسية لم يكونا شغله اليومي الشاغل، ولم يكن يدير عمله من مكتبه بالسفارة، أو بالشكل البيروقراطي التقليدي، أو من خلال السكرتير والحاجب والضوء الأحمر والأخضر، ولكنه كان يؤمن بأن الدبلوماسية تتحقق من خلال «برنامج العلاقات العامة المفتوح» الذي كان ينتهجه ليلاً ونهاراً.

فهو إذن رجل «**علاقات عامة**» من طراز رفيع، حقق من خلالها جلّ ما أراد تحقيقه على الصعيد السياسي والدبلوماسي، ولقد امتلك قلوب الناس إلى درجة أنه لم يكن يهتم بمظاهر الحراسة أو إقفال الأبواب، وعندما يقول عنه رئيس جمهورية باكستان، إنه أجمل هدية قدمتها المملكة العربية السعودية إلى باكستان لحسن سجاياه.

وعندما يستطيع الشيخ محمد أن يزور رئيس وزراء باكستان في منزله بدون موعد مسبق.

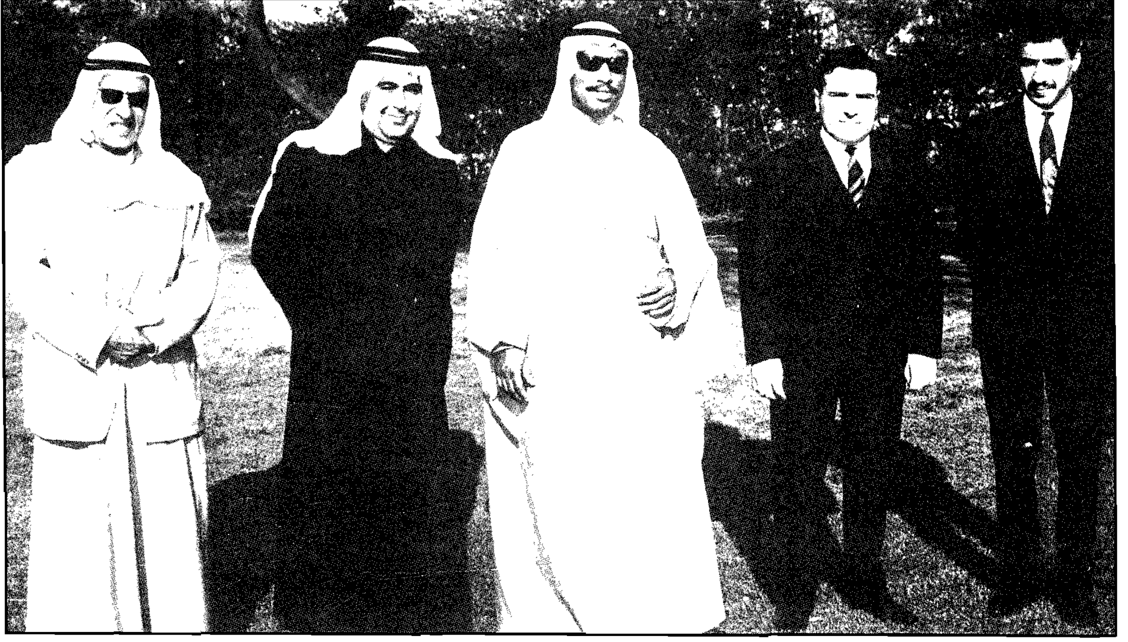
وعندما يتمكن من التوسط في أمور جنائية (كما حدث في العراق وباكستان وماليزيا مراراً).

وعندما يسمح له، بشكل استثنائي بزيارة رئيس وزراء كشمير، من قبل رئيسة وزراء الهند، وهو تحت إقامة جبرية.

وعندما يدخل على ملك ماليزيا في قصره الخاص.

وعندما يتقاطر المسؤولون الماليزيون وغيرهم لزيارته في المملكة والنمسا أثناء مرضه.

عندما يتم له ذلك كله وأكثر منه، فإنما كان جواز مروره إليه هو، بلا شك، مكانة بلاده ثم علاقاته



مع سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح عند زيارته للهند.

الودودة الخاصة التي كان يقيمها من أجل وطنه.

وليس من باب المصادفة أن يُنتدب للقيام بعمل وكيل وزارة الخارجية لفترة من الوقت عندما كانت الوزارة تحت الإشراف المباشر لجلالة الملك.

كما أنه ليس من المصادفة أن ينتقل مباشرة من سفير في باكستان إلى سفير في الهند وهما جارتان بينهما خصومة تقليدية، وعندما زار سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت ماليزيا قال: إن لديه وجبة واحدة يعطيها لسفير كل العرب الشيخ محمد.

ويذكر الأستاذ محمد الخريدلي؛ أنه صحب الشيخ محمد مرة لصلاة العيد، وكان جالساً على كرسي لألم ألمّ به في ركبته، وقد اختار أن يوضع بجوار أحد أعمدة المسجد حتى لا يزعج من حوله من المصلين، فلما حضر ملك ماليزيا إلى المسجد، مرَّ أولاً على الشيخ محمد وسلم عليه ثم اصطحبه وهو على كرسيه ليصلي إلى جواره.

كان الشيخ محمد في عمل السفارة شبيهاً إلى حـد كبير بأولئك المسؤولين في المملكة، الذين يجدون أنهم يحققون، من خلال الالتقاء بالناس والاختـلاط بهم وفتح الأبواب لهم وتلقي شكاواهم، أكثر مما ينجزون من خلال العمل الروتيني الذي يمكن أن يَكِلُوه إلى مساعديهم.

ـ وباختصـار، فإن منهج الشيخ محمد في السفـارة وطريقته، لم تكن بـالأسلوب البيروقـراطي المعتاد، فقد كـان منزله أشبه مـا يكون بخيمة شيخ عشيرة، بعيـداً عن الشكليات: باب مفتوح، وغـداء وعشاء عام، ولا يوجد في مدخل داره إلا حاجب رمـزي يهدف إلى مساعدة الزائر أكثر من منعه، أو إلى استقبال الرسـائل وأمثالها، فهـو يستقبل معظم زائريه ومـراجعيه في منـزله، والعمل لـديه ليس محدوداً بسـاعات معيّنة، فهو في حـالة عمل من الثامنة صبـاحاً تقريباً وحتى منتصف الليل، أو حتـى تتوقف الاتصالات من الداخل أو الخارج.

ومن أبرز سمات نهجه الدبلـوماسي، أن اهتمامه لا ينصب على الوفود السعوديـة فقط، بل كان يتعامل مع وفود السفارات العربيـة بالاهتمام نفسه، وكثيراً ما كانت السفارات والجاليـات الأخرى تستعين بجاهه وتتوسط به لدى السلطات الرسمية لحل بعض المشكلات.

ولذا فلا غرابة إذا وجـدته معروفاً لدى شخصيات من دول الخليج مثلاً؛ لأنهم يكونـون قد عرفوه أثناء زيارتهم إلى باكستان أو الهند أو ماليزيا، وأن كرمه ولطفه قد امتد إليهم.

والشيء الذي يـدعو للتأمل أحيانـاً أن شخصيات من الدول التي عمل فيهـا لا زالت تتذكره وتـذكره بالخير رغم طـول العهد به، مع أن من النـادر أن نجد أن سفيراً أجنبياً في بلـد ما يظل يذكـر على المستوى الشعبي، وإن ذكر فإنـه لا يذكر بعـد مغادرته بسنـوات، وذلك لأن الشيخ محمد كان يتعـامل مع الناس ويقيم علاقات خاصة ومباشرة معهم لا تقتصر على الرسميين.

ـ يقول عنه الدكتور عبد الهادي التازي، السفير المغربي الأسبق في العراق: **إنك إذا أجريت استفتاءً مع سائر الـزملاء الذين تعرفـوا عليه في مختلف المراكز الـدبلوماسية التي عمل بها، فإنك تخرج بنتيجـة واحدة تتلخص في أن «أبو سليمان» كان بمجاملاته يستميل سائر الناس الذين لا يسعهم إلا أن يستسلموا أمام خلقه الرفيع.**

كما يقول : إن الشهادة لـه ليست من زملائه في المهنة فقط أو رفـاقه في العمل ، ولكن يشهـد له أيضاً رؤسـاء الدول والوزراء في الحكومـات التي اعتُمد فيها ، وكلٌ لديه ما يحكيـه عن مجاملاته حيث يكون دائماً حاضراً في منـاسبات الأفراح والأتراح .


زيارة جلالة الملك سعود (ولي العهد آنذاك) للبصرة (١٣٧٢هـ-١٩٥٣م) .

- وكـان السفير الهولنـدي في بغـــداد ينعتـــه بلقـب «رجل السـلام» ، ويقـول الأستـاذ عبـد الـرحمن عبد العـزيـز الشبيلي : إن واقع العـلاقات بين العرب واختـلافهم وضعف العـلاقــات بين المسلمين من أهم «المنغصات» في حيـاته ، فقـد كان مهتماً وحريصـاً على أن يكونـوا قدوة في العالم .

- ويـــروى من مـــواقفـــه الدبلـوماسية المتميـزة في العراق : أنه عنـدما زار جلالـة الملك سعود - طيب الله ثراه - العراق[1] وجه أبو سليمان الـدعوة للجالية السعوديـة الكبيرة المقيمة في بغداد والبصرة والزبير وسوق الشيوخ وغيرها ، ليكونوا في استقبال جلالته في مطار بغداد والبصرة ، ورتب لهم الحجوزات الـلازمة في الفنـادق ، والسيـارات المنـاسبة لنقلهم ، كما طلب منهم التقيـد بـالـزي الوطني السعـودي ، ولمعرفته الجيدة بالأسر والعشـائر ، فإنه كان يقدمهم فرداً فرداً إلى جلالته ، وكـان الملك سعود يرحمه الله قد استـدعى الشيخ محمـد من البصرة لـلإشراف على تـرتيبـات زيـارته في بغـداد لخبرتـه ولمسـاعـدة السفير السعودي هناك .

(١) كان جلالته قد قام بـزيارتين إلى العراق : الأولى كانت عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) عندما كان ولياً للعهـد ، والثانية كانت عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) بعدما أصبح ملكاً .



في حفل تكريم الملك سعود (نوري السعيد، والشيخ محمد ومحمد المنصور الرميح).

ويقـال إن رئيس وزراء العـراق آنـذاك نـورى السعيـد، تعجب من هـذا العـدد الكبير من المستقبلين السعوديين فقيل له: إنها جـاليات سعودية مقيمة في العراق منـذ وقت طويل، فقال: **لولا أنني متأكد من وجودي في العراق لحسبت أنني في السعودية.**

ويـذكر الشيخ صـالح عبـد المحسن الشملان أن المراسم والحرس الملكي في العـراق قـد فوجئـوا بهذه الأعداد الكبيرة، وأن الشيخ محمد قد حرّر تعهّداً لهم بضمان دخولهم للسلام على جلالته.

ـ ومن أبرز مبـادراته الـدبلومـاسية التي ترقى فـوق الشكليات، أنـه لم يتردد في دعوة أو تلبيـة دعوات سفراء الدول التي لا ترتبط مع المملكة بعلاقات دبلوماسية (كالصين وكوبا والاتحاد السوفييتي)، وعندما يقيم عـلاقات خـاصة مـع سفراء تلك الـدول كان يقـول: **«لماذا نخـاف من تأثيرهم علينا، ولا نطمع بتأثيرنـا عليهم؟ نحن نملك كل المقومـات الإنسانيـة والأخلاقية والفكـرية والمادية والمعنـوية لجذب أولئك الناس إلى صفـوفنا، وعنـدما نخـاف منهم فإننا نشكك في قـدرة مقـوماتنـا، والمبادئ والمثل العظيمـة التي نعتز بها ونفخـر»**. وهو مـا رواه



في بغداد يزور السفير السوفييتي بمناسبة اليوم الوطني للاتحاد السوفييتي .

الأستاذ فهد العريفي في مقاله ، كما كان يحضر احتفالات تلك السفارات بيوم بلادها الوطني .

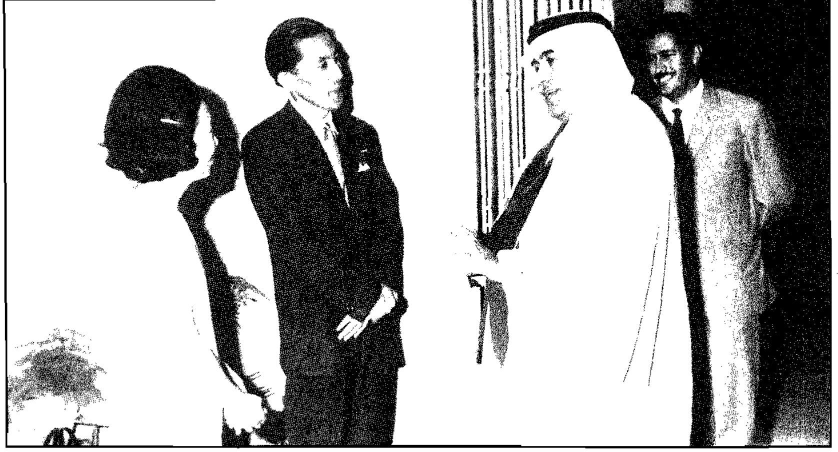
ولقد روى معالي الدكتور عبد الله التركي أن الشيخ محمد كان في ماليزيا يخص برعايته ولباقته واهتمامه سفير مصر، وذلك أثناء فتور العلاقات بين مصر وبين معظم الدول العربية .

ـ فالدبلوماسية إذن نوعان : نوع رسمي بيروقراطي ، ينتهي مع نهاية الدوام وإقفال باب السفارة وتوقف العمل أيام الإجازات ، والنوع الآخر تلقائي موهوب يتجاوز كل الاعتبارات الروتينية .

ودبلوماسية الشيخ محمد ، لم تكن تعرف الإجازات أو تحديد الدوام بزمن ، ولم يكن يعرف ما يسمى : الخصوصية (في حياته الخاصة) إذ لم تكن لديه أسرة أو زوجة أو أطفال أو هوايات خاصة أو برامج ترفيهية ، فمتعته هي في اللقاء بالناس وخدمتهم ، وراحته هي أن يشعر بأنهم سعداء ومرتاحون لديه .

هذه هي دبلوماسية الشيخ محمد التي كانت بالنسبة له رسالة لا مهنة وهي أصيلة ، لا تعترف بالشكليات ، تفتح الأبواب ، ولا يحدها الوقت أو الاجازات .

ولقد كـان على قدر كبير من الـوعي والإلمام بشؤون وطنـه والخبرة الواسعـة بالقضـايا الـدولية، والاطـلاع على الأحداث ومتـابعتها وتحليلهـا، كما كان على إحـاطة تـامـة بالشـؤون الدينيـة والسياسيـة والعسكرية والاجتماعية للبلـــدان التـي عمل فيهـا، وكـانت لـه عــلاقـات وطيـــدة بشخصيـــاتها، وفي مختلـف عهودها، فبينما كـانـت لـه عـلاقـات متميـزة مع شخصيـات العـراق في عهـدهـا الملكـي مثـل الملـك فيصل الثاني والأمير عبـدالاله ونوري السعيـد، نجده يقيم علاقات خـاصة فيها بعد مع الـرئيس العراقي الراحل أحمد حسن البكـر الذي كـان يستبقيه لديـه أطول فترة ممكنـة متجاوزاً الـوقت المألوف المخصص للسفراء.



في بغداد يزور السفير الياباني بمناسبة اليوم الوطني الياباني، يرافقه أخوه سليمان.

ولا تكتمل الصورة للتعـريف بالنهج الدبلومـاسي المتميز للشيخ محمد إلا إذا عرضت بعض الـروايات التي تذكر كأمثلة على مبادراته الدبلوماسية، ومنها على سبيل المثال :

ـ إنه في وقت لم تكن فيه بين المملكـة والصين الشعبية علاقات دبلوماسية، كـان أول من بادر في عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م لإقامة حفل تكريمي لفريق كرة القدم الصيني بمناسبة مباراته مع الفريق السعودي في ماليـزيا، ذلك أن إقـامة مباريـات بين دول ليس بينها اعتراف دبلومـاسي مسألة مألـوفة؛ لأنها تتم في إطار دورات ريـاضية إقليميـة أو عالميـة، ولكن أن يقوم سفير سعودي بمبـادرة مجاملة خـاصة، وإقـامة حفل لذلك الفريق، فإنه ـ على حد علمي ـ أول من تحمّل مسؤوليتها الشخصية.

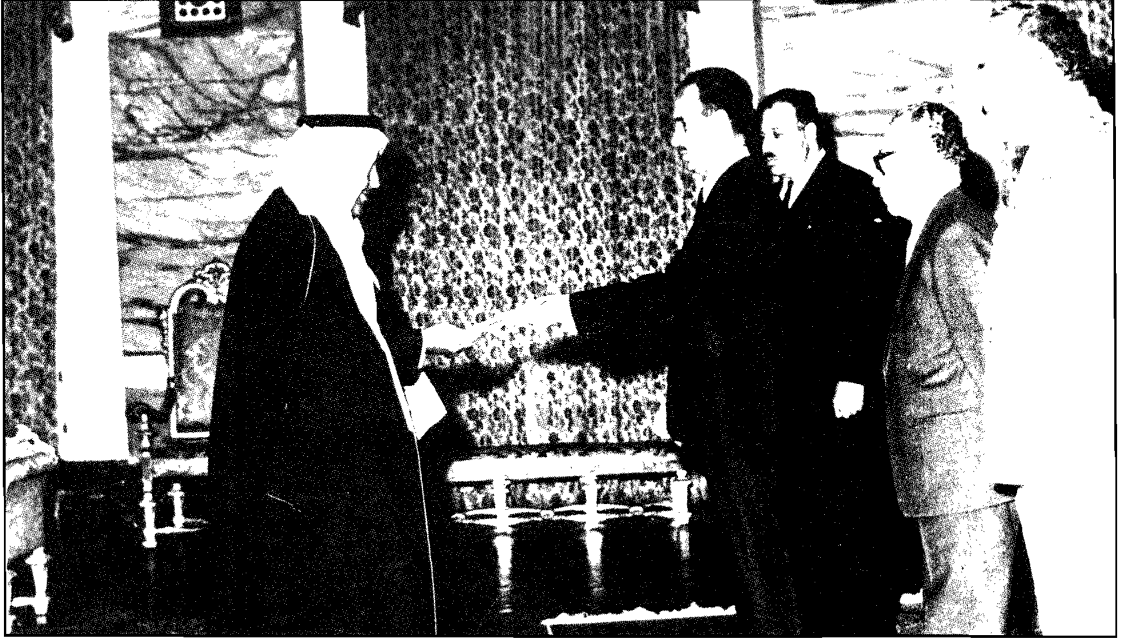
ـ ولقد كان الشيخ محمد بسبب طول الفترة التي أمضاها في ماليزيا عميداً للسلك الدبلوماسي فيها يدعو جاره سفير الصين الشعبية، ويذكر أن السفير الصيني مازح مرة الشيخ محمد حول ذلك، فأجابه ـ يرحمه الله ـ بأنه جار وبأن الإسلام يوصي بالجار.

ـ وفي يوم ١٠/١٢/١٣٨٥هـ (١/٤/١٩٦٦م) وعندما كان سفيراً في الهند، وكان من عادته أن يقيم صيواناً كبيراً لاستقبال المهنئين بالعيدين، جاءه من يخبره بأن مجموعة من الشباب ـ اليمنيين ـ تتوجه إلى الحفل في شكل مظاهرة، ونصحه باستدعاء رجال الأمن من باب الاحتياط، فما كان منه إلا أن اختار أسلوب «الكلمة الطيبة» في مواجهة أولئك الشباب المضلّلين، فاستقبلهم بلطف وغمرهم بكرمه وحسن معاملته، لدرجة أنهم أفصحوا له عن الجهة التي غرّرت بهم، ودفعتهم إلى ذلك العمل وعرف غاياتهم وجنسيتهم، وقد أدى انكشاف أمر الجهة التي كانت وراءهم، إلى إجراء «تنقلات» فيها، ونقل المسؤولين عنها من الهند.



مع بعض الطلبة العرب في حديقة السفارة في الهند (٤/٢/١٩٦٥م).

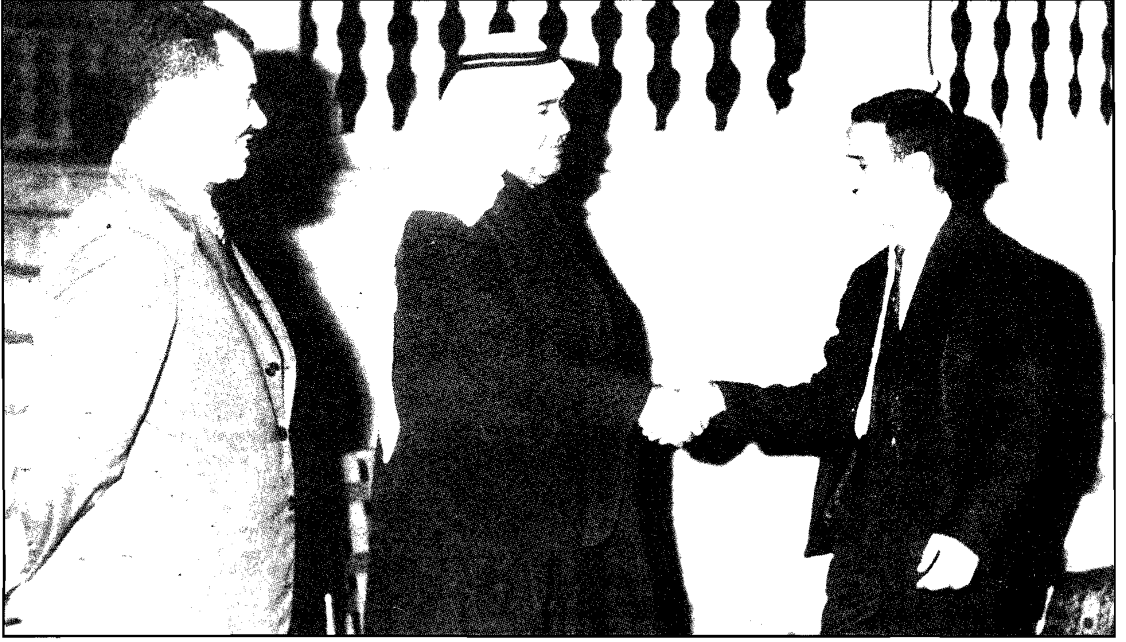
ـ وموقف آخر مشابه، حدث في العراق عندما قابل مجموعة من الشباب الذين كانوا يهتفون ضد المملكة «بلد البترول» فاستقبلهم ببشاشته المعهودة ورحابة صدره ثم قال لهم: **«لماذا تستكثرون علينا البترول وأنتم لديكم مثله وتزيدون علينا بالغاز والثروة المائية والزراعية ؟»**.



يقدم أوراق اعتماده للرئيس العراقي عبد الرحمن عارف.

ليس من المبالغة القول، إن الشيخ محمد كان شخصية سعودية عالمية، وبخاصة على مستوى الوطن الإسلامي، أي أنه حقق صفة العالمية، بعد خدمة قاربت ستين عاماً، في بلدان خمسة (إسلامية وآسيوية وشرقية) ترك فيها آلاف الصلات مع مسؤولي تلك الدول وساستها ومواطنيها وجمعياتها ومراكزها، وتخصص في ناحية معينة من العالم متجاورة ومتشابهة في ظروفها وطبائعها ومشكلات المسلمين فيها، فهو لم يعد سعودياً فقط ولكنه اكتسب صفة (العالمية الإسلامية) بشهرته وخبرته وتخصصه، وأصبح مرجعاً في شؤونها، وإن كان يعمل في ماليزيا؛ فإنه كان خبيراً في شؤون المنطقة بأكملها، أندونيسيا وسنغافوره وتايلاند، تماماً كما تخصص من قبل في شؤون شبه القارة الهندية.

ـ ننهي الحديث عن دبلوماسية الشيخ محمد وإدارته لأعمال السفارة بإيراد مقاطع من رسالة خاصة حررها الأستاذ ناصر بن عبد العزيز الفارس (الموظف حالياً بالديوان الملكي) يروي فيها بعض ذكرياته عن الإسلوب الإداري للشيخ محمد:

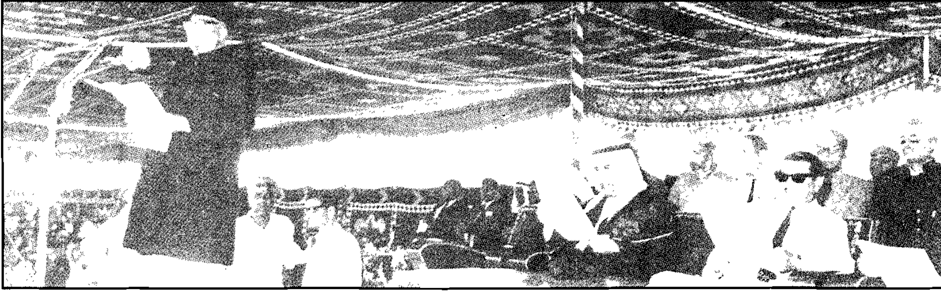


في بغداد بين الملحق العسكري (سليمان الشدوخي) وأحد موظفي المكتب الثقافي (عبد الرحمن ابراهيم الغنام).

- أتيحت لي الفرصة، وعملت في كوالالمبور مع الشيخ محمد، قرابة أربع سنوات ونصف، وقد تعرفت على شخصيته عن كثب، وكانت فريدة ومتميزة في جميع جوانبها، حيث جمع كثيراً من الصفات الحميدة (الكرم والمحبة والإخلاص والصبر والحكمة)، كل هذه الصفات الكريمة توفرت في شخصه، وسأركز حديثي على جانب واحد من جوانب شخصيته وهو طريقته في إدارة العمل مع العاملين معه والمراجعين:

فلقد تميّز بحبه للعمل والإخلاص فيه، فهو لا يتقيد في عمله بوقت محدد، ويرى أنه مكلف بالعمل طوال الوقت، فمنزله كان مفتوحاً طوال الأربع والعشرين ساعة، ويمكن لأي شخص أن يدخل عليه في أي وقت، سواءً كان سعودياً أو أجنبياً، من الرعايا الماليزيين أو غيرهم، وكان حريصاً على أن يقضي مطالب من يراجعه في أي أمر من الأمور، إلا أن يكون هناك محذور يمنعه من تلبية طلبه، وقد وهبه الله قدرة على الإقناع، فهو إذا لم يحقق مطلب قاصده لأي سبب من الأسباب، فإن من قصده يرجع وكأنه حقق ما يريده وأكثر، كما وهبه الله قدرة على استنتاج ما يدور في خلد محدثه وما يريده قاصده، وذلك نتيجة لخبرته الطويلة في العمل الدبلوماسي، ولما وهبه الله من فطنة، كما كان لديه من الحنكة الشيء الكثير الذي استطاع معه أن يحل أي مشكلة واجهت السفارة أو أي سعودي مرَّ بالبلد الذي هو معتمد فيه.

كان حريصاً جداً على سمعة المملكة وقادتها، فخوراً بما حققته من إنجازات عظيمة، وكان حريصاً على اطلاع كل زائر على هذه الإنجازات العظيمة، ولديه مكتبة عامرة بالكتب والأفلام والأشرطة التي تتحدث عن المملكة وتاريخها، وعن سيرة جلالة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وكافة أبنائه الملوك والأمراء، وعن الإنجازات العظيمة التي حققتها المملكة في تاريخها المعاصر، والتي يحق لكل فرد من أبناء هذا الوطن أن يفتخر بها، ولديه تسجيلات لكافة المناسبات المهمة في المملكة.



في حفل إسلامي.

وعن طريقته في التعامل مع العاملين معه في جميع السفارات التي تولاها كان يغمر الجميع بالمحبة، ويحرص على توجيههم لصالح العمل، وأن يكون كل شخص يعمل لديه من ذوي الأخلاق العالية، وممن يؤدون العمل بكل إخلاص وأمانة، وكان يشرف على العمل بنفسه، ويعطي كل رئيس قسم من أقسام السفارة صلاحية تسيير العمل المختص به تحت إشرافه الشخصي، والمباشر، كما كان يحرص على حل أي مشكلة تواجه الموظف، سواء من ناحية العمل أو من النواحي الشخصية، وكان يتصل دائماً بالموظفين، ويسأل عنهم، وعن أحوالهم ويبادر لتلبية دعواتهم ومشاركتهم المناسبات الخاصة بهم، كما كان حريصاً جداً على أن يحضروا المناسبات التي يقيمها، وكان يتحدث معهم كأب أو أخ أكبر لهم، وكان يهتم بتعريف الموظفين الرسميين في السفارة بكبار المسؤولين في الدولة المعتمد فيها، وإشراكهم في المناسبات التي توجه الدعوة فيها إلى السفارة، وكان كثير السؤال عن العاملين المحليين في السفارة، ومساعدتهم على تدبير شؤون حياتهم، وتوجيههم لأداء الأعمال الموكلة إليهم بكل إخلاص وتفانٍ.

لقد كان شخصية متميزة فريدة في نوعها، فهو الإبن البار لهذا الوطن الذي لا يمكن أن يسمح بأن يساء إليه بأية حال من الأحوال، والحريص على سمعته، وكان رمزاً للإخلاص، والوفاء، والتضحية، والكرم، والجود، والتواضع، فهو مدرسة متكاملة الجوانب، وقدوة صالحة.

٤ - الوطنية والأصالة : (البعد الوطني):

والبعد الرابع في شخصية الشيخ محمد هو «الوطنية والأصالة»، فتصرفاته وأحاديثه واهتماماته ونشاطه تنبع كلها من حبه العميق لوطنه، وترتكز على ولائه لبلاده، وكما كان أستاذاً في الدبلوماسية، فقد كان نموذجاً في الوطنية، وفي الغيرة على وطنه ومعرفة تاريخه وجغرافيته، ومثالاً في الذود عنه والإعلام به والحفاظ على سمعته.

فهو إن زار المملكة مواطن يتجوّل فيها، ليتعرّف على أوجه النهضة الحديثة، ويتفقّد مرافقها الجديدة، يعرض اقتراحاته للإبقاء على معالم أصالتها وموروثاتها الشعبية، ولا يغادر المملكة دون أن يصطحب معه الصور والأفلام والأشرطة.

وهو سعودي في ملبسه، وفي اختيار قائمة طعام ضيوفه سواء كانوا عرباً أم أجانب.

وإن تحدث : فإن حديثه المفضل هو عن معجزة توحيد المملكة، وتوطين باديتها، والإخاء بين قبائلها، وعن تمجيد أسطورة الملك عبد العزيز وفراسته وفطنته، فيحرص على أن يكون عرض منجزات المملكة جزءاً من برنامج ضيوفه، سواء كانوا من السعوديين أو غيرهم، كما كان يسعد برواية القصص والروايات أمام زائريه عن أوضاع البلاد والمراحل والأحداث التي أدت إلى توحيد شتات أرض الجزيرة العربية وقبائلها وكياناتها، في دولة موحدة آمنة، تنعم بالرخاء والطمأنينة والاستقرار، ذاكراً بكل فخر وإشادة ما أسداه الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ من جميل وجهد وجهاد ، ثم ما قدمه أبناؤه من بعده امتداداً لكفاحه وإخلاصه وجهاده ومنهاجه.

ـ ومما يرويه أحد معارفه عن هذا الجانب قوله :

- كان يعتبر من المحدثين والرواة المقتدرين على صياغة الرواية والحديث وإخراجه بأسلوب مميّز يميل إلى السلاسة في العرض مع القوة في التعبير دون انقطاع أو تلعثم؛ لأن ذاكرته كانت قوية وقد اختزن فيها الكثير من القصص والروايات التاريخية والمواقف الإنسانية، وإن المستمع إليه يجد نفسه مشدوداً لبساطة الحديث وعذوبته وإيراد أدق التفاصيل، ومشغوفاً بالاستزاده.



زيارة سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز للعراق. (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)

وكان يغلب على أحاديثه ورواياته الاستشهاد بالقائد المؤسس الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ فكان يسهب في الحديث عنه في قوة الشخصية والذكاء والحكمة والعدل والإنصاف بين أبناء الرعية، والتضحيات الكبيرة التي قام بها ورجاله في سبيل تكوين هذا الصرح الشامخ، واستمراره، وعلى تثبيت العقيدة الإسلامية منهجاً وسلوكاً ونظاماً.

كان يستعرض فتوحاته ومواقع انتصاراته بأدق التفاصيل، وكان يتحدث أيضاً عن دبلوماسية جلالته وأسلوبه الفريد في التعامل مع الآخرين بحنكة واقتدار كل حسب موقعه ومستواه.

لقد نهل هذه الثروة التاريخية من خلال معايشته عن قرب للملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ، إذ كان يحرص أشد الحرص على حضور مجلسه الذي كان عامراً بالزائرين والضيوف والمواطنين، وكان متابعاً لكل ما يروى لجلالته من قصص وروايات تاريخية وما يتلى عليه من أخبار.

وفي يوم ٤/ ٣/ ١٣٩٨هـ كتب الشيخ عبد الله السعد وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشؤون المعاهد، يرحمه الله، رسالة خاصة إلى صاحبي السمو الملكي الأميرين سلطان بن عبد



سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز في مطار بغداد يودعه حردان التكريتي وزير الدفاع آنذاك. (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)

العزيز ونـايف بن عبد العزيز ـ يحفظهما الله ـ، يعـرض فيها أهمية التصدي لتاريخ الملك عبـد العزيز عن خبرة ومعايشـة ذاتية ووعي لأبعـاد هذه الشخصيـة التاريخية الفـذة، ثم يشير إلى أن من أهم المراجع التي يمكن الركون إليها في استقاء المعلـومات الموثوقة، أبناء الملك عبد العزيز الكـرام، وذلك النفر من الرجال الذين عملوا في معية جلالته، وتشربوا أساليبه الحكيمة في السياسة والإدارة والحكم، ثم يقول :

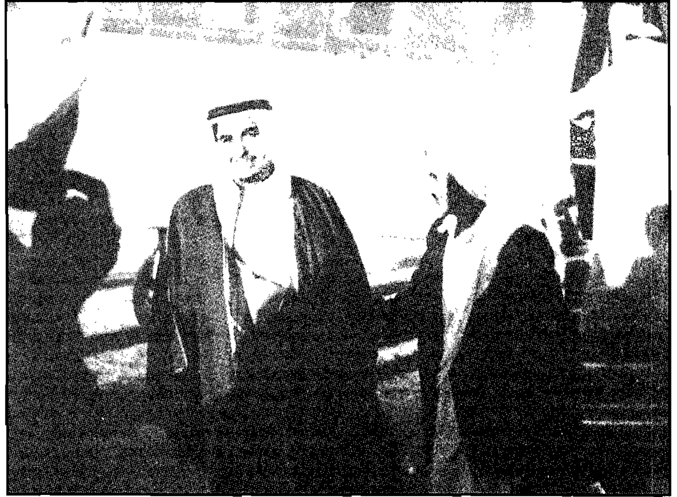
ـ وأعرض بهذه المناسبة، عن واحد من الرجال الـذين يعدّون مراجع في تحليل تاريخ الملك عبدالعزيز عن وعي وفهم وبعد نظـر، وقد أكون أقل تصـوراً عنه من غيري، ممن جالسـه أو صاحبه أو عـاشره وهذا الرجل ـــ أذكره مجرداً عن كل الرسميات ـــ هو الشيخ محمد الحمد الشبيلي، سفير جـلالة الملك الآن في ماليزيـا، واسمحوا لي إن قلت : سفير المملكة والعرب في الشرق كله.

هذا الرجل عندمـا يذكر تاريخ الملك عبد العزيـز، أو يورد حوادث اجتماعية أو عسكرية أو سيـاسية، يتحدث عنها بأسلـوب الفـاهم المتمكن العميق ويـدرك أبعادهـا، ويلحظ قـرائنهـا، ومـلابسـاتها، وحينما يتحدث تجد من عـرضـه الاعتدال، والقدرة على استجلاء الأمر بعيداً عن منطق العـاطفة أو الإقليمية أو غير ذلك من العوامل، ولكنك تعرف من

نهجه أنه اعتنى بهذا الأمر عناية كوّنت لديه القدرة المتناهية في سرد الحوادث، والاستشهاد عليها، وربطها بشخصيات لها دور مهم في زوايا الموضوع، قَلَّ أن يفطن لها كثيرون، وفي الجملة فهو ممن دوّن تاريخ الملك عبد العزيز في مخيّلته، وكأنها يقلّب صفحات ناصعة لم تكتب بعد، ويستولي على السامع الاستغراب أن يوجد مثله، والمتشبثون يقضون كل جهد ووقت في الوصول إلى الحقيقة، وهي موجودة بارزة ويدرك السامع أنه يتحدث من القمة، وليس من السفح، ويعلم الله أنني أشفق على هذا الكنز الدفين أن يطمر على مرِّ الأيام، وينسى في ثنايا الماضي الذي يلف الكون كله دون هوادة، وربما أن هذا لا يرضيه، ولكن مهما كان موقفه فإني بدافع الأمانة والوطنية أعلنها صريحة أنه لا بد من الإفادة منه ومن أمثاله.

- ويذكر الأخ عبد الله الحمد الشبيلي في مقاله عن سيرة الشيخ محمد الذاتية. (الفصل الخامس):

- كان يعتبر الملك عبد العزيز مثله الفذ في ميادين البر والشهامة والصبر والشجاعة والكرم، ويعتبرها أمثلة راقية يجب الاقتداء بها، وكان يتباهى بأنه تعلم الكثير من أنماط حياته في مدرسة الراحل الكبير التي خرّجت العديد من القادة الكرام من أبنائه واخوانه ورجال دولته في مدة قياسية وفي ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة.



في إحدى زياراته لمسقط راسه - عنيزة - في مطارها القديم في السبعينات الهجرية ويرى في استقباله حمد المحمد القاضي.

وكان الشيخ محمد على صلة ــ جسماً وذهناً ــ بمسقط رأسه عنيزة، ولم ينسها رغم البعد الجغرافي، فقد كان يتذكر أسواقها وبيوتها، وعادات أهلها، ويهتم بأخبارها، ويشارك في أعمال البر الخيرية فيها ويقتني الكثير من موروثاتها الشعبية، ويجعل على موائده صنوفاً من إنتاجها، وكان من آخر أعمال الخير التي أسهم بها وهو على فراش مرض الموت، تبرعه السخي - كما سلف ذكره - لبرامج تطويرها وتجميلها وتحسينها.

ومن الأمور التي تميز بها معرفته العميقة بالقبائل وخبرته الواسعة بأفخاذها وفروعها وأسرها، ولقد جاءت هذه الخصلة إحدى نتائج عمله المبكر في الديوان الملكي، واحتكاكه بمن يفد إلى مجلس الملك عبد العزيز وأبنائه، واطلاعه على المراسلات التي ترد، ومشاركته في كتابة التوجيهات والردود الصادرة عن الديوان الملكي.

ولما عمل فيما بعد في قنصلية البصرة لمدة خمس عشرة سنة ثم عاد بعد باكستان والهند ليكون سفيراً في العراق استفاد من تلك الخبرة، وازداد فيها للتعامل مع مختلف رجال القبائل والعشائر وزعمائها، وبخاصة تلك التي تتحرك بين أرض المملكة والعراق.

ولقد كان لديه من المعرفة الكافية بالأسر والقبائل، ما يجعله يتحدث مع الناس من غير خلط بالأنساب، وهو ما لا يتوفر إلا للقلائل الذين لديهم الخبرة العميقة والاهتمام بمثل هذه الأمور، ومعرفته بالعشائر والقبائل لم تقتصر على أبناء المملكة فحسب، فلقد اكتسب معرفة بمنطقة الخليج والعراق وجنوب الشام وفلسطين وسيناء وقبائل مصر.

ومن السمات الخاصة التي عرفت عنه احترامه وتمسكه الشديدان بالعادات والتقاليد السعودية، واهتمامه بألوان التراث الشعبي، فكان يحتفظ بتسجيلات البرامج التراثية الشعبية مثل برنامج «مَنْ القائل» للأستاذ عبد الله بن خميس، ويغتنم فرصة لقائه بالرواة والشعراء وحافظي القصص من أمثال منديل الفهيد وسالم الحميّد وعلي الفهد السكران، فيسجل أحاديثهم لاقتنائها وتوزيعها. ويضعها داخل كل سيارة يخصصها لتنقلات ضيوفه، وكان على صلة مستمرة بوزارة الإعلام للحصول على الأشرطة ذات القيمة الوثائقية والتراثية.

وعندما قدم أوراق اعتماده إلى الجنرال محمد أيوب خان سفيراً للمملكة لدى باكستان ظهر متقلداً السيف اعتزازاً بشعار المملكة.

ويذكر أنه عندما زار المملكة في بداية الاهتمام بتطوير منطقة قصر الحكم في الرياض دعا بإلحاح إلى تفريغ المنطقة المحيطة بقصر المصمك والمحافظة على قصور الملك عبد العزيز (في المربّع).

وكان مع حبه للمساعـدة وقضاء حاجات الآخرين يعارض فكـرة زواج السعوديين من أجنبيات وكذا تملكهم العقـار في الخارج، ولم يقف المؤلف ـ على كثـرة ما روي عنـه ـ إلا على حـالة واحدة رواهـا حسن العطاس منـدوبه في سنغافوره، أن أحد زواره كان يلح عليه بمساعدته في الزواج من ماليزية، وأن الشيخ محمد ـ بعد أن ألقى عليه محاضرة لبقـة بمحاذير ذلك ـ أحال الأمر إلى الأخ العطـاس لمساعدتـه إذا كان بإمكانه ذلك.

كما يذكر محرر جريدة الجزيرة الذي رافق منتخب المملكة عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) أنه عندما استشاره أحد زواره من رجال الأعمال السعوديين حول التملك في ماليزيا استشهد بالمثل القائل: **بيت خارج بلدك لا لك ولا لولدك**.

كان شـديد الاعتـزاز بالـزي الوطني، وبكـل العادات الموروثة الحسنـة. ولعله يعتبر مـن أكثر المحافظين على فكـرة تقديم التمـر واللبن عند استقبـال الضيوف في منـزله، ثم تقـديم القهوة العـربية، فضلاً عن إهـداء التمور وألوان أخـرى من الإنتاج الوطني السعودي سـواء كان موجـوداً داخل الوطن أو خارجه، وعلى مائدتـه أينما كان، لا بد وأن تجد صنوفاً من الأكلات الشعبيـة السعودية مع التعريف بها، وبأسلوب إعدادها.

ولقـد سبقت الإشارة إلى أنـه عندمـا كـان قنصلا في البصرة ثم سفيراً في بغـداد، عمل الكثير لتشجيع أبنـاء الجالية السعـودية المقيمـة في العراق على استعـادة جنسيتهم السعوديـة، وقدم لهم كل التسهيـلات للعـودة إلى المملكة وتحريـر الشهادات بأصـولهم وجـذورهم، وهو مـا سـاعدهم كثيراً ـ فيما بعد ـ على الاستقـرار في المملكة بعـد التقلبات السيـاسيـة التي وقعت في العراق بعـد العام ١٩٥٨م (١٣٧٨هـ)، وكان الملك سعود والملك فيصل، يرحمهما الله، يثقان بتصرفاته في هذا الشأن ويؤيدان إجراءاته.

ولقد ترك الشيخ محمـد أثناء عمله الدبلـوماسي في العراق وباكستـان والهند وأفغانستان ومـاليزيا ومن خلال تجواله في بلاد أخـرى ما لم تحققه وسائل الإعلام الخارجي التقليديـة، وكان اسم المملكة على ألسنة الآلاف من مواطني تلك الـدول، من خلال جهـوده وعلاقاتـه، وكان يشعر بغبطـة وسعادة غامـرة وهو يرى المسؤولين ورجال الأحزاب والجمعيات الإسلامية يهتمون بالمملكة ومواقفها ويدافعون عنها، ويجد أن

صلاته بهم تحقق لديهم تقديراً وفهماً لأوضاع المملكة وقضاياها ومواقفها.

ولم يكن يجاهد لبناء تلك السمعة لذاته، بقدر ما كان يشعر أنه ممثل لبلاده، فكان منزله مكتبة متنقلة من الأشرطة والأفلام والكتيبات الإعلامية يوزعها ويعرضها في كل مناسبة خاصة أو عامة حتى للسعوديين الزائرين.



في استقبال ملك وملكة تايلاند في ماليزيا.

ولقد تناقلت الروايات أكثر من مقولة تصفه؛ بأنه لم يكن سفيراً للمملكة فحسب ولكن كان ينظر إليه وكأنه سفير للعرب والمسلمين، وكان السفراء الأجانب في الدول التي يعمل بها مثل سفراء أوروبا وأمريكا والصين والاتحاد السوفييتي يكنّون له الكثير من الاحترام والاعتبار، وفي شهادات زملائه من الدبلوماسيين السعوديين والعرب وغيرهم (والتي بسطت في الفصول القادمة) ما يغني عن الإطالة والإعادة.

ورغم ما نعرفه من حساسية وضع السفارات وبخاصة في بعض دول العالم، فقد ظل منزله مزاراً موثوقاً للناس والمسؤولين على اختلاف مسؤولياتهم.

وإذا كان «الإعلام الخارجي» يهدف إلى التأثير على الشعوب واستمالتها بحب واحترام، واستمرار هذا التأثير لسنوات، فإن التجربة مع حالة الشيخ محمد تثبت بأن شخصاً واحداً من المواطنين يمكن أن يحقق مثل هذا التأثير دون الاعتماد كلية على وسائل الإعلام الخارجي، أو الانتظار منها أن تفعل كل شيء.



مستضيفاً في منزله نائب رئيس جمهورية الهند ذاكر حسين.

وقبل أن ينتهي الحديث عما حققه الشيخ محمد على الصعيد الإعلامي، فإنه لا بد من الإشارة إلى أنه كان يقوم بتلك الجهود الوطنية والإعلامية، وهو نفسه أبعد ما يكون عن الأضواء والظهور عبر وسائل الإعلام، فمن المؤكد أنه رغم محاولات كثيرة من العديد من الإعلاميين لم يوافق على أن تُجرى معه مقابلة إذاعية أو تليفزيونية أو صحفية واحدة، سعودية أو غيرها، ولذلك فإن الأرشيف على قدر ما يحتوي على مقالات كتبت عنه، فإنه يخلو من أي حديث أو تسجيل بصورته أو صوته، بل إن أكثر المقالات التي كتبت عنه تمت أثناء غيبوبته ومرضه أو بعد وفاته، وكان بإمكان أي سفير في مثل موقعه من قلوب الناس وتعلقهم به، أن يحظى بعشرات المقابلات وأن يكون هدفاً للإعلاميين، بسبب مكانته وشهرته وثقة الدولة والمسؤولين به وتقديرهم له، والتسهيلات التي كان يقدمها للوفود الرسمية ومنها الوفود الإعلامية.

فكما أنه في مكارمه وأخلاقه لم ينتظر الجزاء والمقابل ممن يسدى إليهم المعروف فإنه كان يعمل في الظل - كما يقال - أي أنه لم يكن يقصد الشهرة أو الإشادة بما يقدم، ولذا فقد ظل الكثير من مواقفه حبيس

صدور الناس وذكرياتهم معه وعنه .

فبقدر مـا كان رجل إعلام من الطراز الأول بأفعـاله وأخلاقـه وسمعته ، فإنه كان آخـر من يسخّر تلك الخصال للإعلام عن نفسه أو لتحقيق مكاسب دعائية «لـذاته» وكان نادر الكلام عن نفسه وانجازاته ولا يفخر بأعماله ، وما يقدم للآخـرين ، ولم يكن يمايز بين الناس حسب ذكرهم له ، أو يفاضل بينهم حسب إطرائهم له وحديثهم عنه ؛ لأنه أصلاً كان يستحيي من المديح والإطراء والثناء .

ولو أنه استجـاب لإلحاحات الإعلاميين معه لإجراء المقابـلات ، لتوفرت لدينا معلـومات كثيرة لا تزال حتى الآن ناقصـة أو غير معروفـة ، مما جعل الكتابـة والتأليف عنه بعـد وفاتـه عملية يحيط بها الكثير من الصعوبات .

ولقد تنبه أحـد الإخوة الصحفيين ـ وهو الأستـاذ عبد الرحمن بن فيصل المعمر ــ قبل وفاة الشيخ محمد بسنوات إلى حقيقـة أن سيرة الشيخ محمد لم تدوّن فكتب مطـالباً «بالتصدي» لتـاريخ حياته والكتـابة عن مآثره .

وبعد :

فلقد عرف الشيخ محمد ظاهرة إنسانية فريـدة ، وسحابة معطاء تبعث الهدوء والصفاء والمحبة والوفاء ، وكتاباً مفتوحاً في بساطته وتواضعه ، ودوحة مبـاركة جذوعها الوطنية وأغصانها الإخلاص وأوراقها الكرم ، وثمارها حسن الأخلاق .

غفر الله لـه ورحم كل من سبقه أو عاصره أو أتى من بعـده من الأخيار ووفقنا للاقتـداء بهم ، والإفادة من مدارسهم وسيرتهم بعد السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ولا شك أنـه مـا كان بمقـدوره أن يبـدع ويتفـوّق ، لولا تـوفيق الله ، ثم ثقـة الـدولة وولاة الأمـر بـه ، وإعجابهم بمـواهبه وإنجازاته ونكـرانه لذاتـه وإخلاصه المشهـود عنه لوطنه وخـدماته الجليلـة وإيثاره ، حيث يحتاج إليه المواطنون في الغربة ، ويؤتمن على الأسرار، وينمّـي العلاقات ـ بشتى أشكالها ـ بين بلاده ودول أخرى ذات أهمية خاصة .





الفصل الثالث

مراسلاته

لا شك أن من الجوانب المهمة في شخصية أي انسـان، والتي لا تكتمل الصورة التي ترسم له إلا بدراستها، «خطه في الكتابة» و«أسلوبه في المراسلات».

ولقد سبقت الإشارة، في المقـدمة، إلى أن عالم المراسلات لدى الشيخ محمـد بحر زاخر لم يتسن لهذا الكتاب أن يحيط به لغزارته وعمقه، إذ أن من النادر أن تجد صديقاً له لم يكن بينهما عشرات من الرسائل.

إلا أنه، ومن أجل استكمال رسم الصورة للشيخ محمد لمن لم يَسبق لـه معرفته أو التعامل معه، لا بد من تناول بعض زوايا هذا الجانب لأهميتها في دراسة شخصيته ونفسيته وتحليلها.

وتوخياً للإيجاز، يمكن أن يقتصر الحديث على النقـاط الأربع التالية، مع استعراض نماذج محدودة من مراسلاته:

الأولى: «الخط»، والخط كما هو معـروف وكذلك «التـوقيع» يؤخـذان ـ من قبـل علماء النفس ـ أحيـاناً علامة من علامات دراسة شخصية الإنسان، ومنهما يمكن أن يستدل على معرفتها وتكوين فكرة عنها.

ومن خلال معـاينة العـديد من تحريـراته، يـلاحظ أنه كان يتبـع نمطاً ثابتـاً في الخط في كافـة كتابـاته ومـراسلاتـه، وهو خط «الـرقعـة» الذي كـان يكتبه بنمط جميـل، يعكس إلى حد كبير أنـاقته في المظهـر والملبس، مع أنـه ـــ كما سلف تفصيله ـ لم يكن له حظ كـاف في مواصلة الدراسـة بعد الثانويـة، بل لقد أخذ بـداية تعليمـه من الكتاتيب، كما حصل لأبنـاء جيله، وذلك لعدم تـوفر المدارس الحديثـة في عنيزة وقت طفولته.

ولو أجريت مقـارنة يسيرة بين خطه وخط عدد من أبنـاء جيله، لوجد أن خطه يمتـاز بالجمال والقرب كثيراً من التزام قواعد خط «الـرقعة» المعروف، ومن اللطيف أنه عندما أجرى المؤلف مقـارنة بين رسائله في فترة خمسـة وخمسين عامـاً، وجـد أن «خطه» مـر بثـلاث مراحل على الأقل، إذ أنـه كـان يسعى لتطويـر طريقته في الكتابة تبعاً للبيئة الإدارية التي عمل فيها، حتى أن مقارنة بين رسائله في تلك الفترة توضح أن خطه في الخمسينـات الهجرية يختلف كثيراً عنـه في الستينات، إلى درجة أنـه لم يكن يوجد إلا تشـابه يسير بينهما.

الثانية: المبادرة إلى القيام بواجب المراسلة مع الآخـرين والاهتمام بتحرير الردود وإرسالها في وقتها، مهما كان نوع الـرسائل الواردة ومستوى أصحابها، وهي نـاحية «بروتوكوليـة» متوقعة في إنسان عرف بـالمجاملة والـذوق في المعاملـة والحرص على أداء الواجبـات الاجتماعيـة، ولقد سبقت الإشـارة إلى دأبه على إرسـال الرسائل والبرقيات في المنـاسبات الدينية (كشهر رمضان المبارك والعيدين) والعـائلية والاجتماعية السارة أو المحزنة وكذلك الإجابة عليها، وغالباً ما كان يحررها بنفسه وبخط يده.

الثالثة: الأسلوب والصياغة، فلقـد تميزت رسائله بالإطالة وإعطاء الموضـوع حقه، مع تعبيرات حديثة وجيدة وصناعة لفظية جميلة، كما سيلاحظ من النماذج القليلة اللاحقة.

ومع تعدد مراسلاته، عائلية أو اجتماعية أو رسمية، فإنه كان يعطي كل رسالة حقها في الصياغة والأسلوب والعمق والطعم، فكما أن مجاملاته الشخصية في المواجهة تشعر الضيف بالخصوصية وأنه المعنيّ وحده بالإكرام، فكذلك كانت رسائله، يشعر منها الموجّهة إليه أنها تعنيه فعلاً، وأنها ليست مصطنعة أو شكلية أو إجابة متكررة، حيث تتضمن جُملاً خاصة ومعانٍ لا تتصل إلا به.

الرابعة: المحتوى، ومن دراسة نماذج من مضمون رسائله ومحتوياتها يتبين العديد من الاستنتاجات التي تنسجم مع الـمُـثُل التي نذر نفسه لها، كالتوجيه التربوي لابنه وإخوانه وإصلاح ذات البين، وتهدئة الخواطر، والتوفيق بين من ينشد توجيهه وتدخّله أو توسّطه، كما يلحظ في معظم رسائله الدعوة المتكررة لزيارته والترغيب بالسياحة في المناطق التي مثَّل بلاده فيها.

كما أن الحس الوطني كان من الفضائل التي تبرز في بعض رسائله، وكذلك الرغبة في الحصول على مواد إعلامية لإطلاع ضيوفه وزواره عليها.

وفي رسائله التي كان يتبادلها مع المسؤولين والسفراء الأجانب، يستطيع القارئ أن يلحظ التعبير الصريح عن المواقف والأفكار والآراء السياسية.

هذا فضلاً عن معاني الشهامة وتشجيع ابنه وإخوانه على مساعدة الآخرين وأن يكونوا امتداداً لمواقفه وجهوده في مساعدة الناس، بالإضافة إلى ما ينص عليه صراحة عن البذل والعطاء للمحتاجين.

هذه أمثلة فقط على المعاني التي غالباً ما كانت رسائله الخاصة تحتوي عليها، والواقع أن رسائل الشيخ محمد وردوده وإخوانياته المتبادلة تمثل ـ في حد ذاتها ـ مدرسة وأسلوباً خاصين به تماماً، مثل نهجه الآخر في الشيم والأخلاق، وقد رأيت أنها تحتاج إلى دراسة منفردة في فصل مستقل، يحلل أسلوبها وأدبها، وما تحمل من مضامين تعبر عن فلسفته الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والوطنية.

وفيما يلي بعض النماذج التي اخترتها من بين العشرات من الرسائل التي أمكن الحصول عليها من أصدقائه وأقاربه، وسوف يلاحظ القارئ أن رسائله واضحة المعاني، جلية المحتوى، وقد وضع المؤلف، بين قوسين، شرحاً موجزاً لبعض الكلمات، كما أن الرسائل نقلت، كما حررت نصاً، دون تصحيحها لغوياً.

الرسالة الأولى

لقد اطلعت على مجموعة من الرسائل التي وجهها أبو سليمان إلى زميله وصديقه الخاص محمد الحمد القاضي ـ يرحمه الله ـ وقد وُقّعت كلها بين عامي ١٣٥٣ هـ (١٩٣٣م) و١٣٥٩ هـ (١٩٣٩م) إبان عملهما معاً في الديوان الملكي، وقد بعثها إما من «الخفس» أو «رماح» مقرّي مقناص الملك عبد العزيز، أو من عنيزة، إلى الشيخ القاضي في الرياض، وقد وجدت أن من الصعب نشرها كاملة، نظراً لتعددها وطولها ولكنها في الواقع تحمل كمّاً كبيراً من المعلومات، ليس فقط عن شمائل الشيخ محمد وملامح شخصيته في تلك الحقبة المبكرة المهمة من بداية عمله الوظيفي (١٢ سنة في الديوان الملكي)، وإنما تتضمن، أيضاً، معلومات مهمة عن وضع المملكة: السياسي والاقتصادي والإداري وحياة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

وقبل استعراض بعض تلك الرسائل وأبرز ما جاء فيها، لا بد من الإشارة إلى أن هذين الصديقين الحميمين افترقا بعد عامين من آخر رسالة من تلك الرسائل، فقد توفي الشيخ القاضي عام ١٣٦١هـ (١٩٤١م) كما انتقل أبو سليمان إلى البصرة نائباً للقنصل عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٢م).

رسالته الأولى حررها أبو سليمان من الخفس بتاريخ ١٥ من ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ (٨/ ٢/ ١٩٣٥م) (مرافقاً لمكتب جلالة الملك عبد العزيز في مقناصه) وفيها يشير إلى عدة أسماء منها سليمان الفريح وصالح محمد العثيمين (والد فضيلة الشيخ محمد العثيمين وإخوانه والذي كان أبو سليمان يكلفه باستلام رواتبه في الرياض)، والشيخ يوسف ياسين والشيخ عبد الله بن عثمان والشيخ حمد السليمان، ومحمد العبد الرحمن الجبيري ومحمد بن عثمان.

كما يشير إلى أن راتب كل من الشيخ محمد ومحمد القاضي جنيهان ذهبيان وريال واحد على أساس سعر الصرف ٢٢,٥ ريالاً للجنيه.

وأن سعيد الماجد حضر ومعه الرواتب (جنيهات بعضها عتيق وبعضها جديد وريالات)، وكان بيانها كالتالي:

٤٥ ريالاً محمد الحمد القاضي (٢ جنيه وريال واحد).

٤٥ ريالاً محمد بن دريس (٢ جنيه وريال واحد).

٤٥ ريالاً ناصر بن حما د(٢ جنيه وريال واحد).

٤٥ ريالاً عبد الله بن معمر(٢ جنيه وريال واحد).

٢٢ ريالاً عبد الله بن سويدان (جنيه واحد).

٤٥ ريالاً محمد الحمد الشبيلي (٢ جنيه وريال واحد).

المجموع ٢٤٧ ريالاً (١١ جنيهاً و١١ ريالاً).


الأصدقاء الثلاثة المتقاربون سنًا وعملاً ورحمًا، محمد الحمد القاضي ومحمد الحمد الشبيلي ومحمد العبد الرحمن الشبيلي (في الرياض في الخمسينات الهجرية) إبان عملهم جميعاً في الديوان الملكي.

ومما يدل على أن الراديو لم يستخدم بعد في المملكة حتى ذلك الزمن (١٣٥٣هـ) أن الرسالة تحمل صفحة كاملة، تشير إلى التحقق من شائعة منسوبة إلى الشيخ القاضي الموجود في مقر الديوان بالرياض وانتشرت في المخيم الملكي، من أن الحرب قد أعلنت بين العراق وإيران وأن العلاقات متوترة بين البلدين، بينما يشير الشيخ الشبيلي، بعد ست سنوات، في رسالته الأخيرة التي كتبها عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م بأن (الأخبار الخارجية منعمين بها من الراديو) أي أن الراديو جاء نعمة لتلقي الأخبار الخارجية.

كما يصف الشيخ محمد في رسالته، وعبر صفحة كاملة أحداث قصة طريفة حصلت له مع ابن عثمان والجبيري، عندما ذكر لهم الفقع «الكمأ» في منطقة صخرية قريبة من الخفس، وفيها تتجلى خفة الروح وحب المزاح لديه في ذلك الوصف.



الرسالة الثانية

وهي من رسائله إلى الشيخ القاضي وقد حررها، على ما يبدو، بعد رسالته السابقة، كما يفهم من السياق، من منطقة (الخفس) وقد جاء فيها ما يلي بالنص:



تستفهم عزيزي عن نية جلالته، وأفيدك أخي أن المسموع أنهم السبت عندكم، والخميس ماشين لمكة، فكونوا على استعداد لمرافقة إخوانك، إن كنت نشيط ومستعد للعمل وهو ما أرجوه، فرواحك أصلح من بقاك، وإن كان الهزال استمر معك (لا سمح الله)، فتعرض نفسك على الأطباء هناك، وأرجو الله ألا يحوجنا ولا إياكم لهم، أخوك يرجح رواحك على بقاك وعزيزي أحسن نظر.

لدينا ما جدّ سوى الخير، الأعمال جارية على ما تود والوسائل متوفرة، لا ينقصها سوى وجود شخصكم المحبوب، ونحن الآن على الشوكي (منطقة ربيع) محل طيب رمله نظيف نهايه (للغاية) والحطب بأطناب الشرع، وعلى غدير ما يتصور الإنسان نفسه إذا وقف عليه إلا كأنه على النيل، من كثرته وصفاوته وعذوبته.

الشيوخ (الملك عبد العزيز) يروحون الصبح ولا يرجعون إلا آخر النهار، وحنا متمتعين بالربيع والشغل عندنا قليل ومنتظم، هذا ما عندنا ونرجو أن تقر العين برؤياكم.

أخوكم



الرسالة الثالثة

وهي من رسائله إلى الشيخ القاضي وقد كتبها من عنيزة بتاريخ ٣٠ رمضان سنة ١٣٥٧ هـ (٢٢ من نوفمبر ١٩٣٨م) وننقلها بنصها ـ مع بعض الشرح عليها ـ تحقيقاً للاستفادة مما جاء فيها في إيضاح خصاله ووضع البلاد في ذلك الوقت :

«أخذت محرركم الكريم ، وتلوته شاكراً المولى على سلامتكم وزوال الأثر الذي حصل معكم ، سائله تعالى أن يجعله تكفيراً وتطهيراً ، والرجاء أن تعرض جناية أبو سالم (مازحاً وربما يقصد ابراهيم الدقسي) على المجلس الوطني ليتخذ بشأنه القرار اللازم ، ويمنعه من تعاطي مهنة الطب ، بعد هذه الغلطة (يبدو أنها وصفة شعبية) ، ثم نشكركم على تهنئتكم لنا بشهر الصيام المبارك ، ونقدم لكم التهنئة بعيده ، أمّننا الله وإياكم من مخاوف يوم وعيده .

أحسنتم الإفادة عن وصول الزهاب وموافقته ، تقطّعونه بالعافية ، البقية نعامل عليها على شاكلته ، أم الخشب (نوع من التمر) والعبيط (معجون التمر) حاضر ننتظر تيسّر جمّال ، عرضنا على سليمان المحمد الصهيلي ولا صار لهن معه مشيل ، (الجمال كانت لا تزال تستخدم بين المدن حتى تلك السنة) وخشية من تأخرهن ، فإن عندنا بالبيت بطرفكم (بالرياض) تنكة عبيط طيب ، أخبرنا الأخ محمد العبد الرحمن (الشبيلي) يسلمها لكم تبدّو فيها (تبدأوا) والباقي نرسله إن شاء الله .

أما من طرف الدراهم فآسف أنك تذكرهن حتى الذكر ، والكيس واحد والفرق معدوم ، متلاحقين وأنت صاحب الفضل .

ثم تقول (عني) أنني مشغول ، فلزومك بادي ولا عنك انشغال ، مع أن أخيك بأتم الراحة ولا هنا شي مما أشرت إليه .

هذا الشهر اشتغلنا بوضع قصب ارتوازي للعين (مزرعة أسرته بوادي الرمة) بسبب قلة مائها بالوقت الأخير ، وقد استمر الحفر بها ٨ أيام بواسطة المهندس الوطني صالح البراهيم القرعاوي ، وبعد أن نزلت القصب بالأرض ٤٢ ذراع (٧ قصب) على حد سهل من وعر حيث لم يبق بيدنا سوى ٤ ذراع ، نزلت القصب على ماء غزير لا بأس بحلاوته ، وحصل الانفجار بقوة عظيمة لم يسبق لها مثيل حيث ارتفع الماء عن سطح الأرض مقدار ٥ ذراع ، ويقدر ماؤها بقوة خمسة غروب (قربة كبيرة تستخدم كالدلو مع السواني) وتعتبر مضاعفة لأنها ليل نهار ، ومن حين انفجرت ونحن موضعين الصدر (أي أوقفنا السواني باستخدام الجمال) ومستريحين من تكاليف كثيرة ، عملنا لنا صهريج من فروش (صخرية) وأسمنت وبنينا عليها غرفة ، والآن هي فرجة للناس يؤمّها يوميا للتفرج ما لا يقل عن عشرين نسمة ، نرجو الله أن ينزل البركة ويوفقنا وإياكم لكل عمل مثمر .



وعن دعوتكم لعبد الله السليمان (وزير المالية) في محلها، وقد بلغني ذلك بوقته وكثيراً استرّيت، لا سيما بعد أن صادف حضوره عند حمد (السليمان)، ما يسعك التأخر، وهذه من هماتك الطيبة لا زلت موفق، وقد وصف لي العزيمة شخص حاضركم وأطنب المدح وهو عبد الله الناصر الهطلاني.

مسألة الريال: حيرة الناس هنا صار يضر بعضهم بعض بالركضات وحالاً ارتفع السعر (٢٨) إنما الأسعار غالية نهاية، الشكر (السكر) الكيس بمبلغ ٥٥ ريال والعيش الوسط صاع ومدّ (وحدة كيل) التمر الطيب (٦) وزنه (وحدة وزن) وهلم جراً. وصار ضحية هذه الحالة هالفقير الذي قد لا يزيد دخله يومياً على نصف ريال أي ٨,٥ قرش، هذا إذا شغل، نرجو الله أن يفرج لعباده ويعين ولي الأمر لما يصلح حاله وحال رعيته إنه جواد كريم.

أخوكم

الرسالة الرابعة

وهي من رسائله إلى الشيخ القاضي، وقد حررها بتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٣٥٩هـ أي قبل عامين من وفاة صديقه محمد الحمد القاضي، ونقتبس منها الفقرات التالية لأهميتها الوثائقية:

بيدي كتابكم سررت منه بعلم صحتكم ولآخره فهمته سيما وصول الصندوق ومناسبته أحسنتم هذا ما كنا نبغي.

وأشرتم أنكم دفعتم الكروه (الأجرة) والحال يا أخي أنا دفعتها لهم هنا، مطلوبكم أنجزناه من كل زوجين اثنين: عبيط تنكتين، سكري تنكتين، مغمي تنكتين، والمغمي ما أوصيتني عليه، وعملته من تلقاء نفسي جازم إنك ساهي عنه.

كتابك جداً مختصر وهذا خلاف عادتك وقد سمعنا عن كثير من الحوادث طرفكم كحادثة الكويت وحمد البسام ولم تشيروا لنا عنها وهذا خلاف الاتفاقية.

لم يستجدّ لدينا سوى الخير، الأخبار الخارجية منعمين بها من الراديو.

أخوكم

الرسالة الخامسة

وهي موجهة منه إلى أحد الأقارب، وفيها يلحظ جهوده للتوفيق والتسامح بين أفراد الأسرة، وقد كتبها أثناء عمله في البصرة في ١٤/ ٣/ ١٣٧٤هـ (الموافق ١٠/ ١١/ ١٩٥٤م) :

حضرة الأخ العزيز. . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ أرجو الله أنكم مع المحروسين الأولاد بخير وسرور وعنا مع الوالد، صحة الجميع تسركم ولله الحمد.

وبعد، فقد تلقيت كتابكم وسرني منه صحتكم، وفهمت ما أشرتم إليه بخصوص حصتكم من حاصل الوقف، ورأيكم أنها موجب هذا التقدير أقل مما كنتم تؤملون وبعيدة عن الإنصاف.

قبل كل شيء تعرف جنابك بأنني خالي العلاقة وأن كل ما أريده راحتكم وحل هذا المشكل الذي طال أمره وكثر الكلام حوله، وعرض على جهات شرعية عديدة، منها من رفض إعطاء الرأي عنها، وجهات أخرى أفتت بما تعلمون، وآخر ذلك فتوى فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم المرفقة صورتها بطيه، ويتضح لكم منها قرار فضيلته بأن حاصل الوقف لأعمال البر والمحتاج من المستحقين فقط.

ونظرا لمضي هذه المدة الطويلة على بقاء قضيتكم معلقة، ولصعوبة تطبيق الفتوى الشرعية فقد رأى الأغلبية الاتفاق والاصطلاح على تقدير أسهم معينة لكل شخص، فتم ذلك وقدّرت الأسهم للجميع بالنسبة لطبقاتهم، فالطبقة العليا تأخذ النسبة الأكبر، ثم التي تليها وهكذا بقية الطبقات، وهذا شيء يسري على الجميع، ولم تُقصدوا به شخصياً، وقد علمت أن جميعهم اتفقوا واقتنعوا بهذا التقدير، وأعتقد أنك توافقني على أن تمييزك لو حصل، فسيتقدم غيركم ويطالب بمساواتهم بك، وعندئذ تصبح النتيجة كما هي الآن، تقل حصتك نظراً لازدياد عدد الذين سيكونون بدرجتك وتقارب ما هي عليه الآن، كما أنها ستضر بالآخرين وأنت تفهم حالهم وحاجتهم، هذا إذا وافق الجميع على ذلك ولكنني أعتقد أنه لا يمكن بتاتاً الاصطلاح على تقدير أفضل من هذا التقدير وأقرب منه للإنصاف.

أما ما أشرت إليه من أن الأطفال خصهم أكثر مما خصك، ففيه من العائلة شخص كبير وصاحب بيت ومصرف ووافق أن يساوى بإخوانه الأطفال رغبة منه في إنهاء هذه القضية واقتناعاً بوجاهة هذا التقسيم.

هـذا، ولعلمي بـرجـاحـة عقلك وبعـد نظـرك وسماحتك، ورغبتك في الخير، آمل أن تـوافق على مـا تم، ولا هنـاك خسارة، فالمسألة كما يقـولون من الشارب للحية، وإذا تعتقد أن في الإمكان الحصـول على سهم أكبر فلا بأس، بيدك أن تسعى لـذلك، مع أنني متأكـد أن ليس في الإمكان أبـدع ممـا كان ــ كما يقـولون ــ ولا أظن أن يتيسر لك حل يكـون في صالحك أكثر من هذا، وعلى كل فالـرأي رأيك، ولا هناك شيء يستحق كل هذا الحرص فالمبلغ المتجمع الآن صحيح أنه كبير ولكن المحصول في المستقبل لا يصل إلى الدرجة التي يفرق بها سهم أو نصف سهم ويوجب لهذا التشدد.

سلامي للأسرة الكريمة . . . وتقبلوا تحياتي.

أخوكم المحب



الأستاذ فارس الحامد يودع عبدالله المنصور أبا الخيل وصديقه الحاج محمد طاهر أحد تجار الكويت بعد أحد الاحتفالات في فندق مطار البصرة، (في السبعينات الهجرية).

الرسالة السادسة

وهي موجهة إلى أخيه عبد الله الذي كان يدرس في القاهـرة مع بقية إخوانه، ويعود تاريخها إلى عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) حين كان سفيراً في باكستان، وفيها تتجلى بوضوح أساليبه التربوية، وعلاقته بالعاملين معه، وحبه للمزاح الرصين :

أخي العزيز عبد الله　　　حفظه الله　　　(القاهرة)

تحية طيبة جعلكم الله جميعاً بخير، وعنّا كما تحب .

بيد السرور تناولت رسالتك اللطيفة العذبة كعذوبتك وخفة روحك، وكنت وأنا أتلو عباراتها أتمنى لو اختار عبد الله كلية الحقوق، لأنني واثق بما وهبك الله من قدرة على أن تجعل من الحق باطلاً وبالعكس، أشكرك على بشارتك وأهنئك ونفسي بنجاحك، وفقك الله وأرانا فيك وإخوانك ما يسر الخاطر، وما ذكرت عن عبد الرحمن وسليمان وانتظار نتيجتهم ربنا يسمعنا خيراً.

شرحكم عن الحبيبة (يقصد أخته) وانشراح خاطرها وتقدم صحتها مع أولادها، سرني كثيراً، وهذا منتظر لا سيما بعنايتكم بهم ووجودكم إلى جانبهم، بارك الله فيكم، فقط ما أشوف داعي للعجلة، أبو محمد (زوجها) تعرفه حبيب ولا يظهر من الشوفة وأحب أنها تستفيد زيادة، وكذلك مراجعة بعض الأطباء وأخذ بعض المغذيات نظراً لضعف جسمها، هذا ولا بد يكون سفركم على المدينة المنورة حتى تشوفها الأخت هناك والذي يلزم من هدايا وخلافه أخبر بها أبو مرشد (يقصد محمد المرشد الزغيبي) يسلمكم ما تحتاجون، وفكرة الأخ سليمان الحمد بالتأخر لدراسة اللغتين جميلة جداً وفقه الله .

استغربت تأخر الابن سليمان عن السفر إلى البصرة لهذا الوقت، وربما كان ينتظر النتيجة، وكان الأفضل بدل أن يقضي هذه المدة بدون عمل ولا فائدة لو أنجز عمله بالبصرة وعاد مثل اليوم لأمكنه الاستفادة من المستقبل على ضوء ما يظهر له من النتائج، الله يهديه، حتى البرودة والتردد ورثه عن أبيه .

أعتقد أن عبد الرحمن (أخوه) لا يفكر بالسفر إلا بعد سفركم وأخته، فهذه فرصة اجتماعه بالشقيقة لا يهون عليه يخسرها .

تفكيرك في اتجاهك إلى الكلية الجديدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، هذا الذي كنت أشرت عليك فيه من أول السنة، وأظنك تتذكر جيداً المخابرة التليفونية، على كل حصل خير إن شاء الله وكلها مفيدة والأمر متوقف على رغبتك وميولك، ولا يهمك إذا وزارة المعارف وافقت أو توقّفت، الذي بخاطرك تسعى له وتعتمد عليه وحاضرين لكل ما تأمر،


الشيخ محمد وأخوه عبد الله في البصرة عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م).

وربنا يوفقك ويأخذ بيدك.

أشرت إلى إكرام العبادلة (العبدلي) لأختنا وعنايتهم بها، هذا لا يستغرب منهم.

ما خبّرتنا عن زملائك آل الذكير، وأولاد المرحوم السلوم، وعبد الله السعد السليم وغيرهم إن شاء الله توفقوا في دراستهم، .

وبالنسبة لإخوانك عبد الرحمن وسليمان المحمد، إذا كانت النتيجة بالنجاح تبرقوا لي بالحال وتخبروني عن سفر كل منهما وربنا يسمعنا ما يسر.

أخبرتكم عن سفر أبو عبد الرحمن (ربما يقصد محمد المنصور الزامل)، نوادره كثيرة ولطيفة ولكنّي لا أتذكرها تماماً، تعرف بعد حادثة لبنان ومع التقدم بالسن ضعفت الذاكرة عند أخيك، كذلك نوادر «أبو عبد الرحمن» تحتاج إلى مجلس وراحة فإذا يعجبك تزورنا في كراتشي، فالله يحييك.

أما (ولد بلاله) أصل قدومه إلى كراتشي حصل من أيام زواجه من ابنة عمه (راقية) بالموصل، بنت صغيرة لا تزال في المدرسة، حسب قوله، ورغب السفر بعد الزواج مباشرة ليقضي شهر العسل، إنما لوحده، وصار يتذكرها كثيراً، وحيث لا بد من سفره، وصادف أيضاً وجود باخرة حجاج مسافرة إلى جدة خالية، اغتنمنا الفرصة وأقنعناه يسافر معها حتى يشوف والدته وابنه بمكة ويفكر يختطف ولده من أمه يهديه للأخ عبد الله الطريقي لإرساله إلى أمريكا ربما يظهر جيولوجي فأبو سعود كما تعلمون معجب بأرامكو وأعمالها ونظره دائماً بعيد على كل حال أخذ له جولة مع عمه أبو عبد الرحمن (محمد المنصور الزامل) في الهند وجهات باكستانية.

نتوقع قدوم أخينا محمد المنصور الرميح في الأسبوع القادم بطريقه إلى اليابان وأميركا، ويعود بطريق أوروبا فالشرق الأوسط، ربما القاهرة، في عودته، هذا إذا ما تلقى شيئاً جديداً بالنسبة للتنقلات تغير عليه المنهج.

مر بطرفنا كل من أحمد العبد الله الزامل وناصر المحمد الصالح أرحام الأخ حمد المحمد الشبيلي، قادمين من أميركا بطريقهم للوطن لقضاء العطلة الدراسية، إنما مع الأسف صادف مرورهم أثناء غيابي في الهند، على كل عملنا لهم الترتيبات اللازمة قابلوهم الجماعة بالسفارة قرب العاصمة، وقاموا لهم بالواجب، إقامتهم يومين فقط، وقد أسفت لعدم اجتماعي بهم فقد سبق أن اجتمعت بهم في أميركا وكانوا في منتهى اللطف والكرم مع إخوانهم الآخرين.

عملت طيب بإشارتك لي عن الجماعة (العبادلة) وغيرهم من قيام بالواجب للأخت، وأرجو تفيدنا إذا كان هناك غيرهم وتسألهم كذلك عن إقامتهم بالشام والظهران، مَنْ الذي اعتنى بهم وقام لهم بالواجب، وكرمهم، تخبرني مفصلاً لعل الله يعيننا ويوفّقنا على مكافأتهم.

تحياتي للشقيقة والأخوان والابن سليمان ولجميع اخوانكم وزملائكم، الإخوان هنا بخير ويسلمون، وقد بلّغناهم جميعاً تحياتكم لا سيما الأخ جميل (الحجيلان) وقد أحب أن يجيب على تحيتكم برسالة مرفقة تطلعون عليها وقد أخبركم عن نقله إلى جدة، والحقيقة أننا نخسره فهو كما تعلم شاب طيب، أخلاقه عاليه وثقافته وكفاءته ممتازة، وعلى جانب عظيم من رجاحة العقل والإخلاص بواجبه وإخوانه، وفقه الله وأخذ بيد الجميع.

كذلك نقلوا عندنا طلعت حمدي من جده صار له مدة قصيرة عندنا ما كمل السنة، وكذلك أحمد ميمش، والكل في الواقع شباب ممتازين، ربنا يجعل فيهم البركة، الشيخ سليمان فطاني متوجه طرفكم بإجازة، والرجل كما تعرفوه طيب وفاضل، أصحبناه هذا الكتاب لكم ومعه سلة صغيرة تحتوي على قليل من (المنقا)، لا أدري إذا كان هذا وقتها عندكم (بمصر) فنكون كمن أهدى التمر على البصرة، المهم أن الأخت تجرّب فاكهة كراتشي وبالعافية، وسامحونا عن قلتها فهذه هدايا (الخوال)، ما تمكنا نكثّر حتى لا نكلف على الرجل، الشيخ سليمان كما تعهدون يشتغل عندنا موظف محلي بالشؤون الحسابية.

أكثرنا الكلام والأخبار وعليكم مقابلتها بالمثل والمولى يرعاكم.

أخوكم

الرسالة السابعة

وقد حررها من الهند نحو عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وهي موجهة إلى صديقه وابن خالته الشيخ محمد المنصور الزامل ـ يرحمه الله ـ الذي ربما احتل مركز الصدارة في عدد رسائله إليه، والشيخ الزامل كان من طلبة العلوم الشرعية في عنيزة وقد لازم فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي، تغمدهما الله برحمته.

ولذا فإن رسائله مع «أبو سليمان» تتميز في أغلبها بالحديث عن أحوال المسلمين في المناطق التي عمل فيها وآثارها ومكتباتها، وقد زاره في تلك البلدان وتجول معه في أرجائها، وبخاصة في منطقة كشمير، إبان عمله في باكستان والهند، كما كان الشيخ الزامل يشرف على تدبير الأمور الخاصة والأسرية لـ «أبو سليمان» في عنيزة، وكان في معظم رسائله يحفز الشيخ الزامل لزيارته ويشجعه ويبسّط له الأمر.

ومن بين مئات الرسائل المتبادلة بينهما، اخترت هذه الرسالة الخاصة التي تتحدث عن أحوال المسلمين في الهند وتتناول قضية كشمير، والأوضاع الاقتصادية في العراق بعد تغيّر الحكومات وإدخال نظم جديدة فيه:

الأخ الفاضل الشيخ محمد المنصور الزامل حفظه الله

تحية طيبة، جعلكم الله مع العائلة الكريمة والأولاد بأحسن حال.

في هذه اللحظة تسلمت رسائلكم الكريمة والمطولة مقدراً لكم حسن اهتمامكم وشرحكم الوافي، أدامكم الله، وسوف أجيبكم عليها مفصلاً إن شاء الله إنما المهم عندي هو موضوع زيارتكم، وهذا شيء لا يمكن أن أتنازل عنه أبداً وكلها أسبوعين، والعمل ما ينتهي، والراحة مطلوبة ولنفسك عليك ولإخوانك حق إكرام الإخوان بإجابة دعوتهم.

زارنا هنا أولاً الأخ أحمد القاضي وأهله (من بومبي) وبقوا عندنا يومين ثم زارنا بعدهم الدكتور حمد البسام وابنه نجيب، وكذا بقوا يومين قبل سفري لزيارتهم في بومبي.

كذلك سعدنا بزيارة الإخوان الأساتذة صالح بن صالح وأخيه عثمان الصالح بقوا عندنا قرابة عشرة أيام، زاروا خلالها كشمير وتاج محل، ثم واصلوا سفرهم إلى بومبي حيث سافر الأستاذ عثمان إلى المملكة، أما الأستاذ صالح فقد تأخر في بومبي حيث أجرى عملية لعيونه عند الطبيب الإيراني كللت بالنجاح التام، وغادر المستشفى إلى الفندق، يلاحظه



مع محمد المنصور الزامل في زيارة المصنع الذي تولى صناعة كسوة الكعبة المشرفة في باكستان في عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) يرافقها عبد العزيز الحطاب.

الجماعة البسام هناك، وسيبقى شهر واحد في بومبي، حسب أوامر الطبيب قبل أن يعود إلى المملكة، إنما وفق كثيراً في العملية ونجحت وهو بخير ومرتاح، وعلى الدوام نتصل به، اكتشفوا عنده «ظفارة» بالعين وماء بالأخرى، ونصح الدكتور بالمبادرة بالعملية، ربنا يكتب للجميع نعمة الصحة والعافية، إذا أحببتم يوضّح الأمر لأخيه عبد المحسن زيادة في تطمينه.

كنت أخبرتكم بأننا عزمنا على تقسيم المسيرح (مزرعة لأجداده في العراق) إلى أراضي، لبيع قسم منها وتعمير جزء، هذا رأينا في البداية الآن لا أدري بعد الإجراءات الأخيرة، سوف أبحث الموضوع مع الجماعة (يقصد الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي بالكويت) ولو نجد للمسيرح مشتري في الكويت وكذلك الدكاكين، لما تردد أخوكم في التخلص منها، لأن الكثير من المراقبين يعتقد أن الوضع هناك سوف لا يعمّر طويلاً، لأنه خلق نقمة بين كافة الأوساط، أحسن الله النهاية ولا غنى عن رأيكم، والله يقدر ما فيه الخير وحسن العاقبة، الأمر لم يعد موقوفاً على جهة دون جهة، والشر لا حدود له، والله نسأل أن يحفظنا من شر ما تجري به المقادير.

ربما صارت لنا زيارة للرياض وجدة لفترة قصيرة لاجتماع السفراء، ونحن لم نتبلغ حتى الآن بشيء، فإذا تيسرت لي زيارتكم (في عنيزة) فهذا ما أرجوه، وإلا فأراكم في الحجاز أو الرياض، لا نحب أن نخسر هذه الفرصة.

بعثت لكم مع هذا أعداد من مجلة الرائد، ومجلة العالم الإسلامي، مما يصدره إخواننا مسلمو الهند لإطلاعكم على ذلك، كما أنه توجد مكتبات كثيرة فيها مخطوطات مهمة تعجبكم، وأهلها لا يمانعون في إخراجها، فأرجو أن تفكّر (بالزيارة) ويكون طريقكم على الدمام والبحرين وإيران، فترضون الحبيب أبو يعقوب (السفير يوسف الفوزان) ومن طهران إلى دلهي ساعتين فقط ولا تنس يا بو عبد الرحمن أنك تحتاج لمثل هذه السفرات وتغيير الهواء بين حين وآخر من أجل راحتك وصحتك.



في لقائه مع سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح في الهند (بومبي) عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

زارني الحبيب سليمان (أخو أبو سليمان) وقد زرنا بومبي معاً، بقينا في فندق تاج محل حوالي ثلاثة أسابيع لزيارة أمير الكويت (الشيخ عبد الله السالم الصباح) وزيارة الجماعة ووجدناها فرصة أجرينا بعض الترميمات للعيون والأسنان، ولكن كما قيل: لا يصلح العطار... فبادر الله يرضي عليك بالزيارة ما دام في الإنسان قوة وقبل أن يصل بنا وهن السنين.

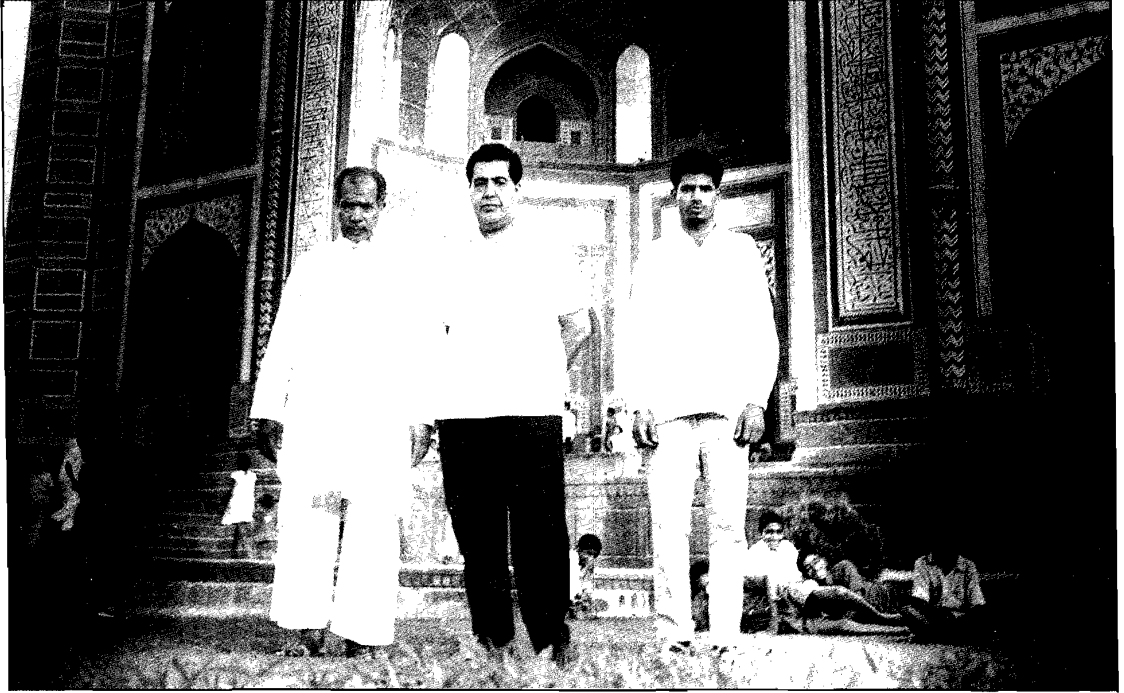
كشمير طبعاً تعتبر من أجمل المصايف في العالم، ففيها المناظر الطبيعية الجميلة والبحيرات على قمم الجبال، والفنادق هناك في عوامات تتجول في البحيرات.

أي لازم شرفونا تحياتي للعائلة.

أخوكم المحب

ملحق خبر

خسرت الهند بوفاة زعيمها نهرو شخصية مهمة لا يمكن تعويضها بسهولة، وحزنت البلاد عليه كثيراً، إنما أقل من القدر الذي صوّرته الإذاعات والجرائد، الشيء الذي يؤسف له أن المذكور كان على ما يظهر يعدّ العدّة لإنهاء مشكلة كشمير، ويقال إنه اتفق مع الشيخ عبد الله الذي يعتبر زعيم كشمير الحقيقي على طريقةٍ ما لحل المشكلة، وقد أفضى الشيخ عبد الله للرئيس أيوب خان بما يفكر به نهرو، فلاقت الفكرة استحساناً لدى الأخير، وقرر أن يجتمع مع نهرو في اليوم الثالث من هذا الشهر (يونيه) إلاّ أن القدر كان أسبق، والمشكلة الآن أنه لا يوجد الرجل الذي يستطيع أن يُقدم على أي حل لقضية كشمير، فالشخص الذي تولّى مركز نهرو يعتمد على تأييد حزبه، وهذا الحزب لا يوافق على أيّة تسوية للمشكلة، بينما كان نهرو فوق مستوى الأحزاب، وكلمته مسموعة، ومقبولة عند الشعب، على كلٍّ هذه إرادة الله، والخير فيما اختاره، وقد صرّح خليفة نهرو بأنه سيتبع خطوات سلفه، ولكن هل يستطيع، هذا ما سيبينه المستقبل.



بالزي الهندي مع الشيخ محمد المنصور الزامل أمام تاج محل بالهند.



مع نائب رئيس الجمهورية في الهند (ذاكر حسين).

حالة المسلمين هنا ليست كما يرام، ولكنها أقل مما نسمع ونتصور، فما نسمعه يبدو أنه لا يخلو من المبالغة، كان الله بعونهم، والبرلمان فيه عدد منهم والوزارة فيها اثنان، ونائب رئيس الجمهورية مسلم فاضل عالم، كان رئيس جامعة عليكرا، ومن المؤمنين الصالحين، زرته وقدّم لي تمر أم الخشب طري ولذيذ، قال هذا من المملكة قلت له هذا من مسقط رأسي، يظهر أن شقيقته جلبته معها في عودتها من الحج، عليه مظاهر التقى، فيه سماحة الوجه والبشاشة والتواضع مع سعة علمه ومركزه الكبير، مطلق اللحية وقور المنظر والمظهر، يفهم اللغة العربية وينطقها بشيء من الصعوبة، اسمه (ذاكر حسين) وهذه أسماؤهم ذاكر، شاهد، تبارك، مدثر، منذر، متمسكين بدينهم رغم ما يحيط بهم من المتاعب، كان الله بعونهم.

ولكن عندهم شجاعة وإيمان، أحد الوزراء شقيق صاحبنا (شاه جهان كبير) قنصل باكستان في البصرة سابقاً أظنكم تعرفونه، والموجود الآن في شرق باكستان، وهو رجل متدين صالح.

الرسالة الثامنة

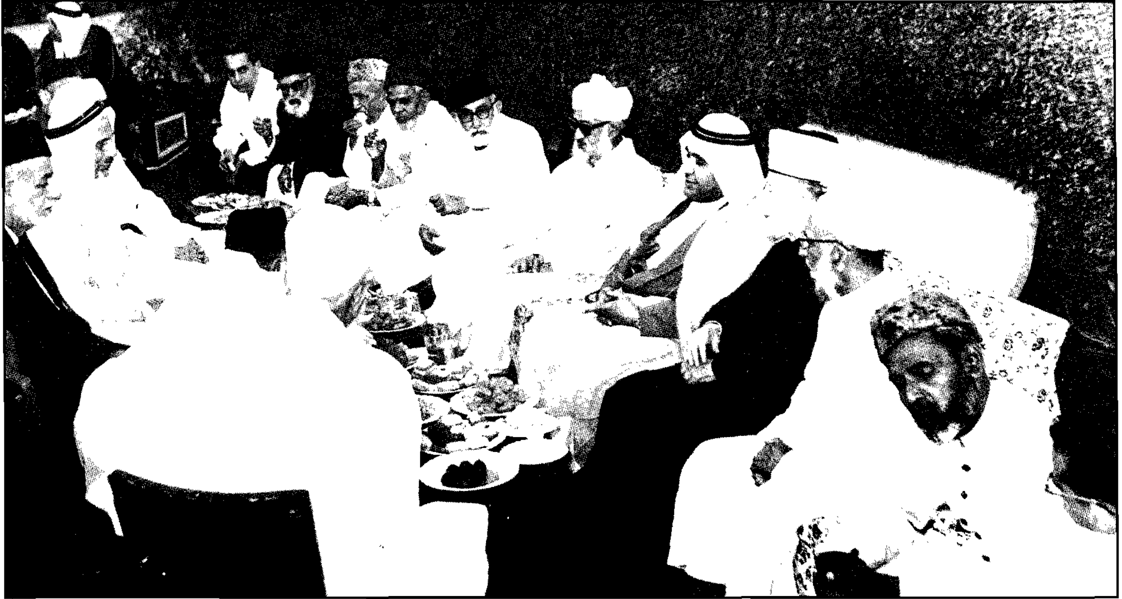
وقد حررها من بغداد بتاريخ ٢٨ من شعبان ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) إلى الشيخ منة الله الرحمن في الهند:

حضرة صاحب السماحة الأخ الكريم الشيخ منة الله الرحمن، أمير الشريعة لبهارواريسا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

مع مزيد السؤال عن أحوالكم جميعاً، لا زلتم بأسر الأحوال، هذا ونحن ولله مزيد الشكر والثناء بحال مرضية من جميع الوجوه، أوزعنا المولى شكر نعمه.

بأسر الأوقات تناولت بكل تقدير رسالتكم الأخوية المؤرخة ١١/ ١٠/ ٦٨م المتضمنة شريف عبارتكم المصورة لمودتكم الأخوية التي تعكس بين طياتها تلك الروح الطاهرة والمزايا الخلقية السامية، التي منّ الله بها عليكم، وحلاّكم بجمالها الباهر، وأنه لا يسعني في هذه العجالة الموجزة إلا أن أعبر لكم عن مدى مشاعري وعمق تأثري، بهذه العبارات التي أزجيتموها، والتي بعثت في النفس كامن الشوق وألهبت الذكريات الطيبة التي سعدنا خلالها باللقاء وتبادلنا أثناءها



مع بعض العلماء المسلمين من الخليج ولبنان والهند وباكستان.

شتى الأحاديث والبحـوث، التي تدور حول التحدث بـالنعم الإلهية التي أولاناها المولى ـ جل جلاله ـ وهـو الذي جمعنا كافة تحت راية التوحيد، التي دعا إليها سيدنا محمـد ﷺ، وما هذه الرسالة إلا شعاع من ذلك الإيمان الراسخ في نفوسكم الكريمة بتلك الرسالة السماوية، والتي ندعـو الله مخلصين أن يحيينا ويميتنا عليها إنه سميع مجيب، وأن يديم هذه الألفة القائمة على الحب في الله.



مع عدد من أعضاء السفارتين السعودية والعراقية في دلهي (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)

وأؤكـد لسماحتكم بأن ذكـريـاتكم لا تـزال جـزءاً مهماً من ذكـريـات هـذه الحيـاة ومتمماً من ذكريـاتي عن بـلاد الهنـد وشعبهـا اللين الهين الكريم، وإن ما لمسته في شخصكم الكريم من سـامي الأخـلاق، وعمـق العلم المقـرون بالعمل، كل ذلك مما يزيد ثقتي، ويؤيد يقيني بأن أمة يـوجد فيها أبناء بررة من أمثالكم، فإن مصيرهـا إلى الخير إن شاء الله، وأؤكد لكم بأن سعادة السفير الأخ الشيخ أنس يـوسف ياسين [١] هو مثـال للأخـلاق العالية والسعي الحثيث لتقـوية أواصر الـود والتعاون بين الجميع، وستجدون من سعادته تعاوناً صادقاً فيما يعود بالخير على الجميع حقق الله الآمال.

وأنتهز هـذه الفرصة السعيدة لأعـرب لسماحتكم عن خالص التهاني وأسمـى التبريكات بحلول هذا الشهـر المبارك، مبتهلاً إلى الله أن يـوفق الجميع للعمل بمرضـاته، وأن يمن بالقبـول والعفو عن الخطايـا، وأن يعيده على الجميع أعـواماً مديدة ملؤها الحبور والسعادة والهناء.

مرة أخـرى أكرر شكري واعتذاري عن عـدم إيفاء الموضوع حقه، فإلى اللقـاء وسلامي لكافة الإخـوة بطرفكم ودمتم بسلامة الله ورعايته.

محبكم في الله

---

(١) حل، يرحمه الله، محل الشيخ محمد سفيراً في الهند.

الرسالة التاسعة

وهي موجهة إلى ابنه سليمان وقد اخترتها لما اشتملت عليه من توجيه أبوي، ومن حث وتشجيع على الزواج ودروب الشهامة والخير، وقد حررها في بغداد بتاريخ ٢٤/ ٣/ ١٣٩٨هـ (١٩٦٩م) :

الابن العزيز سليمان حفظه الله

تحية طيبة، جعلكم الله بأحسن حال، عنا بخير إلا أنني تعبان أسأله تعالى العون والتيسير.

رسالتك وصلت واطلعت على جميع ما شرحت، مقدراً لك عباراتك اللطيفة وإعفائي من الإجابة على بعض رسائلك تقديراً منك لظروفي بارك الله فيك.

كما سرني منك حسن اهتمامك وشهامتك تجاه الآخرين مثل توصيتك بزميلك في العمل الذي سأكتب عنه للوزير قريباً وكذلك شرحك عن مشكلة عبد العزيز الصالح اليحيى، اليوم هذا اتصل بي أخوه يحيى قادماً من البصرة، وصار الاتفاق على أن يزورنا غداً بعد الظهر، وأعتقد أنه قادم من أجل موضوع أخيه، وسوف أفهمه أنك كاتب لي من



في بغداد، ويرى في الصورة الشيخ صالح الشملان وعبد الكريم الزامل وخلف الشيخ محمد يقف إبنه سليمان.

جهتـه ، وأنني سأعمـل كل مـا أستطيعـه لتحقيق رغبتكم ورغبتـه ، وفقك الله لكـل خير، وأعمال كهـذه تتسم بـالمروءة والشهامة ، تشكر عليها يا أبو داود .

عندنا خـالتك (منيرة الناصر) زارتنا مع الأخ عبـد الرحمن المنصور وعائلتـه ، بقوا عندنا فترة قصيرة لا تـزيد على أسبوع واحد أنسنا فيها بالجميع ، ولكني لاحظت أنها عاتبـة عليك ، وعلى عمك سليمان ، لعدم تجاوبكم معها على الزواج ، وقد ذكرت عنكم الكثير، وأفهمتهـا أن الذي معطّلك هـو البحث عن فلة أو شقة لتأثيثهـا قبل الزواج ، وقـد فضيت الآن فلا تتردد ، توكل على الله وابحث عن التي تناسبك ، وحاول إقناع عمك سليمان كذلك يهتم بموضوعه .

ابني ، لا راحة لكم ولا استقـرار بدون عـائلة ، قدّر الله مـا فيه الخير، وأحسن عاقبـة الجميع ، استبدالك الفلـة بشقة للأسباب التي شرحتها وجيهة جداً ، أخذ الله بيدك ، إذا لزمك شيء للشقة أو للزواج راجع الأخوان السبيعي أو القبلان أو تخبرني وتجد مطلوبك ، وكذلك سليمان الحمد .

أرجو أن يكون موضوع الأخ عبد الله في طريقه للنجـاح ، كنت كلمت سمو الأمير سلطان ووعد بمساعدته وطلب أن يراجعه الأخ عبد الله (يتصل برئيس مكتب سمو الأمير) ، أرجو أن يكتب بنجاحه .

أي لازم تخبرني ، تحياتي للأخت منيرة وأم محمد وطمنهم بأن برقيات أبو محمـد والسفارة متصلة لنا ، وصحته على ما يرام ونعتقد أنـه لا يوجد مـا يستوجب الدخـول للمستشفى أو العلاج الطويل ، إذ المسألـة بسيطة ، له الخير إن شـاء الله وهنا جميعاً متمتعين بكامل الصحة والعافية .

الاخوان هنا بخير وسلام يحفظكم الله .

والدكم



الرسالة العاشرة

وقد كتبها من بغداد إلى صديقه الأستاذ صالح الفوزان (السفير بوزارة الخارجية) بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٣٩٠هـ (٢٤/ ٥/ ١٩٧٠م) حيث كان الأستاذ الفوزان يعمل في لندن، وفيها يوصيه بعلاج عدد من أصدقائه وأحدهم كان موظفاً في السفارة ببغداد:

حضرة الأخ الكريم الأستاذ صالح الفوزان المحترم

تحية طيبة، جعلكم الله مع العائلة الكريمة بأحسن حال، أخوكم بخير يرجو دعواتكم، أكثرت الكتابة لكم عن الجماعة لأنهم فقراء إلى الله، ثم إلى مساعدة القادرين «ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام» أليس كذلك يا بوفوزان؟.

على كل، الجماعة حالاً متوجهين إليكم، وهم يمثلون (المحاربين القدماء) فأحدهم وهو الأخ يوسف الدبيان افتقد المرحوم والده تحت راية الملك عبد العزيز، والآخرين لهم دورهم، أرجو العناية بهم، والعناية المطلوبة تتلخص بما يلي:

١ ـ الحرص على إنهاء علاجهم بالسرعة الممكنة لأن بطاقتهم من النوع المخفض ولمدة شهر.

٢ ـ بما أنهم فقراء وعلاجهم على حسابهم، كلمة لوجه الله بإذن الدكتور لمراعاتهم.

٣ ـ الفندق الرخيص المتواضع.

٤ ـ الذي يخلص منهم يرجع حالاً إلى بغداد، ولا داعي لأن ينتظر صاحبه، لا سيما وكل منهم حريص على سرعة العودة.

٥ ـ ربما وصلكم تحويل باسم حمد المهباش اصرفوا منه، ومع المذكور مبلغ مائة وخمسين جنيه نقداً.

جميع ما يلزم للصرف على المذكورين، أي حمد المهباش وسعد السليمان السيف ويوسف الدبيان، قيدوه على حساب أخيكم، والذي يزيد لكم عن الموجود معهم أخبروني بمقداره، وأرجو أن لا يكون الرقم كبيراً لتحويله لكم على طرفكم شاكراً لكم ولجميع من ساهم ويساهم من الاخوان في مساعدة المذكورين، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

مع المذكورين كراتين صغيرة لسعادة السفير، ولكم وللإخوان تحتوي على شيء من الخضرة الطرية من انتاج بلاد الرافدين لعلها تناسب، وبينها قليل من الفقع الصالح للمطازيز لا أريد أكتبها كما تلفظها أم فوزان، كما أنه يصلح أيضا مع (القريش)، شكراً لكم.

أخوكم أبو سليمان

الرسالة الحادية عشرة

وقد حررها إلى الشيخ علي الصقير الذي خلفه سفيراً في بغداد، حيث انتقل الشيخ محمد إلى أفغانستان.

تاريخ الرسالة ١٧/ ٣/ ١٣٩١هـ (١٩٧١م) وفيها يشرح له أوضاع العمل ويصف له الموظفين العاملين في السفارة فرداً فرداً ويوصيه بهم، وقد جرت العادة بين بعض السفراء أن يتبادلوا مثل هذه المعلومات عند التنقلات:

سعادة الأخ الكريم الشيخ علي العبد الله الصقير المحترم

تحية طيبة، وأرجو الله أن تكونوا مع أفراد العائلة الكريمة بأحسن حال، تبلغنا البرقية المشتركة وقد باشرت بالتوديع إلا أن أثراً بسيطاً ألمّ بأخيكم عاقني لمدة أسبوعين، وأرجو أن يزول الأثر لأباشر من السبت القادم، وعلى العموم فقد أحتاج إلى شهرين لإكمال ما يجب من توديع واستعداد، وأعتقد أن مثل هذه المدة مناسبة لسعادتكم كان الله بعون الجميع.

أكرر ما سبق أن أشرت إليه من وجوب الاحتفاظ بالأخ فارس (الحامد) فهذا يفيد العمل إلى حد كبير من حيث كفاءته و إخلاصه ويمكنكم الاعتماد عليه.

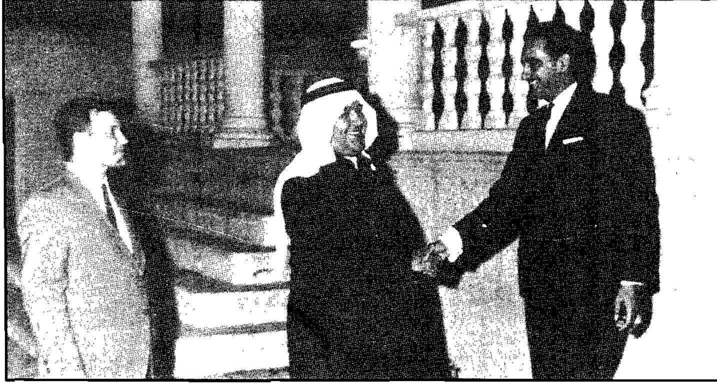
وأستطيع أن أقول: إن السفارة تحتوي على عدد من الموظفين اعتبرهم من خيرة الشباب، فالأعمال القنصلية بيد الشاب المهذب الوقور محمد سعيد قاري، شاب صالح متدين مثابر على عمله بالسفارة، ليل نهار على جانب كبير من الأخلاق العالية والإنسانية، يساعده على عمله سعود الخنيني، نشيط في عمله وفي (طبعه) مرتب ودقيق جداً، جباره الباحث في المكتب الخاص عنده الشفرة والأوراق الرسمية، هادئ متدين مهذب يسكن جوار السفارة بل بالسفارة، لا تطلبه إلا وتجده، شرف المحضار جديد، إنما شاب متدين خلوق مقبل على العمل من كل قلبه، عبد العزيز العمير، هذا تعرفه جيداً أغلب أعمالنا واتصالاتنا بالخارج يقوم بها المذكور لخبرته بالبلد وأهلها، يقوم بأعمال لا يستطيع غيره القيام بها، عامل اللاسلكي صالح المشاري وحده بالعمل متعاون إلى أقصى حد يسكن جوار السفارة ولا يفارقها إلا لأكله ونومه، الجميع، ولعلك تستغرب هذا، مضى لهم مدة هنا، تأكد أنهم لا يعرفون بغداد كما يجب، فلا سينما ولا سهر، ولا.. ولا، وقتهم موزع بين بيوتهم ومكاتبهم، وفقهم الله.

أرجو أن تحرص بل تصر على بقائهم معك نظراً لما أوردناه ولخبرتهم في العمل.

السواقين اثنين كبار في السن، طيبين متدينين مخلصين مهيئين للسهر والسفر بدون ملل ولا ضجر، وعندكم مراسل فاخر وسائق بنفس الوقت (عيد البسي) من عائلة كريمة، رقيق ومحبوب في الدوائر وفي المطار والجمارك، قدير جداً في

عمله، إذا تيسر لك في زيارتك للرياض العمل على منفعته وزيـادة راتبه يستحق كل خير، وعنده عائلة والدة وأخوات، علي الناجم وإخوانه، يكفي أنهم أبناء من قضى عشرين سنة أو أكثر في السفارة ومات وهو على رأس عمله، فلا أقل من رعاية أولاده علي وناصر ورعد الكبار، والجميع يعملون بالسفارة ما عدا واحد عند المستشار الثقافي، والاستعلامات عليها فاضل الصقعبي والفضل في اختياره لأخونا صالح الصقير، وبحق إن خير من استأجرت القوي الأمين، أخلاق ودين وعفة في العرض واليد واللسان وهو خير من يشغل هذا العمل، الطباخ جرجيس مسيحي فاخر في عمله مستعد يشتغل ليل نهار دون ملل ولا كلل، عقليتـه كبيرة ومؤدب إلى حد كبير، عمال «البدالة» طيبين جداً وكذلك البستنجية أخيار ومحافظين على دينهم، الباب عليه المحيسن وهذا خير وبركة.

الخلاصة الموجودين بصورة عامة مرضين من جميع النواحي، ومن الأفضل ألا تخسروا واحد منهم إذا أمكنكم والله الموفق، حبيت اعطائكم فكرة.



أمام مدخل السفارة في بغداد ومعه براهيم القدهي (الملحق الثقافي في بغداد آنذاك) و محمد جابر نادر.

بالنسبة للدار، علمت أن لكم رغبة بتغييرها وفصل المكاتب عن السكن بالنسبة لسعادتكم قد يريحكم هذا إنما بعد تشريفكم، عندكم أربعة شهور كافية للبحث عن محلات تأخذوها على رأيكم وتوفقوا إن شاء الله.

بقية الأمور التي يهمكم معرفتها والوقوف عليها كلها عند أخونا، عبد العزيز العمير يطلعكم عليها، وأنا واثق أنكم ستوفقوا إن شاء الله، الجماعة هنا راغبين (يقصد العراق) في تقوية علاقاتهم بالمملكة وأرجو أن يتحقق في عهدكم وعلى يدكم ما تعذر تحقيقه لحد الآن، وهذا منتظر لما حباكم الله من صفات محبوبة وحكمة في تدبير الأمور ولخبراتكم السابقة في طبيعة الجماعة هنا، أخذ الله بيدكم، كما أنني واثق بأن العائلة سيرتاحون للمناخ والناس ووسائل التعليم بالنسبة للأولاد ميسرة وتوفقوا، بمشيئة الله.

أطلنا الشرح مغتنمين فرصة سفر أبو سعد متمنياً لكم التوفيق، أي لازم نفوز به، تحياتي للعائلة الكريمة والأولاد والزملاء، والإخوان هنا يسلمون والله يحفظكم ويرعاكم.

المخلص

الرسالة الثانية عشرة

كتبها من لندن لأخيه عبد الله (في جدة) بتاريخ ١٣/ ١/ ١٣٩٣هـ (١٦/ ٢/ ١٩٧٣م) وكان يخضع للعلاج على أثر الرضوض والأورام التي تعرض لها بعد إصابته في أفغانستان، وقد اخترتها لما فيها من معلومات عن صحته خلال تلك الفترة، وعن مشاعر الإيمان بالله، ومعاني الوفاء التي يحملها لأقاربه وزملائه :

الأخ العزيز عبد الله حفظه الله (جدة)

تحية طيبة . . جعلكم الله مع العائلة الكريمة بأحسن حال، أنا بخير إن شاء الله .

تركت المستشفى حسب رغبة الطبيب على أن تعودني إحدى الممرضات يومياً للتغيير على محل العمليات وأزور الدكتور أسبوعياً للكشف، والنشاط لا بأس به إلا أن الشهية للأكل ضعيفة جداً وأحس ببعض الآلام في الظهر ولعلها من الجروح .

الطبيب يُطَمئن أن كل شيء على ما يرام، إنما لا بد من أسبوعين أو ثلاثة ولا هناك مع التغيير إلاّ الحبوب والإبر، وعلى كل إن كان الأثر هو ما تم فالأمر بسيط والجروح تبرأ بإذن الله، وإن كان هناك شيء خفي على الإنسان فأنا من البداية طلبت منهم ألا يصارحوني بشيء، فإذا كان هناك ما يمكن علاجه فسيتم ذلك بطبيعة الحال، وإذا هناك شيء آخر فلا داعي للمصارحة، والأعمار بيد الله، والمقدّر سيأتي فللإنسان نهاية لا بد منها، إنما نرجو أن تكون على خاتمة حسنة وعلى عفوه ورضاه، وأرجو أن تجعل ذلك على بالك وأن تلتفت لنفسك وتحرص على واجباتك الدينية، وتكثر التردد على حرم الله والدعاء لنفسك ولوالديك وأخيك، وأرجو الله أن يوفقنا و إياك للخير وقبول صالح الأعمال وأن يتسامح عن الزلات .

استلمت منك عدة رسائل، ولعدم انتظام البريد عند الجماعة هناك ولانشغال خاطر أخيك وعدم النشاط تعذرني إذا ما أجبتك بالحال، مع أني ساكن في شقة وكثير من الإخوان وزوار لندن يترددون على أخيك ولا يقصرون في المساعدة والتسلية جزاهم الله خيراً، وأحاول أشغل نفسي بالقراءة والاجتماع والتسلية للتخلص من التفكير والقلق الذي أشعر به ومنتظر نهاية العلاج ورخصة الطبيب لأزور الرجل الخيّر الشيخ محمد عبد الله رضا في باريس، والذي لا يزال على السرير بعد الحادث الذي توفيت به زوجته المرحومة الشريفة ، وحصل لمعالي السفير كسر بيده وكتفه ونزيف داخلي في البطن، ولكن صحته أخذت في التحسن، وقد جرح في الحادث ابنته (رحمة) حصل لها إصابة في الرأس والإصابة ليست سهلة، ولكن الله لطف بها فقد أجريت لها عملية كللت بالنجاح والحادث هو حالة تزحلق السيارة على الثلج واصطدامها بشجرة كبيرة ربنا لا يعيد على الأخيار الطيبين ما يسوؤهم لكنه قضاء الله وقدره .

وفي المستشفى الآن السفير فؤاد ناظر عنده «دسك» بالظهر وأجريت له عملية وزوجته يدها مكسورة بحادث اصطدام سيارتها في بروكسل، وجبرت وسلمت كتب الله للجميع الصحة والعافية.

عبد الرحمن «أخوهما» تكلم من أمريكا عدة مرات يسأل، وسليمان المحمد «ابنه» كتب كتاب طويل كالمعتاد، وأسأل الله لكم ولهم الهداية والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

قلت إذا يسر الله وانتهى العلاج وأذن الطبيب بالسفر ربما جعلت طريق العودة على القاهرة لأرى رياض (ابن أخيه عبد الرحمن) أما المملكة فتصعب عليّ زيارتها بالوقت الحاضر وإذا كتب الله لنا عمر أشوفكم إن شاء الله في الصيف القادم في كابل إذا حصلت لكم فرصة، ورغبتم القدوم بسيارتكم عن طريق البصرة ـ عبادان ـ طهران ـ كابل وربما قدم عبد الرحمن وعائلته وسليمان المحمد إذا أحب، كما أن الأخ محمد المنصور الزامل وعدنا، آمل أن يمد الله في العمر ونرى الجميع بأحسن حال.

أي لازم ممتنين تحياتي للعائلة الكريمة ولجميع أفراد الحمولة ولأبو سامي ولعله مرتاح الآن في جدة وكذلك لإخواننا معالي محمد المرشد الزغيبي والذكير والزملاء الإخوان هنا يسلمون والله يحفظكم.

أخوكم



يزور إحدى السفارات في يومها الوطني.

الرسالة الثالثة عشرة

حررها من أفغانستان بتاريخ ١٩/ ١/ ١٣٩٤هـ (١١/ ٢/ ١٩٧٤م) وهي موجهة إلى أخيه عبد الله وفيها يذكر إصابته بنوبتين قلبيتين متتاليتين، بسبب ارتفاع المنطقة جغرافياً حسبما يتبين من السياق، وقد أوجزت الرسالة لعلاقة البقية بمسائل عائلية بحتة :

أخي العزيز عبد الله حفظه الله

تحية طيبة جعلكم الله مع العائلة الكريمة بأحسن حال، أنا بخير والحمد لله فقط حصل في نفس اليوم الذي وصلت فيه كابل (في المساء) أن تعرضت لنوبة قلبية ولحسن الحظ كان الاخوان أعضاء السفارة عندي، فبادروا بالحال إلى نزع الملابس والجواريب والتدليك بالكلونيا والليمون كإسعافات أولية أفقت بعدها وغيّرت المجلس بناء على طلبهم، ثم عاودتني مرة ثانية مرت بسلام، وفي نفس الوقت أرسلوا سيارة لإحضار الدكتور نجم طبيب العائلة المالكة، ومن أشهر الأطباء هنا فأعطاني بعض العلاجات ونصح لي بالراحة التامة، كما نصح بترك كابل إلى مدينة (جلال آباد) التي تبعد عن كابل ساعتين بالسيارة، وفي موضع منخفض، وأفكر بالرواح إلى هناك بعد أخذ فترة كافية من الراحة وزيارة بعض المسؤولين، كنت أفكر أسافر إلى لاهور في الباكستان لأكون باستقبال جلالة الملك فيصل المعظم، وأضع نفسي تحت أوامرهم، إلا أنه بعد الذي حصل لا أعتقد أن صحتي تساعدني، وهذه أول مرة أتعرض فيها لنوبة قلبية، وعلى كل فالأعمار بيد الله وقل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا، حبيت أشرح لك ما حصل حتى لا تسمع من الغير إنما تحرص ألا يطلع الأقارب.



يودع أحد كبار ضيوفه في أفغانستان (معزيا بالملك فيصل).

أخوكم

الرسالة الرابعة عشرة

وقد اخترتها من بين عشرات الرسائل، التي كان الشيخ محمد يبعثها إلى صديقه الأستاذ فارس الحامد (أبو فوزي)، الذي يعد أحد أبرز من اطلع على خصوصياته وأسراره، لأنه عمل معه ثلاث فترات، تصل في مجملها إلى ست عشرة سنة، فقد عمل معه في قنصلية البصرة، وفي سفارة نيودلهي، ثم في سفارة بغداد، ويعتمد عليه في تسيير شؤون العمل في غيابه، وفي حضوره، وكان كثيراً ما يساعد الشيخ محمد في تحرير الردود على الرسائل الرسمية والخاصة، إذ كان الشيخ محمد يرتاح لأسلوبه في المراسلات، ومع أنه قد يوجد من يكون عمل معه فترة مماثلة، كالشيخ محمد المنصور الرميح وعلي الفوزان، إلا أن الأستاذ الحامد جمع بين طول المدة وتعددِ الفترات، ولا شك أنهم يُعدّون من أبرز مصادر المعلومات عن سيرته.

هذه الرسالة حررها الشيخ محمد عام (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) وهو في كابل ـ أفغانستان، وفيها من التفاصيل الواضحة ما يغني عن التعليق، وقد اخترتها من بين حوالي أربعين رسالة بعثها في فترات متقاربة إلى الأستاذ الحامد:

الأخ الكريم الأستاذ فارس الحامد حفظه الله

تحية طيبة، جعلكم الله مع العائلة الكريمة المحروسين بأحسن حال.

استلمت رسائلكم الكريمة وسررت لأخباركم الطيبة، والحمد لله على عودتكم بالسلامة، من بعد السفرة الميمونة، أدام الله أنسكم.

كان بودي لو جعلتوها إلى إيران وأفغانستان وباكستان والهند، بسيارتكم الجديدة الجميلة، ووفرتم على حالكم زيارة بلد آخر، إنما كما قال أبو صالح (يقصد عبد الكريم الزامل): أبت الدراهم إلا أن تُظهر أعناقها، على كل حال حقنا بالبايت لا بالفايت كما يقولون.

الابن سليمان ومعه عمته الأخت أم يوسف وأبناء المرحوم عبد الله المنصور الزامل كانوا لدينا في الفترة الماضية، أخذنا لهم فيلا جميلة بجوار السفارة، وأقاموا عندنا شهر، تجولوا خلالها في إيران وأفغانستان، وصادف وجودهم احتفالات البلاد بعيد الجمهورية حيث الزينات والاستعراض والألعاب الوطنية.

سرنا عزمكم على تسمية المولود الجديد «فهد» تيمنا باسم سمو ولي العهد.

أمر النقل أصبح في حكم المنتهي ، وإن كنت لم أتبلغ بالتهيؤ للسفر، ربما تكون ماليزيا أخّرت الرد تمسكاً منها بأخينا الشيخ حسين فطاني ، كما فعل الجماعة هنا على سبيل المجاملة (يقصد أفغانستان) فهم هنا ترددوا كثيراً ، وطلبوا مني إذا أمكن التأجيل أو النقل ، ثم سألوني بعد مدة إذا كنت عملت شيئاً أو هناك أي أمل فأجبتهم بأن الأمر لي صعب أخشى أن يكون اسمي أعطي لجهة ثانية ، وبعد أسبوع وبعد عودتي من الحدود مودعاً الأخت وأولادها استدعيت لوزارة الخارجية ، وأبلغوني أنهم ترددوا طويلاً بالإجابة على تعيين السفير الجديد (حسين فطاني منقولاً من ماليزيا) أملاً بأن يعاد النظر في الموضوع ، ولكنهم تجاه ضغط المملكة وجدوا أنفسهم مضطرين للإعلان عن قبول السفير الجديد ، وكلهم أمل بأن أعود إليهم ، فشكرتهم على مشاعرهم ، وأكّدت لهم بأنني دائماً معهم ، وإذا كنت سابقاً لديهم ، فإنني عندما أغادر كابل سأكون سفيرا لهم .

وقد أثنيت كثيراً على السفير الجديد وثقافته الإسلامية وخدماته في سبيل الإسلام والمسلمين ، وإذا كان أول سفير لنا في أفغانستان يعتبر من فطاحل الأدب والشعر وهو المرحوم فؤاد الخطيب ، فالشيخ حسين له مكانته الكبيرة في هذا الميدان فالرجل أديب وشاعر واسع الاطلاع .



الأستاذ فارس مع الشيخ محمد في الهند (١٣٨٥هـ) ١٩٦٥م .

وقد أعلن فيما بعد عن اسمه بالراديو، وفقه الله ، وأخذ بيده ، وأنا متأكد أنه سيرتاح هنا ، لأن البلاد جميلة ورخيصة ، وغنية بالمناظر الطبيعية الخلابة ووفرة الفواكه واللحوم والخضروات إلى جانب طيبة الناس ومحبتهم لبلادنا .

وقد وصلتني رسالة منه يشرح لي فيها عن وضع البيت وأجبته شاكراً ، وشرحت له عن كل ما يهمه الاطلاع عليه ، واقترحت عليه بأن تكون مغادرة كل منّا لمقره بعد انتهاء موسم الحج مباشرة ، الآن رمضان على الأبواب ومن الصعب

الحركة فيه، ثم يليه موسم الحج والاستعداد والتوديع وشحن الأمتعة.

أخي أبو فوزي:

عندي مسألة شاغلة بالي، لا سيما وأنا أشعر فيها بتقصير غير مقصود، والمسألة تتعلق بتركة محمد العويّد[1]، المرحوم كما تعلم لم يوكلني في الحقيقة، إنما وجدت أن الواجب يقضي بالمحافظة على حقوق أيتامه، وإنقاذ ما خلفه في البصرة والزبير خشية روتين الدوائر الرسمية، ولكن بمساعدة الأخ عبد الكريم الزامل وأبو مرضي (الذي نعزيكم فيه أيضاً حيث تعرض لجلطة، تغمده الله برحمته فهو خسارة والبركة في أولاده وربما نعيّن ابنه مرضي محل والده، ومحمد محل أخوه ليكونوا قريباً من والدتهم..).

نعود إلى موضوع بنات العويّد: فبعد تصفية ممتلكات والدهم وبيع البيت والمزرعة عمدنا كما تعلم إلى ترحيلهم إلى جدة، وقد حضرت زواج البنات والأزواج كلهم شباب ممتازين.

وجه تقصيري، هو موضوع الدراهم عند أحد الإخوان بجدة حيث كنت خشيت يتأخر زواجهم فبقيت الفلوس مجمدة ولو أمكن تشغيلها بالأسهم لربما مثل اليوم تضاعفت، على كل الواحد يتردد خشية حصول العكس وهذه أمانة وتركة، على كل حصل خير، البنات تزوجن، وقد خشيت إعطائهن المبلغ تضيع في مصاريف.

وكان هدفي أن نطمئن أيضاً على استقرار الزواج لتأمين مستقبلهم.. هذه خلاصة موضوعهم، والذي أطلبه منك الآن أن تساهم فيه لتشترك في الأجر أن تبحث لهم عن فيلا في حدود ستين ألف ريال، لا أتذكر كم الذي لهم بالضبط، لكن ما عندي مانع أقرضهم زيادة في حدود عشرين ألف ريال، نشتري فيللا تكتب باسمي، ويشرح تحت الصك بأن الفيللا المذكورة تعود إلى بنات محمد العويّد وذلك ضماناً لحقهم، وتؤجر ويفهّمون بالواقع ليكونوا على بيّنة، إلا إذا تيسر بيت بمقدار الذي لهم سواء عن طريقكم أو طريقهم، وأرجو الاتصال بهم مباشرة عن طريق الحبيبة أم فوزي، التي يستريحون لها كثيراً، المهم إنهاء هذه المسألة لأطمئن لأن الدنيا حياة وموت ومن واجبي أعمل شيء ينفعهم وعلى الله التوفيق وأرجو اهتمامكم بالموضوع أنتم وأم فوزي تطلبونهم عندكم أو تزورونهم.

لاحظت في الصحف السعودية شكر تعزية من آل التركي في وفاة عبد العزيز خالد التركي فمن يكون هذا؟ ويبدو من صفة الشكر أنه حادث أرجو إفادتي لنبادر بمواساتهم، وعسى ألا يكون ابن زميلنا السفير خالد الناصر التركي، على أية حال أرجو التحقق من الاسم لنواسي من يكون.. أي لازم ممنونين تحياتي لأم فوزي وللأولاد، والاخوة في الوزارة.

أخوكم

---

(١) قصته وردت في الفصل السابق، فقد هيأ الشيخ محمد في بغداد إرساله للعلاج لكنه توفي قبل السفر، فتولى الشيخ محمد رعاية أسرته.

الرسالة الخامسة عشرة

رسالة وجهها من أفغانستان إلى صديق لـه في العراق هو حسين محيي الدين (عضو محكمة التمييز ببغداد) بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٣٩٥هـ (٣/ ٥/ ١٩٧٥م) :

سعادة الأخ الكريم الأستاذ الكبير السيد/ حسين محيي الدين المحترم

تحية طيبة جعلكم الله بأحسن حال .

بيد السرور تناولت رسالتكم الكريمة شاكراً ومقدراً وفاءكم وجميل عنايتكم، الشيء الذي لا أستغربه من أبو علي الحبيب بل الشيء الذي تعودناه من سعادتكم .

فمنذ أسعدني الحظ بمعرفة شخصكم الكريم عرفت فيكم النبل والشهامة أدامكم الله وأدام عليكم ما وهبكم، هذا وشكراً للأخ الكريم على مواساتكم لنا بمصابنا الكبير بفقيدنا العظيم فقيد العروبة والإسلام (يقصد الملك فيصل طيب الله ثراه) الواقع أنها كما تفضلتم خسارة كبيرة ولكنه قضاء الله وقدره لا راد له، فالله تعالى يتغمده بواسع رحمته ويتولى جزاءه عن أمته وإسلامه وعروبته خير الجزاء، وأن يسكنه فسيح جنته كما نسأله تعالى أن يبارك لنا في خليفته الملك الصالح خالد بن عبد العزيز، وولي عهده الأمين .



مع خير الله الطلفاح والدكتور التازي في بغداد .

وشكراً لسعادتكم على كريم شعوركم وعواطفكم الخيّرة حفظكم الله ورعاكم ووقاكم من كل سوء .

قريباً أغادر كابل إلى المملكة لتقديم احتراماتي لصاحب الجلالة، وسمو ولي العهد، وربما واصلت سفري إلى «كوالالامبور» فإذا كنا لم نسعد برؤياكم في كابل لعل الحظ يدرك في كوالالامبور فنراكم هناك لنسعد بلقائكم ولنستعيد ذكريات البصرة الحبيبة، وطرائف صديقكم المرحوم أبو أحمد الأديب الشاعر الشيخ سالم الحميّد أي لازم يسعدنا قضاؤه، تحياتي لأخونا الحبيب الدكتور عبد الرزاق والأولاد والله تعالى يحفظكم ويرعاكم .

المخلص

الرسالة السادسة عشرة

ومن بين من كان يخصهم ويخصونه برسائل منتظمة ابن خالته عبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي، وهما من أقرب أقاربه وأصدقائه إليه، لتقاربهم في السن والطباع، ولوجودهما في الكويت قريباً منه عندما كان في البصرة ثم بغداد، وقد ظلا على اتصال به منذ الصغر حتى فرقهم القدر.

وقد اخترت هذه الرسالة، من بين عشرات كتبها لهما بخط يده كالمعتاد، في فترات متقاربة جداً، وتاريخ هذه الرسالة ١٢/ ١/ ١٣٩٨هـ (٢٢/ ١٢/ ١٩٧٧م) وهي صادرة من ماليزيا إلى الكويت:

الإخوان الكرام عبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي المحترمين

أطيب التحيات، وأصدق التهاني والتمنيات بحلول العام الجديد، جدد الله لكم فيه أثواب الصحة والسعادة وجعله عام خير وبركة على الجميع.

استلمت رسالتكم الرقيقة مع الابن الحبيب طارق الفوزان، شاكراً ومقدراً ما تضمنته من عبارات رقيقة ومشاعر كريمة وأخبار طيبة، وأدام الله عليكم نعمه.

ها الحبيب (طارق) كل زياراته مفيدة: زيارته الأولى وافقت الاستعداد لحفل اليوم الوطني للمملكة، وقد كفانا مهمة التفاهم والترتيبات مع الفندق، وكانت موفقة وبذل فيها جهوداً مشكورة.

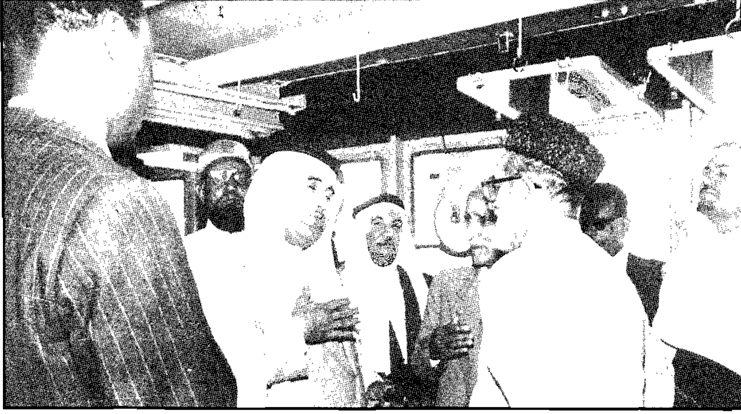
وفي الثانية صادف أنني كنت أفكر بإرسال جزء من الأغراض التي جلبتها معي، وأغلبها كتب وزل (سجاد) وخلافه لا لزوم لها، وفي قدومي من كابل كلفتني (شحن) حوالي أربعين ألف ريال، والخارجية تعتمد خمسة آلاف، لهذا اغتنمنا فرصة سفر الطائرات الماليزية خالية لنقل الحجاج وشحنا أغلبها معهم مجاناً، ومن حسن الصدف، كان على الطائرة الأخ عبد الرحمن العبد العزيز البسام وقد احتفظ بها لديه في جدة، حتى يأذن الله بالعودة، ونكوّن بيت وعائلة في المدينة المنورة، إذ أراد الله أن نكون من الأحياء، فقد شعرت بالتعب من العمل وبقيت أفكر جدياً بالراحة والاستقرار، أسأل الله التسهيل وحسن الخاتمة، ما بقي عمر يستحق التعب، نرجو دعواتكم.

ولقد شحنا إلى جدة حوالي (١١) صندوق حديد كبير فيها حوالي ١٢٠٠ كيلو، أخذوها بدون مقابل كما جلبوا لنا عند عودة الطائرات خالية قبل الحج كمية من تمور المدينة وعنيزة وماء زمزم وكمية من الرز البسمتي المعدوم هنا، وإن كان موجود في سنغافورة التي لا تبعد إلا أربع ساعات بالسيارة، والطريق بيننا جميل للغاية، جبال وغابات ومناظر في غاية الروعة إن شاء الله ترونه في زيارتكم التي نترقبها بشوق عظيم.

الابن سليمان بعد زواجه لا أعلم مقره ولم يتصل بي ولعله يخشى أن ألزّم عليه يجينا هنا وفي خاطره سويسرا، يقول «أنا أبخص» لعله يريد أن يتأقلم مع زوجته قبل زيارتنا وتزول الهيبة.

البلد هنا جميلة ، وخضراء تعجبكم ، ومنتظرين تشريفكم ، وحبذا لو جبتوا معكم هالخيّر عبد العزيز الخطاب ، أما الأخ أبو صالح عبد الكريم الزامل فهذا شيء مفروغ منه حسب الاتفاق .

زارنا في الفترة السابقة سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن وسمو الأمير متعب بن عبدالعزيز، وعدد من أساتذة جامعة الإمام والأستاذ صالح الشلفان وزميله صالح المصلح الرشيدي بعد جولة في اليابان وكوريا .



مع عبد الرحمن المنصور الزامل في باكستان .

الأمطار هنا متواصلة ، والجو معتدل على مدار السنة ، ولباس الناس ، الكبير والصغير، لا يزيد عن بنطلون وقميص خفيف ، ما هناك صيف ولا شتاء ، ربيع طول السنة .

تذكرون أنني أبلغت الأخ محمد المنصور «بعنيزة» يعطي إحدى قطعتي الأرض للإخوة عبد الله الجلالي وزملائه لإنشاء مسجد عليها ، وقد كتبت مؤخراً له عن استعدادنا لإعطائهم القطعة الثانية إذا كانوا يرغبون بناءها شقتين للإمام والمؤذن ويكون تحتها كم دكّان وقف للمسجد ، أما الأخ محمد فهو يقترح جعل مكتبة تحت الشقق للمطالعة وتركناها لرأي الجماعة .

لا نزال ننتظركم بفارغ الصبر، وعدتم بالشهر الحالي ، ونحن الآن على نهايته ولم تصلنا منكم إشارة حتى أبو عبد الرحمن الحبيب (يقصد صالح العبدلي) في كتابه الأخير شرح لنا عن زياراته إلى قبرص ولبنان وغيرها ، وفي النهاية ترك الخطاب بدون خاتمة تهرباً من الإشارة إلى زيارتنا .

عندي كلام كثير، إنما أخشى تشوفون الكتاب مشحون وخالي من ذكر الأسهم والأراضي وتؤجلون قراءته .

أي لازم نتشرف به ، تحياتي لأم منصور وأم عبد الرحمن وكافة أفراد الأسرة .

محبكم المخلص



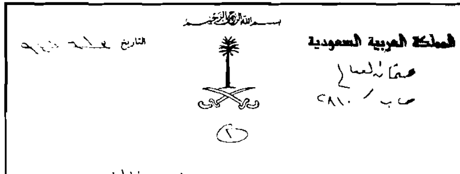
الرسالة السابعة عشرة

وهي موجهة إلى الأستاذ عثمان بن ناصر الصالح، وقد اخترتها لما تحتوي عليه من معانٍ وطنية وتاريخية وإعلامية، وتكشف عن مدى معرفته بتاريخ الجزيرة وما يكنه من حب وإعجاب بالملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ويعود تاريخها إلى منتصف عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م):

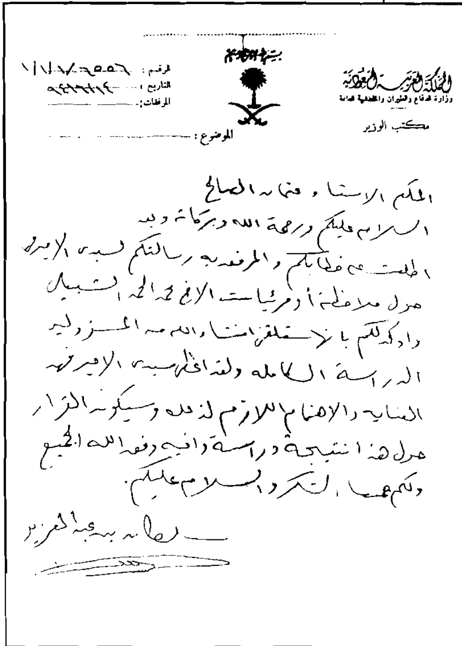
سعادة الأخ الكريم الأستاذ الكبير عثمان الصالح المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته جعلكم الله مع أفراد العائلة الكريمة بأحسن حال، أخوكم بخير.

كتبت لسعادتكم في خطاب يباري هذا عن (المصمك) ووجوب إبرازه بالشكل الذي يليق بتاريخ المرحوم الملك عبد العزيز ورجاله الأبطال ليبقى ذكرى يعتز بها كل مواطن في المملكة، لا سيما وهو الأثر الوحيد الذي بقي شاهداً على المغامرة البطولية والجريئة التي قام بها بطل الجزيرة، والتي



المملكة العربية السعودية



المملكة العربية السعودية

مكتب الوزير

المكرم الأستاذ عثمان الصالح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

سلطان بن عبد العزيز

الشيخ عثمان الصالح يرفع إلى سمو ولي العهد آنذاك (خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز) اقتراح الشيخ محمد بشأن إزالة المباني حول «المصمك»، ويتلقى الرد من سمو الأمير سلطان بشأنه.

رفعت رأس كل مواطن في المملكة. والآن أود أن أشير إلى موضوع آخر ومعذرة إذا كنت أكلفكم بأشياء قد تأخذ من وقتكم الثمين، إنما لعلمي بمكانتكم عند المسؤولين، ولما أعرفه عن مساهمتكم واهتمامكم وجهودكم في كل ما يعود نفعه على الصالح العام، فإن موضوع الأفلام التي توزعها وزارة الإعلام لعرضها في الخارج

والداخل، مثل هذه الأفلام مـن الواجب أن تراعى فيها الدقة وأن تدرس من قبـل جهات لها خبرتها في التاريخ والأحداث مع تقدير المصلحة.

مثلاً هنـاك فيلم قديم (جـزيرة العرب) يحكي قصـة بناء المملكة من البـداية حتى تـوحدت الجزيرة وتطـورت بجهود المرحوم الملك عبد العزيز وأبنـائه ورجاله المخلصين، ثم نجد الفيلم يظهر الملك عبد العزيز بعـد توحيد المناطق المذكورة يشير بيده وهـو على ظهر جـواده (إلى الحجاز) وهذا غير صحيح، فـالواقع أن الملك عبـد الله ظهر بجيش كبير إلى تـربه واحتلها وقتل من أهالي نجد (مثل آل الطعيمي وغيرهم) وقبل أن يفكـر الملك عبــد العزيز بالتصـدي لجيش الملك عبد الله (الذي كـان يضم من بين قادتـه أمثال نوري السعيـد، جعفر العسكري، ابـراهيم الراوي وغيرهم من رجـال النهضة العربيـة، كما يسمون أنفسهم، وممن تخرجوا من الكلية العسكـرية التركية) بعث للملك عبـد الله رسالة رقيقة محاولـة منه لتفادي الحرب، ونظرا لعدم تجاوب الملك عبد الله، حتى أنه لم يجب على الرسالـة، أتبعها الملك عبد العزيز برسالة أخرى شديدة اللهجة مع الجيش الذي أخذ طريقه إلى تربه بقيادة (سلطان الدين بن حميد) والتي يقول فيها:

- من عبد العـزيز بن عبد الـرحمن إلى عبد الله بن الحسين، بلغنا وصـولك إلى تربه تجر قـواتك وجيوشك، نصيحتي إليك أن تعود من حيث أتيت، وإلا أتتك نجد زاحفة تسبق حريمها رجالها، وقد أعذر من أنذر ـ عبد العزيز.

وقد ثبتها الملك عبـد الله في مذكراته، وكان جواب الملك عبـد الله لحامل الرسالة وأمامه كبـار القادة في مجلسه: كيف تجرؤ يا خبيث على حمل مثل هذه الـرسالة إلينا، وأقسم لولا أنه يُترفع عـن قتل الرسل لوجد الرسول رأسـه أمامه، وطلب منه أن يعود حـالاً ليخبر من أرسله بأنه (أي عبـد الله) ما قدم إلى تربـه إلا لقضاء عيد الفطر في تربـه، وعيد الأضحى في الاحساء، وعلى الملك عبـد العزيز أن يتقدم إلى الاشتبـاك بجيش الملك عبد الله ويتعقبه حتى النهـاية المعروفة، ومـا كان الملك عبد العزيز غازياً ولا طامعاً بل مدافعاً، أما أن الملك عبدالعزيز بعد دخول حايل يقف ويشير بيده إلى الحجاز فهذا غير صحيح، ومخالف للواقع.

هذا الفيلم حكى أيضـاً عن دخول الأحساء من قبل الملك عبد العـزيز، ولكنه لم يشر إلى أن هذه المنطقـة كانت جزءاً من الدولة السعودية، سلبها الأتراك ثم جعلوا منها قاعدة للتموين ضد الملك عبد العزيز، وخشية أن تتسلط عليها قوى الاستعمار التي سيطـرت على الخليج بأكمله بما في ذلك البحـرين وقطر المجـاورة للمنطقة الشرقيـة فقد سارع الملـك عبد العزيز لإنقاذ المنطقة.

نعم، قد يكون هناك أشياء لا تقال في الفيلم مراعاة لمشـاعر الآخرين ولعدم إثارة الحساسيات، لكن مثلما أبرز الفيلم رجال ابن رشيد ومن معه من الأتراك يجب أن يبرز دور الملك عبد الله وأهدافه واستفزازاته أو يتجاهل الموضوع نهائياً.

هذا فيلم قديم وانتهى وإن كان لا يزال يعرض بين حين وآخر.

يعرف أن هناك فيلماً جديداً زودتنا به وزارة الإعلام أخيراً مع أفلام أخرى ننتظرها بتاريخ العيد، هذا الفيلم هو فلم الحج، يبدأ بمجموعة من المجاهدين على ظهور الخيل لنشر الإسلام بالسيف والقوة بملابس حديثة وغتر وعقل، فهذا غير صحيح:

أولاً: الملابس المستعملة بالبادية كانت أولى وأقرب للمناسبة.

ثانياً: إذا كان الإسلام بدأ بالقوة في بقعة صغيرة فقد انتشر في معظم الأقطار بالعلم والأخلاق والمثل العليا، وهذا حال الإسلام بالنسبة لأندونيسيا، الفلبين، بورما، سيلان والملايو وكثير من جزر الصين وروسيا، انتشر تحت شعار ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[1]﴾، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ[2]﴾.. إلخ.

وفي جامع المربع بدل ما تؤخذ المناظر بداخل المسجد أخذت خارج المسجد والناس يفرشون غترهم ليصلوا عليها، وهذه مناظر من فلم جديد عن المملكة (التحدي الكبير)، هذا الفيلم يبيّن ما في المملكة وحاضرها من بداوة ورعي إبل ووقوف على الآبار لجذب المياه، إلى تلفزيون يصوّر جماعات من الشيوخ والشباب تغني وتصفق (بفعل البترول) حبذا لو كانت هذه المناظر برامج أخرى، مع عرض بسيط عن الطرب البريء ثم أعطى الفيلم فكرة عن الحرم والتوسعة، ولكنهم لم يأخذوا مناظر للحرم من الفيلم القديم ليجد المشاهد الفرق بين وضع الحرم بناءً قديماً وحالياً وليقدر جهود الحكومة في هذا السبيل.

هذه بعض من الملاحظات على الفيلم وهناك الشيء الكثير، أفلام، كهذه يجب أن تدرس بعناية ودقة قبل انتاجها وألا يعتمد فيها كثيراً على الأجانب.

الشيء الثاني في فيلم الحج ومنذ البداية أناشيد حماسية (إسلامية لا غربية لا شرقية لا شيوعية، إسلامية)، لا استعمار، هذا جميل، إنما كان الأفضل لو ابتدأ وانتهى (بلبيك اللهم لبيك) ربما كان أكثر روعة وأكثر تأثير.

هذه ملاحظات صغيرة أحببت أن أعطي استاذنا عنها فكرة، لعل تحصل لسعادتكم مناسبة مع معالي وزير الإعلام للتحدث معه عنها، لاتخاذ ما يراه مناسباً، كم نحن بحاجة إلى أفلام من وزارة المعارف عن نشاطاتها، ومن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ومن كليات الأركان للجيش والشرطة والحرس الوطني عند التخرج، كل هذه الجهات لم نظفر منها بشيء رغم إلحاحنا وكتاباتنا لهم (إن كان عن طريق الخارجية أو مباشرة)، وهذه كلها تعطي فكرة عن تقدم المملكة وتطورها في مختلف الميادين، في الملعب الرياضي أخذت مناظر لعدد قليل من الناس جلوساً على الأرض وعلى التراب إلخ.

---

(١) سورة النحل ـ الآية ١٢٥.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦.

معذرة عن الإطـالة وشكراً مسبقـاً لسعادتكم على استيعـابها و إسهامكم في عرضهـا على المسؤولين، أدامكم الله ووفق الجميع لما فيه الخير على أساس أنها ملاحظات من عندكم وعلى أساس ما بلغكم عن الأفلام.

أي لازم ممنونين، تحياتي للإخوان والأولاد، الإخوان هنا يسلمون وتسلم لأخيك.

المخلص



السفارة السعودية في كراتشي

الرسالة الثامنة عشرة

كانت موجّهة منه إلى زميله الدكتور عبد الهادي التازي السفير المغربي لدى العراق أيام كان الشيخ محمد سفيراً هناك، وقد كتبها إليه بعد انتقاله إلى ماليزيا (أي في أواخر السبعينات الميلادية) :

معالي الأستاذ الكبير عبد الهادي التازي حفظه الله

احتراماتي، مع أطيب تحياتي وتمنياتي لمعاليكم وأفراد الأسرة الكريمة بدوام السعادة والتوفيق .

تسلمت بيد السرور رسالتكم الكريمة، شاكراً ومقدراً مشاعركم الخيّرة وعواطفكم النبيلة، وآسف لتأخري في الرد لأسباب خارجة عن الإرادة، مكبراً ألطافكم ووفاءكم، مغتبطاً بالخبر السار عن قرب زيارتكم لماليزيا، حياكم الله، وسوف تسرون منها ومن أهلها، وفرصة طيبة لأخيكم نسعد بها، وحبذا لو رافقتكم «الشريفة»، ومن تسمح له ظروفه بمرافقتكم من «سعد» الحبيب إلى الحبيبة الحلوة التي لا زالت ألفاظها العذبة في الآذان .

عندنا شاب مسلم أنعم الله عليه بالإسلام، وتزوج من فتاة مسلمة محافظة متدينة، تعمل عندنا بالسفارة مع والدتها على التلكس والآلة الطابعة وفي المطبخ، زوجها سائق ماهر كاتب آلة تلكس، عندهم بنت صغيرة جميلة عمرها سنتان تدعوني (أبو مان) نفس التعبير لبنتنا الحلوة .

أرجو أن يكون ولدنا سعد رزق بأولاد نرى فيهم ما رأيناه بوالدهم ويعيش الجميع بعزكم وسعادتكم .

بمناسبة عودة الأستاذ الطيب عبد الفتاح العاني والذي شارك مشكوراً في مسابقة القرآن الكريم، والذي كان موفقاً كل التوفيق في دوره، وسوف يمر بطريق عودته على بلده الثاني المملكة للزيارة والعمرة بمناسبة هذا الشهر المبارك تقبل الله من الجميع .

كلفنا أخانا بشنطة صغيرة «ماحبينا» تكون بحجم كبير حتى لا تكلفه، تحتوي على حاجات صغيرة للذكرى، وفي انتظار تشريفكم إلى ماليزيا، نراكم والجميع بأحسن حال، احتراماتي للشريفة، وتحياتي لسعد وإخوانه، وتهانينا للجميع بعيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع والأمة الإسلامية بمزيد من العزة والكرامة .

والله يحفظكم ويرعاكم .

المخلص



في بغداد، الدكتور التازي وحرمه ومحمد الصالح السلمان وسليمان بن الشيخ محمد.

وقد علّق عليها الدكتور عبد الهادي التازي بالآتي ضمن رسالة بعثها إلى مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة :

«من هذه الرسالة القصيرة يأخذ المرء فكرة عن شخصية السفير الشبيلي بما تتوفر عليه من عواطف صادقة لمعارفه، فهو دائماً على ما كنا نعهد في بغداد، يذكرنا كما نذكره من سعد إلى فاطمة الزهراء التي ينعتها ــ بحق ـ الحبيبة الحلوة(!) والتي ما تزال إلى الآن تردد اسمه بإكبار وإعزاز.

ومن الرسالة نعرف نوع من ينالون ثقة أبي سليمان في بيته . . فهو لا يوظف إلا من ينتسب للإسلام، وهكذا «فكل من أراد أن يكسب عطف أبي سليمان فعليه أن يصل إلى ذلك عن طريق الإسلام» .

ثم إن الرسالة تكشف عن اهتمامه بأحد المقرئين المغاربة الذين شاركوا بماليزيا في مسابقة القرآن الكريم، وقد حكى لي هذا كما حكت لي المقرئة المعروفة الأستاذة التازية بأن أبا سليمان هو الذي بحث عنهما في الفندق وهو يثقل الأستاذ الطيب بحقيبة أترعها بالطرائف والتحف التي توزعها الأطفال

ذلك هو أبو سليمان نوّر الله ضريحه وأسبغ عليه من رحماته» .

١٩/ ٢/ ١٤١٠هـ

٢٠/٩/ ١٩٨٩م

عبد الهادي التازي ـ المغرب

الرسالة التاسعة عشرة

كتبها إلى الأستاذ أبي بكر محيي الدين، رئيس جمعية الدعوة الإسلامية في سنغافورة، وفيها يقدم تبرعاً إلى الجمعية بعشرة آلاف دولار أمريكي مع أنها خارج نطاق السفارة في ماليزيا :

سعادة الأخ الكريم الأستاذ أبو بكر محيي الدين حفظه الله

رئيس جمعية الدعوة الإسلامية في سنغافورا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تسلمت رسالتكم الكريمة شاكراً ومقدراً مشاعركم الخيرة، وحول إشارتكم إلى النشاطات التي قدمتها الجمعية على مختلف أنواعها والتي لاقت نجاحاً كبيراً، بارك الله فيكم، وسدد خطاكم، وهذا بلا شك نتيجة لجهودكم الخيرة والمتواصلة في خدمة إسلامكم وأبنائكم، وفقكم الله لكل خير، وشكراً على هديتكم من الرسوم وشريط الفيديو متمنياً لكم دوام التوفيق في مواصلة جهودكم الخيرة، أعانكم الله وأدام عليكم وأسرتكم الكريمة موفور الصحة والعافية، وقد رغبت في مشاركتكم والمساهمة معكم بمبلغ بسيط، قدره عشرة آلاف دولار أمريكي، والله تعالى يبارك جهود الجميع، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص



إحدى مسابقات تلاوة القرآن الكريم في ماليزيا .

الرسالة العشرون

وهي موجهة إلى الأستاذ عبد الستار سيرت الأستاذ، حالياً، في جامعة أم القرى بمكة المكرمة والوزير الأفغاني السابق في العهد الملكي، حين كان الشيخ محمد سفيراً في أفغانستان ويرجع تاريخها إلى عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) وقد اخترتها لما تحتوي عليه من فكر سياسي تجاه أوضاع أفغانستان :

معالي الأخ الكريم الأستاذ عبد الستار سيرت حفظه الله

أطيب التحيات وأصدق التمنيات جعلكم الله وأفراد الأسرة الكريمة بأحسن حال، محبكم بخير.

بيد السرور تناولت رسائلكم الكريمة شاكراً ومقدراً حسن اهتمامكم مسروراً بأخباركم الطيبة عن اختيار الرابطة لشخصكم الكريم للمساهمة في جهودها الخيّرة في سبيل الإسلام والمسلمين، اختيار موفق بالنسبة للرابطة ولمعاليكم لإعطائكم مجالاً أوسع في العمل المُجِدّ المثمر، وآمل أن يكون لنا نصيب في مشاركتكم لتشهدوا مسابقة القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، ونراكم مع العائلة الكريمة والأولاد بأحسن حال، حياكم الله ورعاكم.

ساءني جداً ما حصل في أفغانستان الحبيبة من المآسي، وكنت في أحاديثي معهم ومع تيمور شاه ـ وأرجو أن تكون كُتبت له ولأفراد عائلته السلامة ـ كنت أقول دائماً بأن المرحوم الرئيس داود فتح ثغرة للانتهازيين والشيوعيين في حركته.

وكم كنت أتمنى لو كان تعاون مع ابن عمه لإصلاح الحال ودرء الخطر الذي حل بالبلاد ولكنها إرادة الله، أرجو أن تكون عبرة وأن يعيد الله للبلاد أمنها واستقرارها والحفاظ على إسلامها من عبث العابثين، وعلى قدر ما حصل من قبل للأبرياء وبصورة لا إنسانية أعتقد أن من أقدموا على هذه الجريمة الشنعاء سيلاقون جزاءهم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

لا أدري ماذا حصل بالنسبة لرئيس الوزراء، بالعهد الملكي وللدكتور عبد الظاهر وللسيد فرهادي وأحمد الكيلاني وللجماعة المعتقلين من أساتذة كلية الشريعة والوزراء. والله تعالى يكتب الرحمة لمن استشهد والبقاء وطول العمر لمن كُتبت لهم السلامة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

آمل أن تتيسر لكم الفرصة للزيارة لنسعد بمشاهدتكم ولتأخذوا فكرة عن هذا الجزء المهم من عالمنا الإسلامي، البلاد جميلة ونظيفة وخضراء، والجو معتدل، والناس هنا في منتهى الطيبة، حياكم الله، نراكم بأحسن حال إن شاء الله. احتراماتي للعائلة وتمنياتي للأولاد بالتوفيق والله يحفظكم ويرعاكم.

٢٠/٨/١٣٩٨ هـ.
٢٥/٧/١٩٧٨م.

المخلص

الرسالة الحادية والعشرون

وقد حررها من ماليزيا إلى أخيه عبد الله (القنصل السعودي في بومبي آنذاك) بتاريخ ٣٠/ ٤/ ١٣٩٩هـ (٢٨/ ٢/ ١٩٧٩م) وفيها يشير إلى رغبته في التفرغ للعبادة، كما تتجلى فيها علاقاته الإنسانية الخاصة بأقاربه وأصدقائه، وقد اختصرتها مكتفيا بما ورد في بدايتها:

الأخ العزيز عبد الله حرسه الله وأبقاه

أطيب تحياتي وأخلص التمنيات لكم والعائلة الكريمة بدوام السعادة والتوفيق.

أخوك بخير، إلا أنني أتطلع إلى الساعة التي أرتاح فيها من العمل فقد بدا على أخيك التعب، وطبعا للسنين حقها، لعلنا إذا كان هناك بقية من عمر نتداركها في طلب رضائه والمجاورة في جيرة مسجد رسوله، وأرجو الله أن يحقق لنا ولكم ما فيه الخير وحسن العاقبة في الدين والدنيا، فهذه الدنيا لهو ولعب، وكلها متاعب ولا يحس الإنسان وينتبه لنفسه إلا إذا بلغ به العمر، والسعيد من حاسب نفسه قبل أن يحاسَب، وترفّع عما يسيء إليه في دينه ودنياه.



يقدم أخاه عبد الله إلى نعمه النعمة وكيل وزارة الخارجية العراقية.

سبق أن بعثت لكم بعض الأشرطة أرجو أن تكون تسليكم إن شاء الله، وبمناسبة توجه إخوان لنا (آل الخاطر أهل الجبيل) كلفناهم بكارتون صغير داخله ثلاثة أشرطة كتبنا عليه اسمكم وعنوانكم الرسمي وأبلغتهم إذا عارضهم الجمرك يتركونها عندهم لتتولون إخراجه، وسوف نوافيكم بما يجد عندنا.

هناك تمثيلية كويتية (على هامان يافرعون) لطيفة جداً أخبرت طارق الفوزان يرسلها لكم من الكويت لعلها تسليكم

في هذه الأيام الصعبة والتي تمر بها أحــداث تشغـل البال، أحسن الله النهاية.

لا بد بلغكم وفاة الحاج عبد العزيز العبد الله البسام في البصرة، إذا لكم صلـة بأولاده عبـد الرحمن وخـاله في جدة وعبد الله (أعتقد في المنطقـة الشرقيـة) على كل البرقيـة والخطـاب يكـون باسم عبـد الرحمن وإخوانـه شارع الصنيع ـ جدة، كـذلك عبد الرحمن الصـالح الذكير في البصرة، انتقل إلى رحمة الله إن حبيتم تعزية أولاده محمد وإخوانه، عنوانهم البرقي في البصرة (منير).



يستقبله ملك ماليزيا بعد منحه أحد الأوسمة.

هذا ولا بد بلغكم مصاب الأخ عبـد الله القبلان في ابنه عبد العزيز الذي انتقل إلى رحمة الله منذ أربعـة أيام في أمريكا، وفاتـه سكتة قلبية، وجـدوه في الصباح على فراشـه وقد وافته المنيـة خلف الله عليه شبابـه بجنات النعيم، والده ووالـدته وإخوانـه تأثروا كثيراً ونقلـوا جثمانه رحمه الله إلى الريـاض، حاولت تعـزية والـده بالتلفون ولكنـه ما تمكّن، والكل منـا ما استطاع يسيطـر على نفسه، الله تعالى ينـزل عليهم السكينة ويجبر خاطـرهم بإعانتهم على الصبر واحتساب الأجـر، وهذا قضاء الله وقدره آجال تصيب الشـاب والشيخ، ومن عرف الله وعرف نهايته هانت مصيبتـه، فكلنا على هذا الطريق، إذا حبيت تبرق لهم تواسيهم.

أحرر لكم هذا على عجل وأي لازم تخبرني تحياتي لبنتنا الحبيبة وخالتها والفوزان والقاضي، والله يحفظكم.

أخوكم

الرسالة الثانية والعشرون

وقد حررها من المملكة إلى أخيه عبد الله في بـومبي في رمضان ١٤٠٢هـ (يونيه عام ١٩٨٢م) وفيها يصف الحادث الذي تعرض له في الرياض، كما يشير إلى أنـه أبدى رغبته في إعفائه من العمل، وقد كتب هذه الـرسالة، بعـد فترة وجيزة من مبايعـة خادم الحرمين الشريفين الملك فهـد بن عبدالعزيـز آل سعود، يحفظه الله :

سعادة الأخ الكريم عبد الله حرسه الله

تحية طيبة، جعلكم الله بخير مع العائلة الكريمة.

أحرر لكم هذه الرسالـة مع السيد «الجنيد» والذي أوصل الأمانة مشكوراً، وكانت وفق الرغبـة كسابقتها ولا غرابة على ذوق أختنا الحبيبة.

معذرة إذا كانت رسـائلي تتأخر عليكم أولاً تعرف الطبع، ثانيـاً صادف انشغالي مع الأحداث في البدايـة (يقصد وفاة الملك خالـد يرحمه الله) ثم الحادث الـذي حصل لي، ونشكر الله الذي قـدر ولطف، كانت عنيفـة وبنفس الجانب الذي كنت راكباً فيه، إنما كانت بـالخلف وعلى بعد بسيط من الباب، لهذا وقانا الله شرها ما عـدا كسر أحد الأضلاع ورضوض بسيطة اضطرني لملازمة البيت لمدة شهر والآن صرت أخرج، وأنسى أحياناً العصا، حفظ الله الجميع من كل سوء.

والدة عبد العـزيز التركي في المدينة انتقلت إلى رحمة الله على أثر مرض مـزمن، إذا رأيتم الإبراق للمذكور وأخـواله عبد الرحمن وعبد الله المحمد التركي بالتعزية، وكلهم في المدينة، عبد العزيز وأخته تكلفوا كثيراً متعلقين فيها ولا قصّروا في برها والعناية بها جبر الله مصاب الجميع.

أكرر التهاني لكم بشهـر الصيام، ولقرب حلول عيده أعـاده الله على الأمة الإسلامية بالعـزة والكرامة وتقبل من الجميع صالح الأعمال.

إذا أمكنكم عمل تهاني مني لكل من الحاج محمد العلي البسـام وأبو خالـد والأخ فيصل العيسى والفوزان أنا بـاقي هنا لمدة يومين ثلاثة أسافر بعدها للعمرة، ومنها للمدينة للزيارة ولتكرار التعزية للجماعة (التركي).

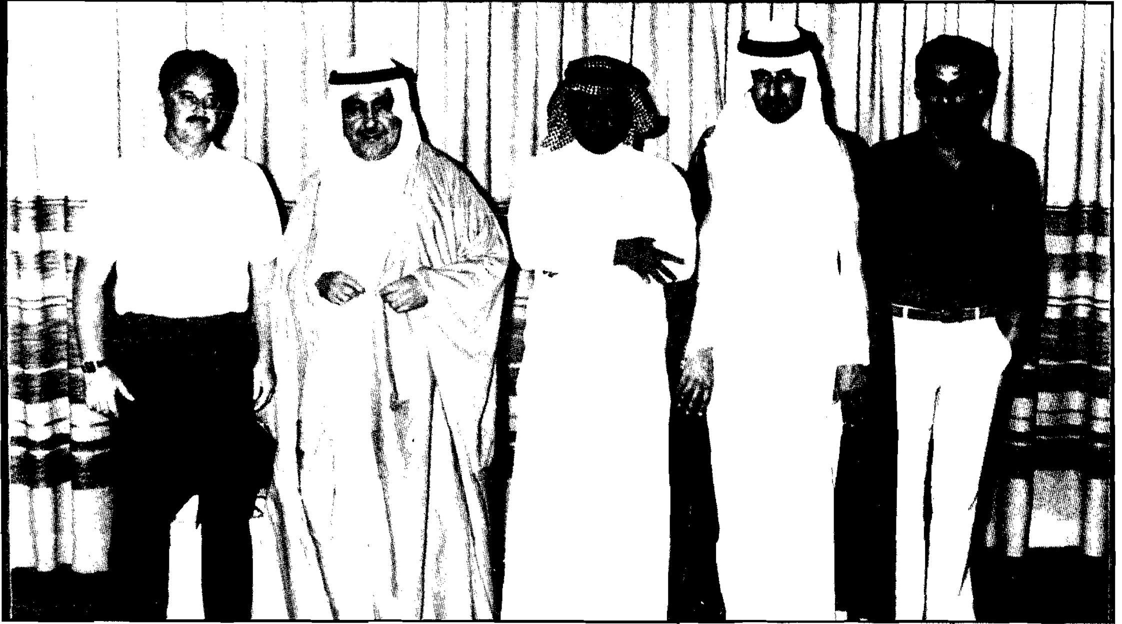
بعد العيـد أفكر بـالسفر إلى لنـدن لإجراء بعـض الفحوص وأرجـو أن تكون النتـائج سليمة بعـدها أعـود للمملكة بطريقي إلى مـاليزيا، وكنت رجوت سمـو وزير الخارجية لإعفـائي منها ومن غيرها نظراً لتقـدمي بالسن ولتردي صحتي وأجاب سموه بالنظر فيه، إذا وافق فسيكون سفري للتوديع، أمـا إذا كان بالعكس فسوف أنتظر فترة أعيد بعدها مراجعة

سموه، بعد مضي فترة إذ لا أحب في العهد الجديد والمبارك إن شاء الله (يقصد عهد خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله) أن ألحّ، كان الله بعونهم في الظروف كما تلاحظ، أحسن الله النهاية وأخذ بيد إخواننا في فلسطين، الجو هنا جميل والصيام مريح نسأل الله القبول.

أي لازم يسعدني، تحياتي لبنتنا كما هي لكم من الابن سليمان وأفراد الجميع.

والله يحفظكم ويرعاكم.

المخلص



في ماليزيا عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م مع بعض أعضاء الفريق الرياضي السعودي ومدربه والأستاذ ناصر الفارس من السفارة.

الرسالة الثالثة والعشرون

وقد حررها بعد سابقتها بشهر ٢٠/ ١٠/ ١٤٠٢ (١٠/ ٨/ ١٩٨٢م) وهي وإن كانت قريبة منها إلا أنها في الواقع تحمل معلومة مهمة وهي سبب تجنبه السفر بالطائرة لمسافات بعيدة تزيد على ساعتين :

الأخ الكريم عبد الله حفظه الله

تحية طيبة ، جعلكم الله والعائلة الكريمة بأحسن حال .

أخوكم بخير يشكر الله الذي قدر ولطف ، وقد انتهزت فرصة سفر الأخ صالح الهطلاني إلى طرفكم والذي زارني مشكوراً ليسأل إذا كان هناك مكاتيب أو لزوم لكم ، وهذه أول زيارة للمذكور وما كنت أعرفه سابقاً ، وصادف مجيئه وأنا مشغول بالاستعداد للسفر غداً إلى عمّان ، ومنها إلى قبرص ، أثينا ، روما ، لندن ، لإجراء بعض الفحوص والتأكد من سلامة الأضلاع بعد الحادث الأخير ، والحقيقة أن تتابع الأحداث من وجوه متعددة أثّر على النشاط والنفسية مع عامل العمر وأقول يا الله حسن الخاتمة .

مروري بهذه المناطق نزولاً على نصيحة الأطباء ألا أستعمل طائرة لأكثر من ساعتين بعد النوبة القلبية في كابل وما تبعها من أحداث والله يحسن النهاية ، ويكون في عون الجميع ، هناك أشياء أخرى في الذهن لا يتسع المجال لذكرها عندما أجتمع في طريق العودة إلى ماليزيا ، مقيماً أو مودعاً ، أشرح لكم كل شيء بمشيئة الله .

الابن سليمان في سبيل شراء بيت أكبر من بيته ليتسع لعمه الحبيب ومن برفقته ، عند زيارتكم له بمشيئة الله ، كما أنه يهيئ نفسه للسفر مع زوجته لمرافقة أم سليمان (الأخت نورة الناصر الشبيلي) والتي قررت السفر إلى أمريكا من أجل علاج رجلها حيث أعياها العلاج في لندن ، ما وجَدَت فائدة ، ولعلها تجد في أمريكا ما ينفعها ، وقد طلبت أن يرافقها الابن سليمان لكونه محرم لها ولبناتها ، ورحبنا وسوف ترافقه زوجته ، والله يهيئ للجميع ما ينفعهم بمشيئته .

الأخ عبد الرحمن في عمّان وكان يلح في زيارته ووجدناها مناسبة ، الجميع هنا بخير ويسلمون وأي لازم يسعدنا وشكراً على إرسال العطر ، تحياتي لبنتنا .

والله يحفظكم ويرعاكم .

أخوكم



الرسالة الرابعة والعشرون

وقد بعثها من ماليزيا إلى الشيخ صالح محمد جمال ـ يرحمه الله ـ في مكة المكرمة وذلك عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) وفيها يشارك بالوقوف إلى جانب أحد المواطنين، الذي خسر تجارته وعصفت به الأيام، بعدما شرح له الأستاذ جمال وضعه المادي، ويلاحظ أن تلك السنة (١٤٠٥ هـ) كانت آخر سنة أمضاها في ماليزيا، حيث نقل في آخرها ـ مريضاً ـ إلى الرياض:

سفارة المملكة العربية السعودية
كوالالمبور

الرقم ....
التاريخ ....
الموافق ....
مرفقات ....

الاخوان الكرام السادة محمد وعبد الله البراهيم السبيعي المحترمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:
الرجاء بعد الاطلاع على خطابي هذا أن تدفعوا للأخ الكريم سعادة الأستاذ / صالح محمد جمال مبلغ مائة ألف ريال لتسليمها للجهة التي أشار لنا عنها وتأشروا ذلك لديكم بالحساب وشكرا لكم..
مع أطيب تحياتي...

المخلص
محمد الحمد الشبيلي

٢١/٩/٩٩ هـ

سعادة الأخ الكريم الشيخ صالح محمد جمال المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

استلمت رسالتكم الكريمة شاكراً ومقدراً لما اشتملت عليه من مشاعر خيرة، وعواطف كريمة، وتذكركم لأخيكم بهذه المناسبة للمساهمة في هذا الموضوع الخير وأقدر ذلك كل التقدير، وكان بودي أن تكون المساهمة متفقة مع حسن ظنكم ولكن كما يقول المثل العين بصيرة واليد قصيرة، أرجو أن لا يعدم من الإخوان الموسرين ومن أنعم الله عليهم من عباده من يقدّر منزلة هذا الرجل الطيب ونازلته، وأن يذكر قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى [1]﴾، شكر الله سعيكم وأثابكم على مجهودكم الطيب، وأعلى في الدارين مقامكم.

حبذا لو أمكن إقناع أصحاب الديون للتنازل عن جزء ليسهل الأمر عليه، ولا أشك أن الله سبحانه وتعالى سيأخذ بيده ويعينه على حل مشكلته، أذكر بهذه المناسبة مع الفارق الكبير أن أحد الاخوان بالقصيم تعرض لمشكلة مماثلة مع

(١) سورة المائدة ـ الآية ٢.

الفارق بالحجم كما أشرت وكان أصحاب الحق على وشك بيع البيت والنخل ويبقى المذكور على الحصير، ولما علم بذلك آل الراجحي أحضروا الدائنين وسألوهم إذا كانوا سيكتفوا بالنصف فهم على استعداد لدفع المبلغ وفعلاً دفعوه لهم.

آمل أن الجماعة سيحذون حذوهم إن شاء الله ليسهل الأمر على أخينا، يرفقه خطاب للإخوان السادة محمد وعبد الله البراهيم السبيعي في جده للتكرم باستلامه (يتضمن تبرعاً بمائة ألف ريال).

أكرر شكري سائلاً المولى لأخينا العون والتوفيق وأن يتولى جزاءكم بفضله وإحسانه ويجزل لكم الأجر، تحياتي للإخوان مع تمنياتنا بشهر الصيام المبارك وبمقدم عيده أمّن الله الجميع من مخاوف يوم وعيده وتقبل صالح الأعمال.

المخلص

نماذج من مراسلاته.





الفصل الرابع

أبو سليمان على السنة محبة

"مقابلات شخصية"

يستفيد هذا الفصل من الجهود الكبيرة التي بذلها مركز ابن صالح الثقافي (التابع للجمعية الصالحية الخيرية) في عنيزة، لجمع أوسع التفاصيل والمعلومات الممكنة عن سيرة الشيخ محمد في أعقاب وفاته، حيث أوفد المركز فريق عمل إلى بعض البلدان التي عمل فيها الشيخ محمد، وأجرى مقابلات مباشرة مع بعض الشخصيات، كما أعد استبانات، بعثها إلى عدد كبير من أصدقاء الشيخ محمد ومعارفه وزملائه.

وباستعراض نتائج تلك الجهود، من المقابلات الشخصية وردود الاستبانات، تجمعت تعليقات موجزة مفيدة ـ لم يسبق نشرها ـ تكمل الصورة التي رسمناها للشيخ محمد في الفصول السابقة، وقد اخترت من تلك التعليقات، وبإذن من المركز، ما صدر عن خمس وعشرين شخصية، عرفت الشيخ محمد أو تعاملت معه عن قرب في المملكة والدول الخمس التي عمل فيها، ثم أضفت إليها تعليقاً وردني مباشرة من الدكتورة سهام الصالح التي درست الطب في باكستان.

تنكو عبد الرحمن :

قال معالي تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا الأسبق وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي سابقاً، يرحمه الله :

- كان الشيخ محمد من أطيب الرجال الذين قابلتهم في حياتي، هذا قولي عنه وأنا أبلغ من العمر الآن ٨٧ عاماً، قابلت خلالها العديد من الرجال الذين لا أستطيع أن أتذكر إلا القليل منهم، ولكن الشيخ محمد هو من أولئك الذين لا أنساهم وهو دائماً في ذاكرتي.

- كان يوزع المال على الأطفال والفقراء والمحتاجين، وكان يقدم العون ويعطي المحتاج دون سؤال منه، كان حلو اللسان مع الكل وليس من المدهش أبداً أنني رأيته من المقربين إلى جلالة الملك فيصل، يرحمه الله.

- أثناء تقديم وجبات العشاء أو الغداء لضيوفه بالبيت كان دائماً يشرف بنفسه على ذلك وكان دائماً يحاول ارضاء ميول كل الضيوف، فتجد الطعام المتنوع منه ما هو عربي الأصل ومنه ما هو ماليزي، وكان لا يقعد إلى الطعام إلا وهو متأكد من أن أمام كل ضيف ما يكفي.

- ويأتي إلى ذاكرتي الآن أنني يوماً ما كنت معه في البيت في دعوة عشاء، ورأيته مصراً على أن آكل كل ما وضعه لي من طعام، وكان يشرف على إعداد العشاء من الساعة السابعة والنصف إلى العاشرة مساء.

- كان إذا حضر إلى منزلي مثلاً يحضر معه الهدايا والمال ويوزعها على الأطفال والخدم وعائلاتهم.

- كان لا يحكي ما يشكو منه بل يتحمل المعاناة مع نفسه حتى لا يزعج الآخرين.

- عندما كنت رئيساً للمجلس الإسلامي لجنوب شرق آسيا في (بركيم)، كان علي أن أطلب المساعدة من كل من حولي، ومن خلال تدخله ووساطته استمرت مساعدة المملكة من أموال ومعونات أخرى، لكي تساند القلة المسلمة الموجودة في الدول الأخرى من النواحي التعليمية والدينية؛ لأن المعيشة في بلد أجنبي قد تنسي الإنسان دينه، ولكن تحت رعاية هذا المجلس ظل كل منهم محافظاً على دينه وعلى دراسته الدينية حيث يقابل بعضهم بعضاً ويدعو كل منهم الآخر والكثير من كل هذه المساعدات كانت من المملكة ومن خلال جهوده.

- أتذكر أننا كنا في مناسبة مؤتمر RISEAP، في كوالالامبور، وكان هناك عدد من الحاضرين من دول افريقية بعيدة، وكان من المفروض أن تُدعى فقط دول جنوب شرق آسيا، ولكن منظمة الرابطة الإسلامية دعت أناساً من افريقيا لكي

يحضروا على نفقتنا، ومثل هذا العدد كان من الصعب علينا استضافته، وفي العشاء كنا جميعاً جالسين إلى الطعام متمتعين بحديث اللقاء، ولكن الشيخ محمد كان يجوب المكان من أوله إلى آخره ومن غرفة إلى أخرى ثم عاد إلى مقعده وكان يبدو سعيداً، بعدها همس في أذن أحد الجالسين من المسؤولين ووقف أحدهم وأعلن أن جلالة الملك فهد تبرع بحوالي نصف مليون دولار (نفقات المؤتمر)، كان هذا الخبر له سعادة بالغة وطيب الأثر وأنا شخصياً كنت مندهشا كيف، بل وأين، نستقبل كل هؤلاء بل وكم التكاليف، وأخيراً عاد إلى مقعده وهو يشرب شيئاً بارداً وإذا تذكرت أنا حقيقة، كان هذا الشراب هو كل ما مس شفتيه منذ بداية الحفل وحتى نهايته.



تنكو عبد الرحمن وأبو سليمان.

- وأتذكر أيضاً أنه عندما تقاعدت عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) دعاني إلى تناول العشاء، ورغم أنه كان رئيس الجلسة إلا أنه ظل يتنقل بين الجالسين ليتأكد بنفسه من أن كل الجالسين، رجالا ونساءً، مرتاحون، ولا أتذكر الآن ما قاله، لقد تكلم بالعربية (التي كانت تترجم إلى الإنجليزية) ولكني كنت أشعر وقتها أن كل كلمة صدرت عنه كانت من قلبه، وقد تأثرت بها كثيراً.

ـ لقد أصبح عميداً لكل هيئة السلك الدبلوماسي، وكانت خدمته في ماليزيا طويلة تمتع فيها بشعبية بالغة لم يتمتع بها أحد من قبله، وكان واحداً من قليل من الدبلوماسيين الذين قلدتهم ماليزيا وسام P.M.N. (PINGAT - TANGKO NE-GARE) والذي يمنح حامله لقب "TAN SRI"، وهذا اللقب لا يمنح إلا لأبناء الوطن المتميزين والمعروفين بخدماتهم

لوطنهم ، وقد استحقه الشيخ الشبيلي سنة ١٩٨١م .

- قابلت الشيخ الشبيلي لأول مرة عندما حضر سفيراً للمملكة العربية السعودية في ماليزيا ، وقد ظل كل منا مع الآخر في صداقته الطيبة واستمر ذلك طوال حياته .

- إن كل إنسان كان صديقه وبالنسبة لي كان أقرب الأصدقاء وأنا أستطيع أن أقول وبلا مبالغة أنه كان من أطيب وأكرم الناس الذين قابلتهم في حياتي ، وتغمرني الفرحة والسعادة لأنني كنت من أولئك الذين عرفهم وعرفوا هذا الرجل فقد كان صديقًا للكل ورجلاً يخاف ربه .

أدعو الله له بالرحمة على روحه في راحة وسلام .



29th December, 1984.

His Excellency Mr. Mohamed Al-Hamad Al-Shubaili, PMN, SPMT, PHBS,
Ambassador Extraordinary and Plenipotentiary,
Royal Embassy of Saudi Arabia,
11 Jalan Ampang,
KUALA LUMPUR.

My dear friend,

It was most generous of you to send me a cheque for $50,000 towards RISEAP's General Assembly expenses. This was a most welcome gift from one of the most generous men it has been my good fortune to know. This is a great help indeed because you are well aware of our difficulties to keep the organization which involves so many Muslim minorities in South-East Asia and the Pacific together. Enclosed herewith you will find the official receipt for the amount.

Our members pay little, but their hope and inspiration to keep the religion of Islam alive in the countries in which they live is very great indeed. Malaysia consider it our duty to help them; and we will continue to do our little bit, at least as long as I am alive. We need friends like you to share our undertaking, and you have never been slow to come to our aid.

For this act of kindness and generosity I pray that Allah will bless you. As for me and members of RISEAP we thank you from the bottom of our hearts for your gift. And may you always enjoy good health and happiness and good fortune.

(Tunku Abdul Rahman Putra)

Enc.

Tunku Abdul Rahman Putra Al-Haj (DMN. CH.)
16, Jalan Air Rajah, Pulau Pinang. Tel. 65070
1, Jalan Tunku, Kuala Lumpur Tel 983014



REGIONAL ISLAMIC DA'WAH COUNCIL OF SOUTHEAST ASIA AND THE PACIFIC

MAJLIS DA'WAH ISLAMIAH SERANTAU ASIA TENGGARA DAN PASIFIK

Our Ref:
Your Ref:
Date:

(ترجمة)

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي تان سري الشيخ محمد الحمد الشبيلي حفظه الله
سفير المملكة العربية السعودية في ماليزيا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته "وبعد"

صديقي العزيز

لقد كان كرما عظيما من معاليكم أن تفضلتم بارسال شيك بمبلغ خمسين ألف دولار ماليزي للمساهمة في نفقات الجمعية العمومية لهذا المجلس (رابزاب) .

والواقع انها هدية عزيزة من أكرم انسان أسعدني الحظ بمعرفته . ولاشك أن هذا التبرع الكريم يعتبر مساعدة كبيرة لهذا المجلس ، حيث تدركون معاليكم الصعوبات التي نواجهها للمحافظة على هذه المنظمة الاسلامية الناشئة ، واستمرارها في خدمة الأقليات الاسلامية العديدة في منطقة جنوب شرقي آسيا والمحيط الهادي .

وتجدون معاليكم رفق هذا ايصالا رسميا بالمبلغ الذي تفضلتم بارساله .

وجدير بالذكر أن المنظمات الأعضاء في المجلس تسهم بالقليل ، ولكنهم جميعا يعلقون آمالا كبيرة على هذا المجلس في معاونتهم للمحافظة على الدين الاسلامي حيا فعالا في بلادهم التي يعيشون فيها . وسوف نستمر ان شاء الله في مساعداتهم بقدر ما نستطيع ، على الأقل مادمت حيا .

انني في أمس الحاجة الى كثير من الأصدقاء مثل معاليكم ، فانتم دائما حريصون على الاسراع الى نجدتنا ومعاونتنا في التغلب على ما نواجهه من صعوبات .

وازاء هذا النبل والكرم العظيم فانني أضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويبارك فيكم ، كما أود أن أعرب باسمي وباسم جميع أعضاء المجلس عن شكرنا من أعماق قلوبنا على مساعدتكم الكريمة ، وأطيب تمنياتنا لمعاليكم بطول العمر مع تمام الصحة والعافية والسعادة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

تحريرا في : ٢٩ ديسمبر ١٩٨٤م

المخلص

(تنكو عبدالرحمن)
الرئيس العام
للمجلس (رابزاب)

الشيخ أبو الحسن الندوي :

وكتب فضيلة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء في الهند، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي والمجلس الأعلى للمساجد، عن ذكرياته مع الشيخ محمد فقال في رسالة بعث بها إلى المركز بتاريخ ٨/ ٣/ ١٤١٠هـ (٨/ ١٠/ ١٩٨٩م):

ـ سقى الله أياما عشتها في عاصمة الهند (دلهي)، وعاصمة أفغانستان (كابول)، ومدينتي (لكهنؤ) و(أعظم كره)، والعين يملؤها شخص كريم من خيرة من وقع عليهم نظري، ومن أعتز بمرافقتهم، ولا تفارقني ذكريات من أطايب ما سجلته مخيلتي، لأشخاص جمعني الله وإياهم لمصلحة دينه وعباده، ألا وهو شخص الرجل الطيب الذكر الشيخ محمد أدخله الله فسيح جناته، ونضّر الله وجهه يوم يقوم الناس لرب العالمين.



ـ أقول، والشهادة في الغيب لله وحده، لقد وجدت في الرجل إنساناً ذا مروءة، وشرف أصيل من محتد كريم، قد صقل الإيمان بالله إنسانيته فارتفع بها إلى ذروة معانيها الواسعة، فكان عامر القلب، طيب اللسان والعشرة، تذكّر ضيافاته المتكررة بالكرم العربي المتوارث الذي قلما توجد مظاهره في عالمنا الحاضر، وكثيراً ما نقرؤه في صفحات التاريخ الغابر.

ـ كان وشامة بين السفراء، فقد مثّل خير بلاد الله أرضاً، الأرض التي تحوي الحرم الأمين، مهوى أفئدة الناس وقبلة المسلمين، وحرم المسجد النبوي الشريف (على صاحبه صلوات الله وسلامه)، فكان من حقه أن يجله المسلمون ويروا فيه أكثر من سفير، والحق يقال إن الرجل كان عند حسن ظن إخوانه المسلمين أينما حل ونزل، ووجد فيه كل من خالطه أخاً له في الله، يعين على نوائب الحق ويساعده ما استطاع سبيلاً.

ـ وقد حظيت دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكهنؤ (التي تبعد أكثر من ٥٠٠كم عن دلهي) بزيارته الخاصة، ولقائه بالعلماء والأساتذة ووجوه البلد، ودائماً يُذكر بجميل الثناء وحسن الدعاء.

ـ كما أذكر معروفاً له أسداه إلي بتلبية دعوتي له لزيارة دار المصنفين في بلدة (أعظم كره)، وهي تبعد أكثر من ٧٢٠كم عن دلهي، وقطع المسافة الطويلة بسيارته، وكانت مناسبة مهمة اجتمع خلالها بأعيان البلاد وعلمائها وكتابها ونائب رئيس الجمهورية آنذاك.

ـ وشاءت إرادة الله أن لا يكون آخر لقاء لنا في أرض الهند، فقد طلبت مني «رابطة العالم الإسلامي» عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) أن أرأس وفد الرابطة إلى أفغانستان، وهي بلاد لم يسبق لي زيارتها، لكن الله هيأ لي الجو المناسب وأنساني كآبة الغربة التي طرأت عليّ، وذلك لوجود أخينا الصديق الحبيب الشيخ محمد تغمده الله بلطفه، وإن كان نزول الوفد في فندق كابول، إلا أننا كنا دائماً على مائدته العامرة، وقد أقام لنا حفلة تكريم دعا إليها وجوه البلد، وكان حفل الغداء على أرقى المستويات، كما أذكر له بالعرفان استماعه إلى كلمتي التي ألقيتها في الحفل الشعبي العام، والتي استمرت أكثر من ساعتين.

ـ الآن وقد صار الرجل إلى رحمة ربه ـ وسبقني إلى دار الآخرة ـ فما أملك إلا أن أسأل الله جل وعلا أن يجزيه بما فعل من معروف ويزيده من فضله، ويحسن إليه كما كان يحسن إلى الناس وهو حي، وأسأل الله أن لا يحرم أمة سيدنا محمد ﷺ من أمثاله.

أحمد عبد الله القاضي :

وفي مقابلة مع الشيخ أحمد عبد الله القاضي، المقيم في مدينة بومباي بالهند في محرم عام ١٤١٠هـ يسجل ذكرياته عنه فيقول :

- «يروي الناس قصة الضيف الكويتي الذي أصر على دفع فاتورة الفندق ، ولما علم - يرحمه الله - بذلك أعاد له القيمة على عنوانه (بشيك) إصراراً منه على ضيافته .

- كان يعامل موظفيه كأبنائه ، فيهتم بشؤونهم الشخصية وبخاصة عند قدومهم للعمل ، ويستضيفهم لفترة يطلب منهم خلالها أن يتفرغوا للراحة ومعرفة المكان وإعداد أنفسهم للإقامة الدائمة ، وبعد هذا يسند إليهم المهمات ويشجعهم ، ويقدم لهم الخبرة التي تساعدهم في أداء عملهم .

- وكان يوصي من يطلب من المملكة خادمات للمنازل أن يتقوا الله في معاملتهن ، وكان لا يتأخر حين تشكو إليه إحدى الخادمات عن أن ينتصر لها .

- كان مجاملاً يرسل برقيات المواساة والتهاني ويتلقى الرد ويرد على الرد ، وكان آخر من يتكلم سواءً في مجلس مناقشة كبير أو في أحاديث مجاملة .

- وكان يبدو وقد أخذ الدنيا على راحته ، فهو لا يتسرع ، بل يتعامل مع مجريات الأمور بهدوء ، وحين يأتي إلى المكان يسلم على أهله جميعاً ، ولا يغادر قبل أن يكون قد سلم واطمأن على الجميع ، وكان انتقاله من مقر عمل إلى آخر يستغرق عاماً ، يجهز خلاله الهدايا للمكان الجديد الذي ينتقل إليه ، ويودع أهل المكان الذي يغادره ، بكرم الحريص على استمرار العلاقة ، الذي لا يود الفراق ، ولا يود أهل المكان أن يغادرهم .

- وكانت ولائمه تجمع السفراء وأطفالهم حيث يكون قد أعد الهدايا للجميع ، وحين يطلب الضيف منه طلباً فإنه يلبيه بسرور ، ويروى أن أحد ضيوفه طلب لبناً فداوم على إرسال اللبن إليه في الصباح والمساء ، حتى قال له الضيف : «اللبن ياسعادة السفير نحن نشربه فقط ولا نستحم به» .

- وكان يتوسط لدى الحكومات الأخرى من موقعه لمساعدة أي شخص ، وحدث هذا في اتصاله بالحكومات العراقية والماليزية والتايلاندية ، لإنقاذ متهم بريء من حبل المشنقة ، أو إنقاذ مال تعرّض للمصادرة ، وغيرها من الأمور الجسيمة ،



وكان تدخله لا يـزعج السفير المقيم في ذلك البلد الآخر الذي تمتد خـدماته فيه، فكان وهو في مـوقعه بماليزيا مثلا يوسط السفير التايلندي في كوالا لمبور للتـدخل لدى حكومته لحل مشكلات السعوديين في بانكوك، وكـانت علاقاته الطيبة مع سفير الصين (التي لم تكن ترتبط بعلاقـات رسمية بالمملكة في ذلك الوقت) سببـاً في تسـوية مشكلة خطيرة وقع فيها تجار سعوديون، مع أن الصين لم تقبل وساطة من سفارات أخرى.

- ومع بدايـة ظهور الفيديو، كان يجهـز نسخـاً من الأفلام الإعلامية ويهديها للسفـارات بعد تزويدها بجهـاز فيديو، وكان هذا يترك أثراً طيباً إلى حد بعيد فيمن يتلقى الهدية.

- كان يقابل الجميع، ويأخذ بخاطر متوسط الحال مالياً وأدبياً، ويكون في تواضعه معه أكثر من غيره لرفع معنويته.

- وكان يُرجع إليه في كثير من الأمور لنزاهته وآرائه الصائبة، فهو يقول الحق في جرأة ولا يتحيز.

- وكان في إكرامه لضيوفه لا يضع حدوداً، حتى ولو تجاوز البعض كل الحدود المعقولة.

ـ وهنـاك قصة تروى عن أحد ضيـوفه في كابول ــ وقد أسرف في التمتع بالضيافـة ـ فبلغت قيمة فاتـورة الفندق اثنين وعشرين ألف دولار، حيث كان الضيف يشتري ما يشاء لنفسه ويطلب إضافـة الفاتورة لحساب الفندق، ولكنه لم يرد أن يراجع الضيف فيما أسرف فيـه ودفع فاتورة الفنـدق قائلاً «الضيف ضيف»، كما تروى قصـة الطالب الذي استضـافه في الفندق ورآه مصادفة يحمل ملابسه لتنظيفها خارج الفندق ـ حيث تقل التكاليف ـ رغبة منه في عدم الإثقال على مضيفه .

ـ أما عن تمويل هذا الكرم فكل من عمل معه يقول إن السفارة كانت تتحمل فقط نسبة ٥٪ من التكاليف، ويقوم هو بدفع نسبة ٩٥٪ الباقية من جيبـه الخاص، وحيث إنه كان معروفاً بنظافة اليد، فقد كـانت الديون التي تترتب على كرمه البالغ تـدفعها عنه الدولـة أحيانـاً، ومما يرجح هـذا أن الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ أمـر بتسديد ديون عليـه، وكذلك فعل الملوك والأمراء من بعده، وكذلك كان أيضاً يقترض من عبد الرحمن المنصـور الزامل وصالح العبدلي بالكويت ما يساعده على استمرار كرمـه غير المعقول، وبخاصة في مساعدة الجمعيـات الدينية والخيرية، وكان في هذا يصـدر عن كرم مطبوع لديه .

ـ وكان يعالج الأمور بالتروي والحسنى، وكان موفقاً في العديد من المواقف لما يتمتع به من احترام الجميع .

ـ وكـانت له اجتهـادات دبلومـاسية ، فقـد كان يحرص على أن تكـون نسبة عـالية من العمالـة الوافدة للمملكـة من المسلمين، كما كانت عروبتـه تتجاوز العلاقات الرسمية الموصـولة أو المقطوعة، ويرى في الخلافات أمـراً عارضاً ويسعى لجمع الصف ، ومع حماسته وحبه للثقافـة الإسلامية فإنه كان يحترم آراء أصحاب الثقـافات الأخرى ويستمع إلى وجهات نظرهم .

شريفة شهاب :

وفي مقـابلة أجـراها المركـز في محرم ١٤١٠هـ (١٩٨٩م) مع السيدة شريفـة شهاب ابنـة رئيس وزراء ماليزيا السابق قالت :

ـ كـان «أبو سليمان» أبـاً لي، وكان قدوة، متمسكـاً بالإسـلام، يشجعني على الدراسـة والعمل، وهو يحترم رأي المرأة ويستمع إليه، وكان يقول لي : «يا شريفة : إن المرأة السعوديـة ذهبت إلى الجامعة وتعمل في المجالات التي تناسبها مادام هذا لا يتنافى مع الإسلام» .

ـ وكان الماليزيون يحترمونه جداً، وكان البعض منهم يطلب أن يساعده في الزواج، وحين يطمئن إلى خلقه يقدمه للأسر الماليزية التي لا ترفض له طلباً.

ـ كان ذكياً، يعرف علم النفس، ويتمتع بالفراسة التي تمكنه من معرفة قدر من يتعامل معه، وقد قال والدي للملك فهد «لقد أرسلت لماليزيا أفضل رجل»، وكانت هذه هي رؤية الماليزيين له.

ـ وكان يبتسم طوال الوقت، ويعجب المرء كيف أعطاه الله هذا القدر من القوة والصبر على أن يظهر دائماً بشوشاً لا يبدو عليه الألم، مهما كان متعباً، وكان يشعر المتحدث أنه ينصت له جيداً، ويناقش كل الأمور بروح السماحة.



مع دولة محاذير محمد رئيس وزراء ماليزيا.

ـ كان يناقش الأمور السياسية مع الجميع حين يتكلمون معه، ولكنّه لم يكن أبداً يتدخل بين الأحزاب، وكانت كل الأحزاب تثق فيه، يقابلهم في خصوصية، بحيث يقابل الحزب والحزب المعارض، دون أن يشعر أي منهما أنه منحاز لهذا أو ذلك؛ لأنه كان يشعر الجميع أنه يفهمهم جيداً.

ـ وكان قوي الذاكرة، يحفظ التاريخ ويتذكر كل ما يقال له، وكان لا يمل من رواية تاريخ الملك عبدالعزيز وحروبه وأعماله، ويعرض على ضيوفه الصور والأفلام التسجيلية.

ـ كانت كل الاتجاهات السياسية في ماليزيا على علاقة وثيقة به، وقد اتخذ من أحد الصينيين مساعداً له، وكان يقدم المنح للجمعيات والمدارس المختلفة.

ـ وقد كان بيته كالمستشفى مفتوحاً دائماً يستقبل في أي وقت الضيوف ومن يطلبون المساعدة».

عبد القادر المزروع :

كما أجرى المركز في محرم ١٤١٠هـ مقابلة مع الأستاذ عبد القادر المزروع القنصل السعودي في كوالالمبور قال فيها :

- «الحديث عنه يصعب أن يحيط بكل شيء، فهو متعدد الجوانب بتعدد جوانب شخصيته، أما عن الناحية العملية الرسمية فقد كان حاسماً في كل ما يراه في صالح المملكة ويجمع المسلمين، كان يعطي الموافقة على العمرة لأكثر من مرة ما دام مقتنعاً أن طالب العمرة جاد يبغي العبادة.

- وكانت لديه حاسة سادسة لجمع المعلومات وتحليلها، وكان من مصادر معلوماته ضيوفه الذين يأتون إليه، «يسولف معهم» ويحتفظ لنفسه بالمعلومات، وبطبيعة الحال لم تكن الضيافة من أجل الحصول على المعلومات، ولكنه لم يكن يضيع أي فرصة للاستفادة مما يسمع وما يأتي بتلقائية، وكما كان أيضاً صادقاً ومخلصاً حين تطلب مشورته، فالناس يأتمنونه على شؤونهم، وهو يصدقهم القول والنصيحة، وقد اكتسب خبرة نادرة في التعامل اليومي مع الناس من خلال الضيافة.

- كان موضع الثقة من الجميع، فلم تتخوف الحكومة الماليزية أبداً من عمق العلاقات التي ربطت بينه وبين أبناء الشعب الماليزي، والدليل على ذلك هو العدد الكبير من الأوسمة التي حصل عليها من الولايات والحكام المتعاقبين أثناء خدمته في ماليزيا.

- وكان يكره أن يذهب إلى الطبيب، ويتجه إلى الأعشاب الطبية التي يحتفظ بالكثير منها، ويتناولها لعلاج الأمراض المختلفة، وقد حرص على أن يعطي نفسه فرصة تجديد نشاطه الجسماني بالتدليك اليومي، الذي كان يقوم به أحد خدمه (سفيان)، الذي كان قريباً منه، وكان زواجه على نفقته.

- أما عن تكاليف كرمه الواسع، فقد كان يتلقى منحاً من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رعاه الله - لمساعدته، ثقة فيه، وحباً في الكرم الذي يتصف به، وكانت مصاريف السفارة تفرز قبل إرسالها للخارجية، ويتحمل هو ما لا يدخل تحت البنود النظامية، وكان هذا قد يصل إلى نسبة ٩٠٪ أو ٩٥٪ .

- وكانت كميات الهدايا التي يشتريها للتوزيع تأتي محملة في سيارات كبيرة، وهناك غرفة خاصة لتخزين الهدايا مصنفةً نوعياً لتقدّم للضيوف على اختلاف فئاتهم.

ـ ويتناقل الناس في ماليزيا صور الكرم الواسع، ومنها أنه ذهب لزيارة منطقة في ماليزيا وأنفق في الهدايا خلال ثلاثة أيام ستين ألف دولار، وأثناء رحلته رأى فقيراً نائماً بجوار الفندق فلم يرد أن يزعجه، وغادر الفندق، ولكنه أعاد خادمه سفيان إلى الفندق بعد مسيرة ٤٠ كلم ليقدم المساعدة لذلك الرجل».

عيسى عبد الرحمن العيسى :

كما أجرى المركز في محرم ١٤١٠هـ (١٩٨٩م) مقابلة مع السفير الكويتي في كوالا لمبور الأستاذ عيسى عبد الرحمن العيسى الذي تحدث بتأثر شديد :

ـ إنه شخصية تتعدد الجوانب الثرية فيها إلى حد بعيد، فهو لم يكن صورة معبرة عن الأخلاق العربية فقط، ولكنه كان فذاً في كرمه، وكان الكرم والحلم في سلوكياته الرسمية وغير الرسمية، وتبرز قوة شخصيته في مواجهته للمواقف الصعبة بالكرم أيضاً.

ـ لقد كان ـ يرحمه الله ـ مدرسة دبلوماسية فريدة، وحوله يلتف كل السفراء العرب، وكان يعتبر الأخ الكبير للجميع في ماليزيا، فهو يعبر بصدق عن الأصالة الإسلامية في التعامل الدبلوماسي، ويقرأ في مجالات متنوعة، ويحفظ التاريخ وبخاصة تاريخ الملك عبد العزيز.

ـ ولقد كان كريماً حتى عند معاناته مرض الموت، فعندما زرته لعيادته، جذب يديّ وظل ممسكاً بهما ودموعه تترقرق، وأظنه كان يعتب عليّ إذ لم أمكّنه من أن يستضيفني.

مجدي صبري :

وفي مقابلة أجراها مركز ابن صالح الثقافي مع السفير المصري في تايلاند، الأستاذ مجدي صبري في شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) قال :

ـ ترجع ذكرياتي معه إلى مقابلتنا الأولى عندما جئت سفيراً لمصر في ماليزيا، وكان وقتها عميداً للسلك الدبلوماسي، وعادة تكون المقابلة الأولى التي يستقبل فيها العميد سفيراً جديداً لفترة قصيرة، ولكن المقابلة ـ وأثناء فتور العلاقات بين السعودية ومصر ـ استمرت من الساعة الثانية عشرة حتى الثالثة والربع بعد الظهر.

ـ ومن بين مجموعات الهدايا التي كان يقدم منها لضيوفه، قطع من ستارة الكعبة المشرفة وزمزميات مملوءة بماء زمزم،

وعلب من تمر المدينة المنورة، وهي هدايا تؤثر كثيراً فيمن يتلقاها لشرف مصدرها، وهي هدايا لا تنسى.

ـ ويذكر أنه دعاه مرة لحضور احتفالات السفارة المصرية باليوم الوطني لمصر، فأخبره أنه مدعو في الموعد نفسه لحضور حفل زواج ابنة وزير الدفاع الماليزي المتوفى وهي منه بمثابة الإبنة، وكان من الممكن أن يختار بين حضور حفل السفارة وحفل الزواج، ولكنه ـ يرحمه الله ـ ذهب عصراً ليقدم التهنئة بالزواج، ثم كان حريصاً على أن يكون أول الحضور في الموعد المحدد لاحتفالات السفارة.

وعندما استقبلته قال لي: هل تعرف بأية صفة جئت إلى هذا الحفل؟ لقد جئت أولا بصفتي سفير المملكة وثانياً بصفتي أبا سليمان وثالثاً بصفتي العميد، وقد كان الوقت المقرر للحفل من الساعة الثامنة حتى الساعة العاشرة فظل حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بعد انصراف الجميع كرماً منه.

ـ ويضيف الأستاذ مجدي صبري فيذكر أنه ليست هناك ولاية في ماليزيا لا تعرف «أبو سليمان» فقد كان حريصاً على أن يوازن في علاقاته مع حكومات الولايات المختلفة وأهاليها، وكان كرمه مضرب الأمثال في ماليزيا كلها ملكاً وحكومة وشعباً.

ـ ويذكر السفير صبري واقعةً طريفةً حين أقام له الملك حفلاً عند سفره ـ أي السفير المصري ـ بعد انتهاء سفارته في ماليزيا، وكان يجلس إلى يمين الملك حول طاولة الطعام، وأن الملك أخذ يضع الطعام في طبقه وهو يقول: «افعل كما يفعل الشبيلي».

ـ وكان يتمتع بروح الفكاهة الراقية، ويذكر أنه قال لأحد جلسائه معلقاً على القول المتواتر (ما بعد العود قعود) لقد نمى إلى علمي أن أحد الكرماء ذهب إلى بائع العود يطلب منه «عوداً قوي التأثير».

ـ ويقول الأستاذ مجدي صبري: إن الملك عبد العزيز كان حياً دائماً في ذهن الشيخ محمد، يروي التفاصيل الدقيقة عن شخصيته وبطولاته وأخلاقياته، وكما يلاحظ كل من اقتربوا منه أن فترة عمله في ديوان الملك عبد العزيز كانت فترة متوهجة، لا يمكن أن ينفصل عنها، كما كان يحتفظ بالأفلام التي يعرضها على ضيوفه، ويحكي كل ما يجبب المستمع في الملك عبد العزيز. كما كان يحتفظ بالذكريات الحية التي يرويها بكل إبداع.

ـ ثم يواصل الأستاذ صبري حديثه فيقول:

- كان يتمتع بقدرات خلاقة فائقة بحيث ينتهي الخلاف تماماً وكأنه لم ينشأ أبداً.

- استطاع أبو سليمان بفيض حبه وكرمه أن يثبت بطريقة مبسطة أنـه لا يوجد في عالمنا الإسلامي مـا يُعرف بالهوة بين الأجيال، حيث التواصل والبر هما من القيم الأصيلة، وقد أعطى مثالاً باهراً على إعمال هاتين القيمتين.

ـ يكفي أن أذكر هنا أن كريمتيّ كانتا دون العشرين ويسعد أيّاً منهما أن تعلم أنه سوف يسعدنا بزيارة، أو أننا سوف نذهب إلى داره، فقد كـان من خصاله أن يتبسط مع الشباب ويمـلأ بسهولة ويسر ـ ودون تكلف ــ الفجوة بين الأجيال التي كان يمكن أن تشكل عـائقاً في الحديث بين من تجاوز السبعين ومن لم يبلغ العشرين، مع ملاحظة أن كـريمتيّ كانتا طالبتين في الجامعة الأمريكية وقد تخرجتا وعملتا ومازال له، وسوف تظل، مكانـة خاصة لديهما ولدى كل من التقى به.

ـ عندمـا تولى عمادة السلك الدبلوماسي في ماليـزيا، كان التقليد قد جرى على أن يقيم السفير الـذي أنهى مدة عمله حفل توديع لنفسه، وغيّر الشيخ محمد ذلك بأن يقيم له هو حفـل التوديع ويلقي كلمة يضمنها تاريخ المحتفى به لجميع مراحل حياته حيث يحصل عليه من وزارة الخارجية الماليزية.

سفيان عبد الله:

وأجرى المركز في محرم ١٤١٠هـ (١٩٨٩م) مقـابلة مع سفيان عبد الله، الذي كـان يتولى خدمة الشيخ محمد (وهـو ماليزي الجنسيـة) فذكر أنه عمـل في خدمته إحدى عشرة سنـة، وكان يعاملـه طوالها معاملة حسنة كـوالد، يعطف عليه، ويقدم له المساعدة، ويبتسم في وجهـه، ويسأله دائماً عن أحواله، ثـم أضاف:

ـ لقد كان كريماً في معـاملته معي بصورة عظيمة، فقد تكفل بنفقات زواجي كاملة، وأقـام لي ثلاث حفلات في ثلاثة أيام، الحفل الأول كـان لكبار الشخصيات الـذين جاؤوا ليهنئوه بـزواجي، وفي الليلة الثـانية أقام حفـلا لأهل العروس، وبعد أسبـوع أقام حفـلا ثالثـاً لعائلتي، وبجـانب هذا فقد أعطـاني تذكـرة سفر لقضـاء شهر العسل وإجـازة أسبوع، وتفضل بدعوة حماتي للحج.

ـ أمـا عن عاداتـه، فقد كـان يُقبل على كل أنواع الأكلات، وكـانت مائدتـه ملأى دائماً بكل الأكـلات الشعبية من البلدان المختلفة، لكي يجد كل ضيف مـا يروق له، وكان يجامل جميع ضيوفه، يظهـر أمامهم الحرص على أن يشاركهم فيما يحبون، وكان حبه شديداً للمطازيز والكاري.



- وكـان لا ينام كثيراً، ويظل يرحب بضيـوفه إلى وقت متأخــر من الليل . وكـان يغفــو وهـو جالـس على كرسيـه، ويرد على المتحدث ليشعره بأنه يتابعه جيداً .

- وكان حنونـاً في معاملته لي، وحين يغضب فإنه يؤنبنـي بلسانه وليس بقلبه، كان يـريد كل شيء مرتباً ومنظماً وفي وقته المحدد .

- وكـان يحب الأطفـال جـداً، وهـو الـذي أعطى ابنتي الصغـرى اسمها (سـلامة)، وكـان يحملهـا على كتفـه ويأتي لها بـالحلـوى واللعب ويسأل عنها دائماً .

- وكان في استقبـالـه للضيوف لا يفـرق بين الأشخــاص ذوي الأهميـــة الخاصـــة أو السفير وغيرهم مـن الضيـــوف، في إظهـــار الاهتمام والحرص على راحتـه، يعطي كـلاً قدره ويشعـر الجميع أنه يهتم بهم جميعـاً ولا يميز بينهم لجاه أو ثراء .

- وكان يعامل غير المسلمين معاملة حسنة فيدعوهم لمائدة الإفطار في رمضان مع ضيوفه، كانوا يحبونه لأنه كان صورة طيبة لخلق المسلم وسلوكياته .

- لقد سـافرت مع «أبو سليمان» إلى مقاطعـات ماليزيا المختلفـة، وكان يقابل في كل مكـان بالحب والاحترام، وكان دائماً يحمل معه الهدايا، وكانت زوجتي تغلف الهدايا لتوزيعها .

- وكـان يحب النظام، وعنـدما يـرى الخطأ يعنّف المخطئ ولكنـه بعد فترة قصيرة يساعـده على أن يقدم الاعتـذار، ثم يصفح ويشعر المخطئ أنه يعلمه، ولم يكن يقصد العقاب أو التوبيخ .

حسن العطاس :

وأجرى المركز مقابلة مع السيد حسن العطـاس ، أحد أفراد أسرة العطاس المقيمة في سنغافورة ، وهو رجل أعمال صديق للشيخ محمد ، كان يتولى تأمين طلباته وتنفيذ المهام التي يكلفه بها فيقول :

- كـانت معرفتي بالشيخ محمـد عندما أصر يرحمه الله على أن يجري عقـد زواج ابنة الشيخ سيد يـوسف الزواوي مفتي منطقة ترنيقانو بماليزيـا من الشاب السعودي أسامة فدعق ، في منزل الشيخ محمد في ماليزيـا ، لصداقته الحميمة بالشيخ الزواوي ، وقد أقام حفلة أنيقة كبرى في منزله لهذه الغاية .

- عندما زرته وهو على فراش مرضـه الأخير في الرياض قدّم لي بعض المال لتوزيعه على المحتاجين والفقراء المسلمين في سنغافورة .

- كنت أتولى مع شخـص آخر اسمـه ابن طـالب في سنغافـورة تأمين متطلبـات الشيخ محمـد من الهدايا والفنـادق والضيافات وسيارات ضيوفه في سنغافورة .

- كان ضيوفه في سنغافورة يتراوحون بين الشخصيات المهمة والعادية والأقارب وكانوا جميعاً يجلونه ويكنون له الاحترام البالغ .

- كلفني مرة بدراسة الحالة الاجتماعية لأرملة تسكن في ولاية جوهر بماليـزيا ، وعندما قدمت له تقريراً عن حالتها بعث إليهـا بمبلغ عشرة آلاف ريال ، وقـال أبلغها بأن المبلغ من محسـن سعودي من الأسرة المالكـة ، وقد كـانت هذه المبـادرة مفاجأة للمرأة قالت عنها إنها تشبه «اليانصيب» بالنسبة لها وأطفالها .

الدكتور محمد العمر الصائغ :

ويقول الدكتور محمد العمر الصائغ ، الـذي كان واحداً من الطلبة السعوديين المبتعثين لدراسة الطب في باكستان في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد سفيراً هناك :

- من السمات التي اختصت بها شخصيـة الشيخ محمد سعـة الأفق وبعـد النظر ونقـاء البصيرة ، فقـد كان يـدرك أن الشباب هم رجال الغد ، وأنهم في حاجة إلى العناية والرعاية والتوجيه السليم .

في عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) ابتعثت مع عـدد من الشباب من مناطق مختلفة من المملكة لدراسـة الطب في باكستان، وقد حطت بنـا الطائرة بعد منتصف الليل في مطار كـراتشي، ولانعدام التجربة والخبرة ولأنها المرة الأولى التي نسـافر فيها للخارج فقد طلبنا من سائق سيارة الأجرة التوجه بنا - في ذلك الوقت من الليل - إلى السفارة السعودية.

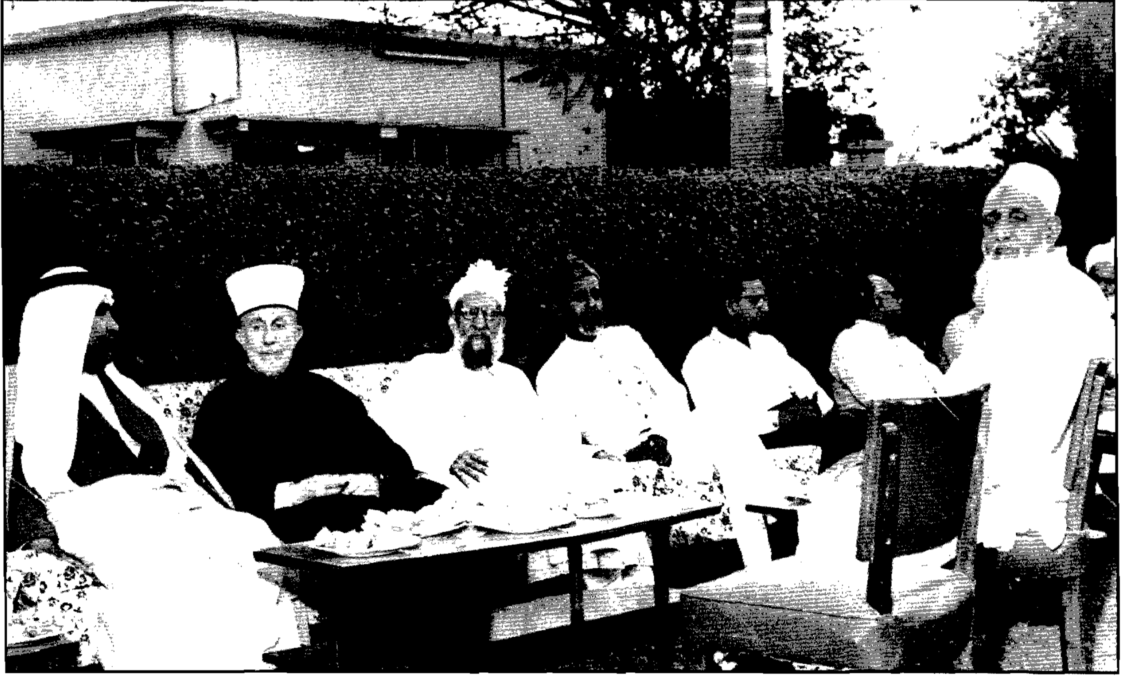
طرقنـا باب السفارة قبل الفجر، فتح لنـا الحارس، فأخبرناه أننا طلاب قـادمون إلى باكستان للـدراسة، ولأن الحارس يعمل لدى الشيخ محمـد ويعرف سجايـاه، والتعليمات لديه واضحة وصريحة، فقـد استقبلنا بالترحـاب، ولم ينصحنا أن نذهب إلى أحـد الفنادق (والصبـاح رباح) كما يفعل الآخرون في أحسـن الظروف، بل هيّأ لنا مكـاناً للنـوم، وفي الصباح استيقظنا لنتناول الفطور في معيّة الشيخ محمد، الذي استقبلنا ببشاشة وجه وانطلاق محيّا، مبدياً غبطته بوصولنا.

وعلى الرغم من أنـه لم يكن هناك إشعـار رسمي لدى السفارة عن ابتعـاثنا على نفقة الـدولة، إلا أنـه ظل يأمر بصرف مكافأة شهرية لنا لعدة شهور حتى وصلت قائمة بأسمائنا من وزارة المعارف.

وقد حـرص تماماً، كما يفعل الأب الحاني الذي يخشى على أبنـائه في هذا السن المبكـر من الطيش والانحراف، على أن نسكن في القسم الـداخلي التابع لكليـة الطب، وفي أحـد الأيام اتفقـت سراً واثنان من زمـلائي، على الخروج من السكن الداخلي واستئجار شقة، ثم ذهبنـا إلى السوق لشراء بعض الأثاث اللازم، وبحثنا عن سيارة لنقله فلم نجـد سوى عربة «كـرّو» كبيرة يجرها جمل، وحـاولنـا إفهام صـاحبهـا بالعنـوان ولكن دون جـدوى، فكل مـا يعرفـه هـو عنوان السفـارة السعودية، ولما كانت الشقة قريبة منها فقد اتفقنا على أن نلتقي عند مبنى السفارة.

ركبنا (ركشه) وهي دراجة نارية تستعمل للنقل بالأجرة، ووصلنـا إلى مبنى السفارة وإذا بالشيخ محمد يرانا عند الباب (وعندما يراك، فمن العبث أن تحاول التهـرب منه مهما كان عذرك)، أخذنا إلى مكتبه وأمر بـالشاي والقهوة وأخذ يجاذبنا أطراف الحديث تـارة وينهمك في إنجاز المعامـلات الموجودة على مكتبـه تارة أخرى، ونحن على أحـر من الجمر ومضت سـاعتان أو أكثـر ثم قـال : أنا ذاهب إلى المطـار لأستقبل ضيفـاً ، وقبل أن نتنفس الصعـداء أردف قائلاً : هيـا معي، وخرجنا بصحبته، وإذا بصاحب العربة قد أناخ جمله عند باب السفارة، وشاء الله أن يمر في تلك اللحظة السفير اللبناني بسيارته فلمحه الشيخ محمد واستوقفه وصحبه إلى مكتبه، وبذلـك تمكّنا من الانطلاق، ولكنه عندما عرف فيما بعد عاتبنا برقة، لها مفعول الشدة، فعدنا إلى القسم الداخلي.

وفي ذلك الوقت كان يحق للطـلاب المبتعثين الحصول على تذكرة لـزيارة ذويهم مرة كل سنتين، ولكننا عنـدما أمضينا سنة دراسيـة واحدة شدنـا الحنين إلى الأهل والوطن، فقـررنا أن نعود إلى المملكـة للزيـارة على إحدى البواخـر (لأن قيمة



تذكـرتها أرخص) وذهبنا إليه لنخبره بها قـررناه، فما كان منـه إلا أن قال : اذهبوا بهذا الكـرت إلى مدير مكتب الـرحلات البحرية وسوف يساعدكم.

وقد فـوجئنا بوجـود تذكرة بـالدرجة الأولى لكل طـالب (وكان عددنـا عشرة فيما أذكر) أصدرت على نفقتـه الخاصة، فاشترينـا بالمبلغ الذي خصصنـاه للتذكرة بعض الهدايـا، وقضينا ثمانية أيام ممتعـة في البحر بين كراتشي وجـدة عبر باب المندب.

ـ كان يمضي مع الشباب السـاعات الطوال متحدثاً إليهم بأسلوبه القصصي الممتع، عن الرجـولة والشهامة والمسلك الحسن، ويسـدي لهم النصائح ويـوجههم إلى الطريق القـويم، ومـا أحوج الشبـاب في تلك السن (خصوصـاً عندمـا يكونون بعيدين عن الأهل والوطن) إلى من يوجههم.

ـ أستطيع أن أقـو ل بحق إن الفضل يرجع ـ بعـد الله ـ إليه في مـواصلتي وكثيرون غيري للدراسة، بتـوجيهه السليم وتذليله لما كان يعترضنا من عقبات.

عبد المحسن الناصر الجيعان :

وقال عنه الأستاذ عبد المحسن الناصر الجيعان (السفير الكويتي في ماليزيا سابقاً) :

- كان من عادة الشيخ محمد أنه يحرص في حفلاته على أن يتصل بنفسه بالجميع هاتفياً ويرسل سيارته لمن يعتذر ويدور باستمرار على ضيوفه ويقدم لهم الطعام ويخدمهم بنفسه .

- رأيت في مناسبات عديدة أبا سليمان وهو يجالس خدمه ويتحدث معهم حديث رقة وحنان ، كما رأيته يلاطف أبناءهم ويلاعبهم وكأنهم من أقرب الناس إليه ، كما دخلت غرفة نومه فوجدتها خالية من أي وسائل راحة أو أبهة وهو الذي يغدق على الآخرين ، ولديه غرفة خاصة بالهدايا المتنوعة .

- وكان يصر على كل من يزور ماليزيا النزول في ضيافته ، وكان عندما يسافر للمملكة - أو الكويت - يصر على السكن في الفنادق ، حتى لا يحرج أصدقاءه أو يزعجهم .

- شاهدته يتحمل ألم الأحداث وألم المرض ، وكان يتحدث معي عن كل ذلك في جلساته الخاصة ، ومن لا يعرف لا يلاحظ ، ورغم ذلك كان يتحمل مسؤوليات عمادته للسلك الدبلوماسي ومنها توديعي وتوديع زملاء آخرين .

- عرفته يعالج الأمور بالروية والصبر مع من ليس له دالة عليه ، وبالأمر والحزم على من يملك السلطة عليهم .

- جمع في بيته كثيراً من الأعداء السياسيين ، وفي بيته حللنا كثيراً من الأزمات ، وقد كنت في بيته وبضيافته عندما أجلسني بجانب ملك ماليزيا الحالي ، عندما كان رئيساً للقضاء العالي ، وتمكنا من مساعدة ماليزيا في حل أزمتها الدستورية .

- عندما تولى عمادة السلك الدبلوماسي في ماليزيا ، كان يدرك الصعوبات والمشكلات لكثرة الخلافات والقضايا السياسية التي تفرق بين السفراء ، وبحنكته ومقدرته استطاع أن يجمعهم دائماً في بيته رغم خلافاتهم .

- ولعل أصعب الفترات التي مرت عليه ، والتي ربما تكون قد أثّرت سلباً على صحته لما رأيته من تأثر بالغ عليه ، هو حادثة نقل بعض الحجاج الماليزيين لصور ومنشورات ، وقد واجهها أبو سليمان بحزم رغم التأثر العميق ، ولم يكن يتصور ما حدث وقد حركت أولئك الحجاج بعض الأيدي .

- أسلم على يديه كثير من الصينيين ا لبوذيين بما وفره لهم من مثل أعلى ومنهم من زوجهم أو وفر له سبل العيش الكريم .

ـ كـان أبو سليمان شاباً بـروحه، يلاطف الجميع، وأحلى لحظـات عمره التي عهدتـه بها هي ملاطفته وحبه لـلأطفال وأحياناً يطلب من سائقه الـوقوف وينزل لملاطفة طفل في الشارع، وقد أطلق عليه أحد الدبلـوماسيين الأجانب لقب (بابا نويل) أو (سانتا كلوز) مدللاً على حبه للأطفال وكثرة ما يقدمه لهم من هدايا بمناسبة أو بدون مناسبة.

ـ كان أيضـاً حضاريّاً في حكمه على الآخرين، ولا يفـرض وجهة نظره بل يستمع للآخرين، فهـو لا يفرط ولا يغالي، كنت أتشاور معه في قضايا كثيرة، ونكون متفقين دائماً، ولم نختلف في رأي أو موقف قط.

علي عبد الله الصقير:

وقال الشيخ علي الصقير (السفير السابق بوزارة الخارجية):

ـ كان يتحمل الألم في سبيل الآخرين، وآخر مثـال لذلك كما سمعت، أنه دُعي إلى حضور حفل زواج رسمي، وكان يشعر بألم في يـده وكتفه، وحاول ابنـه سليمان إقناعه بعـدم الذهاب إلى مكـان الحفل، الذي يبعد عن كـوالالمبور خمسين كيلومتراً، إلا أنه أصر على الذهاب، وعندما عـاد إلى السفارة وقع على الأرض وحمل إلى المستشفى وهو في غيبوبة، كانت بداية مرضه التي توفي على أثرها بعد ثلاث سنوات تقريباً.

ـ وله مـواقف محمودة ومعروفة للتـوفيق بين أقاربه وأصدقائه، إذا علم بـوجود خلافات بينهم، وكثيراً مـا يوفق لرأب الصدع وجمع الشمل وإزالة الخلافات.

ـ كانت مجامـلات الشيخ محمد للنـاس لا تقتصر على مـواطنيه أو العـرب أو المسلمين، بل تشمل الأجانب أيضـاً، حيث كان يزورهم ويزورونه ويطلعهم على تاريخ المملكة بعرض أفلام إعلامية عنها.

محمد بن صالح بن سلطان:

ومما قاله الشيخ محمد بن صالح بن سلطان (رجل الأعمال السعودي المعروف):

ـ شهدت له مواقف إنسانية عديدة في بـاكستان، فحينما كان سفيراً لبلاده هناك، أديت معه صلاة الجمعة ذات يوم، فتبعه من سواد الناس العدد الكبير فكان يلاطفهم ويهتم بهم ويوزع المال عليهم ويشاركهم الأحاديث ويستمع لأقوالهم.

ـ يُجمع من اقتربوا من أبي سليمان على أن شخصيته كانت تتميز بالصبر والكرم والذكاء الخارق.



زيارة سمو الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز (وزير الدفاع آنذاك) إلى باكستان (رجب ١٣٨١ هـ/ ديسمبر ١٩٦١ م) ويرى معهما الشيخ محمد بن صالح بن سلطان (وكيل الوزارة) واللواء إبراهيم المالك (مدير مكتب الوزير).

ـ وكان يتصرف بحنكة وروية ولا أتذكر أنه وقع في خطأ بسبب التسرع، ولم تكن تأخذه في الحق لومة لائم، ويصدع بالحق مهما كان.

ـ كان يحترم الإنسان أيا كان بدون تمييز، مما يجعل من يتعرف عليه يرتاح إليه، وربما جذب غير المسلم إلى الإسلام بشعور حكيم.

ـ ويحمد له أن علاقاته مع الشباب والشيب على حد سواء، كانت تفيض بالكرم ويطغى عليها طابع النصح والإرشاد بالاستقامة وحسن المعاملة، ويشعر الشباب خصوصاً بأن الشاب هو ركيزة المستقبل ودعامة المجتمع ويدعوه للتزود بسلاح العلم والمعرفة وخدمة دينه ومليكه ووطنه.

حمد الجميح :

ويقول عنه صديقه الشيخ حمد الجميح (رجل الأعمال السعودي المعروف) :

- بإيجاز شديد، فإن الانطباع الذي يتكون عنه عند مقابلته لأول مرة يتلخص في كونه يصعب عليك أن تعطيه حقه كاملاً، من حيث اتصافه بكرم الضيافة والتواضع والأخلاق الفاضلة وحب مساعدة من يطلب ومن لا يطلب منه .

- ومن أمثلة تواضعه وإيثاره أنه في إحدى زياراتنا له في ماليزيا ، وجه الدعوة لصديق له لزيارته، وكان موعد وصول الطائرة إلى المطار في الساعة السادسة صباحاً ولم ينم تلك الليلة لسهره مع ضيوفه، وذهب إلى المطار مبكراً ؛ لأن المسافة تستغرق حوالي ساعة، واستقبل الضيف الصديق وصحبه إلى الفندق حتى اطمأن على راحته ، وكان لديه موعد رسمي في إحدى السفارات في الساعة التاسعة صباحاً، وقد حضر في الموعد المحدد دون أن يأخذ أي قسط من الراحة، وكان ذلك أحد أسباب المرض المفاجئ الذي أصابه من كثرة الأعباء وإيثاره خدمة الناس على راحته وصحته .

- ومنها أنه كان لديه زوار كثيرون ، وحان وقت صلاة الجمعة، فوزعهم على مجموعات لنقلهم في سيارات إلى المسجد، وبقي بعض الأشخاص العاديين ممن لا يعرفهم لم تتوفر لهم أمكنة في السيارات، فما كان منه إلا أن نزل من سيارته وأركبهم فيها وطلب سيارة عادية وركب فيها .

- ومما يسجل له أنه كان يعاني من اعتلال صحته، ولكن ذلك لم يمنعه من تأدية مهام عمله وحضور المناسبات الرسمية وغير الرسمية .

محمد المنصور الرميح :

وقال عنه صديقه وزميله الشيخ محمد المنصور الرميح :

- كان يهتم بالصغير قبل الكبير، والضعيف قبل القوي، والفقير قبل الغني .

- وكان من تواضعه أن جعل بيته ومكتبه مفتوحين للجميع .

- وكان سلس الطباع، يتعامل مع كافة الثقافات، وكان محل تقدير جميع الاتجاهات، وحبهم واحترامهم .

- لقد شعرت أنه أخ كبير وأنه يعرفني من قبل رغم فارق السن بيني وبينه كما أنه كان يمتاز بالبشاشة وسعة الصدر.

عبد العزيز السليمان الذكير:

وقال عنه صديقه الشيخ عبد العزيز السليمان الذكير (رجل الأعمال السعودي المعروف):

ـ إنه من أولئك المؤمنين الذي قال الله سبحانه وتعالى فيهم ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1]﴾.

ـ كان، يرحمه الله، جريئاً كل الجرأة في الحق، في دبلوماسية محنكة، رقيقة مهذبة تُخجل صاحبه فينصاع للحق.

ـ كان يتعامل مع الثقافات الأخرى تعاملاً يتصف بسمو الخلق والمحبة المستمدة من روح الإسلام، فهو دائماً وأبداً يحرص على زيارة الجيرة من غير المسلمين في أفراحهم ويواسيهم في أحزانهم، وكانت له مكانة مرموقة جداً في أوساطهم.

ـ ولا أنسى موقفه الرائع مع والدي سليمان محمد الذكير ـ يرحمه الله ـ عندما أكملت دراستي الثانوية عام ١٩٤٦م بمدينة البصرة ورغبت في إتمام دراستي الجامعية، فكان هو العون بعد الله في تسهيل التحاقي وإقناع والدي بسفري إلى القاهرة لإكمال دراستي الجامعية.

الدكتور إسماعيل إبراهيم:

يقول عنه الدكتور إسماعيل إبراهيم (الأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا):

ـ ومما يُجمع عليه من اقتربوا من فكره وأعماله أنه كان رجلاً صريحاً، وكان يجهر بصوت الرفض لكل ما يتعارض مع الإسلام.

ـ وكان لديه أصدقاء وزملاء من غير المسلمين، ولكنهم كانوا جميعاً يحترمونه، ولم تكن هناك مشكلات أبداً بينه وبينهم.

ـ رافقته مرة لزيارة مدرسة ابتدائية وسرعان ما ألفه التلاميذ وأحبوه، وطلبوا منه أن يشاركهم أناشيدهم وتحدث مع الشباب عن الإسلام بطريقة أعجبوا بها.

ـ لقد أحببته منذ اللقاء الأول، فقد كان صديقاً يتسم بالمعرفة الواسعة، وكان دائماً يدعم آراءه بالقرآن والسنة.

عبد الستار سيرت:

ويقول عنه الأستاذ عبد الستار سيرت (الوزير الأفغاني سابقاً والأستاذ حالياً في جامعة أم القرى)[2]:

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ٩.

(٢) للأستاذ عبد الستار سيرت بحث كامل أعده خصيصاً لهذه الدراسة، ونشر في الفصل الخامس.

ـ لقد وجدت نفسي في مقابلة إنسان بمعنى الكلمة، كان سفيراً يمثل مملكة الحب والمودة والأخوة والخير تمثيلاً أرفع من مستوى التشريفات والرسميات، وفي أول لقاء رسمي بيني وبينه ـ سفيراً للمملكة لدى أفغانستان ـ قلت له: إنني أعتبركم سفيراً للمملكة في أفغانستان وسفيراً لأفغانستان في المملكة.

ـ ولم تظهر الشيخوخة عليه إلا أيام مرضه الأخير وكان لا يتحدث عن عمره، وأحياناً لما كنا نعلق عليه بالحلاقة واللباس الجميل واستعمال العطور كان يقول مداعباً (حتى لا يظهر سر الشيخوخة)، ولما كان يحكي لنا ذكرياته عن الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ كنت أقول له: هذه قصة تاريخية، ويمكن منها الكشف عن عمركم فكان يضحك.

ـ ولقد حدث قبل أكثر من ربع قرن، أن التقى في بلد من البلدان العربية بمجموعة من الشباب فقال لهم:

ـ إنني لأرى مستقبلكم في بلدكم وسوف تقيمون إن شاء الله في المملكة، وقد تحقق ما قاله ومن أولئك الشباب اليوم نخبة من الأطباء وأساتذة الجامعات ورجال الأعمال في المملكة.

ـ وبإيجاز، فلقد كان الشباب في مجلسه يشعرون وكأنهم في حلقة درس من مدارس الحياة والخبرة والأخلاق، ويتمتعون في الوقت نفسه بحنان الوالد الشفوق والأخ الكبير فيضعون ثقتهم فيه ويحترمونه بكل قلوبهم.

الدكتور محمد عبد الرؤوف:

وقال عنه الدكتور محمد عبد الرؤوف (الرئيس السابق للجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا):

ـ كان أبو سليمان مثلاً في الأدب والتواضع والدماثة، يعامل الجميع بالود والمحبة.

ـ فيه الجرأة في الحق بجانب حب الخير للجميع، غير متأثر بدوافع شخصية أو سياسية أو أي اعتبار آخر غير الحق والمعروف.

ـ لن أنسى يوم دعوته لاحتفال أقيم في الجامعة واعتذر لمشاغله وفجأة أسعد الحفل بالحضور، حيث ضغط مواعيده وتمكن من المجيء، ولما طلبت منه إلقاء كلمة ـ ولم يكن مستعداً ـ وافق بعد تردد، وألقى كلمة بليغة للغاية، ضمّنها نصائح رشيدة إلى الشباب، فنفذت إلى القلوب ورددتها الصحف فكان لها أحسن الأثر.

ـ وقد كان يتمتع بقدر كبير من دماثة الخلق، ودوداً لطيفاً عف اللسان الرطب بكلمات الخير وكرم منقطع النظير.

الدكتور عبدالهادي التازي

ويقول عنه الدكتور عبد الهادي التازي (السفير المغربي الأسبق في العراق) :

- يتجلى تواضعه مع كل الطبقات ، فهو يقف للعامل والعالم والموظف البسيط والسامي ويضحك للصغير والكبير.

- كان مثلاً للإيثار، والغريب أنه في هذه الخصلة يعتذر لك عن تقصيره وأنه يشعر بخجل كبير وهو لا يستطيع أن يؤثرك أكثر.

- وكم حضرت له من مآزق استطاع أن يخرج منها ناجحاً غانماً.

- سر ريادته في طيبته وجميل معاشرته .

- وقد كان لا يتردد في التعبير عما يشعر به مهما كان ولكنه يكون هادئاً لا ينفعل ولا يعتريه صخب ولا غضب .

- وليس من المستغرب بمكان في أمر أبي سليمان أنه كان محبوباً من قبل السفراء الذين كانوا يتحدثون إليه باللغة الإنجليزية ويستنيرون برأيه .

- وكان، رحمه الله ، في تعامله مع الشباب، هو الأب المرشد الذي يأخذ بيد الشاب الحائر أو المتردد، ولي معه ذكريات حول معاملته مع أحد الشباب الذي كان بصدد اختيار اتجاهه بعد أن حصل على شهادة الباكالوريا ، حيث أخذ يذاكره ويقنعه بسلوك الطريق الأوفق وهو في كل هذا يشجعه ماديًّا وأدبيًّا .

- وكان أبو سليمان يحرص بوجه خاص في مجال تمسكه بالأصالة والاعتزاز بالتراث على ما يلي :

أ - لباسه الذي لم يتغير.

ب - مأكله الذي كان يميل فيه إلى الأخذ بطريق البساطة وعن طريقه تعودت على طائفة من الصحون الأصيلة في المملكة.

كنت أُكبر فيه أنه مرن في تقبله لسلوكيات الآخرين غير متزمت ولا متعنت، وبذلك اكتسب عدداً من الأصدقاء والرفاق، وهو فعلاً يؤمن بالجديد ولكنه غير مفرط في التمسك بالقديم.

- أشهد بأن الرجل كان متيّما بالمملكة ورجالها ، وكان يجد المتعة بالحديث عنها وعن رجالها السابقين واللاحقين فهو وطني فذّ.

- كان الانطباع الذي يشعر به المرء أنه يتصل بإنسان هادئ متفائل مبتسم يدخل السرور على القلب .

سعود عبد الله النفيسي :

يقول الأستاذ سعود عبد الله النفيسي (رجل الأعمال الكويتي المعروف) :

ـ كان بعيداً عن الأنانية والأثرة وغير ذلك من الصفات التي تتنافى مع صفة الكرم المتأصلة فيه ولا يجد ضيراً في إيثار الغير على نفسه إذا اقتضى الأمر ذلك .

ـ ولم يكن يحجم عن التوسط في كثير من القضايا ، سيان في ذلك أكان أصحابها من السعوديين أم من الجاليات العربية الأخرى وخاصة من دول الخليج العربي ويدافع بقوة عما يراه حقاً وعدلاً.

ـ وكان حريصاً على التمسك بالنافع من التقاليد والعادات الحميدة الموروثة عن السلف ، وبخاصة ما يتعلق بكرم الضيافة وطيب الوفاء ، فكما كان حريصاً على استضافة أصدقائه لم يكن يرتضي دعوة من أحد منهم إذا ما دعاه لتناول الطعام لديه .



يستقبل الشيخ عبد الله الجابر الصباح في نيودلهي (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م) ويبدو سفير الكويت في الهند يعقوب الرشيد .

مقبل العيسى :

وقال عنه الأستاذ الشاعر مقبل العيسى (الوزير المفوض السابق بوزارة الخارجية)[1] :

ـ لم يكن الشيخ محمد يتأثر ببريق المنصب، كان متواضعاً دائم الابتسام، يتعاطف مع صغار الموظفين والمتخرجين حديثاً.

ـ أذكر عنه عفة لسانه وصفاء ضميره، فلا أتذكر أنني سمعت منه كلمة جارحة أو نابية بحق أحد مع بعد عن الإسفاف على الرغم من ميله للمداعبة.

ـ حرصه على إدخال السرور في نفس من يجتمع به بروايات ومواقف طريفة وخاصة ما صدر عن أصدقائه ومعارفه.

ـ إعجابه الشديد بشخصية مؤسس الكيان الكبير، فكان دائم الحديث عن مآثره وأعماله المجيدة وعبقريته وبعد نظره في السياسة الخارجية.

ـ محافظته على التقاليد الإسلامية دون تزمت أو تظاهر باتباعها.

ـ إن خصاله تذكر بالقول المأثور: إن حركات الأفلاك تدور فلا تبقي على أحد نعمة، كما لا تديم على أحد نقمة، فمن وُلِّيَ منكم أمراً فليكن همه بذل المعروف وتطويقه بأعناق الرجال.

عبد العزيز أبابطين :

وقال عنه صديقه الشيخ عبد العزيز سعود أبابطين (رجل الأعمال المعروف بالمملكة والكويت) :

ـ أعرفه منذ عام ١٩٧١م عندما التقيت به مصادفة في بغداد، ولكني اجتمعت به في ماليزيا، فقد كنت أقوم بجمع قصائد شاعر الزبير سالم الحميّد وقد ذُكر أنه يرحمه الله يحتفظ بشيء من قصائده فاتصلت به من الكويت واشترط زيارته، فقمت وصديقه الشيخ عبد الله المزيّن بزيارته عدة أيام، ولم يطلقنا إلا بعد أن وردتنا برقية من معالي الشيخ فهد السديري (السفير السعودي السابق بالكويت) يعزينا بأحد أقاربنا، ولقد حاول اخفاءها طمعاً في استبقائنا مدة أطول.

---

(١) قال فيه قصيدة أُدرجت في الفصل السابع :



يودع أحد الشخصيات الهندية (داخل الطائرة).

- زرته في المستشفى بصحبة مستشار سمو أمير دولة الكويت (الشيخ عبد الرحمن سالم العتيقي) ورئيس مجلس الأمة الأسبق.

- إنه حاتم طيء زمانه ليس بالكرم المادي فقط بل وبكرم النفس، إن الكرم المادي اليوم في متناول من يريد أن يكون كريماً لكن كرم النفس هو الصعب.

- اتصلت به هاتفياً أثناء مرضه، أقرأ عليه قصيدة العم الشيخ عبد المحسن أبابطين عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) عندما عين قنصلاً في البصرة فبكى يرحمه الله، وندمت على ذلك إذ ظننت أنه سيكون سعيداً بسماعها [١].

- أكاد أقسم أن أمانته، ونظافة يده مثالية ترقى لدرجة السمو، وكان إخلاصه النموذجي للمملكة وللأسرة المالكة مضرب المثل، حتى أن صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد عندما ذهب بزيارة إلى ماليزيا ودعاه السفراء العرب قال: لدي وجبة واحدة يسعدني أن أعطيها لسفير كل العرب الشيخ محمد.

- يؤخذ على الشيخ محمد أنه كان كريم زمانه مع من يستحق ومن لا يستحق فكل الناس لديه سواسية، وهذا يدخل ضمن كرم النفس وهي الصفة التي «لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم».

- في كل الأماكن التي عمل بها في الدول الخمس كان يترك بصمات الخير واضحة للمملكة التي أخلص لها كل الإخلاص، فهو من الرواد الأوائل والقلائل بقدراته الفذة، وكان حتى في أوقات فراغه يعمل بشكل غير مباشر لرفع اسم المملكة وملوكها، سواء برواية القصص التي شهدها مع الملك عبد العزيز وأبنائه، أو بتقديم الخدمات والمساعدات للآخرين.

---

(١) القصيدة منشورة في الفصل السابع.

الدكتور عبد الله عمر نصيف :

وقال عنه معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف (الأمين العـام السابق لرابطة العالم الإسلامي نائب رئيس مجلس الشورى) في رده على استبانة المركز وفي رسالة إضافية بعثها إلى المؤلف :

ـ يحار الإنسـان أين وكيف يبدأ الكتابـة عن شخصية يكاد يجمع النـاس على أنها شخصية فذة ، وهبهـا الله من كريم الطباع وعظيـم السجايـا والأخلاق الشيء الكثير، وأفاض الله عليهـا سبحانـه وتعالى مـن فيض كرمـه ورحمته مـا جعلها موضع المحبة والاحترام والتقدير من كل من عرفها .

ـ كانت معرفتي الأولى سماعاً بأبي سليمان من إخوته ، عندمـا وفدوا من الخارج للالتحاق بمدينة الملك سعود العلمية بجدة عام ١٣٧٦هـ ، حيث كنا نلتقي مع الزملاء في تلك المدارس في مناسبـات عامة وخاصة ، ثم تـوالت الأخبار عنه بعد ذلـك ، وبخاصـة من الزمـلاء في لجان التعاقد التـي كانت تـزور العراق في الأعـوام ١٣٩٢هـ وما بعـدها ، فكـانت القصص التي يرد بها هؤلاء الإخـوة عن كرمه وتواضعـه وحسن ضيافته واهتمامه بـالصغير والكبير والقريب والبعيد ومن



أثناء زيارة الدكتور نصيف إلى ماليزيا (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ـ يناير ١٩٨٥م) .

عرف ومن لم يعـرف اهتماماً زائداً وعنـاية كاملـة ، كانت قصصـاً أقرب إلى الخيال ، لـدرجة أن الشخص الـراوي قد يتهم بالمبالغة أو استخدام وسائل التشويق لشد انتبـاه سامعيه إلى الحديث ، وأنا وإن كنت أصدق ما سمعت ، إلا أن ما رأيت هو أوقع بكثير مما سمعت .

ـ أتيحت لي الفـرصة للقاء به عـدة لقاءات عابرة في المملكـة أو خارجها ، إلا أن الاتصال والاحتكـاك الأول كان عام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م ، عنـدما رافقت معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العـالي السابق ، يرحمه الله ، عندما قام بزيارة رسمية لماليزيا على رأس وفد من مديري الجامعات السعودية ، وكان الشيخ محمد ، وهو سفير المملكة في ماليزيـا ، أحد المستقبلين الرئيسيين مع وزير التعليم الماليزي وغيره من كبار المسـؤولين ، وكان استقبال أبي سليمان يختلف عن الآخرين مع عدم التقليل من شأنهم ، فهو إلى جانب اللياقة والكياسة وحسن الأدب الذي يستقبل به الناس ، إلا أنه أحضر القهوة والتمـر والحلويـات إلى المطار ، وأصر على تقديمهـا بنفسه مع الإلحاح على تناول المزيـد منها ومـا يصاحب ذلك من نكات وطرائف ، ثم تكرر المشهد نفسـه في الفندق ، وقد ملأ الثلاجات والطاولات في جميع غرف الـوفد بالفواكه والمثلجات وخص كل ضيف بالمجاملة نفسها .

ـ وقد أكد لي من زار البـلاد التي عمل فيها أثناء عمله في السلك الدبلوماسي السعـودي في الخارج ، أن هذا ديدنه مع الضيوف ممن عرف أو لم يعرف ، إذ إنـه بمجرد سماعه أن ضيفاً وصل إلى البلد وخلال أيام الـزيارة طالت أم قصرت ، فإنه يتردد على الضيف ، ويوفر له السيارات والمرافقين لزيارة المعالم التي يقترحها ، ويلح على أن يقوم الضيف بتلك الزيارة ، ولا يكتفي بدعوة رسميـة في منزل السفير بل هناك دعوة مفتوحـة في كل يوم ولكل الوجبات ، ولذا فإن داره كـانت عامرة بالزوار والضيوف ، ومجالسه حافلة بالشخصيات من مختلف المستويات .

ـ وعادة ما كان يعرض على الضيوف أفلاماً وثائقية عن المملكة : تاريخها وحضارتها وتقدمها الحديث في جميع مجالات الحياة مع تقديم كتيبات ونشرات وكتب .

ـ ومن العادات الحسنـة التي لازمته ، تقديم الهدايا لضيـوفه من جميع الأنواع والأصناف وتقـديم المال للفقراء منهم أو لمن قدموا للعلاج ويقيمون في المستشفيات ، فيعودهم مرات عديدة وفي كل مرة لا تخلو يداه من هدية أو مساعدة يضعها تحت وسادة المريض .

ـ والقصة التي لا أنساها أبداً أنه في إحدى زياراتي لماليزيا ، وكانت زيارة مرور في طريقي إلى كراتشي قادماً من الشرق الأقصى ، ألغيت الرحلة أو تـأخرت ، والرحلة التي بعدهـا كانت بعد خمس ساعـات أو أكثر ، فأصر الشيخ محمد ، على

أن نأخذ غـرفة في فندق المطار، وبعـد أن فعلنا ذلك تأكدت من أني أقنعتـه بأن يودع كل منا الآخـر في تلك اللحظة وأن نكتفي بذلك ؛ لأنه كان قد أصر على مرافقتي إلى المطار، فوعـدني على مضض بالموافقة على ذلك وأنه لن يعود للوداع مرة أخرى ، وعندما حـان موعد السفر الجديد فوجئت بأنـه موجود في قاعة الفندق ، وأخبرني أحد مـرافقيه أنه ظل كل تلك الفترة (حوالى أربع ساعات) في بهو الفندق جالساً على إحدى الأرائك في صالون جانبي حتى لا يتخلف عن التوديع .

محمد العبد الله المطلق :



وقـال الشيخ محمـد عبـد الله المطلق (الفهيد) السفير السابق :

ـ وهبـه الله سعـة في الخلق وكـرمـاً في النفس والمال وسماحـة وصبراً في التعـامل مع النـاس ولطفـاً في الحديـث مع من يعـرف ومع من لا يعـرف ، ولم يعرف عنـه أن قابل أحـداً إلا مبتسماً منشرح الصدر لا عن مجاملة مصطنعة وإنما كان صـادقاً في بشـاشتـه مخلصاً في مظهـره ومخبره وفي سره وعـلانيته ، ولـذلك كـان قـريباً إلى قلـوب الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم ، لأنـه كان يعيش حيـاته من أجلهم ، فهـو الأب والأخ والصـديق الصـدوق لكـل واحـد منهم حسب أعمارهم وطبقاتهم وقربهم وبعدهم .

ـ وممـا يجب تسجيلـه للتـاريخ ، أنـه كـان مجاهداً في سبيل الله بماله ونفسه ، فقد ساهم في أعمال الخير ومساعـدة المعوزين والمحتاجين والمبرات الخيرية وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وكل مـا يمت إلى منفعة الناس وفائدتهم حـاضراً ومستقبلاً ، كما أنه خـدم المملكة بأمانة ونـزاهة وإخلاص منذ تأسيسها في عهد الملك عبد العزيز ـ يـرحمه الله ـ مرورا بعهود أبنائه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد ـ يرحمهم الله جميعاً ـ إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود أمد الله في عمره .

ـ مثّل المملكة في عدد من الأقطار الإسلامية والعربية ، كان فيها مثال الشرف والأمانة والدين والأخلاق والأدب والصدق والوفاء ، وكان خير مرآة للمسلم الصادق الذي ينتمي إلى بلاد مقدسة أنجبت خير البشرية وسيد الأولين والآخرين (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام رضوان الله عليهم وعظماء الرجال من قادة وعلماء في جميع العصور، وترك في جميع البلدان التي عمل فيها آثاراً طيبة تدعو للفخر والاعتزاز، ووطد علاقات المملكة بالدول التي مثلها بها .

ـ وقد ضحّى بسعادته الشخصية ، فعاش وحيداً يحصر تفكيره في تحسين عمله و إسعاد مجتمعه والوفاء لأصدقائه ومعارفه ومحبيه ، والقيام بخدمة ضيوفه وزواره الذين كانوا يقصدونه من أقاصي الأرض وأدناها .

ـ كان موسوعة معلومات تاريخية نادرة ودقيقة عن الملك عبد العزيز وأبنائه ، وسجلاً حافلاً بكثير من المعلومات الأخرى ، مما لم يتطرق إليها أحد من المؤرخين أو المؤلفين عن المملكة وملوكها وأمرائها ورجالاتها من قبل .

ـ بدأت عملي في الدولة بوظيفة كاتب في مالية الرياض عام ١٣٦١هـ (١٩٤١م) وكان في ذلك الوقت موظفاً في الديوان الملكي ، وكان له مجلس عام في بيته ـ أشبه بالنادي أو الندوة ـ يأتي إليه زواره من الأصدقاء والمعارف والمحبين ، ليستمعوا إلى نشرة الأخبار من الراديو الذي كان عنده ، وكانت أجهزة الراديو في ذلك الوقت قليلة جداً ولا يملكها إلا قليل من الناس ، وكانت الحرب العالمية الثانية على أشدها ويحرص الناس على تتبع أخبار الحرب والعالم ، ولذلك كنت ترى مجلسه مكتظاً كل ليلة بالسامرين والساهرين إلى ما بعد صلاة العشاء قليلا ثم ينفض السامر كل إلى بيته .

الدكتورة سهام الصالح:

وقالت عنه الدكتورة سهام الصالح (أمراض جلدية ، مستشفى الملك خالد الجامعي ، بالرياض) ، في رسالة خاصة إلى المؤلف ، وقد كانت تدرس الطب في باكستان ، عندما كان الشيخ محمد سفيراً في أفغانستان :

ـ في مطلع عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) ، كنت في بدايات دراسة الطب البشري ، في كلية الطب في لاهور ، بباكستان ، أقيم مع مجموعة من زميلاتي السعوديات في السكن السعودي الداخلي ، وكنا جميعاً مبتعثات من قبل وزارة المعارف .

ـ تلقينا بواسطة الملحق الثقافي السعودي في الباكستان ، الأستاذ خالد الحمدان ، دعوة من الشيخ محمد لزيارته في كابل بأفغانستان ، وقررت وأربع من زميلاتي الاستجابة لدعوته الكريمة ، فلقد سمعت الكثير عنه من والدي ، يرحمها الله ، ولكنني لم أسعد بمقابلته من قبل ، وقد سافرنا بالطائرة من لاهور إلى بيشاور ، بباكستان حيث وجدنا سائق السفير بانتظارنا ، ثم أكملنا الطريق بالسيارة إلى الحدود مع أفغانستان ، وهناك ، وجدنا الشيخ بانتظارنا على الحدود بسيارة أخرى .

ـ وقد أخرج «وريقات» صغيرة، ليجري قرعة بيننا، لتحديد من يركب معه، ومن يستخدم السيارة الثانية، وكان من نصيبي، وزميلة أخرى، أن نركب معه، وقد آنسنا خلال الرحلة بحديثه الممتع، كما طاف بنا في كابل وشرح لنا أبرز معالمها وقصورها، قبل أن نصل إلى مقر إقامته، حيث أقمنا كلنا عنده في منزله.

ـ لا أستطيع أن أصف تجهيزه لغرفنا، فلقد جهزها بكل ما نحتاجه، بالإضافة إلى أصناف الحلوى والبسكويت.

ـ كان في كل يوم، بعد أن نفطر بمعيته، يوجّه بتجهيز السيارة بصنوف الطعام والفاكهة، ويزودنا بمصروف يومي، فيذهب هو إلى السفارة، وننطلق نحن لزيارة منطقة من مناطق أفغانستان، ثم نعود في المساء، لتناول العشاء معه.

ـ كان يقص علينا تجاربه، ويعرض علينا الأفلام الوثائقية مما يتصل بحياة الملك عبد العزيز يرحمه الله، أو بمعالم النهضة في المملكة، وكان أحيانا يأخذه النعاس فيغمض عينيه فنتغامز فيما بيننا، ثم ينتبه ويقول، أنا أعلم بأنكم تضحكون علي.

ـ وفي إحدى الليالي، أصابنا الذعر، عندما أحسسنا بهزة أرضية عنيفة، فكان الأب الحنون، الذي أضفى علينا الطمأنينة والهدوء.

ـ وفي إحدى المرات، فتح لنا غرفة خاصة، تحتوي على أشيائه الخاصة، ووثائقه، ومن بينها شنطة كبيرة بداخلها قطعة من ستارة الكعبة المشرفة، مما يلي الباب والحجر الأسود، وقد أخذنا معه صوراً تذكارية بجوارها بعد أن علّقت.

ـ وبدلاً من أن نمضي أسبوعاً واحداً في ضيافته، أصر على إبقائنا أحد عشر يوماً، كان فيها نعم المضيف، كان لا ينادينا بأسمائنا بل كان يقول لكل واحدة (يا ابنتي)، ولقد تعرفت خلال تلك الأيام على «نسيج» نادر من الشخصيات، الفريد من نوعه، الذي كان له الأثر الكبير على منهج حياتي وإسلوبها فيما بعد، وترك بصمات واضحة في عقلي وتفكيري، إنه الإنسان المؤثِر والمؤثَّر، الذي لا يعطيه الوصف حقه.

ـ وحان وقت الوداع، وما كان أصعبه معه، لقد أوصلنا بسيارته إلى حدود باكستان، وودّعناه ـ كما ودّعنا ـ بالدموع، وقدم لكل واحدة منا هدية خاصة، لازلت أحتفظ بها باعتزاز، وقد أوصلنا سائقه من الحدود إلى بيشاور، داخل باكستان، ولم يكتف بهديته الأولى، إذ ترك مع السيارة خمسة «طرود» كبيرة، كل واحدة باسمها، وجدنا بداخلها مختلف الهدايا الثمينة.

ـ لقد كانت زيارتنا له تجربة خاصة، بمعناها الإنساني والوطني والاجتماعي والسياحي، وهي تجربة فريدة، لابد أن آلافاً غيري قد مرّوا بأمثالها معه، أكثر الله من أمثاله، وتغمده برحمته.

مع سمو الأمير تركي الفيصل في بغداد وبينهما عبدالكريم الزامل.

مع جميل الحجيلان في كراشي، باكستان.



الفصل الخامس

كتابات خاصة تناولت سيرته الذاتية

« أعدت خصيصاً لهذا الكتاب »

هـذه مقـالات مـوسعـة في شكل «أبحـاث» يجمع بينهـا أنها أعـدت خصيصـاً لهذا الكتـاب ، بناءً على طلب المؤلـف ، وأنها كتبت من أقرب أقـاربـه أو أصـدقائه ، وتنـاولت بشكل معمق تفـاصيل عن سيرة حيـاتـه ، ولهذا أفـردت لها فصـلاً مستقـلاً لأنها لم تنشر من قبل ، وهي مرتبة هجائياً .

وإنني أتقدم إليهم بالشكر الجزيل ، فلقد أتت مشاركتهم بهذه الكتابات الخاصة ، إضافة ثرية لما جاء في الكتاب ، فضلاً عن إسهامـاتهم الكبيرة الأخرى التي قدموها لإعداد الكتاب بشكل عام .

ستة عشر عاماً من العمل معه

بقلم :

الأستاذ فارس عبد العزيز الحامد(١)

عندما طلب مني المؤلف الإسهام في هذا الفصل، الذي يشارك فيه عدد من أقرب أقارب الشيخ محمد وزملائه وأصدقائه، لتناول سيرة حياته من خلال معرفتهم الوثيقة به، كنت أظن أنني سأملأ عشرات الصفحات، بحكم علاقتي القريبة منه على مدى ستة عشر عاماً من العمل المباشر معه في ثلاث فترات، وثلاث مدن (هي البصرة ثم نيودلهي ثم بغداد)، وعلى مدى ثلاثة عقود من العمر ابتداء من عام ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

ولكن المرء يحتار، في الواقع، وهو يقف أمام تاريخ شخصية كهذه، لها جوانب متعددة، وأبعاد عميقة، وخصال فريدة، فكيف إذا كان المتحدث عنه ممن التصق به، وعرف خصوصياته، وحاز على ثقته، حتى صار لا ينيب عنه في عمله غيره في أغلب الأحوال، وبلغ به الأمر أن أعادني مرة إلى بغداد، من الكويت، وأنا في طريقي إلى المملكة، ملغياً إجازة فرحتُ بها وأسرتي، لأنه كان مضطراً لمغادرة بغداد للعلاج.

ـ ولقد خفف المؤلف عني هذه الحيرة لدى الكتابة عنه، عندما أعفاني من الحديث عن مكارمه، لأن هذا الجانب من خصاله كان «المحور» الغالب في أكثر المقالات والروايات، وإن كان الكرم ـ في نظري ـ أمراً لا يمكن فصله عن خصلة من خصاله، وإن تعددت أو تنوعت، فهو القاسم المشترك، لكل شمائله الأخرى، مهما اختلفت في الاسم أو العنوان.

فنجاحه في الدبلوماسية مثلاً منشؤه مكارمه، وتميّزه في العلاقات الإنسانية لم يكن ليتضح لولا تميّزه بهذه المكارم، وبروزه في إدارة شؤون السفارة وتفاني الموظفين والعاملين معه في خدمة مصلحة العمل، ما كان ليتحقق لولا كرم ذاته وسجاياه.

---

(١) من أقدم من عمل معه، وأطولهم مدة، كانت آخر وظائفه الدبلوماسية قنصلاً عاماً في مدينة بومبي بالهند، وتقاعد بعد أن وصل إلى مرتبة وزير مفوض، وقد كان مصدراً مهماً في تزويدي ببعض المعلومات وبخاصة فيما يتعلق بالفترات والمدن الثلاث التي عمل فيها ملازماً للشيخ محمد.

وهكذا يمكن القول : إن كل جانب من الجوانب الأخرى لشخصيته قد نشأ عن مكارم أخلاقه، وهي ـ كما هو معروف ـ لا تكون دائماً ببذل المال فحسب، وإنما تتم كثيراً أيضاً بوسائل أخرى، كالجاه، والبشاشة، والكلمة الطيبة، واللفتة الإنسانية، والرد الجميل، والملاطفة، ولين الجانب، والتعاطف، بل إن إبداء الرأي المخلص والصادق يكون أحياناً من أنبل المكارم.

– كذلك خفف عليّ المؤلف شيئاً من صعوبة الموضوع، بما ذكره لي من أنه يفضّل الإيجاز، والتركيز على أبرز الذكريات والمعلومات، فلقد كنت ـ كما قلت ـ في حيرة، أمام تسابق الأفكار والتفاصيل وتلاحقها، فضلا عن تنوعها.

والمهم، أولاً وأخيراً، أنني أحسست من فكرة الكتاب ونهجه، أنه ليس مطلوباً رواية كل الذكريات معه ـ وهي كثيرة يصعب حصرها ـ، بقدر ما هو في محاولة تفسير ظاهرة الشيخ محمد، التي استمرت ما يقرب من خمسة وأربعين عاماً في العمل الدبلوماسي.

– سأتحدث، إذن، في الحيّز المحدود أمامي عن ملامح موجزة من تجربتي المباشرة معه، متجولاً من فكرة إلى فكرة، حسبما ترد إلى خاطري، دون التقيد بتسلسل موضوعي أو تاريخي معين :

الخاطرة الأولى: أن الشيخ محمد كان في الغالب يحرر خطاباته الشخصية بنفسه وكذلك معظم تقاريره، ولعلّي قمت بما نسبته عشرون بالمائة منها كلها، فلقد كان يرتاح لأسلوبي وطريقتي في التعبير عن خواطره وأفكاره، وكان يعزّني كثيراً ويقدّر مواقفي ويعتبرني تلميذاً له، وقد عبر عن ذلك في العديد من رسائله الخاصة وتقاريره الرسمية والإدارية.

الثانية: أنه مع تعدد مراسلاته ـ الصادرة منه والواردة إليه ـ عامة أو خاصة، كان يحتفظ بكل شيء ولا يفرط فيه، كما أنه كان يسجل كل شيء ويوثقه، بغض النظر عن أسلوب حفظه وتنظيمه، ولو شاء الله أن تتوفر معه أسرة تساعده على تنظيم أوراقه، لتوفرت لدينا معلومات تاريخية كثيرة.

وأذكر أنه كلفني يوماً ما، مثلاً، بكتابة شعر شاعر الزبير «سالم الحميّد» وتدوينه، مما ساعد المهتمين بشعره فيما بعد على الاستفادة مما جمعه أبو سليمان.

الثالثة: أنه كان يندر أن «يفلت» منه أي زائر أو عابر في المدينة التي كان يعمل فيها أو منطقتها، وكان أحياناً يتصيّد ضيوفه عند مرورهم قريباً منه، مهما حاولوا إخفاء أنفسهم عنه أو تجنبه.

وأذكر مرة ونحن بالبصرة (عام ١٣٧١هـ) أن الشيخ عبد العزيز المنصور التركي، الملحق الثقافي السابق في لندن، يرحمه الله، زارني مستعجلاً لأنه وزملاءه في الرحلة، الشيخ حمد الجاسر وعبد الكريم الجهيمان وحمد المبارك، واجهوا

مشكلة في الحدود لعدم ذكر «العـراق» في جوازاتهم، وبعد أن أضفت ذلك إلى الجوازات حـاولت معـرفـة مكـان إقـامتهم بعـد أن يعـودوا إلى البصرة من الحدود، فأكـد لي أنهم لا بد لهم من زيارة الشيخ محمد.

ولما علم الشيخ محمـد بـذلك فيما بعـد، لامني على التفـريط بهم وكلّفني بالبحث عنهم في كل فنـدق، حتى عثـرت عليهم، فاستبقـاهم لـديه عـدة أيـام، وقد أشـار الشيخ الجاسر إلى تلك الرحلة في كتاباته.



في دلهي ومعه بعض أطفال السفارتين السعودية والعراقية (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

الرابعـة: من إنسانيـاته الجميلة أنـه كان يحب كثيراً أن يباشر الضيـافة بنفسه، ويقـدم الشاي والقهوة بيـده واقفاً أو جـالساً، أمـا عنـايته بـالأطفـال فإنها مضرب المثل بين أفراد السلك الـدبلومـاسي في الرقـة والملاطفة، ولا أتـذكر خلال عملي معـه في الهند، مثـلاً، أنه فـاتته منـاسبة ولادة طفل دون أن يقـدّم لوالـديه الهدايـا المنـاسبة، ومن بينهـا الجنيهات الذهبية السعوديـة، التي كثيراً ما كان يحملها في جيبه خلال زياراته «من باب الاحتياط» لسهولة إهدائها، وارتفاع قيمتها.

الخامسة: إذا ذكرت إنسانياتـه، فإنني لا أنسى مواقفه الشهمة عندما أرسلني بطلب يوسف الـدبيّان، وكان قد أصبح بـلا عمل، بعـد أن توفي أحـد تجار البصرة الـذي كان يعمل لـديـه، وهـو التاجـر هـاشم الخضيري، فعيّنـه موظفـاً في القنصلية، وأرسله مرة إلى لندن للعلاج على نفقته، والمعروف أنه من السعوديين المقيمين في البصرة.

كما عيّن عبـد الله المرضي، من السعوديين المقيمين في الـزبير، وعندمـا توفي أبـو مرضي سعى لتعيين ابنيـه بدلاً عنـه، أحدهما في قنصلية البصرة والثاني في سفارتنا بالكويت.

السادسة: أن إنسانيتـه لم تتوقف عند بني وطنه أو دينـه، فلقد استفزعت بـه في شتاء عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) جـارته اليهودية العراقية ـ وكنت حاضراً القصة ـ عنـدما جاءت تصيح بعالي صوتها تستنجد به، لأن الشرطة اعتقلت بنتيها (١٨



يحضر كوبًا من الحليب لإبنة أحد ضيوفه في الهند.

و ١٧ سنة)بسبب مخالفة ارتكبها والدهن، وكان مما قالته جارته، إننا نعلم أننا ما دمنا في جيرتك فنحن في أمان.

وتوسط الشيخ محمد مع شرطة البصرة، لإطلاق سراح البنات، حفاظاً عليهن، مع تعهد الأسرة بالخضوع للتعليمات وأرسل سيارته مع والدتهن لاستلامهن.

السابعة: ومن أحد شواهد شهامته وإنسانيته، أن فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي، اشتهر ضمن أعضاء ندوة العلماء، في مدينة «لكنهوء» بالهند، وكانت لهم مجلة وجريدة «الرائد والعهد الإسلامي» اللتان تصدران باللغة العربية، وكانت الحكومة الهندية في ذلك الوقت تتحفظ على تحركاته، فلما وردت للشيخ الندوي دعوة من رابطة العالم الإسلامي لحضور جلسات مجلسها التأسيسي، اعتذر بلباقة بسبب تلك الظروف، فما كان من الشيخ محمد إلا أن اتصل بوزارة

الخارجية الهندية راجياً السماح للشيخ الندوي بالسفر وتسليمه جوازه، وقد كان.

الثامنة: كانت للشيخ محمد فراسة قوية بالرجال وقدراتهم ونظرة بعيدة فيهم، ومثال ذلك أنه بعدما التقى بالدكتور عبد العزيز الخويطر، أثناء دراسته في لندن في الخمسينات الميلادية، توقع له مستقبلاً طيباً، وعندما كان الشاب مزيد السليمان المزيد يدرس المرحلة المتوسطة في البصرة، كان الشيخ محمد يناديه «الدكتور مزيد» فصار طبيباً فعلاً، وعندما عاد من زيارته إلى لندن في بداية السبعينات الهجرية، كان قد لاحظ شاباً سعودياً في السّفارة، وهو السكرتير الأول فيها، فقال لي: إنه أعجب بنشاطه وأنه يتوقع له مستقبلاً كبيراً في وزارة الخارجية، وقد عاد ذلك الموظف وعُيّن سفيراً في الحبشة، ثم عين وكيلاً لوزارة الخارجية، ثم وزير دولة للشؤون الخارجية، ذلكم هو السيد عمر السقاف يرحمه الله.

ـ والفراسة نفسها كانت مع شاب مثقف قدير، كان قائماً بعمل السفارة عندما عُين الشيخ محمد سفيراً في باكستان، وقد رفع عنه تقريراً إلى جلالة الملك فيصل ـ بصفته وزيراً للخارجية ـ، يشير فيه إلى قدرات ذلك الشاب ومواهبه وأنه لا يطلب ترفيعه ــ فهذا يمكن أن يحصل لاحقاً ـ ولكنه يشرح ما يتحلى به ذلك الموظف من كفاءة وتفوق فكري، وأنه سيكون نافعاً لبلده وعمله في مواقع أفضل، وأن خطابه لا يعدو أن يكون تعريفاً بكفاءة هذا الموظف.

وكان ما حصل، إذ عُيّن فيما بعد ـ وبتزكية من الشيخ محمد ــ مديراً عاماً للإذاعة والصحافة والنشر، ثم عيّن أول سفير للمملكة لدى الكويت بعد استقلالها، ثم صار أول وزير للإعلام، وهو الشيخ جميل الحجيلان.

التاسعة: من أعماله المؤثرة أن أستاذين من جامعة بغداد، لهما مكانة علمية مرموقة، راجعاه، وهما متأثران جداً، لعدم تمكنهما من اجتياز الحدود بسبب ملاحظة معينة، وهما يخشيان أن يفوتهما الحج قبل أن تصحح هذه الملاحظة، فقال أبو سليمان لهما: إنكما وأفراد أسرتيكما مدعوون رسمياً للحج، وحجز لهما بأول طائرة، وطلب من أحد أصدقائه بجدة ترتيب حجهم وزيارة المدينة المنورة على حسابه الشخصي، وعاد الرجلان وهما يلهجان بالتقدير والثناء.

العاشرة: أنه عندما رشحته المملكة للعمل سفيراً في الهند، جاءت موافقة الحكومة الهندية على ذلك الترشيح بسرعة قياسية، وذلك نتيجة للمعلومات والمعاملة الإيجابية التي كان السفير الهندي لدى باكستان يحظى بها من لدن الشيخ محمد (حيث كان سفيراً في باكستان قبل نقله إلى الهند)، والمهم في الأمر أن صلاته توثقت كثيراً مع الرسميين الهنود فيما بعد، مما مكّنه من مد يد العون إلى الجمعيات والقيادات الإسلامية، فكان على اتصال، مثلاً، مع الشيخ عبد الله الملقب «أسد كشمير» حتى بعد اعتقاله، بل كانت سيارة السفارة تنقل الطعام والصحف إليه وهو في معتقله، وأمدّه بالراديو والتلفزيون، وزاره عدة مرات بعد خروجه من السجن، وَوَضْعِهِ تحت الإقامة الجبرية، مما لم يتسنّ لغيره، ثم أقام له



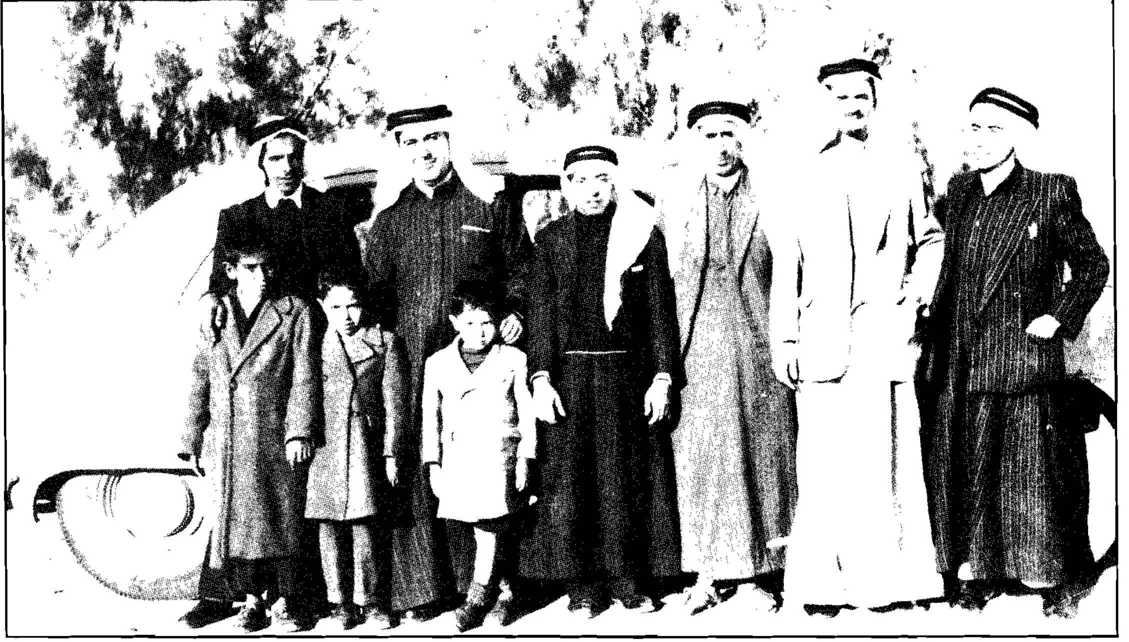
في دلهي مع الشيخ عبد الله الملقب «أسد كشمير» عام ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م.

حفلاً كبيراً حضره أكثر من مائة وخمسين مدعواً.

الحادية عشرة: من المواقف التي مرت بالشيخ محمد مع جلالة الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه، ـ كما كان يرويها الشيخ محمد نفسه ـ مما يدل على عدل الملك عبد العزيز وعاطفته، أن أحد رجال إمارة منطقة في الجنوب كُلّف بخفارة أحد السجناء ومرافقته أثناء نقله، واستغل هذا السجين غفلة خفيره فهرب، فوضعت الأماره الغفير في الحبس حتى يعود الهارب.

وكان السجين الثاني يرفع البرقية تلو البرقية مسترحماً العفو، إلا أن برقياته كانت تعرض على جلالته موجزةً فلا تحقق الغرض منها.

وفي أحد الأيام، كان الملك عبد العزيز خارج الرياض، وكان الشيخ محمد يعرض الأوراق والمعاملات على أنظار جلالته، في غياب رئيسه، وكان الشيخ محمد قد أعد عرضاً يتضمن النص الوارد في برقية الالتماس:



في البر بين البصرة والزبير (في الستينات الهجرية) ويبدو فيها عبد الله الحمد الخنيني وعبد الله المزيدوعبد الله وصالح الحمد الروق وفارس الحامد وغيرهم.

(يـا عبد العـزيـز، رمـوني بالسجن وتـركـوا أهلي وأطفالي، كيف أحضر السجين الهارب وأنـا محبـوس، بيني وبينهم الحساب).

وقبل أن يكمل الشيخ محمد قراءة العبـارة، ذرفت الدموع من عيني الملك عبد العزيـز، وأمر بإطلاق سراح السجين، وعدم مطالبته بالبحث عن الهارب وتطييب خاطره.

الثانية عشرة: بلغ من نجاح دبلومـاسية الشيخ محمد وتقديـر رؤساء الدول له، أن الرئيـس العراقي أحمد حسن البكر عندما استقبلـه في أحد لقاءاته، استبقاه ما ينـوف عن أربع ساعات، مع أن العرف الدبلومـاسي جرى على أن تكون مثل هذه المقابلـة في حدود نصف ساعة، وأذكـر أن الرئيس العراقي، عندمـا غادر الشيخ محمد العراق، أمـر بأن يجهز قطاره الخاص ليكون تحت تصرف السفير السعـودي، إلا أن الشيخ محمد اعتذر من الـرئيس بلباقـة، خشية أن يتسبب في كسر «البروتوكول» أو في خروج الرئيس أو أحد الوزراء لوداعه.

الثالثة عشرة: أسهم الشيخ محمد في حل العديد من المشكـلات، ليس للمواطنين السعوديين فقط، بل ولمواطني البلد

الذي كان يعمل فيه، وأحياناً لأناس لا ينتمون إلى البلدين.

وتحضرني الآن قصة عبد الرحمن العبد القادر من الأحساء، الذي أتى إلى العراق وهو يقود سيارة «لوري»، فانزلقت وانقلبت، وتوفي بعض مرافقيه.

ورغم شهادة من نجا منهم بأنه لم يكن مسرعاً، وأن الحادث لم يكن بسبب الإهمال أو التهور، فقد سجن وصودرت سيارته، ولما أحس الشيخ محمد بوجود شيء من التحيّز والهوى في الحكم، بذل جهوده لإخراجه وإعادة سيارته إليه ونجح في ذلك.

الرابعة عشرة: أن مما أحتفظ به بكثير من التقدير في نفسي، أنه خصني بلفتة كريمة عندما غادرت بغداد وعملت في السفارة السعودية في الإمارات، إذ تفضل بزيارتي مرتين، إحداهما بمفرده والثانية كان معه فيها الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل وآخرون وهو في طريقه إلى ماليزيا.

إلا أنه مما تجب الإشارة إليه، أنه كان من عادة الشيخ محمد ألّا يكلف غيره بما يكلف نفسه به، فقد جاء إلى أبو ظبي دون إبلاغي، وذهب إلى الفندق وكان ذلك يوم خميس، ثم ركب سيارة أجرة وجاء إلى السفارة فأبلغه الحارس أن الدوام قد انتهى، وأنني لن آتي إلا يوم السبت، وتصادف خروج آخر الموظفين الذين فرحوا بزيارته، ولما علم منهم أنهم مدعوون إلى منزلي في حفلة تقام تلك الليلة، اتفق معهم على عدم إبلاغي بوجوده حتى تنتهي الحفلة ويخرج معظم المدعوين.

يرحم الله، من أعتبره أستاذي ومعلمي الأول، ومن له ـ بعد الله ـ الفضل فيما حققت من نجاحات في حياتي العملية.

١/ شعبان ١٤١٤هـ	فارس الحامد
١٢/ يناير ١٩٩٤م	الخبر

علم من أعلام العرب

بقلم :

الأستاذ جميل الحجيلان[1]

محمد الحمد الشبيلي، أسطورة، ملأت علي تصوّري وخيالي قبل أن ألتقي به .

تتواصل الأعوام والحديث عن هذا الرجل لا ينتهي، ويطول ! .

قيل عنه إنه سيد في الكرم، وسيد في الحلم، وسيد في الحديث، وسيد في آداب المجاملة، وسيد في كظم الغيظ، وسيد في حبه للخير والمعروف .

ولكم تساءلت ــ قبل أن أعرفه ــ كيف يمكن للإنسان أن يجمع من الفضائل والصفات ما يجمع الناس على اعتباره معها صفوة في الرجال ؟ .

فالكرم ليس أمراً منقطعاً في الناس، وكذلك الحلم أيضاً، والسعي الصامت للمعروف، ومواقف النخوة، والاعتزاز بالوطن والمواطن، والسلاسة في الرواية والحديث، كلها طباع جبل عليها كثير من الخلق بفضل من الله، إلا أن إجماع الناس على الارتفاع بـ «أبو سليمان» إلى مكان الصدارة في الرجال، هو أمر لا يمكن أن يولد من فراغ .

هذا ما كان يتردد في خاطري وأنا أسمع عنه المدهش من القصص والأخبار، فيزداد اهتمامي بالتعرف عليه .

وجاء اليوم الذي قُدّر لي فيه أن أرى «أبو سليمان» وأعمل تحت رئاسته، فأتعرف عن كثب على الخصائص المميزة لهذه الشخصية الفريدة .

كان ذلك عام ١٩٥٨م حين وصل الشيخ محمد إلى كراتشي سفيراً لجلالة الملك سعود بن عبد العزيز، يرحمه الله، في باكستان، وكنت يومها قائماً بأعمال السفارة هناك، وعملت في معيته عامين ونصف عام، ما يزال لذكراها رجع مؤثر سعيد في نفسي، وفاءً لذلك الرجل واعتزازاً بالعمل في معيته .

كان (أبو سليمان) مثالاً للوداعة، والسماحة، والطيبة، يشرق وجهه بابتسامة لا تكاد تغيب، هذه الابتسامة هي مدخله لقلوب محبيه، وهي أيضا مرآة لنفسه المؤمنة، الرحبة، الصافية، التي لا تعرف مشاعر الغل والأحقاد، وإذا ما غابت تلك الابتسامة عنه، عرفت أنه يصارع في أعماقه جموح الغضب المكتوم من موقف لا يرتضيه، لبعده عن الحق

(١) وزير الإعلام ثم الصحة سابقاً، والسفير السعودي حالياً لدى فرنسا، عمل مع الشيخ محمد في السفارة السعودية في باكستان .

والصواب، وحتى في هـذه الحال يظل سيداً لمشاعـره، لا ينبئ وجهه بآيـات الغضب الذي يتفاعل في أعماقـه، فلا تجري على لسانـه كلمة جافـة نابية أيـاً كانت ضغوط الإثـارة والاستفزاز، فهو الحليم عـن اقتدار، الصابـر عن خلق، الكاظم للغيظ، والذي يصارع نوازع النفس الثائرة فيعاني منها ولا يشعر به الآخرون.

الكرم عند (أبـو سليمان) لم يكن ظاهرة اجتماعية مـألوفة عند الآخرين، فهـي ليست عنده وسيلة للارتفـاع بالذات في محيطه وبين عارفيه، وهي ليست أيضاً قدرة مادية على العطـاء، كان الكرم عند (أبو سليمان) هاجساً يعيش فيه، وسعادة يعشقها، وفضيلة ملتصقـة بكيانه لا تضعف ولا تزول، كـان كريماً على صمت، يخيفه أن يعلم بكرمـه الآخرون، وهو في هذا وفي غيره ذو تحسب لا يوصف في قلقه على مشاعر الناس.

لم يكن غنياً، وكان ينفق ما عنده إلى حد الافتقار، فما رأيتـه قط، خلال عملي معه، يمسك بوثائق البنوك كما يمسك بها الآخـرون، وكانت يـده تنفق ما يصل إليهـا قبل أن تقبض عليه بأنـاملها، والـروايات عن كـرم (أبو سليمان) عجيبـة متعددة، ولعل أصدق ما وصف به كـرمه، ما قاله لي صديق سعودي حين روى قصته معه في ماليـزيا، أنه ذو كرم يقتله ويقتل الآخرين!!.

كان أبـو سليمان محدثاً بـارعاً في روايته لأحـداث التاريخ في المملكـة، يأخذك الاستماع إليـه ويثير فيك روح الكبرياء والزهو بالانتماء للوطن، ويستخرج من تلك الأحداث العبر في مواقف الرجال، وكان إذا تحدث عن الملك عبد العزيز آل سعود، يرحمه الله، أضاءت عيناه بمشاعر الاعتزاز بسيرة الـرجل البطل، فيستطرد في الحديث عنه، يروي قصصاً متتابعة عن سيرته بأسلوب شيق مثير، وكان يحلو لـه أن يروي لنا دائماً ما شهده يوماً حين انتظم عارضـون في الرياض في العرضة النجدية، وبدأ المنشد يردد: «مني عليكم ياهل العوجا سلام»، فلاحظ أحد العارضين إمـارات الحماسة على وجه الملك عبد العزيز، فتقدم منه عارضاً عليه سيفه، ليشـارك في تلك العرضة النجدية، ولم يقو الملك عبد العزيز، يرحمه الله، على مغالبة حماسته وشارك العارضين، لتتحول تلك المناسبة إلى ابتهاج وطني كبير.

أما روايتـه للأحـداث ذات المدلول الإنسـاني العميق، والقصص الظريفـة، فهي أيضاً متعـة ما بعـدها متعـة، يروي الحكايـات بهدوء واثق مريح وبأسلـوب ناعم رشيق، لا تملك معـه إلا أن تصغي إليه بكل مـا لديك من حـواس الانتباه والتركيز، ورغم أن (أبـو سليمان) كان ينسى أحياناً أنـه سبق أن روى تلك القصص والأحداث، فإننا نستمع إليـه يرويها مرة ثانية، وكأننا لم نسمعها من قبل.

– محمد الحمـد الشبيلي السفير، كان علماً شامخاً من أعـلام العرب في باكستـان، استطاع بكرمـه وحلمه وأدبه ولبـاقته وتقواه واعتزازه الراسخ ببلاده أن يفتح لنفسه مداخل التأثير في الأوساط السياسية في باكستان، ليقيم معها روابط تجاوزت

في طبيعتها وفي مداها ما تعارف عليه الدبلوماسيون، من تعامل قائم في معظم الأحوال على السطحية والمجاملات.

كنت يوماً عائداً معه من زيارة رسمية لبعض كبار الشخصيات، فقال لي: دعنا نعرّج على منزل رئيس الوزراء، ونقوم بزيارة مفاجئة له ما دمنا موجودين في حي قريب من منزله، وذهلت لهذا الاقتراح وقلت له: كيف يمكن لنا ذلك دون موعد مسبق؟، فابتسم وأجاب على عادته وبهدوئه المعروف قائلاً: خلنا نشوف.



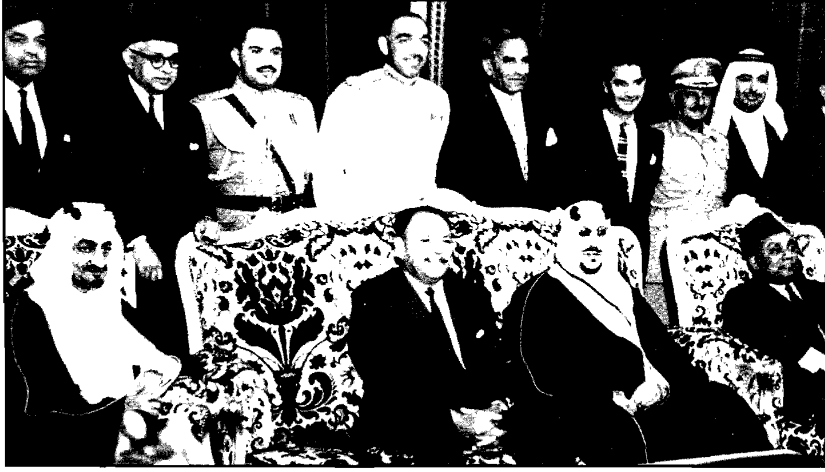
في منزل جميل الحجيلان في باكستان عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩م).

وكان مصدر قلقي أن رئيس الوزراء في ذلك الحين، هو السيد مهدي سهراوردي، وكان من أقوى الشخصيات السياسية في باكستان وأكثرها اعتزازاً - بل غطرسة - بنفسه، وخشيت أن يعتذر عن عدم استقبال السفير الذي يأتيه على غير موعد منه، وما قد يحمله ذلك الاعتذار من حرج شديد، وما أن وصلنا منزل رئيس الوزراء حتى أشعروه بوجودنا فأذن لنا بالدخول عليه في جناحه الخاص ووجدناه بين يدي الحلاق، وبعد التحية بادره رئيس الوزراء قائلا: إني استقبلك على غير موعد وفي جناحي الخاص لتعلم مدى صداقتي لك وحبي لبلادك.

كان سفيراً لكل العرب، يتابع همومهم ويسعى لحل مشكلاتهم رغم وجود سفارات يتبعون لها، دون أن يكون في مسلكه تدخل في حقوق تلك السفارات.

وقع مواطن أردني - فلسطيني في ورطة لم تقو سفارته على إخراجه منها، فاستنجد «بأبو سليمان» واستجاب الرجل الشهم لنداء ذلك العربي المغترب ولم تمض أيام حتى أزال عنه الضائقة، وفرّج همومه وأخرجه من السجن.

ـ مثل آخر أكثر دلالة على مواقف الشهامة فيه، فقد تورط واحد من أبناء الأسر الكويتية الكبيرة في قضية شائكة كانت حديث المراجع الأمنية والاقتصادية على السواء، وكادت أن تنزل بالمذكور ضربة قاصمة تأتي على مستقبل حياته، ولم يجرؤ أحد على الاقتراب من هذه القضية «القنبلة»، إلا أن (أبو سليمان) أخذ على عاتقه مسؤولية التصدي لهذا الأمر، نظراً لعدم وجود سفارة للكويت في ذلك الحين، واستطاع رغم المحاذير والمسالك الصعبة أن ينقذ ابن الأسرة الكويتية من كارثة محققة، ولا أعتقد أن سفيراً آخر، أياً كانت مصادر الدعم المتاحة له، كان يمكن له أن ينجز ما أنجزه أبو سليمان في قضية شائكة محرجة متفجرة، كل ما في ظروفها يوحي بأنها أمل ضائع بكل المقاييس.



زيارة الرئيس الباكستاني المارشال أيوب خان للمملكة (جمادى الأولى ١٣٨٠هـ (نوفمبر ١٩٦٠م)

ـ إنه الرجل الذي استثمر كل ما آتاه الله من دواعي الخير ليسعد الآخرين، كان يعتبر المال والجاه والمداخل الميسورة له واستجابة الآخرين لمساعيه، كرماً من الله يجود به على من هم في حاجة إليه، فما عرفته يوماً مأخوذاً بفتنة الحياة، وهو الذي اعتذر عن عدم تولي منصب وزاري بعد صدور أمر ملكي بتعيينه.

ـ كان، يرحمه الله، صرحاً من صروح الأخلاق في هذا الزمان، كان مدرسة غنية المضامين فيما يفعل وفيما يقول، وقد حاول الكثيرون من محبيه أن يتعلموا ويجعلوا من سيرته قدوة لهم في الحياة، فما أمكن لهم ذلك، لأن ما كان عليه أبو سليمان من خلق رفيع لا يكتسب بالمتابعة والاقتداء، بل كان فضلاً من الله يودعه فيمن يشاء من عباده.

جميل الحجيلان — ١٤١٤هـ

باريس — ١٩٩٤م

أبو سليمان

بقلم :

د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر [1]

أبو سليمان، كلمة يكاد الناس يكتفون بها، فيعرف السامع أن المقصود هو: محمد الحمد الشبيلي، وإذا شك أحد فإن القصة في فحواها تؤكد هذا، لأن الحديث عنه سيتركز على الكرم المتناهي، الذي لا يفرّق بين صغير أو كبير، غني أو فقير، مواطن أو غير مواطن، أو على سعة الصدر ورحابته، وطول البال الذي لم يعرف له في المعاصرين مثيل، أو على الشهامة وسرعة النجدة، وحب الخير، والاستمتاع بالاجتماع بالناس، وإدخال السرور عليهم، ورفع الضائقة التي قد تعترض بعضهم، أو الإشكال الذي قد يتعرض له بعضهم؛ فأبو سليمان دائماً هناك يمد يد المساعدة، قبل أن تطلب منه، ويحمل العبء مهما كان ثقيلاً، ويجزم المراقب والمتتبع أنه يجد متعة متناهية في هذا.

وتكاد لا تجد إنساناً قابله، واتصل به، أو سمع عنه ممن قابله، إلا ولديه قصة عنه، تروى بطرافة مضيئة، ومجال هذه القصص، بما تحمله من إشعاع، كان مسرحها البصرة أو بغداد أو الهند أو باكستان أو أفغانستان أو ماليزيا، فهذه الأماكن أقام فيها أبو سليمان ممثلاً لبلاده، وعرفه فيها مَنْ سافر إلى تلك البلدان من المواطنين أو العرب أو غيرهم ممن وطئ بساط «أبو سليمان».

أما المملكة وذكريات الناس معه فيها فقد شملت مدناً كثيرة، وكان للرياض، وهي مقر عمله لفترة قصيرة، ما لا يحصى من القصص التي يتداولها عارفوه عن كرمه وسماحة خلقه.

ولم تكن البلدان التي مرّ بها سائحاً أو في طريقه إلى السياحة، تخلو من ذكريات جميلة يحملها من التقى بهم، ولم يكن - يرحمه الله - يترك للصدفة أن تكمل متعته في مقابلة الناس والاجتماع بهم، بل كان يخطط، ويسعى للتعرف، في كل بلد تطؤها قدمه، على من فيها من مواطنيه، وهذا هو سعيه الأول، فإن كانت الدولة التي وصلها غريبة، ولم يجد فيها من مواطنيه أحداً، فإنه يسعى للبحث عن مسلم أو عربي، فكان يزرع في كل بلد شجرة محبة تورق أغصانها، وتبسم أزهارها، وتؤتي من الثمر ما أُكُله يبقى ليشهد بنجاح الرجل في سعيه ومسعاه.

---

(١) تربطه بالشيخ محمد صلة صداقة وقرب ومودة، وهو أول سعودي حاز درجة الدكتوراه، من مواليد عنيزة عام ١٣٤٦هـ، عمل أميناً عاماً ثم وكيلاً لجامعة الملك سعود، ثم رئيساً لديوان المراقبة العامة، ثم وزيراً للصحة ثم وزيراً للمعارف، وله العديد من المؤلفات.

- كان يحب السفر ويحب التحرك والانتقال، وعُرف عنه أنه لا قيمة للوقت عنده، فهو يأخذ إجازة شهراً، فيجعلها أربعة أشهر، ويمر الوقت مر الكرام عنده، وأصبحت هذه هي القاعدة عنده وعرفها الناس عنه، وقبلوها منه.

في إحدى الليالي بعد منتصف الليل، وكنت أدرس حينئذ في لندن، رن جرس التليفون، وكان على الطرف الثاني من الخط أبو سليمان، وتبيّن بعد الحديث معه أنه وصل في تلك اللحظة من أمريكا في طريقه إلى المملكة، ويريد أن يبقى يوماً أو يومين، كما يريد أن يقابل مَنْ في لندن من الطلاب السعوديين، ويزور المرضى والمتعالجين، وحاولت أن أعرف من أين يتحدث، ولكنه كعادته، «لا يعطي من نفسه» بسهولة. وقال: أريد منك أن تجمع الطلاب لأراهم في الفندق الفلاني ظهراً، فاتصلت بالإخوان، واجتمع منهم ما يقرب من العشرين، وجاء إلى الفندق وقابلهم، وبدلاً من أن نقيم له غداءً نحتفي به فيه، تبين أنه اتفق مع الفندق، ورتب مائدة حافلة، مهيأة لما يقرب من ثلاثين شخصاً، وبدلاً من أن نجد فيه ضيفاً ندعوه كان السبَّاق إلى دعوتنا.

وتبين أن مكالمته لي كانت من فندق المطار، وأنه بقي فيه تلك الليلة، وأخفى نفسه حتى لا نأتي لزيارته في ذلك المكان النائي، وفضّل أن يأتي هو إلينا.

وانقطعت مع الأخ اللواء سليمان العبد الله الشبيلي، الذي كان يدرس في «ساند هيرست» حينئذ، لمرافقته، وزرنا معه جميع المرضى من السعوديين، وكان يصر على أن يدفع عن بعضهم مصاريف العلاج وتكاليفه، ولو أعطي الفرصة لدفع عن الجميع، وكان ذلك في نهاية الخمسينات الميلادية.

وفي إحدى مقابلاتنا له استعداداً للذهاب للفسحة خارج لندن أعطى كل واحد منا جنيهاً ذهبياً، وهي عملة سعودية كانت حديثة السك في تلك السنة، وحاولنا أن نعتذر عن عدم أخذها، وأن نفهمه أن من الخطر أن نحمل شيئاً من هذا، لأنه سوف يعتبر تهريباً، ولكن أنّى لنا أن نقنع «أبو سليمان»؟.

وأذكر أنه كان يحتال علينا كل مرة بحيلة عندما ندعوه إلى الغداء أو العشاء، وينجح في دفع حساب الوجبة، وفي إحدى هذه المرات جلس معنا على المائدة ولم يأكل بحجة أنه أفطر متأخراً ثم اكتشفنا أنه كان صائماً، لأن عليه بعض أيام من رمضان فوجد الوقت ملائماً لقضاء ما عليه منها لبرودة الوقت، وقصر النهار.

وأذكر أننا كنا نسير معاً قرب «هايدبارك»، واحتجنا إلى أن نتكلم بالتليفون، ولم يكن معنا عملة تصلح للتليفون، فرأينا صاحب دوار يبيع تفاحاً، فطلبنا منه «فكة»، فرفض أن يعطينا مطلوبنا إلا إذا اشترينا منه، فأخذتني العزة، وأردتُ أن أتركه، وأحتال لإيجاد «الفكة» ساخطاً على الرجل لهذه المساومة، البعيدة عن المروءة، فما كان من «أبو سليمان»

إلا أن قال له : «أعطنا كيلويين» ، فقلت : وما نفعل بها ونحن قد تعشينا ، فقال والابتسامة كالعادة تملأ وجهه : «نأكل ما نأكل ، والباقي نعطيه لهؤلاء الجلوس على الكراسي ، فقلت : إنه ليس فيهم أجر ، وابتسم وقال : كل نفس رطبة فيها أجر» وكان ما أراد .

ـ وأبو سليمان كريم ، لا يستطيع أحـد أن يعتذر عن عدم تلبية دعوته إذا دعا ، ولكـن لا يستطيع أحد أن يقنعه بقبول دعوة ، إلا بحيلة متقنة ، أو أن «يختل» به بإرسال ضيافته إلى الفندق ، وله سبل عجيبة للاعتذار ، يتفنن فيها .

ـ ورغم مرور سنـوات على وفاته إلا أنه قلّ أن يخلـو مجلس من ذكره والحديث عنه ، وتعداد فضـائله ، وقصّ القصص التي تواترت عنـه وعن كرمه وفضله وسعـة باله ورحابة صـدره ، وحبه للخير ، والمسارعة إليـه ، والقصص عادة إذا كررت تبهت ، وتفقد بعض قيمتهـا ، إلا القصص التي عن «أبو سليمان» فهي دائماً مـرحّب بها ، مصغىً لها ، تستعاد وتطلب ، ولعل الله أراد له الإكرام بروايتها وتكرارها ، وهي تدور حول الخير ، ويتكرر أثناءها الترحم عليه ، ونرجو له من الله القبول .

ـ وبعض هذه القصـص والأحاديث عن أشياء بسيطـة أو طريفـة ، ولكنها تشـد السامع ، لما تحتـوي عليه من دلائل الخير ، واللمسات الإنسانية ، فالناس يذكرون كيف كـان يحرص على أن يهدي لزائري البلد الذي هو فيه العطور والبخور وهي مما خف وزنه وغلا ثمنه ، ويتحدثون عن بعض الـرموز الوطنية من الحرص على الأكلات الشعبية ، يحملها معه أينما حل ، «والكليجا» وهو البسكوت الـوطني دائما يرافق الشاهي ، وكذلك التمر ، وفي ماليزيا كـانت الفواكه تعبأ وتوضع في الطائرة ، ولا يدري الراكب إلا بقسائم تحميلها مع الأمتعة ، يستلمها مع «الشناط» في مطار الوصول ، له ولبعض من يعز عليه .

ـ كـان لا يفرق بين النـاس ، فمعاملتـه للتاجـر الكبير أو الموظف ذي المرتبـة العاليـة يحظى بها منه السـائق والخادم ، ولطالما جبر خواطر من يأتي من الفقـراء لمجالسه ، بالالتفات إليهم ، ومعاملتهم معاملة المثل ، ويضخّم مـا يقومون به من خدمة حتى ليجعل لهم المنة عليه .

ـ وكانت لديه قدرة فائقة على تقسيم جهده ووقتـه وإمكاناته على كل من اتصل به ، ومقامهم كلهم عنده متساو ، بل قد يتعب للصغير أو الضعيف أو الفقير أكثر من تعبه للغني ، ويفرح كلما كثر الذين يخدمهم أو يقدم لهم مساعدة .

ـ ويذكر عنه أيضاً سعـة صدره وكثرة محبيه ، ومعرفته بدخائل النـاس وطبيعتهم ، واستعداده الفطري وتجربته في الحياة وثقة الناس به ، مما جعله ناجحاً في الوصول إلى الهدف في هذا الأمر .

ـ وكانت المواقف التي يوفق فيها بين الناس، من الأمور التي يكاد الإنسان يقول إنها من اختصاصه، لعنايته بها ونجاحه فيها وتوافقها مع طبيعته.

ـ وتتضح لباقته في معالجة الأمور بوجه خاص عندما يحتاج الأمر إلى إحقاق الحق؛ لأنه يمهد لذلك أو يختار له الوقت المناسب، ولعل السبب في وصوله إلى الهدف، هو أنه كان يحسن اختيار الوسيلة، وكان وصوله إلى الهدف يأتي دون جلب أو ضجيج، بل إنه كان يحاول أن يقلل من قيمة دوره تواضعاً منه.

ـ كان يهدف لاستجلاب أصحاب الثقافات الأخرى بخدمتهم، والتقرب منهم وكانت مكاسبه الودية معهم كبيرة، فاحتاز إلى صف العرب والمسلمين أعداداً لا يستهان بها منهم.

ـ وكان يحرص على إبراز مظاهر الحياة في المملكة أينما ذهب، وبخاصة في اللباس والأكل بأنواعه المختلفة وإبراز العادات والتقاليد السعودية.

ـ ومن المواقف التي يمكن أن تذكر في هذا المجال، أنه عندما كان سفيراً في أفغانستان، أقام حفلة لم يحرم النساء منها ولكنه وضعهن في صالة منفردة، وكانت خطوة باعثة للاستحسان والمدح.

ـ كانت سمعته تسبق رؤيته، وكانت عندي فكرة جيدة عنه قبل أن أراه، ولهذا لم أفاجأ بما رأيت منه لأنه كان كما قيل عنه، تواضعاً وكرماً واستجلاباً للقلوب وقدرةً على كسب الأصدقاء، بل نجده أكثر مما كنا نتصوره.

وكان الناس، رحمةً به، يبتعدون عن البلدان التي هو فيها، ولكنهم أحياناً يفاجأون بمجيئه إلى حيث هم، ويكتشفون أنه دفع عنهم حساب الفندق مقدماً، وسحر حديثه، ولطف معاملته، يجعلان الذي جاء ليقضي أسبوعاً يجد أنه أقام شهراً.

وكان يحتال أحياناً على من يجرؤ عليه، فيخترع قصة تجعله يبقى راضياً: كان له قريب صديق، وهو طالب علم، مقيم في إحدى مدن نجد، وزاره في البصرة، وأقام مدة، وعندما نوى السفر اقترح عليه أبو سليمان أن يتأنّى بعض الوقت، لأن مركز القضاء في بلدته قد شغر وأن اسمه قد ورد في الترشيح لهذا المركز، فجفل الرجل من هذا الترشيح، ووافق راضياً مقتنعاً بالبقاء، فكانت تلك حيلة ذكيّة كريمة من كريم لكريم.

وهذه واحدة من كثير مما كان يلجأ إليه أبو سليمان.



ـ ومجلسه كان لا يمل، لأن طريقته في قص القصص جذابة، فإذا بدأ يقص القصة سكت الناس، وكأنّ على رؤوسهم الطير، لإتقان قص القصة، وللمداخلات التي يضيفها لها، والاستطرادات المفيدة التي يضيفها، وأحياناً يخرج من قصة إلى قصة، ويكفي المرء متعة أن يستمع إليه حتى لو كان السامع سبق أن سمع ما يقص.

ويشدك عندما يتحدث عن كفيفين قدما البصرة للعلاج، فعَيَّنَ أحد الفكهين لمرافقتهما، وأعطاه مبلغاً لينفقه في تنزيههما وتفسيحهما، وفوجئ لما سأله عن برنامج الزيارات بأنه قد أدخلهما السينما، وهو في الحقيقة لم يفعل، ولكن ليوهم أن المبلغ قد صرف.

القصص كثيرة، ولكنها ليست هي القصص إذا قصها غير «أبو سليمان» . .

ـ لقد كان فريداً في شخصيته، فريداً في حياته، فريداً في خلقه، فريداً في معاملة الناس، وكنا عندما يذكر حاتم الطائي نشكك أن في الأمر مبالغة، أما بعد أن رأينا حاتم زمننا صدقنا بأن هناك حاتماً، وأن أفعاله صحيحة.

رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان رجلاً خيّراً.

المحرم ١٤١٤هـ	عبد العزيز الخويطر
يولية ١٩٩٣م	الرياض



صفحات مضيئة

بقلم :
الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل(١)

تألمت لوفاة صديقي وابن خالتي (ومن أخوالي) الشيخ محمد يرحمه الله رحمةً واسعة، وكان قد مرض أكثر من ثلاث سنوات، وكان قبلها بسنوات يشتكي، ولكنه كان صبوراً، يلهي نفسه عن صحته بواجباته نحو وطنه وقضاء حوائج الناس، فهو لا يحب أن تُطلب منه حاجة إلا ويقضيها ويهتم بها بنفسه، وقد عشت معه منذ الطفولة إلى أن اختاره الله إلى جواره.

- أحب أن أبدأ أولاً بحياته وفق ما سمعته من والدتي (خالته) :

كان بيت الشبيلي في البصرة من أكبر بيوت النجديين هناك، مثالاً للتجارة الناجحة، وللضيافة والكرم وحسن المعاملة، والمؤسسون لهذا البيت هم : محمد الناصر الشبيلي (جد الشيخ محمد لأبيه وعم والدتي ووالدته) وأخوه سليمان الناصر الشبيلي (جد الشيخ محمد وجدي أنا لأمي)، وكانوا يتناوبون على إدارة التجارة سنوياً لأن عائلاتهم كانت في عنيزة.

تقول الوالدة : إنه لما جاء الوالد سليمان من البصرة، كان برفقته الخال حمد والد الشيخ محمد، وأتينا للسلام عليه (أي حمد المحمد) وكان مقرراً له أن يتزوج ابنة عمه موضي السليمان الشبيلي، وكانت آنذاك صغيرة السن، فقال لعمه : إنني لن أتمكن من الصبر فزوجني منيرة، قال له الوالد سليمان : إن التي لك هي موضي ، فألح على عمه فزوجه منيرة وحملت منه بالشيخ محمد «أبو سليمان»، وحينما وضعته توفيت - يرحمها الله - وهو في المهد لم يبلغ عشرة أيام.

وكان الشيخ محمد محل عطف خالاته الثلاث، وهن حصة (والدة محمد الناصر الشبيلي)، ووالدتي نورة، وموضي (التي هي والدة عبد الله أخو الشيخ محمد)، يرحمهن الله، وكذلك عطف الخالة نورة الحمد الشبيلي (والدة محمد البراهيم السليمان)، وكن يحببنه محبة عظيمة ، لما كان عليه من اللطف وخفة الروح، كما أرضعته والدتي نورة، فأصبح أخانا في الرضاعة.

ولما توفيت والدته تزوج والده أختها موضي، وأنجبت منه عدة أولاد وبنات، لم يبق منهم إلا أخوه عبد الله، ثم تزوج حصة محمد التركي، وأنجبت منه عبد الرحمن وسليمان وبنتين.

---

(١) ابن خالة الشيخ محمد، وصديق حميم له منذ الصغر. مقيم في المملكة والكويت، ساعده وجوده في الكويت على أن يكون قريباً منه أثناء عمله في البصرة ثم بغداد، وهو من أكثر أصدقائه وأقاربه صلة به وتعاملاً معه، ومن أبرز المصادر عنه، وقد كتب فيه بعض القصائد النبطية التي أدرجت أبياتاً منها في الفصل السابع.

- ولد الشيخ محمد في عنيزة في حدود عـام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٠م، وكان دائماً مع والده في عنيزة والبصرة، درس في البصرة هو والأخ محمـد العبد الرحمن الشبيلي، ورجعوا جميعـاً مع والده إلى عنيزة، ثم التحق بـالديوان الملكي في عهـد الملك عبد العزيـز يرحمه الله، والأخ محمد العبد الـرحمن الشبيلي التحق بوزارة الخارجية ثم بـالشعبة السياسية، وكنت على اتصـال به دائماً عند مجيئـي إلى الرياض أو الحجـاز، ولما عُيّن في البصرة نائبـاً للقنصل (فخري شيخ الأرض)، ومعهم الشيـخ محمد المنصور الرميح والشيخ فارس الحامد كان يحضر إلى الكويت أو كنا نذهب إليه في البصرة.

كما كنا نجتمع به في لبنان وفي بغداد أحياناً، وفي سنة ١٣٧٦هــ (١٩٥٦م) كنا في لبنان، وكان والده ـ يرحمه الله ـ قد أتى للعلاج وسكن في طرابلس شمالي لبنان للاستجمام والراحة، وكـان معه أخي عبد الله المنصور الزامل و إبراهيم المنصور التركي وعبد العزيز المبـارك، وكان الشيخ محمد يلازم والده في طرابلس وكنت أسكن في بلدة بحمـدون، وأتانا في إحدى الليـالي وتجوّلنا بين عـالية وبحمـدون وتعشينـا في أحد المطـاعم، ولما بلغت الساعـة منتصف الليل، أردنـا الذهـاب إلى بيوتنـا، فطلبت منه أن ينام في بحمـدون وأن لا يذهب إلى طرابلس في الليل، وكـان معنا في تلك السهرة الإخـوان: عبد العزيز الصـالح الحماد العبدلي، والأخ عبد الله محمد القبـلان، والأخ علي عبد الرحمن القرعـاوي، فصمم على أن ينزل إلى بيروت، وعرضت عليـه أن يذهب معه الأخ علي عبـد الرحمن القرعـاوي في السيارة وأقسم أن لا ينزل معـه، فبقي هو في انتظار تاكسي، ثم صادف أن عدنـا مرة أخرى إلى المحطة بقصد السؤال عن أحد الأولاد، ووجدنـا أنه ما زال ينتظر فقلنا له: إلى الآن ما زلت تنتظر؟ وكان آنذاك يلبس بدلة، فقال: إنني ركبـت مع إخوان عرفتهم ولم يعرفوني، وكانوا بحالة غير طبيعية وخشيت أن يعـرفوني فأحرجهم، ولهذا نزلت مـن السيارة، فرجعنا إلى بيـوتنا وهو لا زال ينتظر سيـارة للنزول إلى بيروت، وكنت أسكن في بيت مكون من طابقين، وكان الأخ عبد الله القبلان يسكن في الطابق الأسفل، وبينما كنت نائماً طُرق علي الباب الساعة الثـانية و إذا بالأخ عبد الله القبلان ومعه شرطة، قالـوا هل تعرف محمد الحمد الشبيلي قلت نعم، قالوا: هل يكون ابن خالتك قلت: نعم، ولماذا السـؤال والتحقيق؟! لأنني ظننت أنهم مشتبهون فيه، وأنه لم يكن يحمل بطاقـة إثبات شخصية، فقـالوا: لقد حصل حـادث صدم له، فلبست بسرعـة أنا والأخ عبد الله القبـلان وذهبنا معهم، و إذا هو في مستوصـف بحمدون، وكان في حالة لا تسمـح له بالكلام، كـان الدم ينزف من فمه والكسـور في يده ورأسه فكلمته مراراً ولم يجب، فسألت الطبيب عن صحته، فقال إذا بقي أربعـاً وعشرين ساعة فهو سالم إن شاء الله، ثم سألني إلى أي مستشفى تـرغبون أن نحـوّله؟ فـاخترت أن نذهب بـه إلى مستشفى الروم في بيروت، وحينما استقـر في المستشفى، رجعت إلى بحمدون لتغيير مـلابسي الملطخة بالـدم حيث كنا معـه في سيارة الإسعاف، وعنـد عودتي رن التليفون وقـالوا حالاً تحضر، إنه يريدك، وأصبح الآن يتكلم، فلما دخلت عليه الغرفة وجدته يعي ويتكلم، فقال أغلق الباب ولا يدخل علينا أحـد، ثم قال: بعـد يومين أو ثلاثـة أيام افتح شنطتي التي رقمها كـذا وكذا، والأوراق التي فيهـا احتفظ ببعضها

وأحـرق الباقي، وأعلمني عن مضمـونها وأضاف: أكتب وصيّتي بكـذا وكذا، ولكن لا تتعجل حتى يـومين أو ثلاثـة، فبكيت وضاق صدري، وقال: لا تبـك، هذا أمر الله، أتعرف لماذا أوصيتك أن تنتظر يومين أو ثلاثـة ؟ لقد كنت أشعر وأنت تسأل الدكتور عن حالتي، وأخبرك أنه إذا بقي بعد مرور أربع وعشرين ساعة فإنه يسلم، والحمد لله لم أفتح الشنطة ولم أكتب وصيته وبقي في المستشفى حوالي أربعة أشهر، وكـان والده في طرابلس، فاتفقت مع الشيخ محمد على أن أذهب إليه وأبلغـه أن الشيخ يوسف ياسين مـر في بيروت واصطحب الأخ محمد بطـريقهم إلى أوروبا وأمريكـا، ولهذا ربما يتأخر سفره مدة شهرين أو ثلاثة أشهر.

وأحب أن أذكـر، أنه حينما أفـاق من الغيبـوبة قـال لي : اذهب حـالا إلى المخفر، وبلغهـم على لساني أنني مسـامح ومتنـازل عن دعواي وحقي تجاه السـائق، وكانت السيـارة التي صـدمته شـاحنة كبيرة قـرب قهوة « أبـو الشامـات » في بحمدون، وضربته على الـرصيف ولكن رحمة الله أنجته، وحالاً ذهبت إلى المخفر وأبلغتهم بـرغبته، فحضر معي المحقق وأخذ منه توقيعاً بالتنازل عن القضية.

بدأ الإخـوان والأصدقاء في الحضـور للاطمئنان على صحتـه، وأحس والده الشيخ حمد بما يـدور، وسألني لماذا كثرت زيارات الأقارب، فقلت له حتى يطمئنوا على صحتك.

وانتقلت من بحمدون إلى الشام، وكنت أتردد عليه وهو يتحسن يوماً بعد يوم، وفي إحدى زياراتي بلغني أنه سمح له بالخروج، وقال إنني سأذهب معك إلى الشام لأرى أهلك ويروني بصحة وعافية، فقلت له إن والدك في طرابلس وأرجو ـ أولاً ــ أن نذهب إليـه، قـال لي إنكم على وشك سفر، وأحب أن أراكـم وأن تروني بصحـة وعافيـة خصـوصا أم منصـور (زوجتي يرحمها الله) لأنها كانت تعزه ويعـزها، فذهبنا سوياً وكنت أنوي السفر بعـد يومين، وقال هيا نذهب إلى السفير ونشكره، وكان وقتهـا الشيخ عبد العزيز بن زيد، يتردد عليـه في بيروت ويزوره، وفعلاً ذهبنا إليـه، ثم قرر أن ينام تلك الليلة في الشام وأن نـذهب في الغد سوياً إلى (الزبداني)، واتفقنـا مع الإخوان عبد العزيز الحمـد العبدلي وسليمان إبراهيم القاضي أن نقضي اليـوم الثالث في (الـزبداني)، ونـودعه إلى طـرابلس ونحن نرجع، وجـاءنا الشيخ عبـد العزيـز عبدالله الصقير يرحمه الله وقال: لن تذهب يا شيخ محمد حتى تتغـدى عندي فقال له: والدي في طرابلس ولم أره فاسمح لي، فلم يتنازل إلا أن يقيم له مأدبة، ثم قال الشيخ الصقير: أنا غداً أتغـدى عند بنت عمي (يقصد زوجتي أم منصور)، فأحرجنا واضطررت أن أدعو السفير والسفارة ومن فيها والجماعة وألغينا رحلتنا إلى الزبداني، فاضطر الشيخ محمد أن يواعد السفير ابن زيد لأنه اعتذر منه في السابق، (فكان يوماً عندي، ويومـاً عند ابن زيد، ويوماً عند ابن صقير، ويوماً عند القاضي، ويومـاً عند العبدلي) وكنت في اليـوم التالي أنوي السفـر إلى الكويت، (كنا في ذلك الـوقت أثناء حرب السـويس والمطار

مغلق) فاضطررت أن أسافر براً وسافر الشيخ محمد إلى طرابلس لرؤية والده، الذي توفي في نفس اليوم الذي وصل فيه، ولم يدركه، ثم نُقل والده فدفن في الشام بجانب والدته (مضاوي محمد الفوزان أي والدة الخال حمد والد أبو سليمان، وهي أيضاً والدة لولوة محمد الشبيلي زوجة الأمير عبدالعزيز العبد الله السليم أم سعد وسليمان العبد العزيز السليم)، أما سبب دفن جدته في الشام فإنه لما توفي زوجها محمد الناصر تزوجها محمد العبد الله البسام وذهب بها إلى الشام وأنجبت منه إبراهيم وعبد الغني المحمد البسام حيث توفيت هناك.

والعجيب أن الخال حمد دفن إلى جانب والدته في قبرين متجاورين تماماً مع أنه بين وفاتيهما حوالي خمسة وأربعين عاماً.

واستغرق سفرنا بالبر أربعة أيام من الشام إلى الكويت عن طريق المملكة (طريف وعرعر والحفر) ولمّا وصلنا قرب الجهراء، وإذا بالأخ صالح العبدلي في استقبالنا فبلغني بوفاة الخال حمد والد الشيخ محمد.

وكنت دائماً على اتصال مع (أبو سليمان) في سفراتنا ورحلاتنا المتعددة ولنا ذكريات لا تنسى، ولما عُيّن سفيراً في باكستان، ذهبت إليه بعد مدة أنا وابن عمي الأخ عبد الرحمن العبد العزيز المنصور، وكان سفرنا بالباخرة من الكويت إلى كراتشي، وبقينا عنده قرابة الشهر نتجول في باكستان كلها ولنا معه عدة صور.

وبهذه المناسبة أود أن أورد صوراً من بعض مواقفه، يرحمه الله:

- **الأولى:** كانت له جلسة يوم الأحد (عطلة باكستان) وكان يأتي إليه كل صباح بعض العرب الموجودين هناك (منهم الشيخ عبد الجليل شريك ووكيل الشيخ مصطفى وحمد العلي القاضي وإبراهيم يوسف زينل وغيرهم كثيرون)، وكان يأتي معهم شخص من أهل الشارقة كبير السن، تبدو عليه الطيبة، وعندما تعددت زياراته لاحظ عليه أبو سليمان أنه كئيب، فسأل عن هذا الشخص، وما أسباب كآبته فشرحوا له القصة التالية:

إن هذا الرجل من أعيان الشارقة وهو رجل فاضل له زوجة شابة، وهو متقدم في السن ولم تنجب منه أولاداً، وكانت تراجع طبيباً سيء الخلق والنية، حيث علم أنهم سيذهبون إلى كراتشي للبحث عن علاج للإنجاب، فقال لها الطبيب: جواز سفر زوجك دبلوماسي ولن يتعرض للتفتيش، فأخذوا معهم ذهباً، وعندما وصلوا إلى كراتشي وسلم الذهب، وإذا بالزوجة وصديقها الدكتور يختفيان، وسأل الزوج عنها وبحث ولكن بدون جدوى، وذهب إلى السفير البريطاني ولم يستفد منه أي شيء، فرجع إلى بلده بدون زوجته وأنّبه حاكم الشارقة، وقال ارجع من حيث أتيت، ولا تأت إلا والمرأة معك، فضاقت عليه الحيل، ولم يعرف ماذا يعمل، ولما أراد الله له الفرج عرف الشيخ محمد بما جرى.

أرسل أبو سليمان الشيخ علي الفوزان إلى الدكتور، وقال له : إن السفير السعودي يريدك أن تقابله، وإن لديه كتاباً من جلالة الملك سعود يرحمه الله إلى أيوب خان يخبره فيها عن فعلتك السيئة، ولكنه، رحمةً بك، لم يقدمه حتى يواجهك ويفهم الحقيقة منك، وجاء الدكتور وهو يرتجف، وأول ما بادره أبو سليمان قال له : نعرف بأنك قتلت المرأة، وقبل كل شيء تدلنا على قبرها، فبهت الدكتور عندما واجهه بذلك، وقال: أبداً أنا لم أقتلها قال له أبو سليمان لا تظن أن المسألة ستذهب هباءً منثوراً، فحكام الخليج تربطهم بآل سعود روابط عائلية ونسب وصداقة، والملك سعود بنفسه مهتم بالقضية، وسينالك عقاب شديد، نود أن تخبرنا بالحقائق كلها، إذهب وفكر في نفسك وارجع إليّ غداً، فما وسع الدكتور إلا أن اعترف، وأخبرهم بمكان المرأة التي عادت مع زوجها إلى بلادهم.

- **الثانية:** كنت عنده في كراتشي في البيت، وإذا بي أسمع صراخ امرأة وهي تستغيث بأعلى صوتها، وهو في المكتب وأنا في الغرفة فنزلت بسرعة، وإذا بامرأة لبنانية من بيت الحسيني من أهل الجنوب تصيح وتقول: إبنتي خطفها ولد باكستاني، أراد أن يتزوجها، ولم نوافق فذَهَبَتْ معه، فقال لها اذهبي إلى سفيركم وأبلغيه وقالت: لا، لا أنت سفير العرب، ولا نلتجئ إلاّ إلى الله ثم إليك.

فأرسل إلى رئيس الشرطة العام في كراتشي، فقال له : أمرك يا أبو سليمان، وماذا تريد أن تأمرني به، فأخبره أبو سليمان، بالقصة فقال له مدير الشرطة كن على ثقة أني سأطوق كراتشي كلها ولا يخرج منها أحد إلا بعلمي، والبنت سوف ترجع قبل المساء إن شاء الله وسنجدها، وفعلاً أحضر البنت في آخر النهار وأسكنها مع والدتها ثم سلمت إلى أبيها.

- **الثالثة:** كنا عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) في عنيزة وكان موسى العبيد الله يمتلك مزرعة وعنده عمال، فتشاجر معهم، وأرادوا أن ينتقموا منه، وأتوا المزرعة ليلاً وقطعوا الأشجار والخضروات وعاثوا فيها فساداً، ولما جاء الصباح، ورأى المزرعة، ما وسعه إلا أن يشكوهم، وكان «المرّي» الذي يتبع الأثر في بريدة، وقال لأمير عنيزة (عبد الله الخالد السليم) يرحمه الله : أريد المرّي، فقال: المرّي في بريدة، فقال له : أتسمح لي أن أذهب وأشتكي عند الأمير عبد الله العبد العزيز بن مساعد؟ فسمح له وذهب وأتى بالمرّي وتم القبض على الأشخاص فإذا هم أولاد ثلاثة حديثو السن، فذهبوا بهم إلى بريدة وقالوا إنه ربما تقطع أيديهم، فخاف موسى العبيد الله أن يكون هو السبب بذلك، وأنه لا يريد أن يعاقبوا بهذا العقاب الشديد، وكان الأمير عبد الله بن مساعد في ذلك اليوم مدعوّاً من قبل أمير عنيزة على العشاء، فجاء موسى العبيد الله (الذي ضاقت به الأرض بما رحبت) إلى الأمير عبد الله الخالد، وقال له : أريدك أن تشفع لهم فاعتذر الأمير وقال: أنا لا أستطيع أن أحرج ضيفي، ثم أتى إلى الشبيلي، وكان يعرف القصة كاملة، ولما تعشينا عند الأمير، استأذن

الشبيلي بحجة أن والده مريض، وودع الأمير والمدعوين، ثم قال لي: سنـذهب خارج عنيزة وننتظر موكب الأمير عبد الله ابن مساعد ونكلمه، فلما مشى الموكب لحقنا به وعرف الأمير ومن معـه بأن السيارة اللاحقة بهم تريد شيئاً، لأن السيارات في ذلك الوقت كانت قليلة وعرفوا أنها سيـارة الشبيلي، فوقف الأمير، وكلمه أبو سليمان عن الموضوع، وأبلغه أن أهلهم في حالة مؤلمة ويبكون عليهم، وأنه يريد أن يطمئنهم ليناموا ليلة هادئة، فوعده الأمير بالنظر في المسألة، ولكنه أحرج الأمير وقال له: أنا آتيك بسيارتي في الصباح وآخذهم، فسكت الأمير.

وفعـلاً ذهب أبو سليمان في الصبـاح بنفسـه إلى بـريدة وقـابل الأمير وأنهى الموضوع.

ـ وقد زرته في كراتشي وأفغانستان وفي بغداد وماليزيا، ولنا معه صـور وذكـريـات كثيرة في البصرة وبغــداد والكـويت وعنيـزة، وشاهـدنا أشيـاء يصعب علينا حصرهـا، (زرته أنـا والأخ صالح العبدلي وعبد الكـريم الزامل في كابـول، وآخر مرة زرته في مـاليزيا كنت أنا والابن محمد العبد الله المنصور).

وقد استمر مـرضه أكثر من ثلاث سنـوات، وكنت أتردد عليه بين الحين والآخر، ولا ننسى أبـداً بره وإحسـانه بأقـاربه وإخـوانه والـوافدين إليـه، وكذلك الهدايـا التي كـان يقدمهـا لهم، وحسن ضيافته.

وقد شهد جنازته خلق عظيم وتـوافد الناس على بيته بعد وفاته للتعزية والمواسـاة من كل أنحاء البلاد وخارجها، وكما قال رسول الله ﷺ: (أنتم شهداء الله في أرضه).

١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م عبد الرحمن المنصور الزامل

الرياض



اليد العليا والقلب الكبير

بقلم:

الأستاذ عبد الستار سيرت[1]

في لقاء رسمي أخوي بين العاهل السعودي الراحل الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ والملك الأفغاني السابق الملك محمد ظاهر شاه (المقيم حالياً في روما) في قصر (دلكشاه) في كابل عاصمة أفغانستان سنة ١٩٧٠/ (١٣٩٠هـ) كنت ثالثهما، لأقوم بدور الترجمة بينهما بصفتي رئيس بعثة الشرف والوزير الأفغاني المرافق أثناء زيارة الملك فيصل التاريخية لأفغانستان.

وقد تقرر في ذلك اللقاء الأخوي الخاص فتح مرحلة جديدة من العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين، وتعزيز التعاون في شتى المجالات، كما تقررت أسس العمل المشترك للدفاع عن العقيدة الإسلامية ونشر تعاليم الإسلام.

ولم تمض شهور على تلك الزيارة، حتى برز عنوان مصداقية ذلك اللقاء وتلك المرحلة الجديدة في العلاقات الأخوية المتميزة بين البلدين الشقيقين، بتعيين الأخ الكريم الشيخ محمد الحمد الشبيلي ـ يرحمه الله ـ سفيراً للمملكة العربية السعودية في أفغانستان.

وشاء الله أن يكون أول لقاء رسمي بينه وبين أول وزير في الحكومة الأفغانية هو اللقاء الأخوي الذي تم في مكتبي بمقر رئاسة الوزراء في كابل تمهيداً لتقديم أوراق اعتماده إلى ملك أفغانستان.

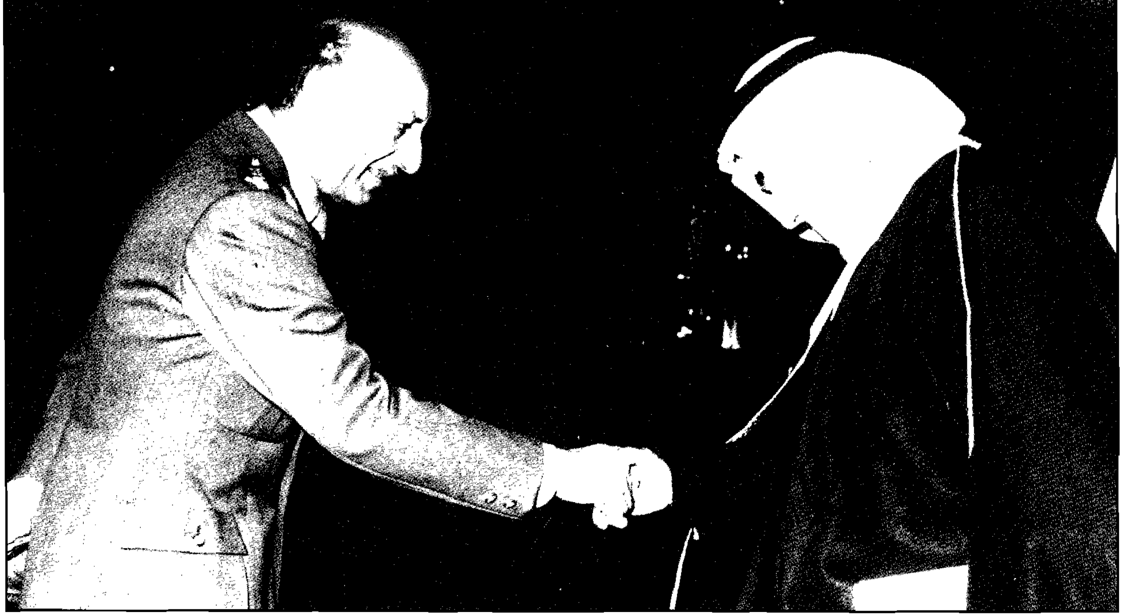
وفي أول لقاء رسمي وأخوي بيني وبينه، وجدت نفسي أمام إنسان يجسّد أروع معاني كلمة الإنسان، فقد كان سفيراً يمثل مملكة الحبّ والمودّة والخير، ولا زلت أذكر ما قلته له في نهاية ذلك اللقاء:

«ليس من السهل أن نبادل المملكة العربية السعودية الشقيقة بسفير مثلكم، وإنه لشرف لنا لو اعتبرناكم سفيراً للبلدين في البلدين، فمرحباً بسفير أفغانستان في بلد الحرمين الشريفين».

كان ذلك رأيي منذ أول لقاء معه في كابول، وأثبتت الأيام صدق ذلك الرأي، وصار رأي كل أفغاني تعرّف بالسفير الإنسان الكريم، وتحولت العلاقة بيننا من الإطار الرسمي إلى الأخوة الإسلامية الصادقة، فكان والداً شفوقاً وأخاً كريماً وصديقاً عزيزاً وسفيراً حكيماً صادقاً ووفياً لبلديه الأول والثاني: المملكة العربية السعودية وأفغانستان.

---

(١) من خريجي جامعة كابل والأزهر وجامعة كولومبيا بنيويورك، كان وزيراً للعدل والأوقاف عام ١٩٦٨م في أفغانستان ثم وزيراً لشؤون مجلس الوزراء، وقد درس في جامعة كابل، وصار عميداً لكلية الشريعة فيها، وله عدة كتب بالفارسية والإنجليزية، وهو الآن أستاذ في جامعة أم القرى.

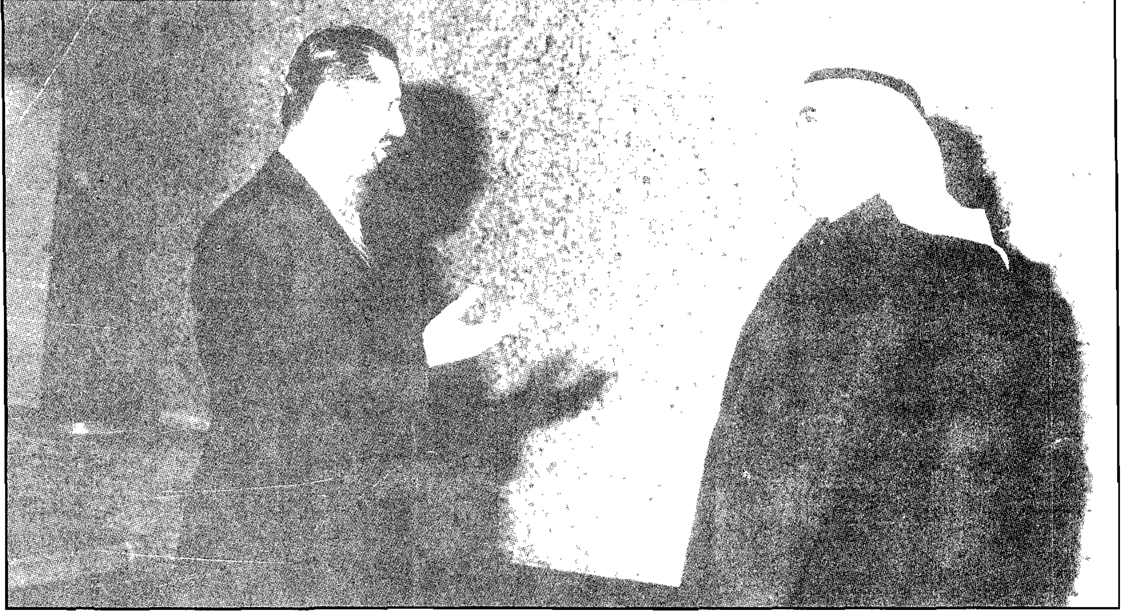


عند تقديم أوراق إعتماده إلى ملك أفغانستان محمد ظاهر شاه ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م).

لم يكن حظ أفغانستان سعيداً كسعادة البلدان التي عمل فيها، قبل وبعد أفغانستان، حيث إن خطر الإرهاب الشيوعي بدأ بالانقلاب العسكري الذي أطاح بنظام الحكم الملكي سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) ومهد الطريق للتدخل الشيوعي المباشر سنة ١٩٧٨ (١٣٩٩هـ) والاحتلال العسكري الروسي لأفغانستان سنة ١٩٧٩م (١٤٠٠هـ)، وقد ضاقت أرض أفغانستان على أبنائها وأحبّائها، وكان الشيخ الشبيلي قد غادر أفغانستان سنة ١٩٧٥م (١٣٩٥هـ). وعاد إلى المملكة ثم عُيّن في ماليزيا بعد أن أحبّ أفغانستان وأحبّته، وبعد أن ترك ذكريات لا تنسى ومواقف نادرة تخلّد له حب الشعب الأفغاني بمختلف فئاته.

لا يتسع هذا المقام للحديث عن نوادره في الحبّ والفضل والكرم والحكمة، فلقد كان مثالا لحب الخير وإيصال المعروف للآخرين، والعمل على إسعاد جميع الناس والتضحية براحته وماله، وصحته ووقته، كان كله عطاءً وكرماً لمن يعرفه ومن لا يعرفه، فالعطاء لم يكن يصدر عنه بالتكلّف، ولكنه كان ملكة طبيعية فيه، وكأنه خُلق لعمل الخير ولتقديم العطاء.

شهر رمضان المبارك من كل سنة، كان موسمه الخاص في البذل والعطاء وإيصال الخير، لقد سمعت مراراً فئات



عبدالستار سيرت والشيخ محمد في أفغانستان (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)

مختلفة من الأفغان في كـابل تقول: كيف لا نحب الصيام، ولا نحتفي بهذا الشهر الكريم، وقد أكـرمنا الله أن نفطر بماء زمزم وتمور المدينة المنورة؟ وهي تصل إلى بيوت أهل كابل.

وجد ـ يرحمه الله ـ عدداً من خدم السفارة تقدّم بهم العمر، وعجزوا عن العمل، بعد أن خدموا سفارة المملكة عشرات السنين، فجمعهم وسألهم: هل لديهم من أولادهم أو أحفادهم من الشبـاب من هو بدون عمل؟ فأجاب الجميع: نعم فقال السفير: يختار كـل منكم أحداً من هؤلاء الشباب ويحضره غـداً إلى السفارة، وكان ذلك الغد يوم الاحتفـال لتكريم أولئك الخدم السـابقين وتعيين أولادهم وأحفادهم الشبـاب بدلاً عنهم، ومكـافأة كل واحد من الخدم السـابقين عشرات أضعاف مـا يتقاضونـه من الرواتب والبـدلات، وأما الخدم الجدد من الشباب فـلا يريد أن يعـوّدهم على المكافأة المجـانية ولكنه يساعدهم ويسعدهـم بحكمة أبوية عجيبة، حيث إنه كان يقدّم لكل منهم مبلغـاً كبيراً للزواج، ومبلغا آخر لبناء أو شراء بيت له وتكون هـذه المبالغ قرضاً بدون فوائد ولمدة تـزيد عن عشرين سنة، ويبدأ سداده على أقساط رمـزية بعد سنـوات من عملهم في السفارة، فقـد ربط بالخير والعطـاء بين جيل آخـر من الخدم، ومن نفس العائلات وبين هـذين الجيلين وبين سفارة بلده.

هكذا كان يتعامل مع الخدم، فكيف كان تعامله مع بقية الفئات؟.

لقد منّ الله عليّ أن أقيم بمكة المكرمة وأتشرف بمجاورة بيت الله الحرام منذ أواخر ١٩٧٥ (١٣٩٥هـ) إلى اليوم، وسعدت ماليزيا بنقله سفيراً للمملكة فيها، ثم أصبح عميداً للسفراء المقيمين هناك، ولم تكن له زيارة إلى المملكة إلا وزارني وأهلي في منزلي المتواضع بمكة المكرمة، كما سعدت بلقائه في جدة والطائف والرياض مرات ومرات، ولما طالت إقامته في ماليزيا سافرت إلى كوالالمبور ثلاث مرات لزيارته.

وفي أول ليلة من رمضان المعظم ١٤٠٥هـ(٢٠/ ٥/ ١٩٨٥م) اتصلت به من مكة المكرمة تلفونياً (كعادتي في كل رمضان) لأهنئه بحلول الشهر المبارك، ففوجئت بخبر نقله إلى المستشفى، وأنه في غرفة العناية المركزة، صعب عليّ الخبر وبعدها بيومين وجدت نفسي في كوالالمبور، ورتبت أموري على أن أعود إلى مكة المكرمة بعد ثلاثة أيام من الإقامة في كوالالمبور والاطمئنان على صحته، ولكن الضيف لديه لا يملك من أمره شيئاً، فقد طالت إقامتي من ثلاثة أيام إلى خمسة وعشرين يوماً كنت فيها ضيفاً أسيراً لديه، وأما ذكرياتي خلال هذه المدة، وما كان من المواقف بيني وبينه فأعجز عن بيانها والتعبير عنها، وبخاصة بعد وفاته، فكثيراً ما تقطع المشاعر الطريق على لساني وقلمي، وأجد نفسي مضطراً إلى الاستسلام لتلك المشاعر، ولا ينقذني منها إلا الدعاء له بالرحمة والجنة.

تحضرني مواقف كثيرة له مع غيري، وأنا الشاهد أو الشريك أو السبب ومنها:

- كنت في زيارة لمدرسة إسلامية في كوالالمبور، وكان يوماً سعيداً قضيته مع الطلاب والأساتذة، وهم يحبّون القادم من مكة المكرمة ويرحبون به، وفي نهاية الزيارة طلب مني مدير المدرسة وبعض الأساتذة تحديد وقت لهم لزيارتي في الفندق، فقلت لهم إنني لا أملك من وقتي شيئاً، فأنا ضيف أسير وزيارتي لكم اليوم تمت بإذن خاص منه، فاطلبوا منه أن يحدد لكم الموعد المناسب، وفي اليوم الثاني خرجت بعد الظهر في جولة خارج المدينة، ورجعت قبيل وقت الإفطار حسب تعليمات الشيخ لنحضر معه على مائدة الإفطار، دخلت قاعة المجلس في منزله، وإذا جمع حاشد من كافة منسوبي تلك المدرسة التي زرتها بالأمس، مديراً وأساتذةً وطلاباً، فاستغربت المشهد العجيب، وسألته عن سرّ هذا الاجتماع الكبير، فقال: إنهم لم يشبعوا من لقائك في المدرسة وطلبوا مني تحديد موعد لزيارتك، فقلت لهم إن أحسن وقت للاجتماع في رمضان هو وقت الإفطار، فقلت له مندهشاً من الموقف: ولكنك ممنوع من التحرك والمقابلات بأمر الطبيب، ثم لماذا هذا الجمع الكبير والذين طلبوا مني وقتاً للزيارة هم اثنان أو ثلاثة وهؤلاء فوق المائة؟، فقال بكل هدوء: الطبيب لا يعرف هذا النوع من العلاج، مثل هذا الجمع معك يخفف عنّي المرض، ثم إنني علمت من كلام المدير أن المدرسة كلها سعدت بلقائك أمس، فلماذا نحرمهم من لقائك اليوم؟.

كان اجتماعاً روحانياً ممتعاً على مائدة الإفطار، وأهل المدرسة، طلاباً وأساتذةً، وجدوا أنفسهم في مرحلة عالية من

مدرسة أخرى، هي مدرسة الشيخ محمد للأخلاق والخبرة والحياة، وفي نهاية الاجتماع طلبت منه أن يصعد إلى غرفته للراحة، فلا يكلّف نفسه أكثر من ذلك، وأنا أقوم نيابة عنه بواجب التوديع، فوافق على ذلك وصعد إلى غرفته، ولكنه نزل بعد دقائق قليلة ومعه السكرتير وهو يحمل مجموعة كبيرة من المظاريف ويبتسم قائلاً: عملت برأيك وصعدت إلى الغرفة ولكنني رأيت أن أشاركك في توديع الضيوف، ووقف عند باب الخروج وبدأ الضيوف يغادرون القاعة وهو يقدّم لكل واحد منهم ظرفاً مغلقاً، وقد أبلغني السكرتير أن السفير أمر بتقديم مبلغ من المال لكل واحد منهم.



الشيخ محمد في أفغانستان يستقبل المعزين بوفاة جلالة الملك فيصل يرحمه الله (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م).

وقد شهد معي هذا المشهد نجل الشيخ سليمان وشقيقه عبد الرحمن (سفير المملكة في قطر حالياً) والأخ عبد الرحمن الغنام المستشار في السفارة، وعائلة عربية أخذت من المطار إلى منزل السفير وهي لا تعرفه من قبل.

هذه كلمات من موسوعة شخصية الشيخ الشبيلي - يرحمه الله -، وإني أعترف بأن هذه المفردات ليست على مستوى التعريف بهذا العملاق في ميدان الأخلاق، كما أني أعترف بأنني شعرت بالهزيمة، كلما حاولت أن أعامله بالمثل فهو اليد العليا والقلب الكبير، ويكفيني فخراً أن الله سبحانه وتعالى جمع بيننا بالحب والمودة والأخوة الصادقة، وإني له من المحبين.

هنيئاً للأمة التي ينتمي إليها الشيخ محمد، وكان الله في عون أهله وعشيرته ومن ينتسب إليه، وفقهم الله، وتغمده بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

١٤/ ١/ ١٤١٤هـ — عبد الستار سيرت

٣/ ٧/ ١٩٩٣م — مكة المكرمة

سيرة ذاتية

بقلم:

الأستاذ عبد الله الحمد الشبيلي[1]

نسبه: هو محمد بن حمد بن محمد بن ناصر بن سليمان بن عبد الله بن ناصر (العنقري)، وجده الأعلى ناصر ـ وفق ما ورد في تاريخ ابن بشر ـ هو الجد القريب لأسرتي الشبالا وبعض الشبل، وقد توفي عام ١١٩٦هـ بمدينة عنيزة التي نزح إليها هو وأسرته، وذلك إبان ولاية حجيلان بن حمد أبو عليان على مدينة بريدة، وقد عرفت الأسرة باسم «الشبيلي» على أثر اعتذار جده ناصر عن عدم قبول منصب القضاء أو رئاسة بيت المال، حيث كان ورعاً تقياً ويخشى الوقوع في الخطأ إذا ما زاول القضاء أو بيت المال، وقال في رده: لا أريد أن أضع «شبيلي» حول عنقي، يقصد اللجام الحديدي الذي يوضع على رقاب الخيل (كناية عن خشيته من أن يطوق عنقه بالذنوب)، فعرف من ذلك الوقت باسم «الشبيلي» في حين بقي اسم أسرة الشبل على حاله بدلاً من الاسم الأصلي العنقري (أهل ثرمدا) وهم من بني سعد من تميم وينتهون إلى عدنان.

مولده: ولد الأخ محمد عام ١٣٣٠هـ(١٩١٠م) بمدينة عنيزة، وفق تأكيد الكبار من أفراد الأسرة، وقد توفيت والدته منيرة سليمان الشبيلي، وهي ابنة عم والده بعد ولادته بأيام، فتكفلت برعايته خالاته نورة وحصة وموضي (والأخيرة هي والدتي التي تزوجها والدنا بعد انتقال خالتي ـ والدته ـ إلى الرفيق الأعلى بعدة سنوات).

طفولته ودراسته: عاش في البداية طفولة هادئة أحيط خلالها بكل مظاهر الحب والرعاية، من كامل أعضاء أسرته لما كان يتصف به من خفة الروح وحسن الخُلُق والخَلْق وبخاصة من والده وخالاته، وقد التحق مثل أقرانه في ذلك الوقت بالمتيسر من وسائل التعليم، التي كانت عبارة عن كتاتيب، يتلقى روادها فيها مبادئ القرآن الكريم والكتابة وتعلم ما تيسر من أمور الدين، فتتلمذ على يدي الشيخين: القرزعي وابن دامغ، بالإضافة إلى ما حصل عليه من زيادة في العلوم الدينية من جراء ارتياده ـ بصحبة والده ـ لحلقات الدرس في المساجد التي كانت تدار من قبل الشيخين ابن سعدي وابن مانع يرحمهما الله.

---

(١) أكبر إخوانه وابن خالته في الوقت نفسه، من موظفي وزارة الخارجية، عين مؤخراً سفيراً في زامبيا، سبق أن قام بعمل السفير في تايلاند، وكان قنصلاً عاماً في بومبي، كما عمل قبل ذلك في وزارة العمل والمراسم الملكية.



مع والده وأخيه سليمان في البصرة في السبعينات الهجرية .

وبما أن والدنا كـان يتردد على البصرة، لمباشرة تجارته هناك ومراقبـة أملاك الأسرة مع أبناء عمومته، فقـد اصطحبه معه إلى البصرة، وكـان معهما ابن عمه الشيخ محمـد العبـد الرحمن الشبيلي ــ وهما في سن متقـاربـة ـ حيث التحق الأخ محمـد بمدرسـة «الرجاء العـالي» والتحق ابن عمه بمدرسـة «النجاة» المعـروفة في الزبير، وذلك في بـداية الأربعينات الهجـرية، وحصل الأخ محمد على شهادتها التي تعادل المتوسطة في هذه الأيام.

وقـد استفاد كثيراً من هـذه الدراسـة حيث اتسعت مـداركه، وكـانت النـواة الأولى لتعلمه اللغـة الإنجليزيـة، التي تطورت معه عبر عمله الدبلوماسي.

وكانت لإقامته بالبصرة والتقائه مع والده برجال التجارة والأعمال المختلفة هناك، آثار كبيرة في صقل شخصيته وتنمية معارفه مما ساعـده في إثراء خبراته الوظيفية فيما بعد، كما أسهم مع الوالد في رعاية تجارة الأسرة التي شـادها أجدادنا محمد (جدنـا لأبينا) وسليمان (جدنا لـوالدتينا)، وكـانا قد عاشـا مدة طويلـة في العراق، كوّنـا خلالها سمعة طيبة وأسسـا بيتاً مشهوراً بالكرم، يفد إليه العديد من أبناء الجزيرة العربية والعراق ضيوفاً وزواراً، وقد أشير إليهما وإلى البيت الذي أسسوه في البصرة، في العـديد من الكتب، وكـانت لهما صلات وعـلاقات خـاصة مع الإمـام عبد الـرحمن آل سعود وابنـه الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراهما ـ وشيوخ الكويت الذين كانا يمثلونهم تجارياً في البصرة وغيرها.

مسيرته الوظيفية: بعد تخرجه وابن عمه محمد العبد الرحمن من المدرسة مرّا بالرياض، وهما في طريق عودتهما إلى مدينتهم عنيزة، وأثناء تشرفهما بالسلام على جلالة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ صدر أمره الكريم بإلحاق أخي محمد بالديوان الملكي، وذلك في غرة عام ١٣٥٠هـ (١٩٣٠م) بوظيفة كاتب، وتحت إدارة الشيخ عبد الله بن عثمان، كما التحق ابن عمنا بوزارة الخارجية ثم بالشعبة السياسية في الديوان الملكي، التي كانت قد أنشئت حديثاً حينذاك، وقد استمر عمل الأخ محمد بالديوان الملكي، حتى تاريخ ١/ ٦/ ١٣٦٢هـ (٤/ ٦/ ١٩٤٣م) حيث تقرر نقله نائباً للقنصل السعودي في البصرة (الشيخ فخري شيخ الأرض)، وذلك على أثر صدور التوجيهات السامية (من الملك عبد العزيز) بافتتاح قنصلية هناك، تتولى شؤون مواطني المملكة الموجودين في كل من البصرة والزبير وسوق الشيوخ وغيرها.

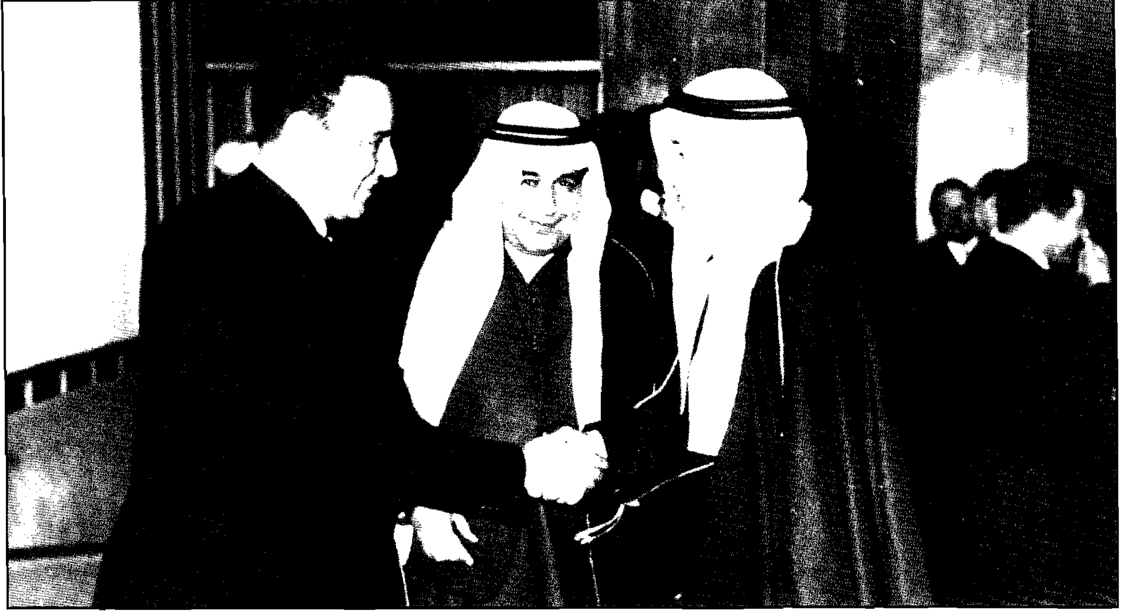
وحينما نقل الشيخ فخري من البصرة، تقرر تثبيت الشيخ محمد مكانه، وذلك بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٣٦٨هـ (١٢/ ١/ ١٩٤٩م) وقد بقي في البصرة قرابة خمسة عشر عاماً، ثم تم ترفيعه إلى رتبة قائم بالأعمال بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٣٧١هـ (١٧/ ٦/ ١٩٥٢م) ثم إلى رتبة مستشار أول بتاريخ ١٨/ ٩/ ١٣٧٦هـ (١٧/ ٤/ ١٩٥٧م)، وقد انتدب أكثر من مرة للقيام بأعمال سفارة جلالته في بغداد إبان تمتع السفير بالإجازات أو لمهام رسمية (وبخاصة أيام السفير الشيخ عبد الله الخيال).

وفي تاريخ ١٢/ ٢/ ١٣٧٧هـ (٧/ ٩/ ١٩٥٧م) انتدب للقيام بعمل وكيل وزارة الخارجية، ورقّع خلال ذلك إلى رتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى وذلك بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٣٧٧هـ، (٣/ ١١/ ١٩٥٧م).

واستمر على رأس عمله حتى صدر الأمر السامي بتعيينه سفيراً للمملكة لدى جمهورية باكستان الإسلامية بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٣٧٧هـ، (١٣/ ١١/ ١٩٥٧م).

وخلال عمله الطويل بالبصرة، قدّم العديد من الخدمات لوطنه ومواطنيه ومواطني الدول العربية والإسلامية مما يصعب حصره، ويكفي للدلالة على نجاحه وتوفيقه في خدمته أنه عند مغادرته البصرة، كان في وداعه حشد كبير من المواطنين السعوديين والمسؤولين، وقد تولى مسؤولو المرور تنظيم المرور حينذاك.

وبعد تقلده للعديد من السفارات في كل من باكستان والهند والعراق وأفغانستان وماليزيا، أحيل على التقاعد في عام ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م لبلوغه الستين عاماً وتم التعاقد معه، واستمر في عمله في ماليزيا حتى أواخر عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م حين داهمه المرض، وقد صدر أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، أعزه الله، بالاستمرار في صرف راتبه ومخصصاته إبان المرض وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.



مع عمر السقاف في بغداد (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م) وطالب شبيب وزير خارجية العراق آنذاك.

وكان خلال عمله سفيراً للمملكة في باكستان، قد تم تعيينه وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ضمن التشكيل الوزاري الذي رأسه الملك فيصل في عهد جلالة الملك سعود ـ تغمدهما الله بواسع رحمته ـ ولكنه قدم التماساً بإعفائه لأسباب صحية.

حياته العائلية: اقترن الأخ محمد بزوجته الوحيدة (والدة ابنه) موضي إبراهيم السلمان وهي قريبته من ناحية والدتها، وقد رزق منها بابنته منيرة، التي لم تعش طويلاً، وابنه سليمان، وقد توفيت زوجته بعد ولادة سليمان بفترة قصيرة، ولم يقدر الله له زواجاً آخر، رغم المحاولات التي بذلت من جانبه ومن جانب أقاربه وأصدقائه، غير أن المؤكد أنه عاش طيلة حياته أعزب عفيفاً حريصاً في مسلكه وخلقه واستقامته.

علاقته بأسرته: كانت علاقته بأهله قائمة على المحبة والحنان والتعاون والتشاور، وكان باراً بوالده مطيعاً له يتلمس كل الأسباب التي تجلب له السعادة والسرور، كما كان حانياً ودوداً مع إخوانه وأخواته وأقاربه، ولم يميّز بينهم وبين ابنه الوحيد، ولم يعرف عنه خلال تربيته لإخوانه وابنه سوى التوجيه بحزم، بعيداً عن المغالاة، فقد كان يؤثر فيهم تأثيراً قوياً



عن طريق التـوجيه والنصح، بالأساليب التربـوية التي كان يؤمن بها واكتسبهـا عن طريق المعايشة والاطـلاع العام، كما طبقها على العديـد من أقاربه وعلى أبناء الأسر الـذين أشرف على دراستهم إبان عمله في كل من العراق وبـاكستان، ممن كانت تربطه بـآبائهم روابط صداقة (ومن الأسر التي أرسلت أبناءها، أسر الشهيل والعطيشان والعبـد الواحد والمزْيد)، حيث كـان يـراقب الجميـع بحنـو وحـرص على سيرهم الـدراسي ومسلكهم الخلقي والـديني، وكـان كثيراً مـا يجمعهم ويحضّهم على اكتساب العلم والمعـرفة، وقد طبق تلك الأسـاليب على إخوانه وابنه خـلال عمله وعلى العديـد من الطلبة السعوديين، ممن كان يشرف عليهم مباشرة أو ممن قام بزيارتهم في الـدول التي كانوا يتلقون العلم فيها، وشمل ذلك أيضا الطالبات السعوديات في باكستان، حيث كان يوجد فيهـا العديد من الطلبة والطالبات في كليات الطب والكليات الفنية العسكريـة وغيرها، وكـان أكثر ميـادين حرصـه هو المواظبة على تأديـة الفروض الـدينية، بـالإضافـة إلى اكتساب العلم والمهارات والخبرة وزيارة المتاحف والآثار التاريخية.

وكـان ودوداً مع جميع أقـاربه، يتلمس كل الأسبـاب التي تـوطد العـلاقـات بينهم، فيـزورهم في منازلهم في أي بلـد يوجـدون فيه سـواءٌ داخل المملكة أو خارجهـا، كما كان يوجـه لهم الدعـوات لزيارتـه في أماكن عملـه ويشرح لهم المزايا والمنافع التي يستفيـدون منها أثناء الـزيارة، وله بـاع طويل في الإقناع بـالزيارة، وعلى استبقـاء الزائر مدة أطـول، وكان خلال وجـودهم عنده يـرسم البرامج المناسبة لـلأسرة، كل وما يتفق مع رغبـاته، وينظم الزيـارات للمحلات التجـارية بـالنسبة للنسـاء والأطفـال، مع إيضـاح الموجودات المنـاسبـة من البضـائع التي يمكن شراؤهـا للاستعمال أو الإهـداء، بالإضافة إلى تنظيم الـرحلات المختلفة ـ برية أو بحريـة ـ لإشاعة المحبة بين الجميع، وكان يـركز اهتمامه على أطفالهم بما يوفره لهم من هدايا ولعب تجلب لهم السعادة والسرور.

علاقته بالآخرين: كانت علاقتـه بالآخرين من المعارف والأصـدقاء مبنية على المحبة والتعـاون والاحترام المتبادل، سواء أكانـوا في نطاق العمل رؤساء أو مـرؤوسين أم في الحياة العامة، وقـد كتب في ذلك الكثير من محبيه وعارفيـه عبر مقالاتهم وتحليلاتهم الصحفيـة، وللأخ محمد أسـاليبه ومحاولاته المحببـة عند توجيـه الدعوة لهؤلاء لـزيارته، فهـو يطرح الكثير من القصص والمغريـات ويتحايل عليهم، بمثل إخفـاء وثائق السفر دون علمهـم وإبقائها لـديه أو الاستعانـة بالـزوجات لإقناع أزواجهن، إن كن معهم، للبقاء مدة أطول.

شخصيته: كـان الأخ محمد يتمتع بشخصيـة قويـة مهابـة وصريحة، ذات خلق رفيع، وثقافـة واسعة وطبيعـة مرحة، تتذوق النكتة وحبكها، وكان يأسر سامعيه بما يرويـه لهم من قصص وحكايات، مع تحليلات وتعليقات لطيفة، كما كان ذا قدرة كبيرة على انتزاع الحقائق عندما تروى أمامه أمـور مشكوك في صحتها، وقد أجمع الكثير من معارفه وأصدقائه على



مع محمد المنصور الزامل في زيارة لمصنع كسوة الكعبة المشرفة في باكستان (سنة ١٣٨٢هـ).

قدرته على الرواية بصورة تستقطب وتؤثر في سامعه، وتجلب الاهتمام بما يرويه، وذهب أحد أصدقائه إلى القول: إنه لو عَمِل مستشاراً «للدعاية» لنجح في ذلك قدر نجاحه في عمله الدبلوماسي.

صفاته: كان يتصف بصفات عديدة طيبة يصعب حصرها، ولكن من أبرزها ما يلي:

حبه لبلده ومواطنيه قادةً وأفراداً: وقد بادلوه بمحبة مماثلة، فقد أحب الأسرة الحاكمة الخيّرة، وكان يسعد بترديد القصص والروايات عن رجالاتها أمام مواطنيه وغيرهم، ذاكراً وبكل فخر ما أسدوه من جهد في سبيل توطيد أمن البلاد وأهلها، منذ عهد المؤسس الراحل الملك عبد العزيز، مروراً بالملك سعود والملك فيصل والملك خالد يرحمهم الله، واستمراراً بعهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أعزه الله، وسمو ولي عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز يحفظه الله ورجال الحكومة، وقد تمثلت محبة الجميع بالاهتمام الذي أحاطه به مواطنو المملكة والزيارات المتتالية أثناء مرضه بالمملكة، ثم بالاستفسارات أثناء وجوده للعلاج خارج المملكة، وتُوجت تلك المحبة من جانب القيادة والمواطنين بالسير في جنازته وتقديم العزاء لذويه، وبالمقالات والتحليلات الصحفية التي ملأت الصحف والمجلات إثر انتقاله للرفيق الأعلى.

الصبر: كان الأخ محمد صبوراً جلداً ، عاش حياته منذ صغره قانعاً وزاهداً بالمال والمنصب ، راضياً بما وهبه الله ، ولقد تعرض للكثير من النكسات الصحية والمصاعب المالية والاجتماعية ، التي تحمّلها بصبر يحسد عليه ، وكان جل اهتمامه في حياته ، رعاية الآخرين وإسعادهم ، وبخاصة أبناء وطنه ، وكان يردد القول بأنه لا يحسد الآخرين مهما علت منزلتهم الرسمية والاجتماعية والمالية ، ولكنه يغبط فئتين من الناس : من وُفّق للبِرِّ بوالديه وهو بكامل قدرته الصحية والمالية ، أو من منحه الله ملكة الشعر للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، وكان يعتز دائماً بالملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ويعتبره مثله الأعلى الذي يفتخر به ، ويروي الكثير عن مناقبه العالية في ميادين البر والشهامة والصبر والشجاعة والكرم ، ويعتبرها أمثلة راقية يجب الاقتداء بها ، وكان يتباهى بأنه تعلم الكثير من أنماط حياته في مدرسة جلالته ، التي خرّجت العديد من القادة من أبنائه وإخوانه ورجال دولته في مدة قياسية ، صاحبتها ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة .

الشجاعة والشهامة: كان شجاعاً بعقل وحكمة ، غير هياب ، إلا من خالقه العظيم في كل ما يعتقد بصحته ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها :

ـ حينما كان يعمل في إحدى الدول ، تقدمت له إحدى الأسر بشكوى مفادها أن شخصاً غـرّر بابنتهم بدعوى الحب والزواج ، ليضع أهلها فيما بعد أمام الأمر الواقع ومساومتهم مالياً على طلاقها ، وقد هرب بها براً فما كان منه إلا أن عمل على إعادة الفتاة ، منقذاً بذلك سمعتها وسمعة أسرتها مع تسليم الجاني للعدالة .

وقد قام بعمليتين مماثلتين في باكستان بناءً على استنجاد أسرتين عربيتين من الخليج ولبنان ، وقد قالت إحدى الأسر حينما طلب منها مراجعة سفارة بلادها : لا نريد أن نراجع السفارة ما دام سفير العرب موجوداً هنا .

ـ تمكن وهو في سن الحادية والعشرين من عمره ومعه أحد أصدقاء والده (في طريقهما إلى الرياض قادمين من عنيزة) من التغلب على أحد قطاع الطرق ، الذي أغرته كثرة الأمتعة مع الشيخ محمد ، ظناً منه أن في داخلها نقوداً ، ولم تكن غير عينات من التمر ، أحضرها معه لتقديمها هدايا لزملائه وأصدقائه .

ـ تمكن وبحكمة وسياسة ، من تفادي شر أربعة لصوص مسلحين في إحدى الغابات الواقعة على طريق بومباي ـ دلهي بالهند ، وكان معه صديقه الشيخ محمد المنصور الزامل الذي حضر إلى بومباي عن طريق البحر ، حيث أتى أبو سليمان لاستقباله واصطحابه براً إلى دلهي ، ولقد أغرى اللصوص على مهاجمته ما رأوه من الصفائح المرصوصة بالسيارة والتي كانت تحتوي على عينات من تمر المملكة ، وماء زمزم و«الكليجا» و«المعمول» مما أحضره الشيخ الزامل ، ولم يكن معهما غير السائق الهندي ، الذي طلب منه أبو سليمان أن يتولى الترجمة مع اللصوص ، لدعوتهم لتناول المرطبات وتذوّق

ما معه، حيث تم فتح العلب عند ذلك وإخراج نماذج منها، قُدّمت لهم، وبعد التلطف معهم شكروا وأسفوا لما بدر منهم ونصحوه ألا يعرض نفسه وصحبه لمثل ذلك، فالغابات ملأى بمثلهم، وأن من الأحسن الاستراحة داخل الاستراحات الحكومية، وعندها شكرهم وقدم هدية نقدية لأسرهم، فما كان منهم إلا أن أظهروا احترامهم له وفق الطريقة الهندية، ولم يتركوه وصحبه إلا بعد مغادرتهم الغابة.



في البصرة مع مجموعة من أصدقائه ومنهم، عبد الله محمد البسام وصالح الشملان وعبد الكريم الزامل.

- كان يتجول كثيراً في المناطق الإسلامية للتعرف على أحوال المسلمين، وفي إحدى زياراته قامت الحرب بين باكستان والهند، وأعلنت على أثرها حالة الطوارئ، ومنع التجول في مناطق التوتر، ومنها مناطق الحدود التي تبعد عن العاصمة قرابة الألف كيلومتر، وكان قد قدم إليها براً، فأصرّ على العودة إلى دلهي غير أن المسؤولين اعتذروا له، ووعدوا بالسعي لإحضار طائرة مروحية لإعادته، ولكنه تمكن من إقناعهم بصعوبة، ووصل بأمان إلى العاصمة مقدماً للمسؤولين فيما بعد شكره على حرص ممثليهم في مناطق الحدود على سلامته.

- في يوم ١٠/ ١٢/ ١٣٨٥هـ (١/ ٤/ ١٩٦٦م) صباح عيد الأضحى المبارك، قامت في دلهي جمهرة من الطلاب اليمنيين الذين كانوا يتلقون تعليمهم هناك بمظاهرة أمام منزله، وكان من عادته إقامة الولائم في الأعياد، حيث يدعى لها كامل أعضاء السفارات العربية والإسلامية وعوائلهم مع الجاليات السعودية والعربية، وبعد السلام على ضيوفه وتهنئتهم خرج إلى الشباب وهنأهم بالعيد وأصر على دعوتهم لتناول طعام العيد، مؤكداً لهم أن تلك المناسبة هي للتآلف والمحبة وليست للعداوة والتباعد، وأنه لن يرضى أن يتناول الضيوف الطعام وإخوانهم خارج المنزل، وقد قبلوا الدعوة وشاركوا الجميع الوليمة ولم يخرجوا إلا بعد مغادرة المدعوين، وبعد أن أبلغوه بدوافع المسيرة ومَنْ وراءها، وقد شكرهم على ذلك، وقدم لهم الهدايا بمناسبة العيد واعداً إياهم بالمساعدة مستقبلاً، مع تقديم النصائح لهم بالتركيز على ما قدموا من أجله،

وقد أصبحوا فيما بعد أصدقاء للسفارة وأعضائهـا، محبين للمملكة، بعد أن صحح منهجهم وصاروا يرتادون المناسبات الرسمية والشخصية التي يقيمها، وقد أوضح لزملائه أنـه لو تم استدعاء الأمن لكتبت الصحافة عن الحادث، وهذا جل ما يتمناه المحرّض على المسيرة، لإكسـابها زخماً إعلامياً، وقد رد على ذلك الأستاذ عمر أبو ريشـة، سفير سوريا في الهند - يرحمه الله - قائلاً: سبحان من وهبك الخلق والشجاعة وهدوء الأعصاب.

- أثناء وجوده في أمريكا عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، لإجراء بعض الفحوصات الطبية في مدينة شيكاغو، أكد له أحد أطباء القلب المشهـورين أنه قـد لا يعيش إلا بضع سنوات، فقابل ذلك بـالاستسلام لما يقـدره الله له، وعلى أثر خـروجه استأجر سيـارة، لمشاهدة معـالم المدينة، وعلم من السـائق أنه قد أسلم حـديثاً، وأثنـاء الاستراحة لتناول الغـداء، سأله السـائق: إذا كـان الإسـلام يعترف بنبـوة عيسى عليه السـلام فلماذا يحرّم الإسـلام المشروبـات الـروحيـة؟ ولماذا لا يسمح للمسلمين بتأدية الصلوات الخمـس مجتمعةً؟ ولماذا يطالب المسلم بالاغتسـال لكل فرض؟، عندها رد الأخ محمد بـإجابة تتفق ومدارك الرجل، بصفته حديث عهد بالدخول في الإسلام قائلاً له: هل لازلت تتناول الخمر؟ فقال: نعم، فقال له: كم يكلفك ذلك؟ وما هـو دخلك اليومي ما لم تكن مـالك هذه السيارة؟ وكم سـاعة عمل تؤديها يـومياً؟ عندهـا أجاب السائق أن المشروبـات تكلفه أربعة دولارات في الليلـة وأن دخله اليومي ستة دولارات وعملـه اليومي عشر سـاعـات كحد



زائراً محمد علي زينل في بومبي بالهند (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م)

أدنى، فرد عليه الشيخ محمد مؤكداً أن الحكمة في تحريم الخمر هي المحافظة على عقل المسلم وماله وأعضاء جسمه، وأنه لو حصل له ضرر في أحد تلك الأعضاء مثل الكبد والكلى، فإنه سيضطر للصرف على نفسه لغسل الكلى ثلاث مرات في الأسبوع، وبذا يحرم نفسه وأسرته المكونة من والدته وزوجته وطفليه من المال بصفته العائل الوحيد لهم، أما الحكمة في تأدية الصلاة بأوقاتها والاغتسال لها فهو راحة شخص كادح مثله، إذ يقوم بالاغتسال لينظف أعضاءه الخارجية بعد عناء ساعات من العمل، ثم يصلي، وهذه عبارة عن حركات رياضية وذهنية تجدد نشاط جسمه وإيمانه وتجعله على صلة بربه، وتريحه من العمل المتواصل المصحوب بالتركيز الذهني أثناء القيادة.

ولقد تأثر هذا الأخ المسلم بما سمعه عن بساطة الإسلام وحكمته وحرصه على مصلحة المسلمين، وعند وداعه له في المطار قال له السائق: لماذا لا يوضح الإسلام للآخرين بمثل طريقتك ليدخل فيه جميع سكان أمريكا؟ إنني أعاهدك بألا أتناول الكحول مرة أخرى وأن أودي الصلوات في أوقاتها.

- وهناك قصة حدثت إبان عمله في الديوان الملكي تؤكد عدل الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه -، فبينما كان الشيخ محمد يعرض الأوراق في مخيم جلالته، وكان الشيخ محمد قد تأثر بإحدى الرسائل المرفوعة من مواطن من عسير يلتمس فيها من جلالته الأمر على ممثله بمنطقة عسير، لإعادة التحقيق في جريمة القتل المتهم بها لأنه بريء منها، غير أن جلالته قال: يمكنه الاتصال بأمير المنطقة لأنه الأدرى بظروف الحادث والقادر على مفاتحة القاضي بالأمر، فامتثل الشيخ محمد للأمر ولكنه، وفي قرارة نفسه، قرر أن يعيد الالتماس في اليوم الثاني، غير أن فرج الله ثم عدل جلالته كانت فيهما النجاة، فعند عرض الأوراق في اليوم التالي، سأله جلالته إن كان أرسل تعليماته لأمير عسير، فقال مجيباً: لقد أبقيت المعاملة لمراجعة جلالتكم بها، فتهللت أسارير الملك عبد العزيز وفرح حيث قال: بارك الله فيك يا ولدي، لقد رأيت الرجل في الرؤيا ليلة البارحة وهو يستنجد بي، لذا ابعث برقية للأمير بطلب التحري وإعادة التحقيق، وقد تم لجلالته ما توخاه من عدل حيث عثر على الجاني وتم إطلاق سراح الأول.

- وكان الأخ محمد شهماً يؤثر على نفسه في كل شيء، دونما تفرقة بين جميع الفئات والجنسيات، وقد تمثلت شهامته في مواقف إنسانية متنوعة وكثيرة في المملكة والبلدان التي عمل فيها أو زارها، مثل رعايته الدائمة لبني وطنه والمساندة الدائمة للمحتاجين والوقوف مع المظلومين نتيجة لوقوعهم في أخطاء نظامية دون قصد، وذلك بالتوسط لدى المسؤولين داخل المملكة أو خارجها.

وكان لشهامته أثرها الكبير في استقطاب عدد من الناس في الهند وماليزيا للدخول في الإسلام تأثراً بها وبشخصه وقدرته على عرض الإسلام بصورة تتفق وإمكاناتهم الفكرية.

مقدرته السياسية: كان الأخ محمد على جانب كبير من الوعي والإلمام بقضايا وطنه والأوضاع العربية والإسلامية والدولية، لاطلاعه الواسع الناتج عن شغفه منذ صغره بالقراءة والاطلاع، وحبه لسماع المناقشات والحوارات المختلفة والاشتراك فيها، وقد مكنه ذلك من إقامة أرضية واسعة من المعرفة وتكوين صداقات مع جنسيات مختلفة، فكان على إحاطة شاملة بالنواحي الدينية و السياسية والعسكرية والاجتماعية في البلدان التي عمل فيها أو زارها، كما كانت له علاقات وطيدة بشخصياتها، وفي عهودها المختلفة، فمثلاً كان على علاقة جيدة بكبار الشخصيات العراقية في العهد الملكي ثم في العهد الذي تلاه، فالرئيس السابق أحمد حسن البكر كان يحرص على إطالة بقائه لديه عند استقباله لأي سبب، للاستزادة من المعلومات التي يعرفها عن القبائل في العراق والجزيرة والشام، وكذلك لسماع الأحاديث عن أحداث الجزيرة؛ لأنه كان شغوفاً بذلك، وقد قال له الرئيس الباكستاني أيوب خان في أحد استقبالاته له: أنت يا سعادة السفير أجمل هدية قدمتها المملكة الشقيقة لنا لسجاياك الطيبة، وخاصة فيما يتصل بحسن استقبالك للضيوف من العرب والمواطنين، وفي الهند كان السفير الوحيد الذي أذنت له رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي بزيارة أسد كشمير الشيخ عبد الله في المناسبات الدينية، إبان تحديد إقامته في دلهي، كما كانت له علاقات قوية مع قادة أفغانستان ورجالها البارزين، إبان عمله هناك، وكذا الحال مع ماليزيا، فلقد كانت له علاقات متينة مع قادتها، وقد منح عدة أوسمة رفيعة من الملوك الذين تناوبوا إبان عمله هناك، وكذلك سلاطين الولايات، كما أتاحت له هذه العلاقة إدراج دعواته لرؤساء الدول الذين زاروا ماليزيا ضمن البرامج المعدة لهم، مثل سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح والملك حسين وياسر عرفات، وكان يسعد بذلك لأنه يعتبر الأمر تكريماً لبلاده وقادتها، وحين وقوعه أسيراً للمرض تلقت أسرته الكثير من الاستفسارات الهاتفية عن صحته من العديد من الشخصيات البارزة في الوطن العربي، وغيره، من أمثال رئيس جمهورية سنغافورة ورئيس وزراء ماليزيا، الذي زاره أيضا أثناء تلقيه العلاج في النمسا، إضافة إلى استفسارات السفراء الأجانب والعرب الذين زاملهم في عمله الدبلوماسي.

ثقافته ومعلوماته التاريخية: كان الأخ أبو سليمان على اطلاع واسع ومعرفة بالتاريخ والأشخاص والمواقع، وقدرة على التحدث فيها وعنها، وأهمها اطلاعه الواسع على تاريخ المملكة منذ توحيد مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - لها والقادة من أبنائه الذي خلفوه، وكان يجدها متعة عند التحدث عن تاريخ الراحل الكبير، وإنجازاته العظيمة، والصفات التي كان يتحلى بها، وأنه يماثل القادة المسلمين الكبار في عدله وخلقه وشجاعته وحنكته، معتبراً أنه مثله الأعلى بكل صفاته الممتازة، ولقد استوعب الكثير من القضايا وظروف دولها وكتب العديد من التحليلات السياسية والعسكرية والاقتصادية، كما كان على معرفة واسعة بمدن المملكة وسكانها بالإضافة إلى معرفته الكبيرة بقادة دول الخليج وسكانها.

حبـه للعلم : كـان الأخ أبـو سليمان محبـاً للعلم، مشجعــاً لــه، وقــد تمثل ذلك في حرصـه على زيارة الطـلاب والطالبـات، في الـدول التي عمل فيهـا، وتقـديم النصـائح لهم، والتشجيع على التحصيل العلمي، مع بذل المساعدات الماليـة والعينية، لتوفير الجو المريح الذي يساعدهم على التحصيل، وقد تبـوأ العـديـد منهم بعـد التخـرج منـاصب قيـاديـة في مختلف الحقـول، وكان حـرصـه الـدائم عليهم يماثـل حــرصــه على ابنــه وإخوانه.



بين أخويه عبد الله وعبد الرحمن.

ولقد سعى جـاهداً لـدى حكومـة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـد العزيز أعــزه الله، لـدعم فكــرة إنشـاء الجامعــة الإسـلامية العـالمية بماليـزيا والتي تـوجت، بفضل من الله، بـالظهـور إلى حيز الـوجـود نتيجة للـدعم السخي المتوالي لها مـن المملكة ماليـاً وعلمياً، وأكمل اهتمامه بها بإهـداء حزام الكعبة وثوب بـابها اللذين كان يحتفظ بهما وينقلهما معـه أينما ذهب، وقد قدمتهما للجامعة ـ بناءً على رغبته ـ أثناء مرضه الأخير وهو في المملكة.

حرصه على زرع الصفات الخيرة في ابنـه وأبناء إخوانه: وكان الأخ أبو سليمان حريصاً على تلقين ابنه وأبناء إخوانه حب الكرم والعنـاية بالآخرين منـذ نعومة أظفـارهم، لكي يتطبعوا بتلك الصفات الكـريمة، وكان يردد دائما القـول : إن يده التي تنفق أحب إليه من اليد التي تمسك، وعنـدما طلب منه أحد إخوانه ذات مـرة أن يخفف من الإنفاق أجابه مبتسماً : إن التاريخ يعيد نفســه، فقد وقف مرة الموقف نفسه مع والـده وطلب منه الاقتصاد في الإنفاق لقلـة الموارد آنذاك، غير أنه تلقى رد والده باللهجة البسيطة قائلاً : «وش دعوى يا ولدي هالشده على الدنيا، الله لا يميتك فقير».



قلة نومه وحبه للمسامرة والنكتة: كان الأخ محمد ينام قليلاً وفي آخر الليل ؛ لأنــه كان يحب المسامرة وتبادل الأحاديث وسماع الروايات المتنوعـة والشعر بنوعيه : الفصيح والشعبي ، وبخاصـة ما يتناول منه الشيم العربية والإسـلامية ، وتزخر مكتبته بكثير من الكتب والدواويـن ، وكان يتذوق النكتة ويحبكها ، ويبتكـر «المقالب النظيفة» لأصدقـائه وأقاربه ، ومن عاداته القديمة ، الاستسلام للنوم عند تنقله بسيارتـه أثناء تحركاته الكثيرة ، غير أنه مهما طال سهره في الليل فإن من عادته الاستيقاظ مبكـراً ، وكان عند سماعه للنصح بضرورة الـراحة وتنظيم فتراتها يردد قـول الشاعر : «فما أطال النـوم عمراً ولا قصر في الأعمار طول السهر» .

تسامحه وحبه المجاملات: كان الأخ محمد مجاملاً بصـورة مستمرة ، وكان يسعده كل ما يجلب السعادة لـلآخرين ، وكان متسامحاً ، ومتجاوزاً عن الأخطاء ، وقـد عاش حياته لإسعاد بني وطنه وغيرهم من الضيوف والـزوار ، ومن كافة الجنسيات والفئات ، حيـث كان يستقبلهم ويودعهـم غير عابئ بما يكابـده من جراء ذلـك ، ليلاً كان ذلك أم نهاراً ، كما كـان يقيم الدعوات المستمرة وينظم الـرحلات لهم ، ويشارك فيها كلها ، إن لم يمنعه عـرض رسمي ، كما سعى عبر حياته وفي جميع مناصبه إلى تـوجيه الدعوات للشخصيـات ، من كافة الحقول لـزيارة بلده ، يحلون فيهـا ضيوفاً معززيـن على حكومتها ، سواء أكانت الزيارة للاطلاع أو العمرة أوالحج ، تغمده الله بواسع رحمته .

عبد الله الحمد الشبيلي	١٤١٤هـ
الرياض	١٩٩٤م



إن لله أناساً اختصهم بقضاء حوائج الناس

بقلم :

الأستاذ عبد الله العلي النعيم [1]

الرجال كنوز وصناديق مقفلة ، لا يتسنى للمرء أن يكشف عن مكنونها إلا بالمعاشرة والمخالطة ، ومن الرجال من يدلك إلى الله مقاله ، وتوزن بميزان الجواهر أعماله ، إذا رأيته ارتاح قلبك إليه ، وإذا جالسته انزاح همك وزال كربك ، وإذا قصدته لقضاء حاجة رأيت لديه تحمساً وإقداماً ، قد لا تجده وأنت صاحب الحاجة في نفسك ، يتمثل في أخوّته بقول الإمام علي كرم الله وجهه :

«إن أخاك الحق من كان معك ، وضر نفسه لينفعك ،
ومن إذا ريب الزمان صدعك ، شتت نفسه ليجمعك»

والرجال من هذا الصنف قليل ، قلّما يجود الزمان بأمثالهم ، ومن حسن الحظ أننا أدركنا عدداً منهم ، أساتذة وأصدقاء ، فتعلمنا منهم الكثير ، وتمنينا لو احتذى الجميع حذوهم ، ونسجوا على منوالهم ، من قبيل قول الشاعر :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

من هؤلاء الأفذاذ ، أهل القدوة والأخلاق الحسنة ، كان الأخ والصديق والحبيب الشيخ محمد الحمد الشبيلي (أبو سليمان) ، يغفر الله له .

فقد كان سيرةً مشرفة ، وأخلاقاً عالية ، وكرماً غير مألوف ، وإحساناً وحسنات لا تفرق بين القريب والبعيد ، ولا بين الوجيه وغيره ، كل ذلك كان ينبع من نفس صادقة راضية ، وعن طيب خاطر وقلب عطوف ، بل إن الإحسان والحسنات منه كانت لا تطلب ، ولكنها تدق الباب ، تبحث عن المحتاج ، وتواسي المكلوم . فكان ممن قال فيهم الرسول الكريم ﷺ :

«إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس ، حببهم إلى الخير ، وحبب الخير إليهم ، هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة» .

ولو أردت أن أعدد حسناته أو أن أسرد مناقبه وكريم أخلاقه لما اتسع المجال لذلك ، ولكن إلقاء نظرة على الوداع الذي حظي به عند تشييعه إلى مثواه الأخير من المقيمين في مدينة الرياض والذين جاؤوا من خارجها وخارج المملكة ،

---

(١) من أبرز رجال التعليم والإدارة في المملكة ، أسهم في تأسيس أول مدارس عنيزة وعمل مديراً للتعليم في الرياض وأميناً عاماً لجامعة الملك سعود وأميناً لمدينة الرياض ، يتولى حالياً الإشراف على عدد من أوجه العمل الاجتماعي والثقافي والتنموي في المملكة .



يصافح عبد الله العلي النعيم في بغداد في حدود عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

يكفي ليحكي قصة الراحل الكبير ومكانته المرموقة وحب الناس له.

لقد ترك ثروة لا تقدر بثمن، ولا توازيها ثروة المال مهما كبرت، ترك السمعة الحسنة والذكر العطر والسلوك المشرف، وأسر الجميع برفيع الأخلاق وعمل المعروف وكريم الطباع وواسع الكرم والجود.

فقد قال ﷺ :

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وها هو أبو سليمان يحوز المكارم الثلاث مجتمعة، فطوبى له في جنات النعيم جزاء ما قدم لدينه ووطنه وأهله وذويه.

إن الحديث عن أبي سليمان له جوانب متعددة، فالرجل ليس رجلاً عادياً له صفة حميدة واحدة أو صفتان يستطيع من يكتب عنهما أو عن أحداهما أن يفيهما حقهما.

أبو سليمان كان شخصية فريدة، يمتاز بصفات عديدة، قليلة الوجود في زماننا هذا، صفات جمة حميدة، رفيعة راقية قل أن يجتمع بعضها في شخصية واحدة، فكيف إذا اجتمعت في هذا الإنسان خصال كثيرة، كل واحدة منها تحتاج إلى حديث خاص، كحسن الخلق وطيب المعشر، وحلاوة اللسان، وصدق الحديث، والمحبة، إنه يطبق في هذا القول المأثور: « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بحسن الخلق ».

هل هو الكرم ؟ نسمع كثيراً عن كرم حاتم الطائي وغيره من الأفذاذ ولكننا لم نشاهد ذلك ، وإن كان ذلك حقيقة ، فما تناقله الرواة وأجمعوا عليه يصبح حقيقة ناصعة ، ولكننا عشنا كرم «أبو سليمان» وشاهدناه عن قرب ، إنه إكرام الضيف أياً كان ذلك الضيف ، فالكرم عند شيخ الكرماء لا يقدم لصديق أو قريب فحسب ، بل لكل من صادقه أو زاره أو حل ضيفاً عليه ، أو حتى لكل من راجعه في أمر من الأمور.

وهو عطوف وحنون ، صادق العطف والحنان .

وهل هو الوفاء لأهله ووطنه وبني قومه وكل من تربطه به صلة ، قريباً كان أو بعيداً ؟ .

إن وفاء أبي سليمان مضرب للمثل سارت به الركبان ، وهو محب لوطنه حريص على سمعته ، أمين في أداء واجبه نحوه ، لا يترك فرصة إلا ويبرز فيها محاسن هذا الوطن ، بل إنه كان يختار المناسبات التي تعقد عنده ـ وهي كثيرة ـ لكي يعرض على ضيوفه نماذج من حسنات الوطن ، وتقدمه وطموحاته ، وسعي دولتنا الرشيدة لإسعاد شعبها وعونها للآخرين .

هل نتحدث عن جرأته في الحق ، وشجاعته في قول الصدق ، وحرصه على تبيان الحق ، أو أخذه بيد أولئك الذين ضُلّل بهم وخدعتهم الدعايات ، فهو يبذل ما بوسعه ليعيدهم إلى الصواب ، ويدلهم على جادة الحق ، ويحبب وطنهم إليهم ، ويحببهم إلى وطنهم بطريقة تجمع بين حنان الأبوة وخوف الأب على أبنائه ، متمثلاً قول الله عز وجل :

﴿ وجَادِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَن [1]﴾ .

وقوله :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [2]﴾ .

فإذا الذي غُرر به يعود ، وإذا الذي أخطأ يعتذر ، وإذا الذي كان شاكاً يستيقن .

كان أباً للطلاب الذين كانوا يدرسون في الدول التي عمل فيها ، يزور المدن التي يوجدون فيها ، وكان أخاً ، وكان صديقاً ، كان قريباً من القلوب ، وكان حفياً بالجميع ، يزور الطلاب في أماكنهم حتى لو لم يكونوا في البلد الذي يمثل الدولة فيها ، وكان يطلب إليهم زيارته ، ويقضي معهم الساعات الطوال ، حتى يخرجوا ، وهم يحمدون الله على أنهم ينتمون إلى وطن ينجب أمثال أبي سليمان .

وكان يدرك بثاقب بصره ونافذ بصيرته أشياء كثيرة لا يدركها الكثيرون ، فقد كان فذاً في سلوكه وتعامله .

أعرف أن كثيرين كتبوا عنه ، وعددوا كثيراً من صفاته ، وإنني سوف لن آتي بالجديد ، لكنني سوف أذكر حادثة أو حادثتين تدلان على ما كان لهذا الرجل من قدرة على حل المشكلات ، ولما كان لتصرفاته من أثر طيب على سمعة بلادنا :

(١) سورة النحل ـ الآية ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٩ .

ـ كنت مرة في بغـداد ـ وكـان سفيراً للمملكة فيهاـ أبحث عن أسـاتذة لجامعة الملك سعود ، و كانـــت الجامعة قد كاتبت أستاذاً عربياً لأحد الأقسام بكلية الهندسة يعمل في إحدى الجامعات الألمانية ، وبعد أن اقتنعت الجامعة بمؤهلاته وخدماته وافقت على التعاقد معه وأرسلت له خطاباً بذلك ، فقام الرجل وصفّى شؤونه في ألمانيا واستقال من عمله ورحل بعائلته إلى بلاده تمهيداً للحضـور إلى الرياض ، وكان رجلاً فاضلاً له عائلـة كبيرة ، ولعل أهم عامل جعله يترك ألمانيا أنه كان يريد أن تنشأ بناته وأولاده في بلد عربي إسلامي ، فكيف إذا كان ذلك البلد هو المملكة العربية السعودية .

وفي تلك الأثنـاء طـرأت ظروف سيـاسيـة أدت إلى وقف تأشيرات الـدخول لحاملي تلك الجنسيـة ، فأسقط بيـد ذلك الأستاذ فحضر إلى بغداد ، وشرح لي مـوقفه الحرج ، وقد ترك الجامعـة التي كان يعمل فيها ، فكيف يعود إليهـا ؟ ثم ماذا يكون موقفه تجاه أسرته ، حقيقةً إنه موقف حرج بالنسبة له وأكثر إحراجاً بالنسبة لي ؛ لم أعرف ماذا أعمل ، خصوصاً وأنه رجل فاضل ، سمعتـه طيبة وتخصصـه نادر ، وعرف أبـو سليمان بالموضوع فسألني هل أنتم بحـاجة إليـه ؟ ، قلت له نعم وبحاجة ماسة ، فقال : أنا أعطيه تأشيرة فقلت له : بـارك الله فيك ، ولكني أريد أن تقابله شخصياً لتكون مطمئناً إلى أنه يستحق مثل هذه الخطوة الجريئة ، فهو من جنسية أخرى ولا علاقـة له بسفارتنا في بغداد ، لكن الشيخ محمد ، ببعد نظره وبثقته بالله وبصدقه في تمثيل بلده ثم بمعرفتـه بحاجة البلاد إلى المؤهلين الطيبين ، أدرك أن الرجل لا ذنب له وأن الظروف السيـاسية سحـابة صيف لا تلبث أن تـزول ، وقد حضر الأستـاذ إلى المملكة واشتغل في الكليـة إلى أن تقاعـد ، وبقي في المملكة بعد ذلك .

ـ وفي مرة أخرى ، كنت في بغداد وأخبرني أنه ذاهب إلى الموصل لمناسبة من المناسبات ، أظنها عطلة الربيع ، فإذا به قد هيأ حقائب كثيرة ، فقلت : ما هـذا يا أبا سليمان ؟ قال : إنها ملابس تقليـدية لزوجات السفراء الأجانب ، أريـد توزيعها عليهم ليحتفلوا بالربيع وهم بالملابس التقليدية العـراقية ، لا شك أن ذلك سوف يترك انطباعاً «جيداً» لدى جميع السفراء نحو المملكة .

ـ غير هذه كثير وكثير جداً مما يصعب جمعه ، ولكنني أعتقد أن في مقدمة ما تسجله ذاكرتي عنه جهوده البارزة في تأمين المخطوطات النادرة في بعض الدول التي عمل فيها وتوفيرها لبعض الجامعات السعودية .

يرحمه الله ويجزيه ، بإذنه ، لقاء ما قدم لوطنه ومواطنيه ، ولأمته الإسلامية .

المحرم ١٤١٤هـ　　　　عبد الله العلي النعيم

يونيو ١٩٩٣م　　　　الرياض



الفصل السادس

أبو سليمان بأقلام عارفيه

(مقالات وتحقيقات)

يهدف هذا الفصل في المقام الأول إلى التسهيل على القارئ الكريم، للاطلاع على بعض ما كتب عن الشيخ محمد في الصحف والكتب، خلال حياته، أو أثناء مرضه، أو بعد وفاته، يرحمه الله.

كما يهدف إلى تحليل بعض تلك الكتابات بغرض استكمال الصورة، التي بسطتها في الفصول السابقة عن «حياته»، وعن «شخصيته ومآثره»، من خلال رؤية الآخرين عنه.

ولا بد من الإشارة إلى أنه عند تحليل تلك الكتابات برزت الملاحظات المهمة الآتية :

١ ـ أنها رصد لمقالات نشرت في الغالب في المملكة العربية السعودية ، فلم تجر بعد محاولات جادة للبحث عما نشر عنه في الخارج ، سواء في البلدان التي عمل بها أو في غيرها ، وسواء في ثنايا الكتب أو المجلات والدوريات أو الوثائق .

٢ ـ أن معظم تلك الكتابات التي وُثّقت ، حتى الآن ، كتب معظمها في السنوات القليلة التي سبقت وفاته ، أو أثناء مرضه الأخير أو بعد وفاته .

٣ ـ بلغت نسبة ما كتب عنه قبيل وفاته بسنوات ، إلى ما هو متوافر عنه ، حتى الآن ـ حوالي ٢٠٪ كان أكثرها أثناء مرضه الأخير عندما أحضر إلى المملكة للعلاج .

٤ ـ بلغت نسبة القصائد والأشعار التي نظمت فيه إلى ما هو متوافر عنه ، حوالي ٣٠٪ من مجموع ما كتب فيه .

٥ ـ هناك مجموعة كبيرة من الأخبار، التي استبعدت من هذا العرض بسبب كثرتها، وهي :

ـ أخبار دورة آسيا لكرة القدم في ماليزيا ، ووفد الشباب السعودي إلى ماليزيا .

ـ أخبار علاجه في المملكة أثناء مرضه الأخير.

ـ أخبار التعزية به .

٦ ـ أن بعض الكتّاب قد كتبوا عنه أكثر من مقال واحد .

٧ ـ أن أغلب تلك الكتابات كانت خواطر شخصية تتحدث بشكل خاص عن مكارم الأخلاق لديه ، وفيما عدا مقالين أو ثلاثة حاولت تسجيل سيرته وتقديم ترجمة لحياته ، فإن البقية كلها تركزت على الإشادة به بصفته سفيراً ناجحاً وعنصراً كريماً سخيًّا من أبناء هذا الوطن .

ولقد أشرت في مقدمة الكتاب إلى أن هذه الدراسة تكشف عن نقص في المعلومات المتوفرة عن سيرته ، وفي غالب ظني أن ما توافر من كتابات عنه (بلغ مجموعها حوالي مائتي مقال أو بحث أو خبر أو تحقيق أو

قصيدة) قد لا تزيد نسبتها على ٦٠٪ مما نشر عنه، ويكفي أن يقال إن المعلومات عن فترة عمله في العراق التي تصل في مجموعها إلى أكثر من عشرين عاماً، والتي تعد في تقدير الكثيرين، من أهم فترات عمله في الخارج وأعمقها أثراً في حياته، لا تزال محدودة، رغم توافر عدد من الأقارب والأصدقاء والزملاء الذين عملوا معه، فهم يستفيضون في الإشادة بكرمه ولطفه، ولكنهم لا يقدمون معلومات مفصلة عن جوانب أخرى من حياته، بما يساعد الباحث على التحليل والتوثيق.

وعلى كل حال، فإن الأمر يتوقف كثيراً في مثل هذه الأحوال، على ضرورة توافر الباحث، الذي يستطيع أن يتبع منهجية مرنة تجمع بين تسجيل الخواطر والذكريات، وبين الأسلوب الأكاديمي في البحث والتحليل واستنباط المعلومات.

وبصفة عامة فإن ما يتوافر ـ مدوناً ـ عنه خلال فترة عمله التي امتدت ما يقرب من ستين عاماً (من عام ١٣٥٠هـ حتى وفاته عام ١٤٠٩هـ) إنما هي مادة محدودة جداً، ولا تتناسب مع مكانته في المجتمع السعودي والخارجي، ومع خدماته وتاريخه، وترجع أسباب قلة ذلك إلى عدة أمور منها: أنه عمل في الخارج وفي عدة دول عازفاً عن الأضواء، وأن جهداً لم يبذل أثناء حياته لحفظ ما يتصل بتاريخ حياته، كما أن أرشيف الأجهزة الرسمية ليس مصنفاً وفق الأشخاص، إذ لا بد من العودة، لمثل هذه الدراسة، إلى عدة جهات حكومية، كما أن أرشيف وسائل الإعلام السعودية لا يحفظ عنه إلا النزر القليل جدا، بسبب وجوده خارج المملكة.

وقد ورد في كشاف المواد المنشورة في آخر الكتاب رصد كامل لكل هذه المواد، والمطبوعات التي نشرت فيها، وأرقام أعدادها وتواريخها، إلى آخر ذلك من المعلومات (البيبليوجرافية).

من يتصدى لتاريخ هذا الرجل؟ :

وبما أن هذا الكتاب هو محاولة لتسجيل تاريخ هذا الرجل الإنسان، وتدوين مآثره وجمعها، فإن العديد ممن كتب عن الشيخ محمد في هذا الفصل، قد دعا إلى ذلك، كما سيتبين من بعض المقالات، إلا أن من أوضح تلك الكتابات، هذا المقال الذي كتبه الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل المعمر عام ١٤٠٢هـ حيث دعا إلى القيام بهذا الواجب تجاهه في شكل مؤلف، فقال:

ـ أينما تذهب تسمع عنه في منتديات الرجال، إذا ذكر الجود برز اسمه، وإذا ذكرت النخوة والإيثار والسماحة والندى قرن بها، وجاء المتحدث على ذلك بدليل، كل من خرج من المملكة وزار البلاد التي مثّل المملكة بها له معه قصة تروى، أو حكاية تتلى، أو طرفة تعجب السامعين، ومن يعرفه يؤمّن على ما سمع، ويزيدك معلومة جديدة على ما لديك من معلومات، ومن لا يعرفه يذهل لما يسمع ويقلّب البصر في المتحدث، للطفل والعاجز موقف، الناس والأجيال تتحدث بها وترويها، والسامعون لها بين مصدق: لأنه يرتوي من نهر الحقيقة، وشاكّ: لأنه يقيس بطلنا هذا بواقع هذا العصر.



وكنت أعتقد بعنصر المبالغة والتهويل فيما أسمع من الكرم العربي والمروءة والنخوة لمن لا يعرف، أما مع من يعرف فشيء قريب الاحتمال، حتى سمعت بقصص هذا الإنسان من أكثر من لسان ومن رواة أكثرهم عدول ثقات، وتقلب صاحبنا في أكثر من عمل، وتنقل في أكثر من بلد، فما زاده الارتفاع في سلم الوظيفة إلا تواضعاً وسماحة، ونالت يده ملايين الريالات فما ادخر منها شيئاً لنفسه، بل كان ينفقها ذات اليمين وذات الشمال في أعمال البر وصلة الناس وإكرام الوافد، وإعانة المحتاج والتوسيع على المضطر، وإطعام القانع والمعتر.

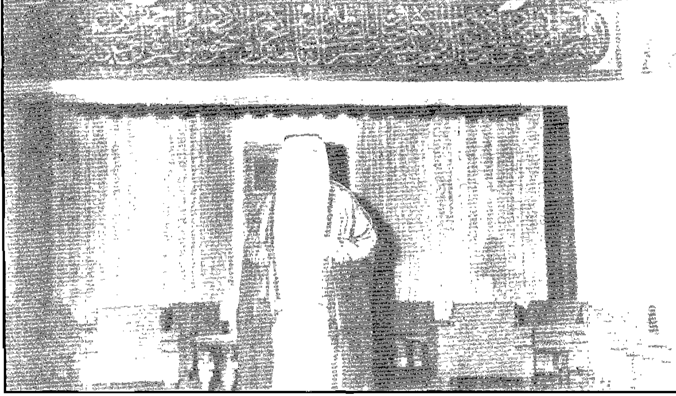
يا أعزائي القراء: لا تظنّوا ما أقوله ضرباً من المبالغة، بل إنه حق، لم أزره في البلدان التي عمل فيها، ولم أسعد بلقياه إلا في المملكة هنا، لكنّني استهولت ما سمعت عنه طيلة سنين، وأنا أستمع وأجمع في الذاكرة، فإذا ما أسمع كثير كثير، إنه النسخة المفقودة في تمثيل شيم العرب ومكارمهم في الوقت الحالي، وستكون مادة هذا السفر الناصع حديثاً شيقاً لسمار الليالي وطلاب العلا والمكارم، نعم، يجب أن تُكتب مثل هذه الظاهرة ويُؤرخ لها ويجري تتبع مسار حياتها، لقد أتعب من معه ولسوف يتعب من سيأتي بعده.

ـ ثم عقّب الأستاذ المعمر على ذلك في مقال آخر، بعد وفاته، قال فيه:

لقد طالبت في مقالة نشرتها عن فقيدنا في حياته، طالبت الذين عرفوه أكثر مني بتدوين هذه المواقف وتسجيلها

ورصدها ليتكوّن منها سفر جليل، نعم: من يتصدى لتاريخ هذا الرجل؟ من يجمع قصصه وحكاياته؟ من يدوّن سيرته وتاريخ حياته؟ من يجمع ما قيل فيه من شعر أحسبه كثيراً ولكن لا يعلمه إلا القلائل؟

هذا مقال حزين في تأبين الفقيد لم أجعل منه سيرة، ولم أسق فيه نصوصاً لقصص الرجل ومناقبه، فتلك مكانها كتاب يجمع ما قيل فيه لا مقال يكتب سريعاً في الأسبوع الأول لنعيه.



الإنسان المدرسة:

وعندما كان المؤلف عام ١٤٠٦هـ ملتزماً بكتابة عمود أسبوعي هو «مساحة للتفكير» في جريدة الجزيرة، توفي فجأة أحد أفراد الأسرة (وهو الشيخ سليمان الحماد الشبيلي، يرحمه الله) المذكور بالجود والطيبة وحب الخير، ولم يكن الشيخ سليمان، مريضاً من قبل، فالتبس الاسم على بعض عارفي الشيخ محمد، فنشر المؤلف في ذلك الأسبوع مقالاً ساعد على إزالة اللبس، وكان بعنوان: الإنسان المدرسة، وفيه دعوة أيضا إلى التأليف عن سيرته:

- الشيخ محمد - الذي يرقد منذ شهرين في المستشفى العسكري بالرياض، أمده الله بموفور الصحة والعافية، لا أنفرد بالقرب منه فالكل منه قريب، ولا أنحاز عند الحديث عنه فالجميع يتفق عليه.

إنه يأتي مع الصفوة المختارة من المواطنين الأوفياء الذين تتفق المجالس، إذا ورد ذكرهم، على الثناء عليهم.

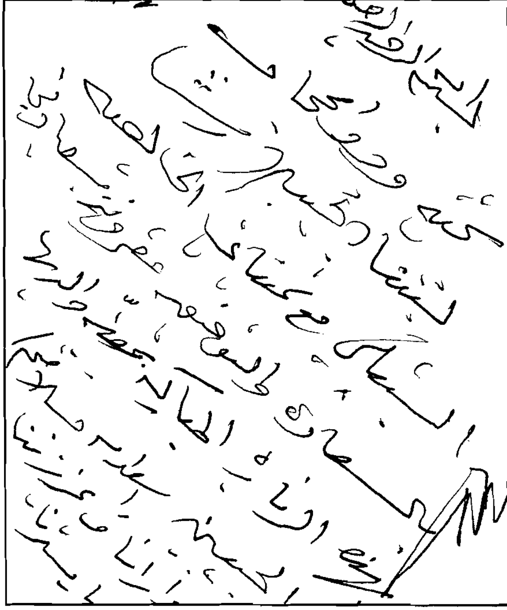
لا يكاد الحديث عنه يمل أو يتوقف، يتسارع الجميع في رواية فيض من قصصه وطرفه ومواقفه وسردها، والشيخ محمد الذي تمنعني صلة قرابتي به أن أستفيض في الحديث عنه، إنسان قمّة في كثير من القيم الرفيعة والأخلاق العالية وصلة الرحم وخدمة الناس، إلا أنه تميز بخصال ثلاث على وجه الخصوص:

١ - أنه «قدوة» في الخلق الدبلوماسي، في التعامل مع الدول وفي تمثيل بلادنا دبلوماسياً وسياسياً وإعلامياً وبمساعدة

مواطنيه في الخارج ، فأصبح رمزاً للسفير الناجح ونموذجاً في الإعلام عن دينه ووطنه وأمته .

٢ ـ أنه «أستاذ» في الـوطنية ، في رواية التاريخ المجيد لبلادنا ، وضرب المثل في الحس الـوطني ، ومعرفة القبائل والأسر والأحداث وجغرافية الوطن .

٣ ـ أنـه «رائد» في نكـران الـذات والإيثـار ، عفيف عن المناصب ، وهب نفسـه وكرّس حيـاته لخدمـة الغير و إكرامهم وراحتهم ومساعدتهم والسؤال عنهم والإحسان إليهم .



ويكتب على «أوتـوغراف» الأطفـال ، محبةً وتـواضعاً وتشجيعاً لهم «لابنة المؤلف ٢٤/ ٤/ ١٤٠٤هـ ـ ٢٧/ ١/ ١٩٨٤م» .

لقـد كتب الشيخ محمد خـلال خـدمته الطـويلة ملحمـةً وسجـلاً حـافـلاً بالمواقف النبيلـة تجاه وطنـه وأمتـه والقـريب والبعيـد ، بل وتجاوز المعقـول والحد الأمثل في كـرمـه وجـوده ، ونذر نفسه للآخـرين ، حتى سقط مريضاً ونقل إلى هنا حيث استقبلـه وطنــه ومـواطنـوه بكل الحب ، واحتضنتــه إحـدى مـؤسسـاتنـا الصحية العمـلاقـة ، التي كثيراً مـا روى ، هـو ، للغرباء عنهـا وعن تقدمها ونهضتها ، وكـان قبل هذا وذاك في رعاية الملك المفدى وكافة إخوته المسؤولين الأوفياء وعنايتهم .

لقد عـرفته منـذ نعومـة أظفاري ، وعـايشت العشرات من المواقف معـه وسمعت مئـات الـروايـات عنـه ، ولأنـه إنسـان ـ مدرسة ، فـلا بد أن يُضم مع قائمـة الرجال الأعلام الأخيـار في كتاب تقرؤه الأجيال ، لترى أن هـذا العصر وهذه البلاد في تاريخها الحديث ، قد جادت وأنجبت أمثلة متميزة رائعة في المعاني والقيم والعطاء ، تماماً كما كا نت وستظل بإذن الله .

إن هذه الكلمة القصيرة ليست لرواية قصصه ومواقفه ، ولكنها مشاركة في الدعاء له .

شفاك الله ومتعك بالصحة والعافية ، لتعود إلى من أحبك وعرفك أو سمع عنك مشرقاً كما عهدناك .

وترفّق بحالك ونفسك ، فلقد عملت ووفّيت وخدمت وأخلصت ، وضربت المثل الـرائع في خدمة المليك وفي الوطنية والدبلـوماسية والوفـاء ، وأثبتت مع النخبة المخلصة من أبنـاء هذا الوطن الغالي ، أن المواطنـة والتضحية والجود ، ليس لها زمن أو تاريخ أو حدود .

أين الكتاب؟ :

وفي مقال للأستاذ عبد العزيز محمد الذكير بعنوان : أين انتهى مشروع كتاب الشبيلي؟ ورد ما يلي :

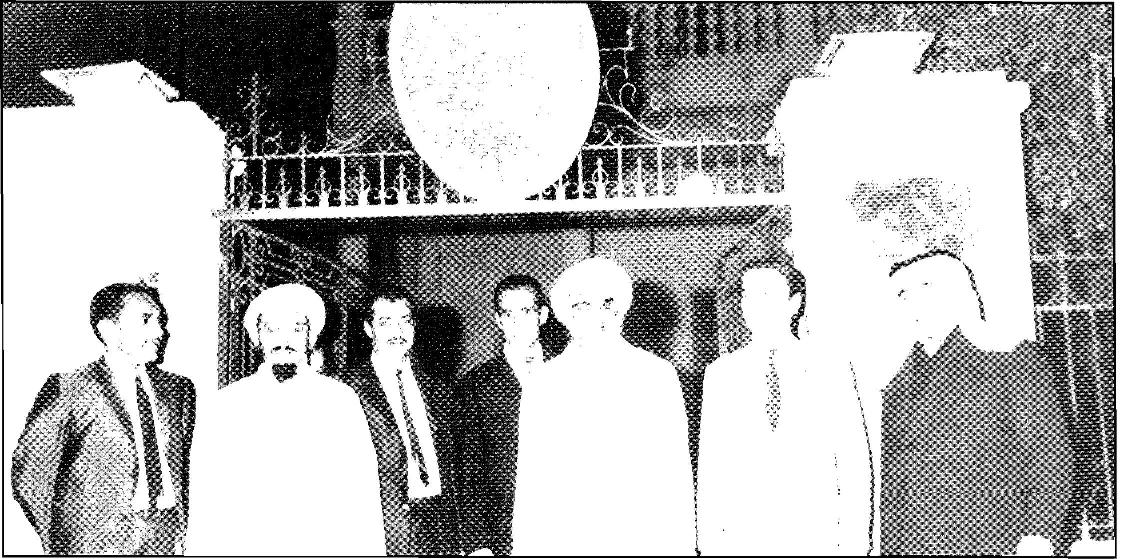
ـ يستحق رجل مثله كل كتـابة تتناول حياته وشخصيته التي تركت بصمات واضحـة في سجل أخبار الطيبين من أبناء هذا البلد الطيب، يستحق أن يكتب عنه بإيجابية صميمة.

إننا ننصف الشيخ الشبيلي لو نظـرنا إلى بساطته وطبقناها على إخـراج كتاب سيرته إلى حيز الوجود، لا تـوجد مراحل غامضة من حياته تستحق هذا العناء وهذا العمل الأكاديمي المقترح، إن سيرته متداولة على كل لسان وفي كل مجلس ولا تحتاج إلا إلى جمع وطبع وتوزيع، ليعرف هذا ما كان يجهل ويضيف ذاك إلى ما كان يعلم.

لم تكن سيرة ذلك الرجل طـلاسم أو رموزاً تحتاج أن نعصر خبرتنا وخبرة غيرنـا في فكها، كانت سيرته جـلاءً ووضوحاً نادرين.

— ثم نشر ترجمة موجزة باللغة الإنجليزية لهذا المقال في جريدة (الرياض ديلي) بعنوان :

(الرجل الذي خدم خمسة ملوك **The man who Served Five Kings**).



في بغداد مع بعض ضيوفه أمام دار السفارة.

من شيم العرب:

وخلال عمل الشيخ محمد في باكستان، كتب الشيخ فهد المارك مؤلف كتاب من شيم العرب وكتاب من شيم الملك عبد العزيز، مقالاً عن الشيخ محمد عنوانه: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، تحدث فيه عن أن حقيقته تفوق سمعته، وشبّه تاريخه بقصص أولئك الأمجاد الذين تحدث عنهم في كتاب شيم العرب (ولا تتوافر معلومات لدى المؤلف ما إذا كان المقال قد نشر أم لا، مع أنه عثر على رسالة منه إلى الشيخ محمد تشير إلى أنه يفكر بنشره).

عندما تسقط القلاع:

ويستفيض الأستاذ فهد العريفي، في مقاله «عندما تسقط القلاع»، بالإشادة بإخلاص الشيخ محمد في عمله وتفانيه من أجل وظيفته ومسؤولياته، فيقول:

لم يكن من الذين يرون السفارة تشريفاً، ولم يكن يوصد مكتبه أو يعتكف في دارته ويقول عنه رجاله إنه مشغول، أو لديه اجتماع، ولم يكن ينتظر قدوم السعوديين والخليجيين ومن لهم عليه حق المواطنة، بل كان يذهب إليهم بنفسه، بكل جاهه وأخلاقه ورجولته يدعوهم إلى مقر إقامته.

ــ لم يكن الحبيب أبو سليمان يطمع في الوظائف اللامعة الكبيرة فقد أعلن اسمه في تشكيل وزاري قبل ثلاثين عاماً فاعتذر بلباقة وطلب من ولي الأمر أن يبقيه سفيراً لأداء واجب بلاده عليه.

ولم يكن من الذين يبحثون عن المال فقد خرج من السفارة السعودية في بغداد أو نقل منها مديناً وقد وافقوا على نقله رحمة به إلى بلاد غير عربية.

وعندما عاد إلى بلاده لم يكن يملك داراً ولا مالاً، فنال كما يستحق رعاية ولاة الأمر وتقديرهم ومحبتهم.

ولم يكن من الباحثين عن الجاه، فلم يكن في الوجود جاه أكبر مما كان يعيش فيه أبو سليمان، ولقد عاد أبو سليمان إلى بلاده مريضاً لا يملك المال، ولكنه يملك ثروة عظيمة هي محبة الناس وتقديرهم ودعواتهم.

ــ وفي زاوية «خطى على الطريق» في جريدة اليوم كتب الأستاذ العريفي مقالاً آخر ــ وذلك أثناء إعداد هذا الكتاب ـ أشاد فيه بأيام «أبو سليمان»، وطالب بالتعجيل في إنجاز سجل عنه يحفظ تاريخه للأجيال القادمة التي لم تعاصره.

حديث من بغداد :

وكان معالي الدكتور محمد عبده يماني ـ وزير الإعـلام السابق ـ قد زار الشيخ محمد في بغداد وفي كوالا لامبور، وكتب هذا المقال إثر زيارته الأولى وعنوانه : حديث من بغداد :

ـ كانت هناك عـلاقات عمل تربطني معه وبصورة رسمية ، مما جعلني أتردد كثيراً في الكتـابة خوفاً من أن تفسر آرائي تفسيراً خاطئاً وأن تحمل محمل المجاملة ، أو أدنى مرتبة من ذلك .

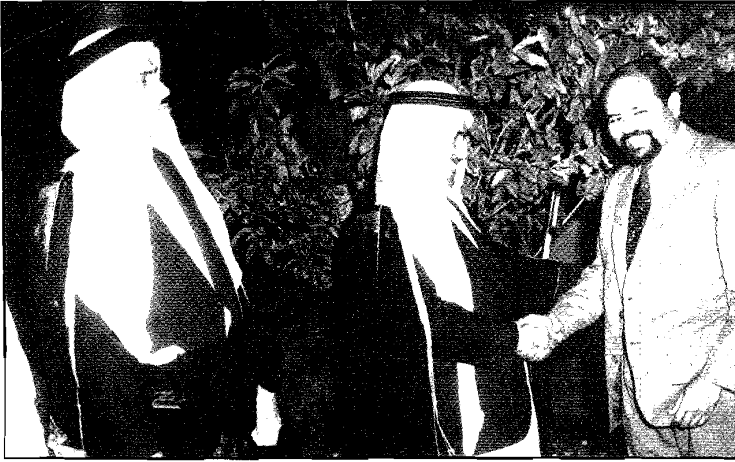
ولهذا حبست قلمي وامتنعت عن الكتـابـة في هـذا الموضـوع ، إلى أن علمـت بنقل معـاليـه من بغـداد إلى كـابل في أفغانستان ، وعلى قدر ما تمنيت أن يبقـى في بغداد ليكون لنا فخراً وعلماً يرفع الرأس أينما توجه ، وجـدتها فرصتي السانحة لأتحدث عن الرجل الذي أعتبره مفخـرة ومثار احترام في قدرته على التحمل ، وفي قدرتـه على حب الناس جميعاً ، بحيث يلمس كل من حوله أن الحب فعلاً هو نصف الحياة .

والشيخ الشبيلي فيه تـواضع وفيه كرم ، ولين وعطف ، ذلك اللين والعطف اللذين تحس من خـلالهما أنك تتحدث إلى مصدر من مصادر القوة والحنكـة ، أما عن كرم الشبيلي ، فإنه في الحقيقة نوع فـريد ، بحيث أستطيع أن أؤكد أني لم أر في حياتي إلا عـدداً قليلاً بمثل هذا الكـرم وبمثل هذه الأريحية ، والأمـر الذي يجعل لخلق الرجل ولكـرمه ولمعاملتـه كل هذه الأهمية ، هو في نظري أنها أمور طبيعيـة فيه ، لا رياء ولا زيف ولا خيلاء فيها ، فهي للفقير قبل الغني ، وهي للصغير قبل الكبير . وهي للمعوز والمحتاج قبل صاحب الجاه والمنصب ، وكم رأيت بأم عيني ، كيف يكرم بعض أفراد البادية الذين يفـدون إلى بغداد في حـالة يـرثى لها من التعب والإرهـاق ، والحاجة والفـاقـة في بعض الأحيان ، ولا ينتهي الشيخ محمـد بقضاء حـاجتهم ، بل يصر على استضافتهم ، وينزلهم في منـزله الخاص الذي ينـزل فيه كبار القـوم ، وشيوخهم ، ويظل ساهراً شخصيـاً على راحة أي نزيل من هـؤلاء الناس ، ويشعر براحة كبيرة عنـدما يحس أنهم اطمأنوا وارتاحـوا ، وطابت نفوسهم ، وتـراه يجند مـوظفي السفارة لقضاء حـاجتهم في الدوائر الحكـومية والدفـاع عن قضايـاهم ، إذا كان لهم أي قضايا أو حقوق ، وكم سعدت مراراً وأنا أرى بعض هؤلاء القوم الفقراء ينصرف من على باب السفارة ، وكله سعادة وكله ارتياح وبشر ، وترى الشيخ الشبيلي يصر على أن يـوصله حتى باب السيارة ، ويتأكد من أن سائق سيـارة السفارة سيأخذه إلى المكان المناسب ، ليستقل ما يـوصله إلى راحلته أو إلى قومه وعشيرته ، والجميل في كل هـذا هو أنها أمور طبيعية ، وهي من خلق الرجل وطباعه وطريقته في الحياة .

وبالإضافة إلى هذه الجوانب السامية النبيلة في شخصية الرجل، فإنه أيضاً على جانب كبير من الثقافة والاطلاع، وخصوصا في أنساب القبائل وصلاتها وتاريخ الجزيرة العربية بصورة عامة، وهو أيضا سياسي محنك، وله آراء سديدة ورائعة في كثير من القضايا العربية والإسلامية بصورة خاصة.

— وأثناء المراحل الأخيرة من إعداد هذا الكتاب نشر الدكتور يماني، مقالاً آخر في جريدة الشرق الأوسط (بتاريخ ١٩/ ٦/ ١٤١٤هـ الموافق ٢/ ١٢/ ١٩٩٣م) بعنوان: رجل المكارم والمروءات.

ـ وبعد أيام علق عليه (في الجريدة نفسها) الأستاذ عبد الكريم المدرّس، رئيس الغرفة التجارية العربية البريطانية في لندن بمقال تحدث فيه عن ذكرياته مع الشيخ محمد في العراق.



مع علي الشاعر في كراتشي يستقبلان المهنئين باليوم الوطني للمملكة.

— كما علّق عليه أيضاً الدكتور علي أبا حسين مدير مركز الوثائق التاريخية، بديوان ولي العهد بالبحرين، أوضح فيه أن الشيخ محمد كان يحتفظ بتراث شاعر الزبير «سالم الحميّد» وأنه ـ أي الدكتور أبا حسين ـ عندما أراد إصدار كتابه عن الشاعر المذكور سافر إلى ماليزيا للاستفادة مما لدى الشيخ محمد عنه، كما تحدث عن ذكرياته الأخرى مع الشيخ محمد في كل من المملكة والعراق (وقد أعد مقالاً مطولاً يتوقع نشره في «المجلة العربية» مع صدور هذا الكتاب).

أخذت عنك وتعلمت منك:

وفي مقال كتبه معالي الأستاذ علي الشاعر، وزير الاعلام، بعنوان: وداعاً أيها الصديق الغالي النبيل، أشار إلى منهج الشيخ محمد في مجال عمله، حيث عملا معاً في الفترة التي أمضاها الشيخ محمد سفيراً في باكستان:



ـ لقد كنت أيها العزيز الراحل، من الرجال الذين أدوا واجبهم تجاه دينهم ومليكهم ووطنهم بكل أمانة ونزاهة وإخلاص، فلقد عرفتك عن قرب عندما حظيت بالعمل في معيتك وتحت رعايتك، إذ كنت ملحقاً عسكرياً بسفارة المملكة في باكستان، وهناك أخذت عنك وتعلمت منك الكثير، ففي ميادين الوفاء كنت السباق إلى المكرمات، تعود الزملاء، وتتفقد الأصدقاء، وتسأل عن كل كبير وصغير من أفراد أسرنا، وتطل بابتسامتك المشرقة الوضاءة محملاً بالهدايا، تصل بين الأرحام، وتصلح بين الناس، وترضي الجميع، بما وهبك الله من خلق وسماحة نادرة وقلب عطوف.

وفي ميادين فنون الإدارة عرفت كيف تسوس الموظفين وتقيم في قلوبهم، توجههم للعمل المتواصل بالرضى والحب والتفاني في العطاء، فما من زميل عرفك وعمل معك إلا وتركت في نفسه أجمل الأثر وأحلى الذكريات.

فكرة لمشروع خيري باسمه:

كما دعا سليمان علي النهابي، وإبراهيم عبد العزيز المعتاز، وحسن عبد العزيز جوهرجي، في مقالات في جريدة الجزيرة، ذويه ومحبيه في مسقط رأسه ـ عنيزة ـ إلى التفكير بإقامة مشروع خيري يحمل اسمه، على غرار مركز ابن صالح الثقافي الذي أقامه الأهالي تخليداً لذكرى المعلم الراحل الكبير.

كلمات مقصرة:

وكتب الدكتور يوسف الحميدان مقالاً موجزاً بعنوان: كلمات مقصرة بحق فقيد عزيز:

- كتاب ضخم لم يجمع ولكننا رأيناه.
- وتاريخ متماسك عجيب في سبكه وترتيبه، عجيب في سلوكه وتبويبه، اختفى فجأة عن الأنظار والأسماع.
- إلا عن آذان السامعين من الأصفياء.
- وإلا عن عيون الناظرين من الأوفياء.
- عبارات التعازي لا تكفيهم للسداد بالوفاء.
- ألا رحمة واسعة له من الله في كل صباح ومساء.
- ألا رحمة واسعة له من الله في كل صلاة ودعاء.
- إنها عزاؤنا الوحيد فيك فإلى جنة الخلد إن شاء الله.

المدينة التي أتجنّب زيارتها:

أما العلامة الشيخ حمد الجاسر، وهو ممن كانت لهم صلة خاصة مع الشيخ محمد، فقد كتب مقالين، في الأقل، خصصهما للحديث عن خصاله، كان أحدهما في مجلته ـ العرب ـ عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)

قال فيه :

ـ كوالالامبور، قاعدة بلاد الملايو (ماليزيا) كان أول ما فكرت فيه حين عزمت على المرور بهذه المدينة زيارة أبي سليمان، سفيرنا في هذه البلاد الشيخ محمد الحمد الشبيلي.



في باكستان ومعه حمد الجاسر وياسين طه وعبد الله عريف.

وإن من الجفاء، ومن عدم الوفاء أن أحل ببلدة فيها هذا الرجل فلا أراه لأحييه، ولكن هناك ما هو أشد ألماً في نفسي من ارتكاب هذه الخلة الذميمة، لقد أثقلني بصلاته الكريمة، حتى أصبحت أخجل من رؤيته.

ـ ثم يقول الشيخ حمد :

وآن وقت السفر من كوالالامبور ظهر اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى ١٣٩٩هـ (٢٠/ ٤/ ١٩٧٩م) وبعد مغادرة الفندق اتجهت إلى السفارة، ومنها اتصلت بالهاتف بأبي سليمان، حين علمت بأن مكتبه في بيته لضيق مقر السفارة، وكان في استقبال السفير الكوري فتحدث مع الأخ فايز الأسمري أحد موظفي السفارة لكي آتي معه، بعد زيارة أجمل ما يزار في هذه المدينة وهو مسجدها، ولكنني ـ وقد حاولت مع أبي سليمان فلم أستطع ـ تخلصت من الأخ فايز فنزلت قبله في المصعد ثم سلكت طريقاً ضيقاً لا تستطيع السيارة سلوكه، وبعد ذلك كان الذهاب إلى المطار بعد ساعتين من عودتي من السفارة.

ولكن أتراني أفلتّ من هذا الرجل، لقد اتفق وقت سفري مع وصول رئيس حكومة بنغلاديش في المطار، وقد استقبل في المكان المعد لخروج المسافرين إلى الطائرة قبل إقلاعها بدقائق، وما شعرت إلا بالرجل الذي هربت منه واقفاً ينهال عليّ بعبارات العتاب، ولم يُجد الاعتذار، هنا مكان نستطيع الجلوس فيه (أبرد) من هذا المكان، ولن تقلع الطائرة بدون أن نعلم و (أمر الله من سعة).

وفي أحد الأمكنة المخصصة لجلوس علية القوم، ترددت عبارات التأنيب مع ما يقدم للضيف من شراب وطعام.

ورعى الله أبا سليمان، إنه فرد في عصره في النبل وكرم الأخلاق. فماذا أقول عنه؟

— أما المقال الثاني فقد نشره الشيخ حمد الجاسر في جريدة الجزيرة عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) وكان بعنوان: المدينة التي أكره زيارتها قال فيه:

كيف أكره زيارة مدينة ما؟.

إني أكرهها لكي لا أقابل إنساناً عرفته حق المعرفة، فأحببته وأحللته من قلبي لأخلاقه الكريمة في السويداء.

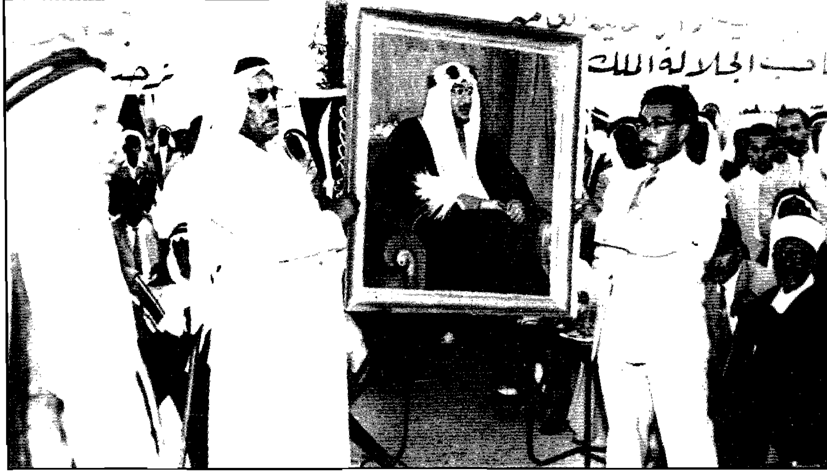
إنه «أبو سليمان» سفير بلادنا في كوالالامبور. ولو كانت الألقاب تضفي على المرء محاسن، لاخترت أعلاها، لقد عرفت الرجل قبل ثلاثين عاماً، حين مررت بالبصرة، أنا والأخ عبد الله بن عبدالرحمن السعدي، وكان أبو سليمان «قنصلاً» فأغدق عليّ وعلى صاحبي من كرمه ما أخجلنا، ثم مررت بتلك المدينة بعد سنتين، أنا و الإخوة عبد الكريم الجهيمان وعبد العزيز التركي وحمد بن علي المبارك، بعد أن حرصنا على ألا يعلم بنا صاحبنا، وحاولنا بمختلف الوسائل الاختفاء، ولكن يظهر أن للرجل عيوناً ترى ما لا يراه الآخرون، فقد علم بنا في مساء اليوم الذي بلغنا المدينة في ظهره، وفعل معنا ما اعتاد أن يفعله مع غيرنا، مما ينفرد به من صفات المروءة والكرم.

في باكستان وبجانبه حمد الجاسر.

سأكتفي مما أعرف عن الرجل بخبر واحد:

سنة ١٣٨١هـ. زار باكستان وفد صحفي كنت من بينه، وفي الساعة الرابعة صباحاً والطائرة تحلق في سماء كراتشي، شاهدت أنا ومن معي أبا سليمان واقفاً في المطار لاستقبال الوفد، والدعوة من حكومة باكستان، التي لم يقابل الوفد في تلك الساعة أحد من موظفيها.

أما أبو سليمان، فما كان مطالباً بالتعرض للوفـد، والقيام بما يلزم من أموره، ولكن الصفات الحميدة في الإنسان تحمله على التخلق بها، إذا كانت طبعاً لا تطبعاً، وهكذا كانت حالة هـذا الرجل الكريم، كما يعرفه كل من زار بلدة هو فيها، ثم لا تسل عن الحفلات التي أقيمت للـوفد من حيث الفخامـة، وكثرة المدعوين، وتعدد تلك الحفـلات، بحيث يتنوع المدعـوون إليهـا بحسب تعـددهـا، ولما انتهت الـزيارة، كـان أبـو سليمان يتعهـد أعضـاء الـوفـد ويتفقـدهم صباح مسـاء، قـال أحـدهـم لـه: أنـا سـأذهب إلى السـوق لأشتري «دهن عـود»! وقال آخر: الأخ أحمد سراج طلـب مني إحضـار «ساري»!.



السعوديون المقيمون في الزبير يحتفون بجلالة الملك سعود في إحدى المدارس (عام ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م).

قـال أبـو سليمان: سأرسل لكم رجلاً يرشدكم إلى الأمكنة التي تشترون منها تلك الأشياء.

وفي الصباح، حضر إلى الـوفد في الفنـدق رجل يحمل حقائب، فقـدم لكل واحـد صندوقاً صغيراً فيـه أربع وعشرون زجاجة من أنواع العطر «دهن ورد ودهن عود وغيرهما» وقـدم للأخ الذي رغب في شراء «الساري» عدداً من هذا اللباس مختلف الأشكال والألـوان، وقال الرجل: «يسلم عليكم أبو سليمان ويقـول: هذا الصندوق فيه هـدايا للرجلين المرافقين لكم من وزارة الإعلام، لأنهما يتطلعان إلى مثل ذلك.

زار الوفد الشيخ في بيته، فكان الجلوس في المكتبة، فتناول أحد الإخوة كتاباً يحوي ترجمة معاني القرآن الكريم، وأبدى عدم معـرفته بهذا الكتاب، وتنـاول آخر كتابـاً أطال النظر فيـه، وقام الثـالث فتناول جزءاً من أجـزاء كثيرة من كتاب، فالتفت الشيخ إلى الإخوة قائلاً: «هذه الكتب للتوزيع»، قال هذا مـدفوعاً بما يتصف به من خلق الشهامة والكرم، وأمر بأن تحمل الكتب من أيدي الإخوة إلى سيارتهم.

أما أنا فقد نظرت في أحـد مجلدات تفسير ابن جرير، فأبيت أخذ الكتاب إذ أنه لدي في الـرياض، ولكنني ما شعرت بعد وصـولي إلى الرياض، إلا بالشيخ محمـد بن صالح بن سلطان وكيل وزارة الدفـاع في ذلك العهد، يتصل بي بالهاتف قائلاً: أرسلت لك صندوقاً بعثه معي أبو سليمان من باكستان.

كان ذلك الصندوق يحوي بضعة عشر مجلداً من تفسير ابن جرير في طبعته الجديدة.

وبعد، فما أراني قلت ما في نفس عن هذا الرجل الفذ، ذكره الله بكل خير..

- ورثاه الأستاذ حامد العطاس في مقال، أشار فيه إلى ما خُص به من رثاء من الملك المفدى وسمو ولي العهد وكافة المسؤولين ووسائل الإعلام، كما أشاد بخلقه وبشاشته وكرمه وسجاياه، واختتم مقاله بقوله:

لقد كان عوناً لكل مواطن سعودي تطأ قدمه تلك البلاد التي عمل فيها، وكان عوناً لكل عربي ومسلم يتفانى في خدمتهم، لقد تركت فراغا كبيراً في أسرتك وفي مجتمعك.

أحد أصدقائه الذين حفظوا حساباته وأسراره:

أما محمد وعبد الله إبراهيم السبيعي رجلا الأعمال المعروفان، وهما من أصدقائه الذين عاصروه وتعاملوا معه وحفظوا أسراره المالية الخاصة، فقد كتب أحدهما - الشيخ محمد - مقالاً أوجز فيه صوراً من صور شهاماته، حيث قال:

- وعندما يتوجه ضيف من البلاد التي يعمل فيها لزيارة المملكة، فإنه يكتب لأصدقائه وإخوانه ليقوموا باستقباله والاهتمام به، ومساعدته، وأن يطلعوه على شواهد نهضة المملكة وأبرز مشروعاتها.

وعلاوة على ذلك، فهو عين يقظة لرعاية أي مواطن وحمايته، يدافع عن المظلوم ويشجعه إذا كان يستحق، وكم من الطلاب السعوديين والعرب أنقذهم من مآزق وأخذ بيدهم فكان سبباً لنجاحهم، ومع ذلك فهو يكره أن يطلع أحد على أعماله ويكره المديح، ويذكر في كل مناسبة أن ما يعمله واجب، والفضل يعود فيه إلى الله ثم إلى ولاة الأمر وتوجيهاتهم.

ولم تشغله أعماله ومركزه عن الاهتمام بأقرانه وأصدقائه في صغره وزملائه في بدايات عمله وأقاربه، فهو يتفقدهم ويزورهم ويقف معهم، (وكان الشيخ السبيعي قد كتب قصيدتين فيه، أوردتا في الفصل السابع).

رسالة خاصة:

وكتب له الأستاذ عبد الإله بن سعود السعدون رسالة خاصة، عبر صحيفة الجزيرة أثناء مرضه، جاء فيها:

- ويحق للإنسان أن يفخر بصديق صدوق، أكسبه الله كل صفات الشهامة والرجولة، وإجماع كل من عرفه على حبه وتقديره دون رجاء لغرض دنيوي ولا تقرباً بتزلف لشيء.

كل الحب والتقدير لشيمه المتعددة وكرمه الحاتمي من يده ولسانه، ودعاء من القلب لعميد السفراء.

الأحرف الصادقة:

ومن المدينة المنورة علّق الأستاذ محمد بن عويّض عالي السحيمي على ما قرأه في صفحات الجزيرة عن صفاته فكتب يقول:

ـ أكتب هذه الأحرف الصادقة التي صدرت مني دون تردد، أكتبها وأنا فخور، حين اطلعت على ما نشر في العدد ٥٨٨١ عن الشيخ الشبيلي، وكيف أنه كان يقدم كل ما بوسعه للمواطن المسافر والغريب عن وطنه. ودهشت لقراءة أمثلة كرمه وطيبة قلبه وحبه للخير في كل موقع عمل فيه سفيراً.



السعوديون جنوبي العراق يحتفلون بزيارة الملك سعود في إحدى مدارس الزبير.

تعلقت به صغيراً وأحببته كبيراً:

والأمير الشاب بندر بن خالد بن عبد الله بن تركي آل سعود ـ (الذي يلتقي فيه نسباً من جهة جدته لوالدته)، كتب مقالاً بعنوان: «وداعاً أيها الرجل العظيم»، كما نشر صورة تجمعهما في القصر الملكي بماليزيا، حيث كان الشيخ محمد قد اصطحبه معه، وهو في العاشرة من عمره، إلى إحدى المناسبات التي حضرها السلطان:

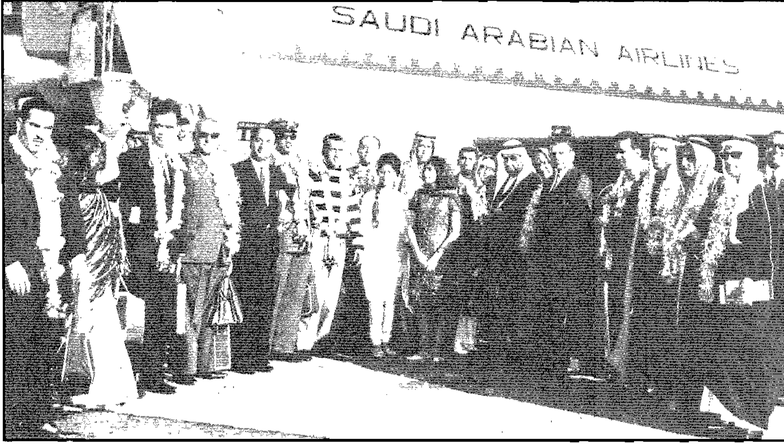
لقد تعلقت به صغيراً وأحببته حباً كثيراً عندما التقيت به مع أسرتي في ماليزيا، ورغم قلة الأيام التي أقمناها معه، ومع أنني كنت في العاشرة من عمري، إلا أنني سعدت بصحبته وأسرتي وقضينا أسعد أيامنا وأمتعها في رعايته وأبوته التي تشع عطفاً وحناناً، كما لا أنسى زياراته المتكررة لنا في منزل جدتي وجدي.

يا صديق أبي:

كما كتب الشاب فهد فيصل فطاني مقالاً بعنوان: «وداعاً يا صديق أبي» جاء فيه:

ــ وبكرمك وسخائك عرفك الناس من السباقين لفعل الخير، ومن وفائك جبلت على عيادة الزملاء وتفقد الأصدقاء، والسؤال عن الكبير ولا الصغير من أفراد أسرنا.

ولا أنسى أنك كنت يوماً الأخ والصديق العزيز لأبي، عندما كنت سفيراً في ماليزيا، وكان منتدباً للتدريس من قبل وزارة المعارف، وحتى بعد أن انتقل أبي إلى الرفيق الأعلى ظللت الصديق الوفي الحقيقي له ولنا.



اثناء استقباله أول رحلة للخطوط السعودية إلى الهند (١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م).

فهمه للحياة:

ومن الجمل القصيرة والمعبرة، تلك التي سجلها الأستاذ صالح بن عبد العزيز السالم في مقال عنه:

لقد غرست المحبة من الجميع، وبرهنت بكرمك وسجاياك الحميدة، على عمق فهمك للحياة، وقدرتك على تخطي عوائقها والترفع عن صغائرها، إلى كبار المروءات وعلو الشهامات وسامق القيم، ولقد حيّرت الكثيرين من أترابك وأبناء جيلك بفلسفتك الحياتية، فالصغير عندك كبير، والكبير عزيز والمتواضع رفيع، وأعطيت دروساً نافعة لمن طلب المزيد من المال بالزهد، وبرهنت له على تفاهة المادة، إلا في أوجه الخير وبذل المعروف وإغاثة الملهوف والرفع من قدر الكريم، وتخفيف ألم الغريب، فحوّلت غربته (في الخارج) إلى أوبة، حيث أسكنته معك، وقربته إليك، وزودته بما رخص عندك من المال، حيث عز على الآخرين، فعشت عزيزاً كريماً نافعاً لمواطنيك وقاصديك، وأعطيت المثل الرائع على طيب معدنك، والرفع من سمعة وطنك، وخدمت بإخلاص متناهٍ عقيدتك ومليكك ووطنك، فسجل التاريخ أعمالك وسجاياك بمداد من الذهب، لا يفارق عقول كل من سمع عنك وعرفك.

مشاهدات في الهند :

وكان الأستاذ صالح السالم قد كتب في عام ١٣٨٥هـ مقالاً (من جزأين) ضمّنه مشاهداته في الهند، حيث قام مع وفد سعودي بزيارة لبعض مدنها بدعوة من الخطوط السعودية، بمناسبة افتتاح أول خط جوي مع الهند (بومبي) وحيث كان الشيخ محمد سفير المملكة هناك.

ويصف المقال المطول، كيف انتقل الشيخ محمد وبعض أعضاء السفارة وعدد من المسؤولين الهنود وبعض أعضاء الجالية السعودية المقيمة في الهند، قدموا بالطائرة من نيودلهي إلى بومبي؛ ليكونوا في استقبال الوفد، وكيف تدخّل الشيخ محمد لإطالة مدة الزيارة وإضافة زيارة الآثار الإسلامية وبعض مدن الهند الأخرى وبخاصة (نيودلهي وأقرا)، وأنّه غيّر فندق الوفد ليختار لهم فندقاً أفضل منه، وقام بدفع الفرق من عنده.

مع «أبو سليمان» :

وكان الأستاذ عبد الله الحمد القرعاوي، قد كتب مقالين في جريدة الجزيرة، أحدهما في العام ١٤٠٦هـ بعنوان: «مع أبو سليمان»، وفيما يلي فقرات منه:

ـ أبو سليمان، شيخ السفراء السعوديين ورجل الكرم والمكارم، ورجل اللطف والرقة مع البعيد والقريب، مع المعارف والأصدقاء، ومع المواطنين الذين لا يعرفهم، ومع الناس الذين كانوا يقصدونه في السفارة من بقاع الدنيا.

أبو سليمان، وكفاه لقباً، لا يختلف فيه اثنان، ولن يستطيع أحد ممن عرفه أو سمع عنه، أن يدّعي أن هناك شخصاً من الدبلوماسيين يجمع الناس على رأي واحد فيه، مثلما يجمعون في رأيهم بالنسبة له.

ـ ثم كرر المطالبة بتسجيل مآثره وقصصه مؤيداً الدعوات التي تطالب بذلك، أما بالنسبة للمقال الثاني فقد كتبه في رثائه وكان عنوانه: رحل الرجل الفذ:

ـ في المملكة العربية السعودية مئات بل آلاف من الرجال لقب كل منهم «أبو سليمان» ولكنك لو أطلقت هذا اللقب وسط جمع هائل وحاشد من الناس، لعرف كل هؤلاء القوم أنك تعني رجلاً واحداً هو: محمد الحمد الشبيلي، الدبلوماسي الرائع والسفير النادر ورجل الأخلاق والأدب والشهامة، الذي لا يجارى.

لقد ودعت المملكة اليوم ابناً من أبنائها البررة الذين تعتز بمثلهم كل المجتمعات وتفخر بهم كل الأمم .

الذين يكتبون عنه ، يبرزون في كتاباتهم أنباء كرمه الحاتمي وقصص بذله للمال في سبيل راحة المواطنين وفي البلدان التي كان يمثل فيها مليكه وبلاده وشعبه ، سفيراً نادر المثال ودبلوماسياً رائع الخلق .

يعامل كل سعودي وكأنه ابن من أبنائه ، ويمد له يد العون في الرخاء والشدة .

لقد تدرج في العمل الحكومي ، في ديوان الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، فكان دبلوماسياً بخلقه وأسلوبه ، قبل أن يلتحق بالعمل الدبلوماسي في الخارج ، فهو يعطف على الصغير ، وهو يقدر الكبير ، وهو يجاري الشباب ، يحادثهم ويلاطفهم بقصصه و«سواليفه» التي لا تنتهي .

ولو طلبت من كل من عرفه أن يروي لك قصة حدثت له مع (أبي سليمان) لروى قصة جديدة ، تختلف عن كل ما سمعت ، لقد كان كنزاً لا ينضب من الأحاديث الملأى بالشهامة والمروءة ، ليست أقاصيص خيالية لا يصدقها الإنسان ، ولكنها حدثت بالفعل .

رجل الجيلين :

وبالإضافة إلى كلمة التقديم التي تصدرت هذا الكتاب ، فقد أسهم معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر بعدة كتابات عن الشيخ محمد :

ـ إحداها كانت في رثائه صبيحة يوم دفنه ، والثانية بعد عام من وفاته ، وأما الثالثة فقد كتبها خصيصاً لهذه الدراسة (الفصل الخامس) ، كما شارك في بعض التحقيقات الصحفية التي خصصتها بعض الصحف في أعقاب وفاته .

والدكتور الخويطر يعد ، بلا شك ، من المصادر الأولية عن الشيخ محمد ، لصلة قرابة ، ومعرفة عن قرب امتدت لفترات طويلة ، وفي مختلف الظروف والأمكنة .

قال في المقال الأول :

ـ إذا ذكرت الأبوّة فأنت فيها في المقام الأول ، وإذا ذكرت الأخوة فأنت السابق فيها ، وإذا ذكر الكرم غطّى ذكرك سيرة حاتم ، وإذا ذكرت السماحة بَهَرت السامع قصص سماحتك ، وإذا ذكر الإخلاص للدين والمليك والوطن تلألأ ذكرك في الآفاق .

كانت حياتك للناس ، وعملك لأبناء وطنك وأبناء المسلمين والعرب ، سعادتك عندما تتعب للآخرين ، وراحتك عندما تسهر على الآخرين ، وغناك عندما يستغني الآخرون .

«دقيقة» و«لحظة» عند «أبو سليمان»

وجاء في مقاله الثاني :

ـ . . . فالكرم الذي اتصف به أصبح مضرب الأمثال ، وأصبح الذين يظنون أن ما يقال عن حاتم طيء فيه مبالغة يسلّمون بأنه حقيقة ، عندما يرون ما يأتي به الشيخ محمد من ضروب الكرم ، فهو لا يقوم فقط بحقوق الضيافة على خير وجه ، وأحسن صورة ، وأوفى معيار ، وإنما يذهب ويبحث عن الناس ، ويعترض طريقهم ، ويغريهم بتغيير خط سيرهم وبرنامج عملهم ، ليهيئ لهم ما يراه أوفى في إدخال السرور والبهجة على نفوسهم .

عرف بطول البال ، وسعة الصدر ، فلم يُر غاضباً أو قارناً حاجبيه أو عابساً في وجه أحد ، مهما كان مَنْ أمامه يستحق كل هذا ، كان يلجأ إلى أسلوب البشاشة في كسب الأعداء ، وطول البال في عرض الحجة ، ليكسب موقفاً قد يظن غيره أنه لا يكسب ، لتعنت الخصم وعماه عن الحق ، وأغلب ما يحدث هذا من بعض من يقابلهم ، وقد أخذوا فكرة خاطئة عن بلاده ، فيسلط عليهم جيوشه السلمية ، من كرم وحسن خلق وتحبب وإقناع ، مستنجداً بكل وسائل الإقناع اللفظية والخلقية ، فكم كسب لهذه البلاد من أصدقاء ، كانوا خصوماً لجهلهم ولكثرة ما تعرضوا له من تأثير .

كان ولاؤه لدينه ولمليكه ووطنه يطفح به وعاؤه .

ومن الصفات التي كان يجتذب بها القلوب ، طريقته في إدارة الحديث في المجتمعات التي يحضرها ، فقد كان لا يترك أحداً في مجلسه إلا وأشعره ، أنه من بين الموجودين محل الرعاية دون الإخلال بحق الآخرين ، وهي مقدرة لم تؤت إلا للقليلين ، كلمة يوجهها لهذا وملاحظة حنون يبديها لذاك ، وملاحظة لخجول لم يتحدث في مجتمع ، ربما وجد أنه صغير فيه ، يعطيه الثقة ويتجه للآخرين بما يجعلهم يرفعون قدره .

كان معروفاً عنه ، إصراره على إبقاء الضيوف في مجلسه مدداً أطول ، وكانت وسائله لإبقائهم كلمتيه المشهورتين «دقيقة» و«لحظة» وتمتد هذه «الدقيقة» و«اللحظة» ساعات ، فهو يحب الناس ولا يمل مجالستهم ويبذل الجهد لإقناعهم ، ولعل الطرائف التي يتحفهم بها ، حاملة المتعة والفائدة والتاريخ ، هي أحياناً أحد وسائله لإطالة بقائهم لديه .

كان يحرص على أن تمثل المملكة بأبهى صورة ، فكان يهتم بعرض الصور والأشرطة عنها ، وتوزيع الكتب التي تعطي فكرة عن المملكة وتاريخها والتنمية فيها ، وكان لا يمل ولا يكل من الزيارات والحفلات والدعوات ، التي تأتي صورة مشرّقة لما عليه المجتمع السعودي ، الذي يمثله خير تمثيل .

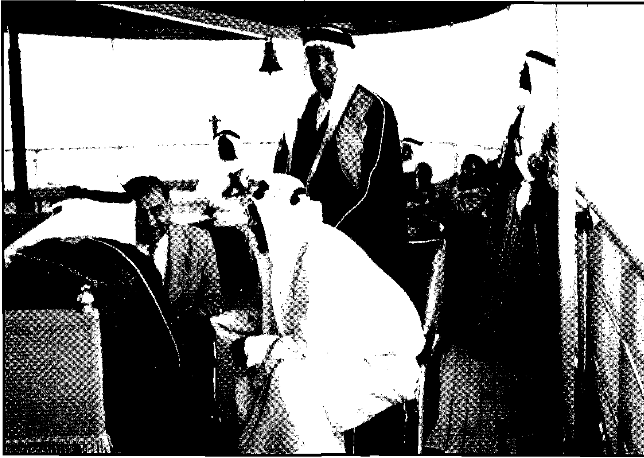
لقد كان شخصيـةً معجبةً ومدهشة، جمع بين صورة الجيل الماضي والجيل الحاضر، كل جيل يعـدّه من جيله، واليوم يدعو له من عرفه، ومن سمع عنه، وأرجو الله أن يقبل هذا الدعاء وأن يجعله إلى خير، لما قدم مما حمده الناس، وما يبدو، إن شاء الله، أنه في سبيل الله.

بقية من كرماء العرب:

وكتب الشيخ عبد الله بن خميس مقالاً في جريدة الجزيرة بعنوان: الشبيلي بقية من كرماء العرب.

والشيخ ابن خميس هـو من أصـدقـاء الشيخ محمـد، الذي كـان يحتفظ بكافـة حلقـات بـرنـامجه الشهير (من القـائل) الذي قدم في الإذاعة السعودية.

- يقول المقال:



جلالة الملك سعود في زيارته للعراق (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

كل من ذكـر الجود والمجد الأصيل ومكـارم الأخلاق في زماننا هذا ذكـر المغفور له - إن شاء الله - الشيخ محمـد الحمـد الشبيلي، بقيـة السلـف، ومفخـرة الخلـف، ورائد الجود وصاحب الخلق المحمود، كل من عرفه ومن لم يعـرفـه فهـو على لسـانـه مثـل أعلى ورمـز أكمل وأمثل، وليس ما يبذل كله وما تزخر به مائدتـه وما يلقاه ضيوفه في داره وفي جواره، بأبدع ولا أمتع، مما يتحلى به من خلق كريم، ومن صفات هي المثل الأعلى والخلق القويم.

لو ذهبنا نتحدث عما جبل عليه من سجايا وما فطـر عليه من خلق وما وُهبه من مكارم أخلاق، لم نستوف بعض هذه المكارم، وكل من وفـد إلى البلد الذي يمثل حكومته بـه، وجده أمامه أهـلاً وموطناً سهلاً وبراً بمـن عرف ومن لم يعرف، وكلهم يعودون وعلى ألسنتهم الثناء العاطر، ويرددون ما وجدوه، ما بين ذاكر وشاكر.

يا أبا سليمان، قد بررت وأعطيت من نفسك ومن مالك ومن جاهك ما هو مضرب المثل، السجية التي يعجز كل من أراد أن ينحو نحوك أو يتمثل سلوكك، أن يصل إليها.

ما علمت والله من مثل خلق الأجواد وسار على هديهم وبر وأبر بسلفه، إلا ماثل مثلك فلئن فقدتك البلاد علماً من أعلامها وبراً حفياً بأمتك ومخلصاً متفانياً لدولتك، فقد فقدتك الجود وفقدك المثل الأعلى في العطاء، وفقدك قصادك وروادك ومحبوك، طبت وطاب مثواك وعلوت قدراً ورفعت ذكراً ونلت أجراً.

عوضنا الله فيك يا أبا سليمان، وإن العوض فيك لنادر، لأسرتك ومحبيك منا العزاء وصادق الوفاء، ولك من أمتك جميل الشكر وعاطر الذكر.

الوجه المضي :

أما الأستاذ الأديب عبد الله بن إدريس فكتب مقالاً يرثيه بعنوان: الشبيلي الوجه المضيء، جاء فيه:



في ماليزيا بعد تقديم أوراق اعتماده ومعه بعض أعضاء السفارة.

- إنني لم أزر أي بلد من البلدان التي كان سفيراً فيها حتى أكون ممن عايش، عن كثب، تلك المكارم والأخلاق النبيلة، لكن استفاضة هذه المكارم ومزيد ذكرها على ألسنة الغادين والرائحين كافية جداً لتكون أنبل شهادة على أنبل الأخلاق، وأسخى النفوس وأكرم الحب والنفع والعطاء، وإنها الصفات المثالية التي يجب أن تحتذىٰ من قبل الناس، وبخاصة من قبل سفرائنا في سائر الأنحاء، أن يكون وجهاً مضيئاً لبلده وبالتالي لسيرته حياً وميتاً كما هي حال الشيخ الفقيد.

لذلك نؤيد ما اقترحه الكاتب الأستاذ علي الشدي في (غرابيل)، منذ أيام بأن تدرس سيرة السفير الشبيلي في المعهد الدبلوماسي، التابع لوزارة الخارجية، حتى يكثر الذين يتحلون بالصفات الحميدة و«يبيّضون» وجه بلادهم في الخارج والداخل، ويكونون حديثاً حسناً لمن بعدهم، وهذا ما عناه شوقي بقوله: والذكر للإنسان عمر ثان.

إن الذين لا يقدمون في حياتهم خيراً ينتفع به للناس من حولهم، هم قوم يطويهم الزمان في تلافيفه كما طوى سواد البشر الذين لم يخلدوا لهم ذكراً حسناً.

أحد زملائه يكتب عنه :

الأستاذ فايز مسفر الأسمري، عمل عدة سنوات مع الشيخ محمد، محاسباً في السفارة السعودية بماليزيا، وقد كان أحد المصادر الغنية لهذا المؤلّف، وخصوصاً في المعلومات التي تناولت الجوانب المالية والإنسانية التي كان الشيخ محمد يبادر إليها في ماليزيا، وقد كتب يقول :

عرفته منذ زمن طويل قبل أن أراه شخصيا عن طريق حديث المجالس بأنه نموذج في الكرم إلى درجة تفوق المعتاد، وذو تواضع وشهامة وممثل بارز للمملكة في أي بلد يعمل به خارجها، ومرت الأيام والتحقت بوزارة الخارجية للعمل فكنت أشاهده إذا رجع من الخارج وزار الوزارة، وهو يذهب إلى كل قسم ويصافح كل موظف والابتسامة وبشاشة الوجه لا تفارقه، وعرفته شخصياً وأحببته، إذ أن ما كنت أسمع عنه رأيته حقيقة، ولمست تواضعه وحسن معاملته لكل من يقابله، وكان ينزل في فندق الكندرة ويمارس هواية الكرم في هذا الفندق الذي كان وقتها من أغلى الفنادق.

وتمضي الأيام، ونتزامل في العمل في سفارة خادم الحرمين الشريفين في كوالالمبور بماليزيا، وتثبت الأيام، بسرائها وضرائها، من خلال عملي معه، أن صفات الكرم والتواضع والنبل فيه، هي صفات الطبع لا التطبع فقد كان يحب الخير لكل الناس، ويعمل دائما على رفعة شأن المملكة، ولو أردت التوسع والحديث عن كل مناقبه التي أعرفها عنه لم يتسع هنا المجال، وأكاد أجزم أن ابنه سليمان وإخوانه عبد الله وعبد الرحمن وسليمان سوف يتولون هده المهمة مع أقاربه ومعارفه ومحبيه ومن نالتهم أفضاله وعددهم كثير، ممن لا أشك أنهم سوف يوفونه بعض حقه، وأكتفي هنا بذكر بعض ما عرفته عن هذا الإنسان :

١ ـ كان مخلصاً وفياً لدينه ومليكه ووطنه بكل معاني الكلمات، وكان يحب الملك عبد العزيز بكل معاني الحب، فإذا تحدث هو أو سمع من يتحدث عنه في أي مجلس وعن أي موقف، كانت دموعه تنهمر بغزارة على خديه، وهو لا يشعر، وهذه حقيقة شاهدتها بكثرة، وأعترف أني كنت قبل أن أعرف الشبيلي، إذا سمعت أو قرأت أن شخصاً ما من الرعيل الأول، كان يبكي حتى تبتل لحيته لسماعه موقف كذا وكذا لا أصدق بحقيقة ذلك، وكان يخالجني بعض الشك عن ذلك، فكنت أقول كيف يبكي الرجال بهذه البساطة؟ إنما بعد معايشتي لهذا الرجل آمنت أن مثل هذا قد يحصل لرجل مثله.

وكان يقول ويردد : إنه لم يكتب حتى الآن كل ما حفل به تاريخ الملك عبد العزيز، ولم يستطع كل من كتب أن يوفيه حقه، وكنت أتمنى لو دوّن ذكرياته عن الملك عبد العزيز لا سيما وقد عمل في الديوان الملكي.

٢ ـ كان يحب فعل الخير في كل موقف، ويعكس الصورة الحسنة للآخرين عن وطنه، وهنا نموذج واحد لذلك : إذ أنه في إحدى المناسبات عام ١٣٩٨هـ عندما كانت مسابقة القرآن الكريم تقام في ماليزيا، حضر وفد من الجمعية

الإسلامية في سنغافورة ، مكون من عدد من الطلبة والطالبات والمهتمين بالشؤون الإسلامية ، للمشاركة في الحفل الختامي للمسابقة في العشاء ، فاعتذر رئيس الوفد بحجة أن الوقت ضيق ويريدون العودة إلى سنغافورة قبل الفجر فتحايل - يرحمه الله - عليه بأن يمروا مروراً فقط ، لمعرفة موقع سكن السفير ثم يلبون الدعوة في وقت آخر ، وعندما وصلوا بحافلتهم الكبيرة وكان عددهم كثيراً إلى فناء السكن رفضوا النزول ، فقال لهم اشربوا فنجال قهوة فقط ، كعادته بالتلطف والتودد لضيوفه بكلمة فنجال واحد فقط ، وقال لن نعطلكم بأكثر منه ونزلوا فعلاً ودخلوا المجلس وقدم لهم القهوة العربية والرطب والكليجا التي يستوردها باستمرار من المملكة ، وفي وقت قياسي جداً أحضر العشاء وتناولوه وعندما خرجوا كان لهم بالمرصاد على الباب ، ليناول كل فرد منهم هدية ثمينة ، فدهشوا من هذا العطف وحفاوة الإكرام ، ولهجوا بالدعاء للمملكة ، وأعجبوا بحسن الرعاية من سفيرها ، وترك هذا الموقف النبيل أكبر الأثر في نفوسهم ، وزاد في اعتزازهم بدينهم الإسلامي وثقتهم وتعلقهم بالمملكة ، التي ينظرون إليها نظرة الاحترام لمكانتها الروحية في نفس كل مسلم ، وما أكثر مواقفه النبيلة من هذا الطراز.

٣ - كان يكرم كل من يفد إلى ماليزيا من المملكة ومن الدول الخليجية والعربية بل والإسلامية ، وله صداقات حميمة واسعة مع شخصيات عالمية على مستوى رفيع ، وكان يحرص على تقديم حسن الوفادة وكرم الضيافة لهم جميعاً سواء حضروا إلى سكنه أو نزلوا بالفنادق ، مهما كان عددهم ، ومهما كان مقدار الكلفة ، وكان يحثنا - يرحمه الله - على إخباره عن أي ضيف يفد ، وإذا مرت فترة لم يمارس فيها هواية الضيافة كان يتصل بنفسه ، ويطلب حضور الضيوف حتى من المملكة ، ويتكفل بتكاليف الرحلة ، وهذه أشياء غير مبالغ فيها ، بل هي حقيقة واقعة أردت أن أذكرها عنه ، وفاء له بقدر استطاعتي .

ظاهرة الشيخ محمد:

ومن أبرز أصدقائه العرب ، الدكتور عبد الهادي التازي : السفير المغربي الأسبق في بغداد إبان وجود الشيخ محمد في العراق سفيراً ، وقد استمرا على علاقة وثيقة فيما بعد (كما يلاحظ من مراسلاته في الفصل الثالث) ، وقد كتب في مجلة الحرس الوطني مقالاً يتحدث فيه عن «ظاهرة الشيخ محمد» فيقول :

كان في صدر السفراء العرب ، الذين قمت بزيارتهم عندما عدت ثانية سفيراً لبلادي في بغداد ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، هذا السيد الجليل الذي عرفناه بكنيته (أبي سليمان) أكثر مما اشتهر باسمه ، وقد شعرت منذ البداية أنني أمام وجه لامع من الوجوه الدبلوماسية المشرقة .

فهو نبيل كل النبل في حديثه عن الآخرين ، وهو متفائل كل التفاؤل فيما يتصل بالعلاقات بين الإخوة ، وهو بالإضافة إلى هذا وذاك يتمتع بأريحية زائدة .

ومن ثم شعرت بأن هناك بيني وبين أبي سليمان آصرة وثيقة ، كانت الأيام تزيد في دعمها وتوثيقها .

ومن المهم أن أعترف بأن هذه الآصرة لم أكن أشعر بأنني أثير بها دون الآخرين الـذين عرفوا أبا سليمان ، فكل واحد من الزملاء والأصدقـاء والإخوان كان يُكنّ لأبي سليمان التقدير والحب ، وكل واحد منهم كـان يجد نفسه أمام مَعْلَمة تستحق الاحترام والإكبار.

ومن الـواجب علي أن أضيف إلى هذا ، أن السفير الشبيلي لم يكن يتمتع بهذا الـذكر الطيب فقط لـدى الدبلـوماسيين المسلمين والعرب ، ولكنه كذلك كان يحظى بصيت جميل لدى سـائر السفراء الآخرين ، من أمريكان وسوفييت وفرنسيين وإنجليز، ولقد كان السفير الهولندي في بغداد ينعته بـ «ملاك السلام» .

وفيما يتصل بحاسته السياسية ، كـان يتمتع بسعة أفق نـادرة المثال ، يقع الحدث ـ أي حـدث ـ من الأحداث فتتـوتر أعصابنا ، وينعكس هذا التوتر على سلوكنا . . وربما قـرأ الناس على وجوهنا أثر ذلك التشنج ، لكن أبا سليمان كان يرى دائما أن مصير العسر إلى يسر، وأن التغـاضي والتسامح هـو الجدير وحـده بالتغلب على المشكـلات ، عشت معه وعـاش معي ظروفاً قاسية كانت جديرة بأن تُفقد الإنسان العادي رشده ، ولكن أبا سليمان كان يردد دائما المثل العربي السائر: رب ضـارة نافعـة ، وهكـذا يجعلك تـؤمن بأن المصلحة ، ربما كنـت تكمن فيما أنت منه شـاك! ولا تلبث بعـد أن تستمع إلى تحليلاته الهادئة المشفـوعة ـ بين الحين والآخر ــ بعباراته الجميلة : طـال عمرك . . يا طويل العمـر . لا تلبث أن تعود إلى صوابك ! ! .

أما عن دبلـوماسيته ، أو مجاملتـه أو كياسته ، فهـذا هو الخلق الذي بز فيـه أقرانه وزمـلاءه ، سواء أكانـوا من المدرسة العـربية أو المدرسـة الغربيـة ، فهـو يستقبل ويحسن الاستقبال ويـودع ويحسن التـوديع ، وهو يترصـد المنـاسبات الخفيـة والدقيقة ليدخل عليك سروراً أو يخفف عنك هماً ، وهو من السفـراء القلائل الذين يضحون في سبيل مجاملاتهم بما يبخل به الآخرون .

وأنت إذا أجريت استفتاءً مع سائر الـزملاء ، الذين تعرفوا عليه في مختلف المراكز الدبلـوماسية ، التي عمل بها ، سواء في السند أو الهند أو في بغداد أو كوالالامبور، فإنك ستخرج بنتيجة واحدة : تتلخص في أن أبا سليمان كان ـ بمجاملاته ـ يتحدى سـائر الناس الذين لا يسعهم إلا أن يستسلموا أمـام خلقه الرفيع ، وستسمع من كل واحـد منهم قصصاً ـ ولا أقول قصة ـ فيما مارسه وعايشه مع السفير الشبيلي .

كل شيء يمكن أن يصدر عن أبي سليمان ، إلا أن يشكـو من تعب يناله أو إرهاق يلحقـه في سبيل أن يقوم بما يعتقده من واجبه ، في مصانعة زميل أو صديق ربطته به صلة من الصلات ، أو علاقة من العلاقات .

ولا يشهد بهذا لأبي سليمان ، فقط زملاؤه في المهنة أو رفاقه في العمل ، لكن الـذي يشهد بهذا أيضاً ـ وهو مهم ـ رؤساء الدول والـوزراء في الحكومات التي اعتمـد فيها ، فكلهم لديـه ما يحكيه من مجامـلات وكياسات أبي سليمان الـذي يكون



في حديقة منزل السفير في بغداد ومعه عبد الهادي التازي وعلماء من الهند .

حاضراً دائماً في مناسبة الأفراح مهما بعد المكان ، يقدم التهاني والأماني ، ويكون حاضراً دائما كذلك - مهما كانت الظروف - في الأتراح ليتقدم بالمؤانسة والمواساة ، وهو يتبع هذه وتلك بالزيارات فيعطيك الدليل على أنه صادق في الأولى والثانية .

ولا ينبغي أن نستهين - ونحن نتحدث عن هذا الموضوع - بما يقدمه هذا المواطن العظيم لبلاده من عطاء كبير وهو يقتحم البيوت بعباءته وغترته وعقاله ، وبسمته الصادقة وكلمته الطيبة ، وأشهد أنه أدى كثيراً من الخير، وأسدى كثيراً من المعروف ليس فقط للمملكة العربية السعودية ، ولكن للعرب أجمعين ! لقد كان وجها مشرقاً لا يعرف العبوس والتقطيب وكان فكراً وقاداً يعتمد على طيبته وصدقه وسيلة لتلطيف الجو، ويعتمد على حواره وصراحته طريقاً وحيداً لإرجاع المياه إلى مجاريها .

وقد سمحت لنفسي ذات يوم أن أحاول الحد من اندفاعاته في هذا الصدد لكن ما بالطبع لا يتغير، كما يقولون ، فالرجل طينته هكذا : عربي أصيل ، وذو منبت أصيل ، وله هدف كذلك أصيل ! .

وإذا كان بعض الناس يجدون متعتهم في «التخزين» فإن متعة أبي سليمان كانت في الإنفاق ، وإن أسوأ حديث كان يزعجه ويستعيذ بالله منه هو الحديث عن الشح ! . وكان يكره أن يعرف شيئاً عن كتاب البخلاء للجاحظ ! ! وكثيراً ما كان يقول عن المقترين إنهم من أهل النار، على العكس من ذلك ارتاح من إهدائي له كتاب «المستجاد من فعلات

الأجواد» لأبي علي التنوخي ، ونحن نعرف الفرق بين ما يوجد بين دفتي الكتابين .

وقد فرقتنا الأقدار يوم أن نقلنا معاً إلى جهات أخرى ، لكنا ظللنا على صلة دائمة أحدنا بالآخر، فقد اجتمعنا في الرياض بمناسبة زيارة الوزير الأول الأستاذ أحمد عصمان إلى المملكة ، ولما لم يكن لدينا من الوقت للحديث واجترار الذكريات غير الليل ، فقد سهرنا للوقوف على معالم الرياض بالليل ، حيث أوقفني على قصر المصمك وقدم لي عرضاً مسهباً عن نشأة المملكة العربية السعودية .

وقد سمع ذات يوم من إذاعة مانيلا ، أن وفداً مغربياً برئاسة المستشار الأستاذ أحمد بن سودة سيزور الفلبين ، فافتتح التلفون ليتوجه بالدعوة إلى الوفد ، مذكراً بجمال ماليزيا ومناخها ، وأكثرمن هذا فاجأنا بإرسال تذاكر السفر التي عرضها على البعثة المغربية ، إن الرجل مقتنع بأنه يعيش في هذه الدنيا لا ليجمع ويمنع ، ولكن ليجمع ويدفع ! .

وما أنسى ، ولا أنسى ، أصيل يوم من أيام رمضان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٩م حيث فتح علي أبو سليمان الهاتف وأنا في طهران ليدعوني لزيارته في كوالالامبور التي كان يقضي فيها أول أيامه الدبلوماسية ، إنه مرتاح هذه الأيام باستقبال بعثة مغربية تزور ماليزيا كان من ضمنها المقرئة المغربية المعروفة .

لقد كان يعز علي أن أعوده مؤخراً في سرير مرضه بالمستشفى العسكري بالرياض ، أو أسأل عنه في «ماريوط ـ فيينا ـ» الغرفة ٦٢٤ ، ولكن يعز علي أكثر أنه كان ـ بالرغم من ظروفه وصروفه ، جعلها الله في عداد حسناته ـ يهتز لوجودي بقربه إلى جانب ابنه البار سليمان ، أو إلى جانب أخيه أو أقربائه وعشيرته أو أصدقائه وهم كثير وكثير وكثير، لكن الذي كان يثلج الصدر أن أبا سليمان ظل محتفظاً بشهامته ، بأريحيته ، بنبله وشرفه إلى آخر رمق في حياته .

رحم الله أبا سليمان ، ، فقد كان نموذجاً للسفير الناجح الذي يبني ولا يهدم ويصلح ولا يخرب ويفعل الخير ولا يسعى للشر.

أنا حزين لوجه الله :

وكان الدكتور فهد العرابي الحارثي (رئيس تحرير مجلة اليمامة سابقاً) عضو مجلس الشورى ، أحد الذين رثوه دون أن يعرفوه ، أو أن تكون لهم سابقة صلة به غير الذكر من الآخرين ، فجاء الرثاء صادقاً تماماً كالذي صدر من عارفيه :

هل سمعتم بأحد يرثي أحداً لا يعرفه؟! .

هذا ما سأفعل هذه المرة ، على قلة المرات التي كتبت فيها راثياً أو مؤبناً ، أرثي رجلاً لا أعرفه .

إنني لم أقابله في حياتي قط ولم ينلني من مكارمه أو نبله أو أريحيته أو سماحته أي شيء على الإطلاق، ومع ذلك وعلى الرغم من كل ذلك، فإنني سأرثيه!.

سأضع على قبره دمعتين غزيرتين، وسأعلن الحزن.

سيغرق وجهي بين يدي، إلى أن يندمل الجرح ويلتئم.

كل ما أستطيع أن أعترف به هو أنني ألتقي كل يوم بالكثيرين، الكثيرين جدًّا، من أصدقائه ومحبيه، فهم هنا!.. وهم هناك!.. وهم في كل مكان، أجدهم حيثما وجهت وجهي، فالمرحوم له فضله الجمّ، وقلبه الكبير الذي اتسع ـ يا سبحان الله ـ للجميع.

لقد شعرت بألم ساحق حين قالوا بأنه قد مات! فأنا كنت الوحيد، فيمن أعرف، الذي لم يقابله، ولم يصافحه، ولم يترك له ـ مع الأسف ـ الفرصة ليضيف حسنة أخرى إلى القائمة الطويلة التي تزدحم، إلى حدّ الامتلاء، بحسناته.

أعتقد أنه كان سيمسي سعيداً لو تهيأ له ذلك لأنه ظل يصرّ على أن يبقى هو المتفضل أبداً.

لم أسمع عن هذا الرجل منذ الأسبوع الماضي، أو الأسبوع الذي قبله كي أعتقد بأن ما يقال عنه، من أحبابه، إنما يستحثه شعور العطف عليه، فهو مريض يحتضر.

لم أسمع عنه أمس، أو أمس الأول، فأقول إن ما يتردد حوله من حكايات، وما يروى عنه من أقاصيص (تشبه الخيال) إنما تنهمر هكذا بفعل الموت، والناس قد اعتادوا أن يذكروا (غالباً) محاسن موتاهم.

لقد سمعت عن هذا الإنسان الكبير منذ سنوات طويلة، ومن سوء حظي أنني لم أنزل، قط، بلداً هو فيه، ولم يتهيأ لي، قط، أن ألج داراً، أو أغشى مجلساً، أو أدلف طريقاً، فألقاه وجهاً لوجه، هكذا ينتصب أمامي بكامل هيبته، فأحكم له أو للناس، هؤلاء الناس الكثيرون الذين لا يملون ذكره، والذين تلهج ألسنتهم بمناقبه ومآثره التي لا تحصى، إنني حزين جدًّا لموته، وحزين أكثر لأنه قد ذهب وانتهى الأمر، مضى ولن أقابله أبداً.

أبو سليمان، كتب عنه أصدقاؤه، في الأيام القليلة التي خلت، الشيء الكثير. كتبوا عما يتمتع به من صفات، و ما ينعم به من مكارم وما يرفل فيه من فضائل، ولن أردّد هنا ما قالوه أو كتبوه، فتلك صحائف ذهبية سيحفظها تاريخه الرحب الممتد في قلوب محبيه.

أنا ساقف أمام نفسي مندهشاً وأسأل: وهل يبقى للإنسان في هذه الدنيا غير الذكر الحسن، كل شيء يذهب ويزول إلا الذكر الحسن، وكل شيء يتضاءل ويهون أمام الذكر الحسن.

ستظل باقيا:

كان الشيخ عبد العزيـز الرفاعي، من أصدقائه وعارفيه ومحبيه، وكـان ينوي إصدار كتاب يتناول فيـه سيرة عدد من الأعـلام ــ الراحلين ــ، بمن فيهم الشيخ محمـد، فرحل الشيخ عبـد العـزيز في عـام ١٤١٤هـ قبل أن يتمه، وكان قد كتب مقالاً رثائياً بعنوان: أبا سليمان، ستظل باقياً:

يقولون في أمثالنا العامية: (من أجل عين تكرم مدينة، من أجل مدينة تكرم مدائن).

ولم أدرك مدى صدق هذا المثل، حتى سمعت تلك القصة التي يتداولها الرواة ضمن ما يتداولونه من قصص كثيرة عن ذلك السخاء العجيب، وتلك المروءة النادرة، وذلك الخلق الرفيع، مما كان يتمتع به الشيخ محمد الذي فقدناه منذ أيام، أسبغ الله عليه رحماته، وأسكنه عليين من جناته.

وبالرغم من أن القصـة معروفة في أوساط عارفي فضل الشيخ ونبله، وأحسب أن أكثر مـن واحد قد كتبها، فسأرويها اليوم كما سمعتهـا، أو أروي منها ما بقي في ذاكـرتي لأني وجدتها شاهداً أمثل على مـروءة هذا الرجل العجيب و كـرمه، وإنسانيته.

قالوا: إن جماعة من السعوديين قصدوا في لندن مطعماً باكستانياً، ليأكلـوا طعاماً شرقياً يرتاحون إلى مذاقه، واستداروا حول إحدى موائده، وطلبوا مـا شاء الله لهم أن يطلبوا من الطعام، وكان صاحب المطعم موجـوداً به، وقد لفتوا نظره على نحو ما، فسعى إليهم يعتني بهم بنفسه ويلبي طلباتهم حتى إذا اكتفوا، اختفى عن أعينهم، فاستدعوا النادل ليقدم لهم بيان الحساب، ولكن النادل امتنع عن تقديم الحساب وأعلمهم بلطف أنهم كـانوا ضيوفاً على صاحب المطعم، فاتسعت أحـداقهم عجباً، فما هـي المناسبـة؟ ولماذا يفعل ذلك؟ فـرفضـوا ورفض النادل، فألحوا، فأمعـن في الرفض، فلما طـال جدالهم طلبوا أن يتحدثـوا إلى صاحب المطعم نفسه ليعرفوا منه سبب هذا الكـرم والتكريم، وجاء صاحب المطعم يهرول إليهم باشـاً هاشاً رفيقاً رقيقـاً، وحياهم من جديد فلما سألـوه عن سبب التكريم قال: لا تعجبوا، أفلم أسألكم عنـدما بادلتكم الترحيب والحديث عن بلادكم فعرفت أنها السعـودية؟ لقد كنت آليت على نفسي أن لا أرى سعودياً إلا وألتمس طريقاً أكرمـه بها، وقد سرني جداً أن تقصدوا مطعمي، وأن تشرفوني بتناول الطعام فيـه، ولن يدخل هذا المطعم سعودي إلا ويكون ضيفاً به، فاتسعت أحداقهم أكثر، ولكن لماذا تفعل ذلك أيها الشيخ؟.

قال: لذلك قصة قد تطول فهل تسمحون لي بالجلوس معكم؟ يا غلام اصنع لنا شاياً متقناً.



وسحب الشيخ كرسياً له إلى جوارهم . ثم قال :

ـ كنت قبل سنوات أعيش في إسلام أبـاد مع زوجتي وكانت حاملاً، فأحست بالمخاض في الفجـر الباكر، فنزلت من مسكني إلى الشارع ألتمس سيـارة أجرة، أنقل بها زوجتي إلى المستشفى، كان الشـارع خلواً من المارة، فقد كـان الوقت مبكراً جداً، ولا يوجـد إلا رجل واحد على الرصيف يقطعه جيئةً وذهاباً، يتمشى عليه، ويبـدو أن ارتباكي قد لفت نظره فقد كان انزعـاجي ظاهراً وأسرع الرجل إليّ يسألني في مبادرة عجيبة، قـال : ما بالك؟ قلت في ضيق إن الأمر لا يعنيك . قال : نعم أيها الأخ، ولكن ربما استطعت مسـاعدتك قلت : إنني أبحث عن سيارة أجرة أو أيـة وسيلة أنقل بها زوجتي، إنها توشك أن تضع، قـال : أيها الأخ الأمر يسير والسيـارة حاضرة تنقلك مع زوجتك ولم يـدع لي فرصـة للتردد فقد مضى يهرول وكانت لهفتي تمنعني من أن أعترض، وفعلاً كانت هناك سيارة فارهة تقف عند داري فحملت زوجتي ومضيت بها إلى المستشفى .

في اليوم التـالي، كان هناك من يطـرق باب غرفتنا في المستشفى وكـان هو سائق الأمس، قلت لعلـه غير رأيه فأراد أن يتقاضـانا أجـره، وقد رفض ذلك بـالأمس رفضاً شـديداً، فما بـاله اليـوم؟ ولكن السائق كـان يحمل إلينا هدايـا للطفل الصغير، ويسأل عن موعـد رجوعنا إلى الدار، مصراً على أن يكـون هو الذي يردنـا إليه وهكذا كان . وبعـد إلحاح شديد

علمنا أنه سائق سيارة السفير السعودي وأن السيارة التي حملتنا هي سيارة السفير ذاته . قلنا : سنحتفي يوم كذا بأسبوع الطفل ونود أن يشرفنا سعادة السفير بوجوده بيننا ، فلن ننسى فضله ولا معروفه .

وقد سمعنا عن القهوة السعودية فلعلنا نستطيع أن نقدمها لضيوفنا ضمن ما عزمنا على تقديمه في الحفل .

وفوجئنا يوم الحفل وقبل موعده بساعات ، بذلك السائق ومعه آخر، يستأذن في نصب زينة الاحتفال بالوليد الجديد مع صنوف من الكعك والحلوى وطعام كثير ودلال القهوة السعودية . ورأيت من كرم سفيركم ما أذهلني ، وآليت من يومها أن لا أترك سعودياً يدخل مطعمي إلا وجعلته ضيفاً ، فإن شعباً هذا الرجل منه ، لا بد وأن يكون شعباً كريماً وجديراً بالتكريم .

والقصص التي تروى عن سخاء الشيخ الشبيلي تغمده الله برحماته ، كتب بعضها قبلي أكثر من كاتب ، ورواها الرواة بأساليب مختلفة ، ولكنها تلتقي كلها عند معنى كبير هو سخاء الرجل ، وأن سخاءه كان طبعاً أصيلاً لا افتعال فيه يسديه لمن يعرف ولمن لا يعرف .

وكنت كتبت من قصصه بعضها ، ومن ذلك قصة تاجر من مكة المكرمة ، كان يتردد على البصرة ، أيام كان الشيخ الشبيلي قنصلاً فيها ، نزل هذا التاجر في نزل البصرة فمكث أياما عشرة باع فيها واشترى ، فلما حان سفره وعودته إلى بلده مضى يحصي ما تبقى من نقوده فإذا بها لا تفي أجر الفندق ، قال وهو يروي القصة : حملت حقيبتي ومضيت أنزل درج الفندق ، وأنا أضرع إلى الله أن لا يفضحني في بلد لا أعرف فيه أحداً ، وخلعت ساعة يدي من معصمي ووقفت أمام موظف الاستقبال وقلت : يا أخي أنا أعلم أن المطلوب مني هو مبلغ كذا ، ولكن لا أجد معي منه إلا كذا . ولكني أتردد كثيراً على البصرة فاجعل ساعتي هذه رهناً في الباقي وهي ثمينة قيمتها أكبر مما تطلب ، فإذا رجعت إليك إن شاء الله في الرحلة القادمة دفعت دينك وأخذت ساعتي ، وشكرت لك صنيعك ، جزاك الله خيراً .

قال : ودهشت عندما رأيت الرجل يضحك ، فأدركت أنه يسخر مني فأخذني الغضب قلت : لماذا تسخر مني؟ وأنا أكلمك جاداً ، وليست هذه المرة الأولى التي أنزل فيها بفندقك قال : يا أخي لا تغضب ، فأنا لا أسخر منك ولكن أعجب فقط ، فإن لدي إشعاراً من القنصل السعودي بأن لا آخذ منك فلساً . فأنت ضيفه قلت : ولكني لا أعرف القنصل السعودي وهولا يعرفني ، فليس من المعقول أن أكون ضيفه وأنا لم أره قط ، قال : لست وحدك ضيفه فكل من نزل بهذا الفندق ضيف عليه ، هكذا تعليماته ، فعجبت وشكرته ، وقلت لا بد قبل رحيلي من أن أرى هذا الرجل وأن أشكر له مروءته وبادرت إليه وشكرته ، وكسبته صديقاً .

قصتـان تلتقيان في مـدلول واحـد، هـو ذلك المثل الدارج الـذي أوردته في مستهـل هذه السطـور، فقد أكـرم الشيخ الشبيلي في البصرة كل سعودي ممن عرف ومن لم يعـرف، فعل ذلك تكريماً لبلده وقومه جميعاً، وجـاء الباكستاني صاحب المطعم ليكرم كل سعودي يدخل مطعمه لأنه من بلد الشيخ الشبيلي . . فمن أجل عين تكرم مدينة ومن أجل مدينة تكرم مدائن، أو من أجل عين تكرم عيون كما هو في رواية أخرى للمثل .

عرفت أبا سليمان ـ يرحمه الله ـ أول ما عرفته في بغـداد، فقد كنت ضمن وفد رسمي، فأحسن الرجل رعايتنا وأحاطنا باهتمامـه وعنايتـه القصوى ووفـر لنا جميع أسبـاب الراحـة . . ثم اتصلت بيننا أسبـاب المودة، فكنت أزوره ويزورني وفي إحدى رحـلاتي مررت بماليزيـا، وكان هو السفير فيها، فـوجدت من رعايتـه أقصى ما يجد صديق من صـديقه، ولكني كنت آخذ عليه أنه لا يتيح لأصـدقائه الفرصة الكافية لكي يفرحوا بتكريمهم إيـاه، تعبيراً عن بعض مشاعر حبهم، وقد صـارحته بهذا فلما أكثـرت عليه قـال: سأقص عليك قصة، لقـد دعاني أحـد الأحبة إلى وليمـة عشاء أقـامها تكـريماً لي فحددت له مـوعداً، وكان من دأبي أن ألبي دعوات أصدقائي، فلما وصلت إلى داره رأيت عجبـاً فقد زين المضيف الدار والشارع بمصابيح الكهرباء، فظننت أنني إنما دعيت إلى عرس، فإذا به صـاحبنا وقد بالغ أيما مبالغة في الاحتفاء بي، ولم يترك صديقـاً إلا ودعاه، ولا وسيلـة من وسائل المبالغـة إلا اتبعها، فأخجلني ذلك، ونشأت عنـدي عقدة الخوف من أن يفعل غيره فعله، فعقـدت العزم بعد ذلك على أن لا ألبي دعـوة، اللهم إلا إذا استوثقت أنها ستكون ضمن المعقـول، مما تواضع عليه الناس في ولائمهم، وأن تقتصر على دائرة محدودة من الأصدقاء .

ترى هل كان أبو سليمان يتصرف في كرمـه وتكريمه ضمن حدود المعقول؟ كلا، فقد كان يبـالغ ما وسعه إلى المبالغة سبيل، وكل قصص كرمه الكثيرة إنما هي السخاء بعينه، والسخاء لا يعرف حدوداً ولا قيوداً .

كان أبـو سليمان إنساناً فـذاً في إنسانيته، كان يتعمق مشـاعر الناس ويـذهب إلى أغوارهم ويدرس بـذكائه العجيب خواطرهم، تعينه على ذلك شفافية إنسانيته، ولكنه كـان من جانب آخر يعرف كيف يداري عن الغير أشجانه، فلا يترك لها السبيل إلى تعابير وجهـه، فلا تكاد تراه إلا مبتسماً، تحسب أن السعـادة تغمره كل حين، ولكنه كان يضمـد جراحه في تكتم شديد، ألم يقل المتنبي: الجود يفقر والإقدام قتال؟ لقـد كان يرحمه الله ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، فلا عجب إن أهلك ماله كلـه، وأتى على كل ما تصل إليه يده وكل من عـرفه عن كثب، عرف كيف يزدحم الـراغبون في سخائه على باب كرمه، فالمورد العذب كثير الزحام .

كان الشيخ محمد رجلاً فناناً، كان فنه هو معاملة الناس أو العلاقات الإنسانية التي تدور في دائرة الحب، والمعروف، والإحسان، كان إنساناً حتى عنـدما يغضب، كأنما كانت معاشرته للدبلوماسية عبر سنـواته الطويلة معها، قد التصقت به التصاقاً فلا تنفك عنه في جميع أحواله .

القلب الكبير :

ورثاه الأستاذ فيصل الشهيل بالكلمات الآتية :

ـ أبو سليمان . . . ذلك الصرح الشامخ في عطفه المعروف وكرمه الحاتمي وأسلوبه النبيل وتعامله الرائع مع الجميع ، فارس في كل الميادين ، يمد العون للمحتاج ، يوفق ولا يفرق ، والأمثلة على خصائله أكثر من أن تعد أو تحصى .

لقد جمع «النبل» من كل أطرافه كرماً وشهامةً وجوداً وإنسانيةً وبذلاً من النفس للآخرين ، ومنذ أن عرفته أدركت أن قلب أبي سليمان أكبر وأبعد حدوداً من احتواء صداقات تعد على الأصابع ، عرفت أنه كان بحراً بوسعه احتواء كل القلوب ، وكل الهموم ، وكل ذي روح في بلاده ، كان المال وديعة في جيبه ليكرم به الآخرين ويقضي به حاجتهم ، وكان النبض في قلبه وديعة في جسده ، وكان قلبه يستمر في النبض ليرعى مصالح الغير، وكانت أيام حياته وديعةً عنده حتى يقضيها لخدمة دينه ودولته ووطنه .

أبا سليمان : ستعجز أقلام من عرفك عن وصف شمائلك الكريمة ، وتميّز أخلاقك وصفاتك النادرة ، سقى الله قبراً ضم تكامل الأخلاق ، وكنت من صفوة الرجال ، ولله يرجع الأمر كله . .

من ذكريات مسافر :

معالي الأستاذ محمد عمر توفيق ـ وزير المواصلات السابق ، والأديب المعروف ، اشتهر بحبه للسفر والتجول ، والتأليف في أدب الرحلات ، وقد ألّف كتاباً بعنوان : من ذكريات مسافر «من جزأين» :

وفي الجزء الثاني (ص٢٩) وصف إحدى رحلاته إلى الشرق عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) فقال :

ـ «ولعل الظاهرة التي تكاد تتفوق بها ماليزيا في المنطقة هي الطابع الإسلامي عليها حكومة وشعباً ، ومساجد وبرامج دينية في الإذاعة والتليفزيون إلى غير ذلك من كفاح ونشاط بعض الأفراد والجمعيات لتصحيح أوضاع المسلمين» .

«وكما كنا مغمورين بطبيعة ما ليزيا ومباهجها كنا مغمورين بمكارم الصديق الحبيب أبو سليمان محمد الشبيلي يومها ، ثم ذهبت إليها مرة أخرى مع من تيسر من الأهل والولد ، إنه سفير الحكومة هناك بمعناه الرسمي المجوّد وبمعناه الإنساني المجوّد أيضاً ، إنه يذكّر بحاتم الطائي على أن هذا كان ينقذ الغرقى أو من في حكمهم ، أما الشبيلي فالناس كلهم سواء في ضيافته الغامرة .

وما كدنا نستودع الله الشبيلي إلا بشق الأنفس ولو أطعناه لظللنا في كوالالامبور إلى ما شاء الله .

وكانت رحلة غير مملة بالسيارة على حساب الشبيلي أيضا إلى سنغافورة ، وفيها سبق نشره من الذكريات لمحات عنها .

ـ وكان الشيخ محمد عمر توفيق قد كتب قصيدة مازحة قال في مطلعها :

كان الشبيلي كريماً في استضافتنا   بالاسكريم من «الدوريان» في «مالي»

وقد أدرجت جانباً منها في الفصل السابع .

شهادة قديمة:



احتفال أهل الزبير بزيارة جلالة الملك سعود (عام ١٣٧٢ هـ عندما كان ولياً للعهد) .

وأصدر الأستاذ محمد طه الفياض العاني ، صاحب جريدة السجل العراقية كتابين عن ذكرى زيارتي جلالة الملك سعود ـ طيب الله ثراه ـ إلى العراق (الأولى عندما كان ولياً للعهد عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م ، والثانية عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م بعدما أصبح ملكا) .

وفي الكتابين إشارات عديدة إلى الشيخ محمد ، إلا أنه في كتابه الثاني خصص الصفحة (١٢٠) للحديث عنه ، حيث قال :

ـ «ضربت الأمة السعودية بسهم وافر في النجاح السياسي الدبلوماسي على أيدي رجالها العاملين رغم حداثة عهدها بالثقافة العصرية الراهنة ، وأثبت رجال هذه المملكة تفوقهم وقدرتهم على ممارسة الشؤون السياسية ، بما لم يتيسر لأقرانهم من إخوانهم العرب في سائر الأقطار ، إن لم نقل إن هؤلاء يمتازون بصدق الكلمة والابتعاد عن الختل السياسي ، والمكر

الدبلوماسي، والكذب والبهتان، زد على ذلك التدين والتخلق بالأخلاق الإسلامية.

هذه الصفات الحميدة يتحلى بها الرجال السعوديون وحدهم جماعات وأفراداً، ومن هؤلاء السياسيين البارعين الشيخ محمد الشبيلي، قنصل المملكة في البصرة، الذي تجمعت في صفاته كل خصلة عربية مجيدة، مما يؤمل له معها الفوز والنجاح في حياته السياسية القادمة».

رمز من رموز الوفاء:

ومن كلمات الرثاء، هذا المقال الذي نشره الدكتور سهيل حسن قاضي الأستاذ بجامعة أم القرى وعضو مجلس الشورى، والذي يروي فيه تجربة خاصة مرت به معه، فيقول:

- خسرت البلاد واحداً من رجالها الأفذاذ، وعلماً من أعلام الكرم والجود، ورمزاً من رموز الوفاء والسخاء، وسفيراً من أنبل السفراء في الداخل والخارج.

لقد كان لوفاته أثر بالغ في نفوس كل محبيه، وما أكثرهم، لأنهم عرفوا فيه كل معاني الحب والإجلال والتقدير والوفاء، لكل أبناء هذا الوطن وغيرهم ممن عرفوا الشيخ الشبيلي، رحمة الله عليه.

كان الشيخ الشبيلي يعرف كيف يضاعف حسناته من خلال تبرعه السنوي للجمعية الخيرية بمكة، وجمعية البر، وغيرهما من الجمعيات، وكان دائماً باراًّ بالضعفاء والمساكين.

وفي داره، بكوالالامبور، أعان كل الخدم على الزواج، وكان يمنحهم إجازة استثنائية لقضاء شهر العسل في أحسن المنتجعات بماليزيا، كما أتاح لهم فرص العمرة والحج لبيت الله الحرام.

ما من زائر لماليزيا وغيرها من البلدان التي قدم خدماته فيها سفيراً لهذه الدولة السنية، إلا وله معه قصة.

ففي عام ١٩٧٨م، قررت أنا وزوجتي السفر إلى أمريكا لمواصلة الدراسة عن طريق الشرق، إذ لم يبق على إنهاء أطروحة الدكتوراه إلا بضعة شهور، وعندما علم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، أننا اخترنا ماليزيا ضمن الدول التي نرغب في زيارتها، قال سوف أبعث لكم أمانة لتسليمها للشيخ الشبيلي.

وبعد وصولنا إلى سنغافورة، أحدثنا بعض التعديلات على مسار الرحلة وأصبح خط السير يمر بمدينة بينانج بماليزيا، وكنا نظن أن هذه المدينة كما تبدو على الخارطة لا تبعد سوى بضعة أميال عن العاصمة كوالالامبور، وبعد

وصولنا ، عرفنا أن المسافة تحتاج إلى سبع ساعات بالقطار، فقررنا إرسال الأمانة بالبريد المضمون وهكذا فعلنا .

وفي اليوم التالي مباشرة رنّ الهاتف في غرفتنا بفندق «رسامايان» ، وإذا بالشيخ الشبيلي بلهجة المعاتب ، وكأنه يعرفنا من سنوات ولا زلت أذكر كلماته : لا يجوز أبداً أن تأتوا إلى ماليزيا دون المجيء إلى كوالالامبور، لا بد من قضاء بضعة أيام معنا ، فاعتذرنا للشيخ نظراً لقرب بدء العام الدراسي ورغبتنا في عدم تغيير مسار الرحلة ، آملين أن تتاح لنا الفرصة مرة أخرى ، ولكن الشيخ استخدم نفوذه قائلا : أنا والدكم وأطلب منكم المجيء غداً ، وقد حجزنا لكم على الطائرة المسائية وسيأتي من يعينكم على حمل الأمتعة ، أرجو أن تكونوا جاهزين .

لقد كانت نبرة صوته لا تسمح بتكرار الاعتذار، فقبلنا من حيث المبدأ على أن نعاود الاتصال به ، وفي المساء ، كنا مدعوين للعشاء لدى الشيخ حسن جابر دمنهوري ، وذكرنا له ما حدث فقال : إن دعوة الشيخ محمد لا يمكن أن ترد ، لأنه رجل يتعامل بمصداقية مطلقة ، ويغضب لعدم الاستجابة .

في اليوم التالي ، وصلنا كوالالمبور وكانت المفاجأة الكبرى ، أن الشيخ كان في استقبالنا في المطار عند الطائرة بالزي السعودي ، ولم أسمح لنفسي بأن أصدق أن هذا الرجل ، جاء لاستقبال هذا الطالب وزوجته وطفلته ، فأنظارنا كانت متجهة نحوه إلى أن بادرنا بالسلام ، وبعد أن أمضينا بضع دقائق في استراحة المطار ذبنا فيها خجلاً من هذا الموقف ، ذهبنا معه في سيارته الخاصة وتوقف بنا لدى الجامع الكبير، وطلب من الحارس الذي يعرف الشيخ محمد جيداً فتح الباب لنا وأمضينا بعض الوقت نتجول في المسجد ، وفي ساحاته الجميلة الخارجية .

وواصلنا المشوار إلى داره والتفت إلينا بحنو بالغ : إن شاء الله تمضون الليلة معنا هنا في الدار، وإذا ما ارتحتم ، فسوف ننقلكم إلى الفندق ، ولكنني أفضل بقاءكم معنا ، فأنا لا أحب الفنادق .

لقد أحضر بعض ألعاب الأطفال لبنتنا الصغيرة ، وشنطة مكياج متكاملة الأدوات ، وعلبة فاخرة تحتوي على أفضل أنواع العطور الهندية الأصيلة ، وبهذا يكون الشيخ محمد ، الذي لا يعرفنا سابقاً ، قدم لنا أحب شيء إلى كل منا ، أما طاولة الطعام ، فقد أعدت لكي تحتوي على كل أنواع الطعام الشهي وأنواع الفواكه الشرقية العجيبة ، وعند النوم ، اصطحبنا إلى غرفة النوم المجاورة له ، ولم يفته أن يذكرنا بكيفية استخدام خزان الماء الاحتياطي في حالة انقطاع الماء ، وأخبرنا أنه لا ينام إلا بعد الثالثة صباحاً ، بعد أن يستمع إلى نشرات الأخبار العالمية .

وفي اليوم التالي ، كان قد أعدّ لنا برنامجاً حافلاً ، وقبل سفرنا بساعات ودَّعنا للذهاب إلى دعوة تلقاها من أحد السفراء ، وطلب منا موافاته بوصولنا .

وقبل إقلاع الطـائرة بدقـائق، فوجئنا بحضـوره، فقد أبى إلا أن يمعن في الاحتفـاء بنـا ليـودعنـا بكلمات مـلأى بالأبوة الحانية فزادنا خجلاً ولم نجد من الكلمات ما نعبر به وآثرنا الدعاء له بالخير.

ولم تنتـه القصة، فقـد ظل يـرحمه الله، يتـابع أخبارنـا حتى وصولنا إلى مقر الدراسة.

وفي العام الـذي يليه، وبعـد عودتنا إلى الـوطن، بعث لنـا بسيـدة طيبــة من أسرة كـريمـة في مـاليــزيـا للعمل والمسـاعدة في خـدمـات المنزل، وبعـث معها إلينـا أطيب الفواكه الشرقية النـادرة، ولا زالت هذه السيدة تعمل معنا حتى الآن، وقـد شاركتنـا البكاء عنـدما علمت بـوفاتـه، وتذكر له بالفضل مواقفه النبيلة معها.

لقـد تـرك الشيخ الشبيلي أثــرا لا يُمحى في ذاكـرة كل الذين تعاملوا معه.



MINISTER FOR ~~[illegible]~~ Foreign AFFAIRS
RAWALPINDI.

No.P(I)-1/3/64 February 25, 1964

Excellency,

I thank Your Excellency for your letter dated the 16th January, 1964 informing me about your departure from Pakistan.

May I convey the deep appreciation of the Government of Pakistan for the excellent work you did in furthering relations between Pakistan and Saudi Arabia. I wish to express to Your Excellency, our sincere thanks for unfailing co-operation which you, always extended to us during the tenure of your office in Pakistan.

I avail myself of this opportunity to offer my best wishes for your health and happiness and for your success in Future.

Kindly accept, Excellency, the assurances of my highest consideration.

Zulfikar Ali Bhutto
(ZULFIKAR ALI BHUTTO)
FOREIGN MINISTER OF PAKISTAN

His Excellency
Mr. Mohammed Al Hamad Al Shubaily,
Ambassador of Saudi Arabia,
KARACHI.

خطاب شكر من ذو الفقار علي بوتو رئيس وزراء باكستان الراحل بمناسبة مغادرة الشيخ محمد.

لقد كـان سفيراً لبلاده، وسفيراً لكل العرب والمسلمين، عمل سفيراً في مـاليزيا فقط، مـا يربو على اثني عشر عـاماً، وكان معروفاً لدى سلطان مـاليزيا وحكام الولايات وكل المسؤولين، وقد مُنح العديد من الأوسمـة الرفيعة، تقديراً لجهوده في توطيد و تقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين وطنه وبين الأوطان التي عمل فيها.

عُرف بـالتواضع الجم، والحياء، وحسن المعشر، وأصـالة المعدن. كـان محبّاً للعلم والعلماء والأدب، وفي ا لمرات التي زرته فيها في المستشفى العسكري، كنت أجد عنده دائماً الأستاذ عبد العزيـز السالم، و عبد العزيز الرفاعي، ويجد ارتياحاً بالغاً للحديث معهم.

لقد مـات الشيخ الشبيلي، بعد أن طوقني بفضله ولطفـه، الذي لا ينسى، ولم يمنحني قط الفرصة لـرد المعروف، كما هو الحال مع الكثيرين غيري.

وسيبقى هذا الأمـر حسرة في نفوسنا، ولا نملك، والحال كما ذكـرنا، إلا أن نتـوجه إلى الله عز وجل بقلـوب مخلصة أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه عن الجميع خير الجزاء، ويبارك له في خلفه.

تعليـق:

وبعد أن قرأ الأستـاذ ظافر أحمد القرني، موظف السفـارة السعودية في باكستان، مقـال الدكتور سهيل حسن قاضي في مجلة إقرأ كتب تعليقاً عليه ـ في المجلة نفسها ـ قال فيه:

«منذ أن قرأنـا خبر وفاته وموظفو السفارة يقـولون، إننا عملنا مع هذا الرجل وإن كل مـا كتب عنه لا يفي بحق هذا الرجل، وقـد زادت دهشتي لا لأني لم أكن أعرفه، ولكن لماذا لا يكـون كل شخص منا مثل هـذا الرجل الذي يـدعى له بالمغفرة والرضوان، وهل تترك قراءة هذا الموضوع أثراً في نفوسنا؟ وهل يبقى أم يزول بعد أيام؟.

كيف أبكيك؟:

وكتب الأستاذ سليمان بن محمد العيسى رثاءً، عنوانه: كيف أبكيك؟ قال فيه:

«... ولم أر قوماً اجتمعوا على محبة رجل والإشادة به، مثلما اجتمعوا على محبته..

كنت مرة في ماليـزيا، ورأيت كيف كان يتعب من أجل الآخرين ويسهـر لأجل راحتهم، قالوا له مـرة إن مجموعة من مشجعي الكرة جاؤوا من المملكة لتشجيع المنتخب هناك فذهب لزيارتهم في الفندق.

وهناك أصر على تكريمهم وكل الرياضيين من لاعبين وإداريين وإعـلاميين أكثر من مرة، وفي كل مرة أراه فيها كنت أشفق عليه، لأنه يتحمل أكثـر من الطاقة، ولأنه يقسو على نفسه كثيراً على حساب راحتـه، وكنت أرقب محبة الناس في ماليزيا لهذا الرجل وتقديرهم له.

إنه جدير بالتكريم، وسيبقى خالداً في قلوب مواطنيه ومحبيه.

وكريم عبر الهاتف:

وتحت عنوان: «الكـريم الذي بلغنـا كرمه على الهاتـف»، كتب الأستاذ عبد العـزيز عبـد الستار تركستاني يقول:

ـ إنني أتذكـر ذلك اليوم الذي كنت فيه مع عـائلتي في مطار كوالالامبور، وواجهت بعض الصعـوبات ولم يكن لدي أحد أعرفه سواك، شجعني على ذلك ما سمعته عن طيبة نفسك وتعاملك الطيب مع الصغير والكبير، وتحقق ما توقعته، فلقد أنهيت على الهاتف كل مشاكلنا في المطار ولم تكتف بذلك، بل إنك أصررت على أن نسكن في فندق المطار وأن نرتاح تلك الليلة وتلقانا في الغد.



وإني أتذكر أيضاً حين أرسلت لكم خطاباً حول مشروع بناء مدرسة للمعوّقين في ماليزيا، حيث كنت أعمل في المعهد العربي الإسلامي في اليابان، فكنت السباق لتبني هذا المشروع الخيري، وقدّمت كل تعاون يسّر لنا العمل في مجال البر والخير، فقد فتحت باب التبرع بمبلغ من جيبك الخاص.

... إن كل قواميس الحب والوفاء لا تكفي لوصف خصالك الحميدة، فقد كنت مثالاً يقتدي بك الكثير ممن عاصروك أو سمعوا عنك.

لقد كنت تضحي بوقتك وبمالك وراحتك، في سبيل أن تجعل البسمة ترتسم وعلامات الرضى تضيء في وجوه الناس.

كنت تشمل برعايتك كل من يمر عليك دون اعتبار لجنسيته ولونه وعمره ومركزه.

الحقيقة الإنسانية:

وكتب الأستاذ تركي بن عبد الله السديري - رئيس تحرير جريدة الرياض مقالاً من حلقتين، تحت عنوان: الشبيلي، جاء فيه:



مع بعض أعضاء السفارة والملحقيه الثقافية في بغداد.

محمد الشبيلي ـ يرحمه الله ـ حقيقة إنسانية فذة عرفها آلاف الناس، لم يكن خيالاً، ولا مبالغةً، إنه شاهد الشفافية الإنسانية، والكرم العربي، على أن مثل هؤلاء النادرين يمكن أن يكونوا حقيقة واقعة، فالذين عايشوه وعرفوه، تعودوا من تصرفاته ما ليس طبيعياً عند غيره وشاهدوا من كرمه ما هو خيال مغرق، وليس هذا هو شأن الشبيلي فقط وإنما هو شأن كل الأفذاذ من أمثاله، شأن النادرين الذين تجاوزوا كل الصيغ الطبيعية للكرم ورجولة المواقف، وبذا فقد ارتفع ليكون رجلاً فريداً ليس من السهل أن يتكرر، وليكون أيضا مفخرة لا تقف عند حدود بيته أو أسرة الشبيلي الكريمة، ولكنه مفخرة لكل نقاء عربي مارس الكرم وهو

إنسانية وسخاء وليس مظاهرة إعلان عن الذات.

بالتأكيد لا يدرج اسمه ضمن قائمة الأغنياء، فلقد عايش نمو المملكة منذ البدايات، وتقلب في مختلف المناصب والمسؤوليات، إلا أنه لم يجعل المسؤولية وسيلة مال ونفوذ، وإنما جعلها رسالة بناء إنساني رفيع، فكلما زاد الناس غنى في موجوداتهم كان سعيداً، وهو يجد موجوداته تنفد في سبيل تأدية رسالة الكرم الإنساني التي تحمّلها برجولة فريدة.

كل ما يُكتب عنه لن يكون إلا مجرد لمحات لجوانب مشرقة وما أكثرها في شخصيته.



مع وفد إعلامي سعودي في باكستان منهم عزت مفتي، حسن خزندار ومحمود زاهد.

وعلى رأس زاوية يوم أمس واليوم لم أختر تعريفاً لهما إلا عنوان الشبيلي، كلمة واحدة كافية لأن نستدعي في ذهن كل قارئ يعرف محمد الشبيلي أو سمع عنه كل صفات الكرم ونبل التعامل ونبل المواقف.

الشبيلي رجل مختلف تماماً، فهو لا ينتظر السؤال من المحتاج، ولكنه يذهب بكرمه إلى كل الناس معتبراً أنهم ضيوفه، وظروف المسؤولية أو المكانة الاجتماعية ليس هو ما يملي عليه تقدير الآخرين، ولكنه في كرمه وتقديره ورجولة مواقفه يفعل ذلك مع كل الناس، حتى أصبح كل سعودي، يحل في بلد هو سفير فيه يعتبر ضيفاً عليه، وذهب الرجل إلى حد تقصي الفنادق، لئلا يوجد بها من يتلهف على استضافته ولكنه لا يدري عنه، كرمه لم يقف عند حدود أن، يتقي الله سائله، ولكنه تجاوز ذلك إلى أن «يتقي الله» معارفه والسامعون عنه، بإراحته من عناء ضيافتهم ورعايتهم، فما كانوا يطلعونه على وجودهم في بلد يعمل هو فيه، إلا حين يقترب موعد الذهاب للمطار عائدين فيذهبون للسلام عليه.

رجل آت من مثاليات فريدة.

يروى تـدليلاً على سعة صلاتـه وشمول علاقاتـه، أن السفير الكويبي في الهند أثنـاء عمله هناك، كان يعتمـد عليه في اختيار ما يليـق بحفلاته الشرقية، وبقدر مـا يعني هذا شمول علاقـاته الدبلومـاسية، فإنه يعني أيضـا صلته الاجتماعية الوثيقة بالمجتمع الهندي، وإذا كان من يبذلـون جهوداً محدودة في أي عمل جيد يعتبرونها مناسبة للإعلان عن أنفسهم أو يجمعون الأمـوال والمناصب لفعل الظهـور الإعلاني، فقـد كان الشبيلي وثيق الصـلات والتبرعات والجهـود مع الجمعيات والشخصيات الإسلامية الأخرى الوطنية في مواقعها دون أن يعلن ذلك لأحد.

يروون حكـايات مثل الأسـاطير عن إنسانيتـه وكرمـه، ومنها : أن رجلاً من أسرتـه كان يبتـاع في أحد أسـواق لندن المركزية، وحين أراد تـوقيع شيك بالمبلغ لمحاسب المكان، لاحـظ البائع الاسم، فرفض استلام الشيك، مـؤكداً أنه ليس بحاجة لتسديد الفاتورة، ودخلا في جدال طويل أنهاه البائع بقوله :

ـ لقد دفع حسابك الشيخ محمد الشبيلي، فرد المشتري :

ـ لكـن فكرة الشراء هذه لم تخامـرني إلا الآن، فكيف عرف الشيـخ محمد الشبيلي بـذلك، وهو على بعـد آلاف الأميال ليدفع حسـابي، وكيف دفعه وهو على مثل ذلـك البعد، وعادا إلى الجدال، الأمـر الذي اضطر البـائع الهندي الأصل لأن يروي له قصـة مثيرة حدثت قبل أعوام طويلة، وموجـزها أنه كان شابـاً فقيراً يسكن في دلهي، وقبيل الفجر داهمت الولادة زوجته وكانت الأعراض تتطلب تدخلاً جراحياً، وأسقط في يـده فهو على أطراف مدينة معظم سكانها من الفقراء ومعظم بيوتها من القش، فكيف سيذهب إلى المستشفى وكيف سيدفع تكاليف العلاج . ؟ .

يضيف، لقد وجدت غير بعيد مـن منزلي أضواء تأتي من منزل كبير، فتوقعت أن يكون لأحـد القادرين على مساعدتي بأي شكل، وإن كـان ذلك شبه مستحيل في مثل تلك السـاعة من الليل، ذهبت إلى هنـاك، فقرعت البـاب، وشرحت الأمـر للحارس، الـذي فوجئـت بأنه لم ينهـرني أو يطردني، بل اختفـى دقائق ثم عـاد ومعه رجـل آخر، قـال إنه سـائق سيأخذني إلى المستشفى، وفعلاً ركبت وزوجتي السيـارة إلى المستشفى، الذي كانت مفاجأتي كبيرة أن أجد عنـد بابه من مـوظفيه من هـو في انتظـارنـا، لم يسألني أحد عـن أي شيء، أخذوا الـزوجـة، أجريت لها لفحـوص، ثم عمليـة ولادة قيصرية، ثم غـرفة أنيقة، وفي الصبـاح فوجئت بحقيبة تصل إلى غـرفة زوجتي وبـداخلها ملابس للطفل ومستلـزمات لرعـايته أخرى ورجل يقـول : يرجو محمـد الشبيلي أن تقبل هديته لطفلك واستضـافتكم في المستشفى على نفقته، إذ دفع فعلاً أجرة العملية والغرفة وكل مصروفات العلاج حتى تاريخ الخروج .

ويواصل الهندي :

ـ لقـد عرفت أن ذلك المنزل كان بيت السفير السعـودي، وأن سيارته هي التي أقلت زوجتي إلى المستشفى، وأنـه هو الذي دفع كل التكاليف التي كنت عاجزاً عن القيام بها، فأقسمت ألا ألتقي بأحد يمت إليه بأي صلة إلا كان ضيفي .

فريد في نوعه :

وكتب الشيخ سعد بن عبد العزيز الرويشد مقالاً يرثيه فيه، وهو من عداد أصدقائه المقربين وممن يمكن الرجوع إليهم عند كتابة سيرة الشيخ محمد، وممن اهتم بإصدار هذا الكتاب عنه، والمقال بعنوان: فريد من نوعه، وحيد في وقته:

علمت بوفاة صديقي العزيز في صبيحة يوم الخميس الموافق ١٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ فصدمني النبأ صدمة عنيفة أحسست بعدها بدوار يتملكني، فمع تأثري من نبأ الوفاة لم أستطع أن أكتب كلمة واحدة في رثائه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كيف أكتب وماذا أكتب عن محمد الحمد الشبيلي، الرجل الذي دخل التاريخ من أوسع أبوابه في الكثير من مجالات الحياة، حتى تجاوزت أفعاله الخيرة فوق ما نظمه الشعراء وحرره الكتاب؟، ثم إنني لا أملك القدرة الكتابية والبلاغية التي ترضي ضميري نحوه في إبراز سيرته الحميدة وتاريخه المشرّف.

بعد هذا بدأت نفسي تؤنبني قائلة: اكتب بقدر استطاعتك فكل واد يسيل بقدره، ولولا ما شاهدناه من أخلاق هذا الرجل وكرمه، لاعترانا الشك فيما تذكره كتب التاريخ عن الكرم والكرماء، لكن واقع أبي سليمان جعلنا نؤمن ونصدق بما ساقه التاريخ في هذا الميدان.

إنني لست الصديق الوحيد، فأصدقاؤه ومحبوه لا يحصون عداً، ولكنّ صداقتي معه بدأت منذ اثنين وخمسين عاماً، عندما كان موظفاً بديوان الملك عبد العزيز، غفر الله لهما، وكنت آنذاك موظفاً في الخاصة الملكية، التي كان يرأسها الشيخ عبدالرحمن الطبيشي ـ يرحمه الله ـ وجميع دواوين جلالته يضمها قصر الحكم داخل مدينة الرياض القديمة.

فكنت ألتقي به بصورة مستمرة بهذا القصر، ومنذ ذلك الحين، انعقدت بيني وبينه هذه الصداقة، التي بنيت على المحبة الصادقة المتبادلة، ثم التحق أبو سليمان بالسلك الدبلوماسي، فعين قنصلاً بالبصرة في العراق، فسفيراً في الباكستان، فسفيراً في الهند، فسفيراً في بغداد، فسفيراً في أفغانستان، فسفيراً في ماليزيا، كل هذه المدن، الست سار فيها السيرة الدبلوماسية المرموقة التي تفوق التحديد والوصف فمثل فيها بلاده ومليكه ـ عبد العزيز وأبناءه الملوك الكرام سعوداً وفيصلاً وخالداً وفهداً ـ تمثيلاً متميزاً، فصارت له سمعة عطرة وقبول منقطع النظير، لدى حكام تلك البلاد ووزرائها وقادتها وسفرائها وعلية القوم فيها، بل لقد صار في أغلب هذه البلاد عميداً للسلك الدبلوماسي فيها، وهو في كل دولة يمثل فيها حكومته، فإنه بحكم لباقته ونفاذ بصيرته وكريم أخلاقه، نجده يوجد له فيها جواً من الصداقة والمحبة مع جميع قادتها وأعيانها، فعندما تنقله حكومته منها إلى دولة أخرى، ما فإن هؤلاء القادة والأعيان قد أشربوا بمحبته وتقديره.

إن مما لا شك فيه، أن أبـا سليمان نادر في عصره، فقد أوقف حياته كلهـا على خدمة دينه ومليكه ووطنـه، وفي خدمة الإنسانيـة عامة، لمن يعرفـه ومن لا يعرفه، فقد منحـه الله الخصال الحميدة، فهو نـزيه العرض، طاهـر النفس، كريم اليد، صافي السريرة، هادئ الطبع، صادق الحديث، خفيض الصوت، وئيد الخطو، عف اللسان، متواضع فلا يعرف الكبر، حليم فـلا يعرف الغضب، بشـوش فـلا تفارق الابتسـامة وجهـه، مخلص في عملـه، كريم في خلقـه، لطيف في تعاملـه، وصول لرحمه، لـديه سلاسة في التعبير، فحـديثه عذب يشـدك إذا ساقه، قـوي الشخصية، مجامل لبق ذكي، تمرس في السياسة طيلة حيـاته، رؤوف بالفقراء والأيتام يجزل لهم الصدقات، يلاطف الأطفـال الصغار ويداعبهم ويقدم لهم الهدايـا، يكـرم كبار السـن والعاجـزين والمسـاكين، الـذين لا يسألـون النـاس إلحافاً، يتفقد أحـوالهم ويقـدم لهم الصدقـات السخية السريـة، يكرم العلماء والأدباء ويظهـر قدرهم واحترامهم، صبـور محتسب في كل ما يحاولـه لصالح الغير، فـلا يظهر عليـه السأم والملل، الحيـاء سجيته طبعـاً لا تطبعـاً، لا يعرف الحقـد والحسـد، يحل مشاكل الأقـارب والأصدقاء، ويصلح ما شجر بينهم بكل هدوء، ولو أدى ذلك إلى دفع ماله، وكل له في هذه الدنيا قادح ومادح، إلا أبا سليمان، فلم أسمع أنـا أو غيري أن لـه قادحـاً، يـزور المرضى في المستشفيـات ويسلم عليهم ويـدخل عليهم السرور، ويقدم لهم الهدايا النقدية وخلافها بطريقته الخاصة.

يكرم ضيـوفه وأصدقاءه الـذين يفدون عليه، يقابلهم في المطـارات، وينزلهم أرقى الفنادق، ويرافقهم في النـزهات، ويشرح لهم المعالم الهامة، عينه ساهرة عليهم ليل نهار حتى يغادروا، وإذا كان مشغولاً بأمر ضروري أوكل على ضيوفه من يثق فيه من موظفيه، عمم على الفنادق باستضـافة أي سعودي يصل دون أن يعلم، ومتى أبلغوه بعث السيارة وأحضرهم عنده وأكرمهم بمثل ما أكرم به من قابلهم بالمطار بـالإضافة إلى دفعه للفنادق أجور الجميع ثم تقديم الهدايا لهم وتوديعهم عند السفر، وهكذا دواليك، وأي مشكلة تقع لأي سعودي في منطقته، من فقد جوازه، إلى فقد نقوده، إلى فقد تذكرته، إلى أي مشكلة أخرى تواجهه، فإن أبا سليمان لها بالمرصاد يحلها بدون تأخير، بالجاه أو بالمال أو بهما معاً.

زرته في ماليزيا بمفردي في شهر شوال من عـام ١٤٠٣هـ، وأنزلني بجواره في منزله الخاص، وبقيت عنده أربعة عشر يوماً، أكـرمني خلالها أعظم إكرام، وفي هذه الفترة توافـد عليه خلق كثير، وقد جعل الله في وقته البركـة، كل واحد يقول أكرمني أبو سليمان إكراماً تـاماً، وكأنه لم يكرم إلا هذا الواحد، كنت أسمع وأقرأ عن لطفه وكـرمه وتحمله وترويض نفسه لإكرام الناس، فلما شاهدت ذلك عنده مع ضيوفه في ماليزيا، وجدته أكثر مما سمعت وقرأت عنه.

مجالس أبو سليمان عامرة في الحضر والسفر، بما لذ وطاب من الحديث في الأدب والتاريخ والسياسة وأحداث الساعة، فلا تجد فيها القيل والقـال مما لا فائدة فيه، وكنت أسترسل معه في الجلـوس إلى ساعة متأخرة من الليل في مـاليزيا أسمع

أحاديثه الشيقة، وقد لاحظت أن لديه ذاكرة عجيبة، لما مضى من التاريخ، لا سيما تاريخ الملك عبد العزيز وجهاد جلالته في تأسيس هذه المملكة، فوجدته يحفظ الكثير عنه حتى تمنيت عليه أن يسجل هذه المعلومات خطياً أو في أشرطة، وكثيراً ما يجهش بالبكاء إذا استمر في الحديث عن الملك عبد العزيز، يرحم الله الجميع.

لقد مات أبو سليمان وصار في ذمة الله، بعد ثمانين عاماً قضاها في الصلاح والإحسان والجود ومكارم الأخلاق وصلي عليه بعد صلاة الجمعة مباشرة بتاريخ ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ بجامع الملك عبد العزيز بحي المربع بالرياض الذي غص بالمصلين، وسارت في جنازته أرتال عديدة من الناس، فعند هذا المشهد العظيم، تذكرت ما يروى عن الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله عندما قال: موعدكم يوم الجنائز.

رسالة صادقة إلى صديق وفيّ:

الأستاذ أحمد عبيد، أحد أصدقائه الأعزاء، يرحمهما الله، كتب رسالة وجهها إلى الشيخ محمد عبر جريدة الجزيرة، وقد توجه للعلاج في ألمانيا:

— من أحمد عبيد إلى محمد الحمد الشبيلي، سلمه الله.

سلام من الله ورضاء من الخالق عليك.

أنت بهما في المرض والصحة حفياً، وأنت فيهما مع الله شاكراً رضياً.

مشاعرك في مرضك كما عرفك الناس في صحتك.

صفياً مؤمناً تتألق بحمد الله.

وإنساناً مخلصاً تتلألأ بحب الله.

فتعطي من فائض ما لديك.

روحانية هي الحب.

وما حبك للناس، وما حب الناس لك إلا من حب الله.

فأنت المؤمن الذي عرفتك منذ تنورت مشاعرك صديقاً.

وأنت الصفي الذي أعرف فيك منذ عرفتك إنساناً صابراً نزيهاً.

ضياء يتسامى، وقبس يتهادى.

وهالة نورانية تعيش الجانب الطيب من أخلاق الإنسان.

فوجب علينا، إذ عرفناك، أن نعرف لك حقك ووفاءك.

وما حقك إلا صفحات جليلة في التاريخ .
فلقد حملت بين جوانحك قلباً كبيراً .
وصاحبت في أعماقك فؤاداً حليماً .
آنست بهما المواطن في غربته .
وكرمت بهما الإنسان في آدميته .
فجعلت للمواطنين من نفسك وطناً .
وصنعت للناس من أخلاقك أهلاً .
فأنت السفير لبلدك .
وأنت الخادم لأبناء وطنك .
يضيق الناس بحاجات غربتهم ولا تضيق .
وييأس بعضهم فتصنع ، بإذن الله ، لهم من اليأس أملاً يفيض .
إن بلداً أنت فيه السفير هو لمواطنيك العشيرة والوطن العزيز.
وإن غربة أنت فيها العميد هي لإخوانك الأهل والبلد الكريم صدر رحب .
ونفس كريمة .
ومواطن لمواطنيه قدوة وتاريخ .

أنت المعالي حينما تجاوزتها وظيفةولقباً .
وأنت العلياء حينما استوطنتها نزاهةً وخلقاً .
صنعت تاريخاً في الأخلاق .
وجسدت (نكران الذات) .
أبيت إلا العلو (إنساناً) .
وتساميت (وطنية) .
وما ذاك إلا من الله رضى .
ومنه تعالى هداية ورضوان .

تتفق الناس وتختلف وتتباين الألسن وتفترق .

ولكنها في دنياك اتفقت ثناءً عليك .
وفي مستشفاك اتحدت دعاءً لك .
فأنت مع من عرفك ورآك .
وأنت مع من سمع عنك وسجاياك .
حب وتقدير ودعاء .

هذا دعاء من عرفت ومن لم تعرف .
وهو من القلوب عند الله .
كلمة . . وروح . وقلم .
ستبقى الكلمة (دعاءً) والروح (نداءً) .
والقلم معهما هم صحبك في الدنيا .
خلصاؤك في التاريخ .
وبعد فهذه خلجات نفس نبض بها قلب صديق من أصدقائك .
هي لله صفحة في تاريخ وطن لا ينسى أبناءه (الطيبين) الكرماء .
ولا يتنكر لمن حفظ المواطنين، كلهم في مشاعره الوطنية سواء .
أحياك الله حياة (خصّ) أبراراً أنت منهم .
وكتب لك ما تعانيه .
وحفظك بما يحفظ به عباده الصالحين .
والحمد لله رب العالمين .

٣/ ٥/ ١٤٠٧هـ

رسالة جوابية إلى الصديق الوفي :

أما الرد فقد أملاه ابنه سليمان، هاتفياً من «آخن» بألمانيا، ونشر في جريدة الجزيرة كما يلي :
عزيزي الأستاذ الكريم أحمد عبيد حفظه الله .
اطلعت على رسالتك الكريمة المنشورة في عدد الجزيرة ليوم السبت ٣ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ .
أقدم لك جزيل الشكر والتقدير والامتنان بالأصالة عن نفسي ونيابة عن والدي .

لقد جاءت رسالتك لطيفة بعباراتها رقيقة بأسلوبها صادقة في عاطفتها، والصدق دوماً يلازمك فيما تكتب.

لقد اطلع والدي على رسالتك الكريمة، وأمرني بنقل هذه الرسالة نظراً لما يعانيه من اختبار وتمحيص للذنوب، واصفاً ما قام ويقوم به من خدمة للمواطن المغترب في البلاد الصديقة التي كان يعمل فيها سفيراً، بأنه جزء من الواجب الملقى على عاتقه تجاه هذا البلد الغالي ومواطنيه الكرام، بتوجيه من حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله ومن سبقه ممن اختارهم الله إلى جواره من ملوك هذا البلد الكريم. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على أنفسنا، ويساعدنا على تقديم ما يتطلبه منا الواجب من إخلاص ووفاء وصدق مع الناس وصفاء في السريرة ونكران للذات، لنستمر في تقديم ما نستطيعه لبلدنا ومواطنينا الكرام، وسط حياة الأمن والرخاء والاستقرار التي ننعم بها في ظل تطبيق الشريعة السمحة.

وفقنا الله جميعا لسبل الخير، ورعاك الله.

من الرجال الأفذاذ:

وكتب الشاعر الأستاذ حسن عبد الله القرشي مقال رثاء في جريدة المدينة، قال فيه:

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهمو ونهار

لقد استأثرت رحمة الله ـ جل شأنه ـ بواحد من الرجال الأفذاذ، الذين يندر وجود أمثالهم في زمننا هذا، والذين يتسمون بإحدى الصفات النبيلة وهي صفة «الكرم»، وهذه الصفة المثلى يلازمها دائماً وداعة النفس، وسمو الخلق، ورقة الطبع، وشجاعة الرجولة، وهو ما كان يتصف به الصديق الفذ الشهم «أبو سليمان» طيب الله ثراه.

وفي حياته الوظيفية الطويلة، كان الشخصية البارزة التي يرضى عنها في كل مواقعها ولاة الأمر، ويحفونها بالتقدير والتكريم والاعتزاز.

وقد آثر مرة أبو سليمان منصب السفارة على منصب الوزارة.

وبعد الأفذاذ من «آل سعود» الأمجاد، لا نجد شخصاً يستطيع أن يزايد على أبي سليمان في صفة الكرم البالغ.

لقد أهلك ماله كله عطاءً وبذلاً، ولم يخش في ذلك لوماً، ولم يبال فقراً، ولم يتحسب لمسغبة:

لولا المشقة ساد الناس كلهمو الجود يفقر والإقدام قتال

ولأن الكرم صفة ملازمة له لا يستطيع عنها انفكاكاً، وهواية لا يملك أن يقلع عنها، فإن أولياء الأمر كانوا دائماً عوناً له على سيره في طريق هذا المجد ولا سرف في الخير.

توفيت الآمال بعد «محمد» وأصبح في شغل عن السفر السفر
فتى كان سمح النفس لا من غضاضة ولكن كبراً أن يقال به كبر

حمل أبو سليمان شرف السفارة في كل بلد مثّل فيه بلاده، وكان ـ على علو مركزه ـ يتحرى عن كل من يصل من أبناء وطنه، فيغمرهم باللطف والرعاية والحفاوة، ويحاول بكل الوسائل أن يسدد عنهم نفقات إقامتهم ومواصلاتهم، وإن كانوا لا يحتاجون إلى ذلك، إصراراً منه على تكريم مواطنيه، كما يقيم لهم الحفلات الخاصة ويفخر بتعريفهم بأبناء البلد الذي يمثل فيه وطنه، فخوراً بهم معتزاً، أما ذو الحاجة منهم، فيهتز أبو سليمان فرحاً وبهجةً حينما يقضي له حاجته.

أستودع الأرض خلاني لتحفظهم فقد وثقت إلى هوجاء مضياع

ولقد شاء الله أن يضاعف أجر «أبي سليمان»، فامتحنه منذ حين بالمرض، فصبر على ذلك محتسباً صبر الكرام، يرحمه الله.

وهكذا يبرح «أبو سليمان» دنيانا الفانية مأسوفاً على صفاته العالية، وسجاياه النادرة، ومزاياه المثلى.

يبرحها، إلى رحاب رب كريم، وجوار مولى عظيم يجزي على الإحسان ويثيب على الخير.

وكان استفتاءً صادقاً:

وكتب الأستاذ عبد الرحمن العبد العزيز الشبيلي ـ السفير السابق بوزارة الخارجية والكاتب المعروف ـ مقالاً بعنوان (وكان استفتاءً صادقاً) في جريدة الشرق الأوسط، قال فيه:

ـ من الصعب أن يكتب إنسان عن نفسه، إذ إنه عند محاولته تلك قد يتخلى عن الموضوعية، ولكنني اليوم سأكتب بجانب الموضوعية دون أن أشعر بالحرج وليس في هذا تناقض:

فبالأمس فقدت بلادي رجلاً من رجالاتها الطيبين الصادقين، وهو ابن عمي محمد الحمد الشبيلي يرحمه الله ولست هنا أرثيه، وإنما أخاطبه، رغم البرزخ الذي يفصله عني وعن كل الذين أحبهم وأحبوه:

يا أبـا سليمان : لقد كان يـوم موتك وقفـة استفتاء ، أدلى فيها من عـرفك ومن لم يعرفك بـرأيه ، بعفويـة وصدق ، هل تعرف على ماذا؟ إنه استفتاء على الأخلاق والقيم الكـريمة والوفاء التي يتحلى بها أبناء أمتك كلها ، ليس في وطنك فقط ، ولكن على اتساع أقطار أمتك كلها ، تلك الأمة التي عشت من أجلها روحاً وعقلاً وضميراً وجسداً .

ولك اليوم أن تستريح ليس من الحياة وبكل مـا فيها ، ولكن لتستريح نفساً لأنك قد حصدت مـا زرعته بالفعل ، وأن بذور الحب والوفاء والكرم والشهامة ، التي نذرت نفسك لزراعتها قد أثمرت ، وبمحصول منقطع النظير، وهذا يدل على واحدة من مزاياك العـديدة الطيبة ، ذلك أن جميع الذين عرفوك وجميع الذيـن سمعوا عنك بل وجميع الذين لم يسمعوا بك إلا يوم موتك ، قد سـاهموا في استفتاء كبير، أدلوا جميعاً فيه بصوت واحد وكلمة واحـدة هي : نعم للأخلاق ، للفضيلة ، للشهامة ، للمـروءة ، للشعور بالمسؤوليـة الأخلاقية الفردية والجماعيـة ، للتسامح الكريم الذي كـان يلازمك في كل لحظة وكأنه قرينك ، كل الذي عشت من أجله يا أبا سليمان أثمر وتجذر في كل نقطة مررت بها مجرد مرور .

يوم وداعك الأخير، كنت أرقب عن كثب ردود الفعل على وجـوه الناس الذين شاركـوا في وداعك ، وعلى وجوه الناس الذين توجهوا إلى «بيتك الصغير» في الرياض ليقبّلوا رأس فلذة كبدك سليمان ، ويقبِّلوا إخوانك وأبناء عمومتك ، بنفوس ومشاعر صادقة جارفة تعبر بحد ذاتها و إيقاعها الحزين عن إحساسهم بالأسى ، وبفقد إنسان «تكثفت» في رؤيته للحياة والتعامل معهـا ، كل أصالة الخير التي انغرست حتى العظم وسـويداء القلب في مفاهيمهم وتمنياتهم ، كـان يوم وداعك وما تلاه من أيام ، فرصة عفويـة عبر فيها الجميع البعيد منهم قبل القريب عن تلك المثل العليا التي ينهدون إليها ، تلك هي أمتك : أمة عظيمة تختزن أطيب وأنقى ما تعارفت البشرية عليه من صفاء ومثل .

أبا سليمان : كان غرسك الذي غرسته في طريق حياتك وعلى جـوانبه ، يزدهر ذلك اليوم الذي ودعناك فيه بزهور كثيرة وجميلة رغـم حزنها الذي اكتسته وهي تتفتح . لقد شاهـدت رجالاً ليسوا حتى من مواطنيك قد عرفوك ، حضروا لوداعك ، لقد بكـوا بصدق لفقدك ، لأنهم شعـروا بفقد صفات أبـرزتها لهم في أمتك ، ومن خلال تعـاملك معهم «ممثلاً» لأمتك في أوطانهم ، كما رأيت من أبنـاء وطنك رجالاً ذرفوا الدمع وبكـوا ، لأنهم فقدوا بفقدك مثلاً وقيماً ، يخشـون أن تتراكم عليها «المتغيرات» فتقتل بذورها ، لقـد أدلوا بأصواتهم إلى جانب الشعارات العمليـة التي مارستها في مسيرتك ، لتثبت أن أمتك هي أمة الخير والوفاء والكرم ، والشعور العميق بالمسؤولية الفردية والجماعية .

أبا سليمان ، يـرحمك الله ، ها أنت اليـوم ترقد في «مقبرة العـود» بالـرياض ، إلى جانب كل أولئك الـذين أحببتهم من قادتك وأحبـوك ، إن أبناء الرجل الـذي أخلصت له ، قد وفـوا معك بكل ما جبلت عليه نفـوسهم من خير، وودعوك بما أنت أهلـه وبما هم أهلـه أيضـاً ، كانـوا قبل غيرهـم دائماً وفـاءً وحبًـا وتكـريماً ، وأنت اليـوم لن تستطيع أن تعبر لهم عن



أثناء زيارة جلالة الملك سعود لبغداد (١٣٧٧هـ-١٩٥٧م)، وعن شماله الشيخ محمد (القنصل في البصرة)، وعن يمينه محمد المطلق ومن خلفه عبدالرحمن الحمد الشبل.

مشاعرك، ولن نستطيع نحن «أهلك» جميعاً أن نعبر عنه، ولكننا فقط نحاول أن نسجل اليوم في ذاكرة التاريخ، أن الرجال الأوفياء الصادقين لن تنساهم أمتهم، ولن تتنكر لمزاياهم الكبيرة التي بذلوا حياتهم من أجل تكريسها.

يا أبا سليمان: لقد كنت دائماً صادقاً تعمل بحياء وتواضع، خشيةً من موقف يفسد عليك نعمة العطاء الذي تحبه.

لقد كنت يوم رحيلك «حاضراً» بشكل أكبر بكثير من أيام عافيتك، كما كنت أيام مرضك، أكثر سطوعاً على قيمك من أيام عملك وبذلك.

لقد جرى التصويت بالإجماع، على أن الأخلاق والصدق والمحبة والوفاء، هي وحدها التي تبقى.

إنك يا أبا سليمان قد أعطيت بسيرتك العطرة الكريمة الدليل القاطع على أن «القيم السامية» هي وحدها التي يعشقها الناس، كل الناس من أمتك.

لست أرثيك على الإطلاق، فأنت بما زرعته طوال حياتك، قد جعلت من تركتهم يعيشون وهم يرون فيك، وفي مزاياك، القدوة التي يجب أن يستخلصوها من قيمة لهذه الحياة، لقد كنت يرحمك الله تشعر بمسؤوليتك كإنسان وتؤدي واجب تلك المسؤولية، لقد كنت في ضميرك وإيمانك بالله تعرف تماماً معنى قول الله تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[1].

عوضنا الله جميعاً عنك وعن أمثالك الطيبين بخير، وغفر الله لك ولأموات المسلمين.

ولا يسعني بالنيابة عن أهلك وأهلي ووطننا، إلا الامتنان العميق، لكل أولئك الذين تحملوا أمانة التعبير العفوي عن تعلقهم بكل صفات الخير التي عشت أنت من أجلها، أولئك الذين تختزن ضمائرهم وعقولهم عشق الأخلاق الفاضلة، ونزعة الرغبة في أن يقوا ذاتهم شح النفس. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]. ولقد وقاك الله شح النفس.

---

(١) سورة الصافات ـ الآية ٢٤.
(٢) سورة الحشر ـ الآية ٩.

يا أبـا سليهان، تعود الناس على أن يحزنـوا لفقد قريب أو صـديق، ولكننا أهلك جميعـاً في هذا الوطن لم نحـزن، وقد يكون ذلك عجيباً، فنحن في نفس اللحظة التي يقترب فيها الحزن على فراقك، تغمـرنا السعادة الغامرة والراحة والتسليم لأمر الله، لأن صفـاتك الجميلة والعظيمـة، دفعت إلينا بفيض من الحب والحنـان والرعايـة والمواساة من زعـامات وطنك ومن مواطنيك جميعاً، بما جعلنـا ندرك اليوم بالذات، أنك كنت حتى في رحيلك كريماً، بل فـوق ذلك، شملتنا عواطف كريمـة من رجالات أمتك العـربية والإسـلامية خارج وطنـك بما عبروا عنه من ثناء ومـواساة ومشـاركة، فلهم منـا جميعاً خالص الامتنان وأجـزله، ولك منا يوم رحيلك كـل الدعاء بالرحمة، فقـد قدمت إلى «كريم رحيم» نسألـه لك ولنا عفوه ورحمتـه، وستبقى الحيـاة ومن عليها في سعي وجهد ونصب، لتأكيد كل القيم الأصيلة والكريمة التي عشت من أجلها، والله المستعان.

ثروة لا تقدر بثمن :

وكتب معـالي الأستاذ عبـد الله العلي النعيم مقالين: أحدهما كان خاصـاً لهذه الدراسة، (الفصل الخامس)، أما الثاني فكان مقال رثاء صبيحة يوم الصلاة عليه ودفنه، قال فيه:

ـ لقد كـان ملء السمع والبصر للآلاف الذين يعرفونـه شخصياً أو تعاملوا معه، ولمئات الآلاف الـذين يسمعون عنه السمعة العطرة التي يستحقها.

سيرة مشرفة، وأخلاق عالية، وكرم غير مألوف، و إحسان وحسنات، لا تفرق بين القريب والبعيد، ولا بين الوجيه أو غيره، تنبع من نفس راضية صـافية وعن طيب خـاطر، وقلب عطوف، لا بل إن الحسنـات من أبي سليمان لا تنتظر حتى تطلب، ولكنها تدق الباب دون طلب، تبحث عن المحتاج وتواسي المكلوم.

لا أريـد هنا أن أعـدد حسنـاتك، ولا أن أسرد مناقبك وكـريم أخـلاقك، فهـذا ما لا يتسع لـه مكـان ولا تستوعبـه صفحـات، ولكن الوداع الـرائع الذي حظيت بـه من أهالي الـرياض، ومن جـاء من خارجهـا وخارج المملكـة، يكفي ليحكي قصة الراحل الكبير ومكانه المرموق وحب الناس له.

لقد تركت لابنك وذويك وآل بيتك، ثـروة لا تقدر بثمن، ولا يوازيها المال مهما كبر، تركت السمعـة الحسنة والسلوك المشرف والذكر العطر، أسرت الكثير برفيع أخلاقك وبعمل المعروف وكريم الطباع وواسع الجود والكرم.

«إن لله عبـاداً اختصهم بقضـاء حـوائج النـاس حببهم إلى الخير وحبب الخير إليهم: هم الآمنـون من عـذاب يـوم القيامة».

النخوة والمروءة :

ورثاه الشيخ محمد بن الشيخ عثمان الصالح القاضي في مقال، من عدة صيغ، نشرت في عدد من الصحف السعودية، قال فيه :

ـ والفقيد العزيز غني عن التعريف لما وهبه الله من كرم وجود وتواضع وعزة نفس، ولما كان يتمتع به من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والنخوة والمروءة والإحسان.

لقد فقد الوطن رجلاً فذاً من رجاله : أبو سليمان، محمد بن حمد بن محمد بن ناصر الشبيلي، ولد الفقيد عام ١٣٢٩هـ وتربى في عنيزة أحسن تربية.



مع أحد الشخصيات في كراتشي.

كان نموذجاً في التواضع وحسن الخلق وفي المروءة والكرم ومحبة الفقير والحنو على الأرامل واليتامى وصلة الرحم.

لقد أقال الكثير من العثرات، وأعان على تفريج الكربات، وقام بعمل الخير في وساطات، وأعاد إلى الوجوه الحزينة بسمات، وواسى بجاهه وماله ذوي اللهفات مما زرع المحبة له في قلوب الخلق فصدموا لنبأ موته، وصار فقده خسارة فادحة، وفي الحديث : أنتم شهداء الله في أرضه.

ـ وبعد أن يعدد الشيخ القاضي بعض مواقف الشهامة التي يعرفها ، والتي وقفها الشيخ محمد مع أسر معينة، يشير إلى أنه، يرحمه الله، كان قد تبرع بأرضين في مطار عنيزة القديم قيمتها نصف مليون ريال ليقام فوقها مسجد، كما تبرع ببقية أرض مجاورة لسكن إمام المسجد وساهم في بنائه، كما أشار إلى أنه كان قد أسهم بإعادة بناء جامع عنيزة عامي ١٣٦٢هـ و ١٣٧٤هـ.



أحب الناس فأحبوه:


في بغداد مع بعض الموظفين والزوار.

الأستاذ صالح محمد العثمان القاضي كتب مقالين، أحدهما نشر في المجلة العربية وقد تناول فيه سيرته بإيجاز:

رجل جمع النبل والسخاء والتواضع والوفاء مع الكبير والصغير، ومع الغني والفقير، يلاحقك ويحتجزك لإكرامك، أحب الناس فأحبوه، وأخلص بعمله فكان مثلاً رائعاً ونبراساً ساطعاً للتمثيل الدبلوماسي في كل بلد يعمل به، لقد كان يمثل قيمة هذا البلد الكريم أحسن تمثيل واقعي، لا تصنع فيه ولا رياء، حكاياته أشبه بالأساطير، ولكنها تبقى مرتبطة بصفات العرب والمسلمين في كل زمان ومكان، إنه حديث الذكرى، وما نقل من أفواه وأقلام من عرفوه أو سمعوا عنه.

بدأ العمل بالديوان الملكي منذ عام ١٣٥٠هـ تقريباً، ثم انتقل إلى البصرة عام ١٣٦٢هـ للعمل، كنائب للقنصل العام آنذاك فخري شيخ الأرض، وفي عام ١٣٦٨هـ عين قنصلاً عاماً في البصرة، وعاد عام ١٣٧٧هـ إلى المملكة لتعيينه قائماً بعمل وكيل وزارة الخارجية، حيث أمضى ستة أشهر في هذا المنصب، ليعمل بعدها سفيراً لبلاده في باكستان.

وفي سنة ١٣٨٢هـ انتقل للعمل سفيراً بالهند، ثم في العراق ما بين ١٣٨٦ ــ ١٣٩٢هـ، ثم في أفغانستان ما بين ١٣٩٢هـ ـ١٣٩٧هـ.

أما في آخر المطاف الدبلوماسي، فقدكان سفيراً للمملكة العربية السعودية بماليزيا منذ ١٣٩٧هـ وحتى وفاته، وكان عميد السلك الدبلوماسي هناك، وهكذا فقد عمل بالدبلوماسية السعودية الهادئة ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، منذ عهد المغفور له الملك عبد العزيز وحتى وقتنا الحاضر.

— أما المقال الثاني فقد كان عنوانه: «أحب الناس فأحبوه»، نختار منه المقاطع الآتية:

ـ عرفت هذا الرجل منذ كنت صغيراً، عندما كان يزور مسقط رأسه مدينة عنيزة من وقت لآخر، فكان يحنو علينا

كأبنائه، فنستلطف تواضعه مع إكبارنا لشخصيته القوية وهيبته التي لا ينقصها تواضع جم.

رجل جمع بين النبل والسخاء والتواضع والوفاء، مع الكبير والصغير ومع الفقير قبل الغني، أحب الناس فأحبوه، وأخلص بعمله فقدروه، وكان مثلاً رائعاً ونبراساً ساطعاً للتمثيل الدبلوماسي.

له حكايات أشبه بالأساطير، ولكنها تبقى مرتبطة بصفات العرب وأخلاق المسلمين في كل زمان ومكان.

مدرسة ومثال:

وقبيل وفاة الشيخ محمد، كتب الأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد مقالاً في جريدة الجزيرة بعنوان: أستاذ وشيخ ومدرسة ومثال الأخلاق والإخلاص والوطنية والوفاء، ثم أضاف إليه وأعاد نشره بعد أيام، بعد وفاة الشيخ محمد مباشرة، وقال في المقال:

ـ الأخلاق الكريمة والشمائل الحميدة والسيرة العطرة والسمعة الطيبة عمر ثان للإنسان، تخلد أعماله وترفع ذكره وتجعل اسمه محموداً على كل لسان، مذكوراً بكل خير موصوفاً بكل محمدة معروفاً بالأريحية والكرم، وإن بلادنا المباركة العزيزة تنجب الرجال الأفذاذ والعباقرة العظماء والعلماء والقادة والمصلحين والعاملين الأوفياء، وإن الشيخ محمد هو حقاً أستاذ وشيخ ومدرسة؛ لما له من أياد بيضاء تذكر فتشكر، وأعمال حميدة هي حديث المجالس والمنتديات يرويها كل شخص لآخر.

لقد أسهم الشيخ محمد في كثير من الأعمال الخيرية والإنسانية، وله في ذلك مواقف مبرورة وإنسانيات مشكورة، ولذلك كان جديراً بحب الناس وتقدير عارفيه.

لقد ضرب المثل الكريم لكل عمل نبيل، فلا عجب أن يكون أبناء هذا الوطن الوفي مهتمين بأخباره ومواقفه، فأقاصيص كرمه تبلغ حد الخيال.

وكأنما عاد «حاتم» في شخصه، وحدّث عن مكانته في البلاد التي عمل فيها ولا حرج، فالناس يعرفونه ويقدرون أعماله وسخاءه، يرونه عطوفاً على الفقراء، نبيلاً مع الأصدقاء، لبقاً في تصرفاته، خير مثال في تمثيل مليكه وشعبه لدى الدول التي عمل بها سفيراً لبلاده.

رفع اسم بلاده عالياً:

وتحت عنوان (متى تلد النساء مثل أبي سليمان)، كتب الأستاذ الدكتور عبد الله الناصر الوهيبي مقالاً صبيحة يوم دفنه، فقال:

ـ هناك من الرجال من يوصف بأنه مثال الوفاء، ومن يوصف بأنه مثال الكرم، ومن يوصف بأنه مثال الحلم، ومن

يـوصف بأنه مثـال اللباقـة، أبو سليمان ـ يـرحمه الله ـ حقيق بكل هـذه الأوصـاف وبأكثـر منهـــا من المثل والميـــزات الفاضلـة، فعنايتـه بالفقير من أي جنس، وحفظــه لحقــوق الجار وحقوق الصديق وحقوق المريض، تـــدخـل في عــــالم الأسـاطير لكثـرة ما يتنـاقلهـا النـاس، وصعوبـة تصديقهـا على من لا يعرف أبا سليمان، أمـا الذين عرفوه فهم يـدركون، أن ذلك قليل من كثير، لقد كان أحـرص الناس على بذل المعروف، وكان أزهدهم في تقاضي ثمن ما يبذله، فكان يقصد وجه الله في بذله.



بين رئيس وزراء باكستان الأسبق مهدي سهروردي وأحمد زكي يماني.

غفر الله له لقاء مـا رفع اسم بلاده مرموقةً عاليـاً، ولقاء ما أشاع من المودة والتفاهم بين عنـاصر المجتمعات الإسلامية التي مثّل بلاده فيها.

الوجه السعودي المشرق:

وفي زاوية «وإلى لقاء» في جـريدة المدينة المنورة، كتب أحد محبي الشيخ محمـد، مقالاً مختصراً أثناء مرضه الأخير بعنوان: «الوجه السعودي المشرق» بتوقيع: إنسان، قال فيه:

ـ أشيـاء طيبة كثيرة يصنعها الإنسان، فتظل قـائمةً شواهد كـريمة على أفعاله النـادرة وشيمه وطباعه الطيبـة، هؤلاء الناس الذين جبلوا على العمل الطيب، يهمهم دائماً أن يبحثوا عن الشيء الطيب ليزرعوه والعمل الحسن ليجدوه.

والشيخ محمد، سفيرنا في أكثر من بلد وأخيراً في ماليزيا، واحـد من هؤلاء الرجال الطيبين، هذا الوجه الطيب الأصيل الذي عرف معنى تمثيل بـلاده، فعمد إلى تقديم خدماته لكل مـواطنيه الذين يعرفهم والذين لا يعـرفهم، لدرجة جعلت الجميع يلهج بالشكـر والثناء والتقـدير لـه، هذا الوجـه الطيب الذي يعيش اليـوم معنا في المستشفى العسكـري، كانت غرفته ملتقىً لأناس كثيرين من مختلف أبناء المملكة، الذين جاؤوا لعيادة من كان يعودهم في فنادقهم وبيوتهم.

مشاهد مؤثرة :

وكتب الأستاذ حمد العبد الله القـاضي ، مقالاً في جريدة الجزيـرة إبان مرضـه ــ يرحمه الله ـ ، اخترت منه الأجزاء التالية :

ـ أحيانا ، تكاد تشك بكثير من القيم ومدى ثباتها في عالم مادي ، ينفي كل قيم الخير ولا يحفل إلا بالقيم المادية ولكن :

عندما أتلفت نحو مجتمعي أجد هذه الصورة الضبابية تتلاشى لتحل محلها صورة أكثر إشراقاً وأوفر ضوءاً .

فسعار المادة لم يقض على سناء الخير، وروابط الوفاء .

أكتب هذه الكلمات وأمامي مثل حي ، تجسـدت فيه معاني الخير والوفاء والترابط في أسرتنا السعـودية ، هذا المثل يشير إلى حقيقتين : الأولى إشراقة بـالتواصل ، والثـانية أن النـاس في المجتمعات الفـاضلة لا تنسى الفضل فيما بينهـا ، وتضع الوفاء في قمة أخلاقياتها .

أما هـذا المثل المضيء لهذه القيم التي لا تزال تنير جنبـات مجتمعنا ، فهو هـذا الوفـاء وتلك المودة التي يغمر بها الشيخ محمد ، الذي يـرقد في المستشفى العسكري من جراء المرض الـذي داهمه وهو في ماليزيا ، فأفـزع قلوب محبيه وعارفي فضله وكريم شمائله ، وأفزع حتى أولئك الـذين لم يعرفوه شخصياً بل سمعوا عن قصصه التي لا تكـاد تصدق ، ترى ماذا تعني لمجتمعنا السعودي ، أن يبلغ الاهتمام قمتـه بواحد من أبنائه الأوفياء المخلصين هذا الاهتمام ، الـذي بدأه كبير هذه الأسرة السعودية المتحابة ، خادم الحرمين الشريفين الملـك فهد بن عبد العزيز، الذي أمر بطائرة خاصة لنقلـه ووجه بالعناية به ، وكان حفياً بالسؤال عن وضعه الصحي ، ثم سمو ولي عهده الأمير عبـد الله ، الذي زاره وكان مشهداً مؤثراً عندما أمسك سموه بيـده ، وهو يـدعو لـه بالشفـاء بصدق وتأثـر، فلم يستطع الشيخ الشبيلي ــ الذي كـان في ذروة مرضـه ـ أن يعبر بالكلمات ، فكانت دموعه أصدق تعبير وأفصح حديث .

وكذا كان الموقف مع سمو الأمير سلطـان بن عبد العزيز، الذي جلس إليه وتحدث معـه حديث المودة والمحبة ، وكذا الأمر مع سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز.

ترى مـاذا يعني ذلك؟ إنه يعني تـواصل أفراد مجتمعنـا بعضهم ببعض ، ويعني أن من يفعل الخير لا يعدم جـوازيه ، وكان الشيخ محمد نموذجاً لذلك .

كان يعتبر السعـودي ضيفاً عزيـزاً عليه ، بل هو صـاحب البيت ، ويذكـر أحد المواطنين : أنه فـوجئ ذات يوم بمن يمسك به في مطار ماليزيا ويدعوه إلى منزله ، فلقد عرفه بعلامة الكي على رقبته (التي تنتشر عند بعض السعوديين) .

ذكراك تبقى:

وكتب الأخ عايض بن سعد بن جـزنان الشعيبي مقالاً بعنوان ذكراك تبقى خالدة، قال فيه مخاطباً الفقيد:

ـ يعلم الله أنني لم أقابلكم سواءً داخل الوطن الغالي أو خـارجه، ولكنني متأثر بكلام الناس عنكم، لأنكم مذكورون بالخير وحبه، فمن عمل الخير وجب أن تبقى أعماله في أذهان الجميع، ولأن للرجال الطيبين حقاً على مجتمعهم، أن تبقى ذكراهم خالدة في نفوس أهله، لنأخذ من تجاربهم وأفعالهم الطيبة دروساً ومراجع نستفيد منها.

لقد كان يتحلى بأخلاق الرجل المؤمن الواثق من نفسه البعيد كل البعد عن مظاهر الحياة وزخرفتها الزائفة.

لقد كان على صلة بالناس، غير مبال بما يلحقه من متاعب جسمانية.

لا يحسب للمادة أي حساب في سبيل مسـاعدة الآخرين، فضحى بكل مـا يملك من أجل خدمة النـاس، لأنه رجل مؤمن مخلص لوطنه واثق من نفسه تهمه سمعة وطنه قاصداً بكل ذلك وجه الله بعيداً عن الرياء والمباهاة.

صفحة تطوى من صفحات الكرام:

أما معالي الشيخ عبد العـزيز بن عبد الله السالم، الذي يرمز إلى اسمه في كتـاباته بتوقيع «مُسْلِمْ بن عبد الله المُسْلِمْ» فقد كتب مقالاً مطولاً، نقتطف منه الفقرات الآتية:

ـ عندمـا توفي أبو سليمان اعتبره كل شخص في هذه البـلاد فقيده، فليس هو فقيد ابنـه الوحيد ولا إخوتـه الثلاثة ولا أسرته المحـدودة: وإنما هو فقيد المجتمع كلـه. فقد كان الفقيد الغـالي صاحب مواهب خلقيـة متسامية من كـرم اليد وكرم النفـس، إلى جانب أخـلاق عالية، وقـدرة عجيبة على تـرويض نفسه لـلاحتفاء بكل النـاس حتى إن كل شخص يلتقي به يظن أنـه وحده موضع التكريم منـه، وهي قدرة نفسية تعـز على غيره، ولكنها سهلة عليه لما طبع عليـه من كرم أصيل، وما حباه الله به من سمو في الخلق.

يصعب تعداد مـواقف هذا الرجل الكبير، ولا سيما كـرمه الذي لا يقف عنـد حدود، ولا تقيده قيـود من قلة المادة أو عدم تـوفر المال، فهـو لا ينفق عن سعة وإنما ينفق بسخـاء وعن قلة، فقـد باع مـا يمتلكه في سبيل ممـارسة هـذه الهواية المتأصلة في نفسـه وهي هوايـة الكرم إلى الحد المتعب، فهو متعب لأصـدقائه بفيض كرمـه، متعب للعاملين معـه بتقديم وسائل الخدمات والمكرمات للجميع.



ومــن ميزاته ـ وهي كثيرة ـ أن كرمه ليس مقصوراً على فئة معينة من المجتمع ، وليس حكراً على نوع من الناس ، ولكنه كرم يمتاز بـالشمولية والعموم ، فهـو يكرم الفقير الذي ليس له جاه أو منصب كما يكـرم صاحب الجاه أو المنصب ، وكل من حل في بلد هو سفير فيه .

تـربطني بالفقيـد الحبيب صداقـة كما تربط الكثيريـن ، ومن ذا الذي يعـرف أبا سليمان ولا يتحـول إلى صديق لــه ؛ فأصدقـاؤه ليسوا محدودين ، بل هم من الكثـرة بقدر سماحـة خلقه واتساع صـدره ، وقدرتـه على المجامـلات في التعامل الأخوي الرفيع ، وكل شخص يعرفه يظن أنه وحده الصديق المقرب إليه لما يلمس منه من سمو الخلق ونبل التعامل ، وقد كنت في زيـارة إلى الشرق الأقصى ، فلما وصلت سنغافـورة ومعي بعض الـزملاء في طـريقنـا إلى الصين الوطنيـة وكوريـا الجنوبية ، كان مما يمكن أن نضع في برنامجنا زيارة ماليزيا ، ولكني اشترطت ألا تتم الزيارة لهذا البلد الإسلامي إلا إذا كان السفير (الشبيلي) في إجـازة ، فلما تبين أنه في البلـد ألغيت الـزيارة المزمعـة ، فلما تعجب الزمـلاء من كثـرة الثناء عليـه ، والعدول عن زيـارة هذه البلاد لأنـه موجود بها ، أجبتهم : إني أشفق عليـه مما سوف نرهقـه به مما لا يجدي معـه احتجاج مُبرر ، ولا يفيد معـه رجاء مُسبَّب ، فـالذي يزور بلـداً هو سفير فيـه ، فليعلم أنه ليس له من الأمـر شيء متى وصل تلك البلاد ، وإن نفقاته سيتحملها عنـه هذا الرجل الكريم ، لذلك كان العدول عن زيارة ماليزيـا ، ومصدر هذا العدول هو حب هذا الشخص النبيل وإكباره وتوفيره لمن هو أحق منا .

وبعد فترة مـن الزمان فـوجئت بخبر أزعجني ، وهـو نقله إلى مستشفى القـوات المسلحة لعـلاجه من أزمـة ألمت به في ماليزيا ، فسارعت إلى زيـارته ، ولكن قلبي كان منقبضاً وأنا في الطريق إليه حيث وجدتـه في الإنعاش ، ممنوعاً من الكلام محظور الحركـة ، فازداد التحسر في نفسي وأنـا أجد هذا الشهم النبيل في ذلك الـوضع المؤلـم وتلك الخطـورة المحزنـة ، ثم تحسنت حالـه شيئاً فشيئاً ، حيـث استطاع أن يجلس في كرسي يستقبل الـوافدين والزائرين ومـا أكثرهم ، لكن الابتسـامة الحبيبة التي تعـودها دائماً قـد غاضت ، وإن حاول بجهـد أن يرسمها على شفتيـه ، فإنها تنطلق شاحبـة نتيجة الآلام التي يعانيها والضيق الذي يشعر بـه ، وقد فارقه المرح الذي يقابل به أصدقاءه ومحبيه ، فهـو يحس أنه مقيد الخطوات ، مشدود إلى كرسي يضيق بـالجلوس فيه ، وهو الـذي ألف الحركة الحرة والتردد بين السفارة والمطار ، لتصيّـد الضيوف والبحث عن الزوار .

ازدادت مساحة الحزن في نفسي عنـدما عانقته محيياً ومواسياً ، فوجدت الـدموع تتساقط من عينيه وســاد الجو ما يشبه الوجـوم لحظة ، ثم استطعـت أن أنتزع نفسي من هـذه اللحظة الحرجـة وأن أبدل سحابـة الحزن التي ظللت هـذا القاء ، وأردت أن ألامس مشاعره بالحديث عن مواقفه المملوءة بالنبل ، والتي تتجسد فيها الشهامة فقلت له : إنك تقف المواقف

النبيلة فتعطي وتواسي والناس تدعو لك، والذي يدعى له خير من الذي يدعى عليه، وهنا عاوده السرور وابتهجت نفسه وطفحت أساريره بالبشر، وكأنما قادته هذه المواساة العابرة إلى البشرى، فعاد أبو سليمان كما كان لولا مسحة من حزن تغطي ذلك الوجه الوضيء. وكان يتجلد للألم ويحتمل مصاعب التدريبات الرياضية للأعضاء المشلولة وأزوره أحياناً إثر عودته من بعض التمرينات الرياضية، فأجده مجهداً، لكنه يحب الناس ويرتاح إلى وجودهم، وأحياناً يطول بي المجلس عنده أحدثه ويستمع ويشارك بلطف، فإذا وجدت الملل تسرب إليه نتيجة الجلسة الطويلة في وضع معين استأذنت منه، فأودعه وأنا ألمس مدى تطلعه لزيارات الأصدقاء.



بعد تقديم أوراق إعتماده إلى الرئيس الهندي ومعه عبد الرحمن البيز وعباس فوانيسي من السفارة.

ثم رحل إلى أوربا في دورة علاجية طويلة وعاد منها إلى البيت في حالة ميؤوس منها، فزرته وهو في هيئته وفي وضعه: الجسم على حاله لكن الروح مختلفة، فقد نضب ذلك المعين المتفتح بالنضارة والمشرق دوماً بالابتسامة، وحل محله ألم دفين وسحابة تطوف بسماء صحوه الفكري، فتعكر مزاجه على غير ما هو مألوف منه ومعروف منه، وما من ريب في أن المرض الذي كان يعاني منه كان مرضاً شديد الوطأة قاسي التأثير، ولهذا كانت معاناته ـ يرحمه الله ـ ترتسم على محياه، وتنعكس على صفحة وجهه الذي اعتاد البشاشة وتعود الانطلاقة، فتأتي تعبيراته في ظل الشلل الذي يعطل انطلاقته ويحد من رحابته حيث تبدو غيوم كثيفة تبسط ظلالها على شخصيته الحبيبة، ورغم كل ما يعانيه من آلام، وما يقيد حركته من مرض، فإنه كان يحا ول أن يستقبل زائريه بتلك الابتسامة العذبة والإشراقة الآسرة.

والشبيلي ليس كريماً فحسب، ولكنه دبلوماسي محنك، فكل أعضاء السلك السياسي الذين عرفوه في أي بلد مثّل فيه بلاده يقدرونه ويحترمونه ويرون له مكانته الممتازة، وكذلك البلدان التي كان يعمل فيها، فهي تعامله معاملة خاصة يتميز بها عن سواه، فقد رويت عنه حكايات تدل على دبلوماسيته وحكمته في نوعية التعامل إلى جانب السخاء الذي عرف به واشتهر عنه.

ومن ألمعيته، يرحمه الله، أنه كان في زيارة في جنوب أسبانيا، وكان مرشد أحد الأفواج السياحية يشرح لفوج من الأمريكيين عن مسجد قرطبة، وقد لفت نظر الوفد السائح مبنى الكنيسة الذي يزحم المسجد الباذخ هناك، وكان أبو سليمان في نفس الموقع يتأمل معالم المسجد الذي يرمز إلى عزة المسلمين ومجد العرب في أسبانيا، فقال له أحدهم: إن ما عملته أسبانيا من وضع الكنيسة لمزاحمة المسجد إساءة للعرب، فرد عليه، يرحمه الله، على الفور بقوله: بل إن أسبانيا أساءت بعملها إلى التاريخ، فكان الجواب الحاسم السديد، وقد أعجب الوفد الزائر بهذا الجواب الرائع الملهم.



مع أحمد جمال وعلي الفوزان (في أفغانستان) ويبدو بجواره رياض ابن أخيه عبد الرحمن.

وبعد، فالكتابة عن هذا الرجل كالأحاديث معه في حياته تمتد ولا تنتهي، ولو أتيح لي الاسترسال لاحتجت إلى مجال أرحب من هذا الحيز الذي أكتب في حدوده.

فالحديث عن أبي سليمان رحب كرحابة صدره، وواسع كسعة كرمه، نديّ كأخلاقه السمحة، فقد وهبه الله سماحة الخلق ومكارم الأخلاق، وصدق الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [1]﴾؛ وبهذا المقياس فإن أبا سليمان إن شاء الله من المفلحين، فقد وقاه الله شح نفسه، وأنعم عليه بسجية الكرم، والكريم حبيب إلى الله حبيب إلى الناس، ولو تركت لنفسي الحديث عما أعرفه عنه لما أنهيت هذا المقال، فحسبي أن أشير إلى معالم الصورة المشرقة، وإلى ذكريات طويت حين طوي هذا العلم الشامخ، فقد طويت مع انطوائه صفحة من صفحات الكرام، وبهذا توقفت دورة حياة كريمة لرجل كريم.

وقد ترك هذه الدنيا، وهو موضع التكريم من حكام هذه البلاد الكرام، الذين يودونه ويسددون ديونه ويعولون له مكانته، كما أنه محل التقدير والإعزاز من كل الذين يعرفونه من مواطنين وغير مواطنين.

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ٩.

السفير الكريم :

وسجل الأستاذ صالح محمد جمال رثاءه للشيخ محمد، يرحمهما الله، في كلمة نشرتها جريدة الندوة تحت عنوان : «السفير الكريم» قال فيها :

لقيته في الثمانينات، وهو سفير في الباكستان ثم لقيته مرة أخرى، وهو سفير في ماليزيا، فلم يتغير كرمه وإنسانيته بل زادت تلك الخصال الحميدة، رغم تقدمه في السن وظل يستقبل السعوديين ويستضيفهم في بيته ويتفقد أحوالهم في الفنادق ويودعهم، ولم تفارقني صورته وأخلاقه بين الفترتين حتى مرضه الأخير.

عالم من الكرم والعطاء والوفاء :

والأستاذ محمد عبد الواحد، الصحفي المعروف، من الإخوة الذين كتبوا عنه مقالين، بينهما حوالي عشرة أيام، قبل الوفاة ثم بعدها، الأول بعنوان (. . . عالم من الكرم والوفاء والعطاء) والثاني بعنوان (. . . ولغة التراحم والتعاطف والكرم).

أما المقال الأول فقد قال فيه :

ـ . . . لقد كان أبو سليمان ملء السمع والبصر. كريماً ودوداً محباً للناس، لا يكاد يخلو مجلسه من الأدباء والمفكرين ورجال الأعمال، وللشيخ محبوه الذين كانوا يقصدون مجلسه من كل الأنحاء.

كان منزله في ماليزيا علماً يعرفه كل مواطن وكل ماليزي، كان سفيراً متميزاً بمتابعته الدائبة وحرصه البالغ على تمثيل بلده الإسلامي خير تمثيل.

والواقع أنه لا يذكر سفراء المملكة في الخارج، إلا ويأتي الشيخ الشبيلي بكرمه ورعايته لأبناء وطنه في مقدمتهم، حتى أصبح مثلاً رائعاً يقتدى به.

ركن من أركان الدولة :

أما الأستاذ الشيخ عثمان الصالح، فقد كتب مقالين طويلين وعدة قصائد عن صديقه، أما القصائد فقد أدرجت في مكانها في الفصل السابع، وأما المقال الأول، فنقتطف منه الفقرات الآتية :

ـ المروءة التي اتصف بها الشيخ محمد، لا شك أنها من النوادر لأنه هو أيضاً من النوادر منذ شبابه.

وأما ما يملكه من المال فهو مبذول، وما يتربّع عليه من جاه، قد أدى زكاته.

إن في الشيخ محمد صفتين مميزتين :

١ ـ أن أحـاديثه عن نشأة الدولة وعن سيرة الملك عبـد العزيز ـ طيب الله ثـراه ـ حديث العارف ، وكأنـه مكتوب على لسانه ، فلقد كان من الكتّاب الذين لازموا الملك عبد العزيز فترة من الفترات المهمة موظفاً في الديوان الملكي .

٢ ـ أنه سلس الأسلوب ، عميق التعبير، ويحسن صياغة الحديث .

ومع أنه من أقدم الكتـاب في الديوان الملكي ومن أقدم السفـراء ، فما تولى عملاً إلا وملك قلوب مسـؤولي الدولة التي يكون فيها ، حتى أنهم كانوا يطلبون بقاءه كأخ وسفير وصديق .

ثم إنه يطرب عندمـا يلتقي بمريض يتولى علاجه باختيار الطبيب المختص ولو على نفقتـه ، وإن كانت لا تربطه بهذا المريض إلا صلة الحاجة والمواطنة .

ولقد قال عنه سمو الأمير عبد الله عند زيارته لـه بأنه : ركن من أركان الدولة .

وقال عنه سمو الأمير سلطان بأنه : والد وأخ كريم .

وقال عنه سمو الأمير سلمان : إذا أردتم شفاءه وأن ينهض من سريـره أخبروه أن ضيفاً وصل إليه . . ويقول سموه لنا مرة بالحرف الواحد : إن الشيخ الشبيلي له حقان : الأول أنه من المروءة والمكارم وحبه للدولة وحرصه على الواجب وخدمة المواطن في درجة لا يبارى فيها ولا يجارى .

الثاني : أنه مواطن ناصح له الحق كما لأي مواطن في عطف الدولة وحبها .

أما سمو الأمير أحمد بن عبد العـزيز فيقول ـ وقد منعت الزيـارة عنه ـ : نريد من الزيـارة الاستفسار عنه وعن صحته وتقدمها ، ولكننا لا نريد إزعاجه ومخالفة تعليمات الأطباء ، إننا معه في شعورنا وإحساسنا به سواء زرناه أم سألنا عنه .

شخصيـة لها أريـج :

أما مقاله الثاني فقد كتب تحت عنوان «الشبيلي شخصية نادرة »يقول فيه :

شخصية لها أريج ، شخصية كانت ومـا زالت في كل ذهن ، وفي كل قلب ، وفي كل مجتمع ، شخصية إن ضمتها من الأرض أشبار، فإن لها في كل دار أخبـاراً وفي كل ربع مناراً ، إنها شخصيـة الشيخ محمد ، الذي استعمل الثمانين عـاماً في كل مجال من مجالات الحياة خدمة صادقـة لبلاده ، خدمة ناصعة لمليكه ، كان في ديـوان الملك عبدالعزيز الكاتب الأمين ، الذي يحسن التعبير إذا عبّر، ويجيد الخط إذا خط ، وكان في «البصرة» المدينـة الثانية في «العراق» قنصلاً ، يعتبر للسعوديين

أخـاً وصـديقاً وأبـاً ، كـان بيته المنتدى الـذي لا تغب فواضله ، كـانت الباديـة تعرفه ، وكـانت الحاضرة تشكره ، يفتح القنصلية في أول النهار وكان مكتبه مفتوحاً ، جـاءه مرة بدويّ منفعل ، وكان الشبيلي في تلك اللحظة مقبلاً على المكتب ، فقـال الأعرابي أين الشبيلي ؟ . . والشبيلي لا يحب أن يتشـدق بعمل مـا فأراد إيهام الأعـرابي أنه منـدوب «للشبيلي» وطلب شرح قضيته ، ووجـد أن له مشكلة في أمـر ما لدى الحدود السعـودية ـ العـراقية فاتصل بمن في يـده الحل والعقد وانتهى الموضوع ، فقال الأعرابي إن لم تكن الشبيلي فأنت مثله .

ثم كان في بغداد سفيراً . . وفي الهند وباكستان وغيرهما لا يفوته قادم من البلاد وفداً أو سائحاً من بلده بل وكل متكلم بالعربية إلا ويجد أهلاً وسهلاً ومرحباً وخدمة في «الأوتيل» والسياحة .

وأتذكر أن بضعة نفـر من السعوديين كانوا في «الأوتيل» وهم سياح وانتزعهم من «الأوتيل» وصـاروا معه أينما سار ليلاً ونهاراً وتذاكـروا في رحلة كانـوا ينوونها ، وارتجز أحدهم قصيدة في الثنـاء على أبي سليمان وهي موجودة ومسجلـة عنده في سفارة «مـاليزيا» ، وكـانت هذه القصيدة طـويلة ومخمسة الأبيات ، ذكـر فيها الشاعـر رحلة كانت بصحبتـه في «عنيزة» إحدى مدن القصيم . . ورسخ في ذهني منها هذان البيتان :[1]

نـــــداوي في «عنيــــزتنـــــا» كلومـــــاً ومـن أفـــــذاذهـــــا نـــــروي علـــــومـــــا
ونسمـع منـــــه قصـــــاصـــــاً حكيماً ولم نفقـــــد بها أبـــــداً نـــــديما

« عنيزتنـا » لنا أم حنون

« أبـــــا حمد » لنـــــا أنت المواسي وهـيَ لي بـــــدائرة الجنـــــاسي
جـــــوازاً كي بـــــه ألقي المراسي وأنسـى في حيـــــاتي مـــــا أقـــــاسي

بذا ينسى الترحل والسفين

وكنت يومـاً و إخوة لنا هبطنـا «ماليزيـا» وما حططنا في أحـد «أوتيلاتها» إلا «وأبو سليمان» يقبض علينـا ، ويقول أنتم متمردون ولكنا أقوى منكم بأساً ، وأشـد مراساً وما علمنا إلا وحقائبنا في السفارة و إلا كل منـا في غرفة فيها أحسن أثاث وأطيب مأكل ، وهو في كل وقت يجول بنـا في معالم ماليزيـا الجميلة ، ويستقر بنا في كل خميلة ، مـن مسجدها العظيم إلى فنادقها الفخمة إلى جزرها الممتازة ، إلى سواحلها النظيفة ، وأخيراً أصر علينـا بجولة ونحن في سيارته خارج ماليزيا وعليها العلم السعودي رفع الله لواءهـا ، وأدام بهاءها ، ثم أوصى السائق بأن يرينـا كل صغيرة وكبيرة حتى نصل إلى «سنغافورة» فقال أحدنا في الطريق هذه القطعة :

---

(١) القصيدة قالها الشيخ عثمان نفسه ، ونشرت مقاطع منها في الفصل السابع .

إلى من لم يـــزل في القلب بـــاق ... مكـــارمـــه إلينـــا في سبـــاق
«شبيلي» رعـــانـــا منـــه فضل ... بـــلا ملق أقـــول ولا نفـــاق
عـــرفنـــا فيـــه أخـــلاقـــاً لطـــافـــاً ... بســـاحتـــه سقـــانـــاهن ســـاق
نغـــادره ونحـــن إليـــه نهفـــو ... نحـن إليـــه في جم اشتيـــاق
بمنـــزلـــه تـــودعـــه قلـــوب ... إليـــه النفس تـأمل للتـــلاقي
حـــديـــث « أبي سليمان » رقيـق ... لـــه أثـــر لفكـــر المـــرء بـــاق
أعنـــه يهم يـــومـــاً أي شخص ... مقيم بـــالترحـل والفـــراق

- وقال آخر، وقد وعى توصية الشيخ بأن لا ينعس أحد منا ولا ينام حتى يحس بتلك المناظر:

« أبـــا حمد » وعينـــا تـــوصيـــات ... حفظنـــاهـــا بمجلسك الأثير
وقلت . . طـــريقكم بـــالحسن يبـــدو ... غـــدا كـــالـــروض بـــالـــزهـــر النضير
وقلت . . فـــلا يطـــالـع أي شخص ... جـــرائد أو كتـــابـــاً في المسير
ولكن للطبيعـــة فـــاقـــرؤوهـــا ... قـــراءة فـــاحص واع بصير
وقـــد وكلتني إن مـــال شخص ... لنـــوم فـــوق كـــرسي وثير
وإن قـــرؤوا فلي فـــاكتب كتـــابـــاً ... وتقـــريـــراً ينسق في سطـــور
أحيطكمـــو بـــذا علماً فحـــاول ... «أبـــا حمد» معـــالجة الأمـــور

- أما الأخير فقد قال وهو الشاكي ما يلي :

فما هـــو رأيكم والأمـــر جـــد ... ومـــا هـــو عنـــدنـــا أمـــر يسير
عصـــوا أمـــري ونصحك يـــا عـــزيـــزي ... فـــؤادي مـن تمردهـــم كسير
« أبـــا حمد » أطعتـــك بـــاحترام ... ونصحـك قـــد وعـــاه لنـــا الضمير
حفظـــت لما رأيـــت لكـــل شيء ... ولي عنـــد الـــرجـــوع هـــو السمير
وقـــد دونتـــه بمـــذكـــرات ... لها يـــا سيـــدي أبـــداً ذكـــور
ولا تقبـل إذا أدلـــوا بعـــذر ... إلى قصـــد التخلـص قـــد يصير
فعـــاتبهـم وكـن قـــاس عليهم ... فـأنـت على عتـــابهم قـــديـــر

نعود إلى الفقيد الراحل . . وما أوجده في كل مكان يحل به من الدول .

ولا أحب أن أنهي الكلمة ما لم أذكر قصة مهمة : ذلك أن شباباً من شبابنا كانوا سياحاً في بلد ما مجاور «لأبي سليمان» فوقعوا في مشكلة عويصة، وهي أنهم صرفوا ما لديهم من الدولارات بنقد البلد الذي هم فيه، وعندما صاروا يستعملون النقد ظهر أنه مزيف فقبض عليهم، ولا أدري من أخبر «أبا سليمان»، فهب من سفارته وعمل عمله الكريم، فأطلق سراحهم وأحضرهم عنده وأكرمهم وسلم الغرامة وأعطاهم بدل نقودهم، وأتاح لهم سياحة كاملة في البر والبحر في ماليزيا وسنغافورة، ثم زودهم بطرائفه وودعهم، بعد أن منحهم التذاكر من لدنه، مع أنه لا يعرف منهم أحداً .

مشاعل نور في دروب الحياة :

وكان الأستاذ حسين محمد العسكري قد كتب عام ١٤٠٥ هـ في جريدة البلاد مقالاً يصف فيه زيارة له إلى ماليزيا ضمّنه إشارة إلى الشيخ محمد ، وبعد وفاته كتب مقالاً آخر يرثيه فيه فيقول :

قليلون في دنيا الناس ، أولئك الأفذاذ الذين يكونون مشاعل نور في دروب الحياة ، تضيء الطريق للآخرين ، وتقيل العثرة ، وتجيب نداء الملهوف ، تعطي من ذاتها وتؤثر على نفسها ، وإذا أعطت فهي لا تنتظر مردوداً لعطائها .

من هذه القلة في دنيا الناس ، كان الشيخ محمد نموذجاً فذاً لإنسانية الإنسان ، وكان قاسمه المشترك في علاقاته مع الناس هو تقديره لإنسانيتهم ، فهو يمنح عطاءه وحبه لصغيرهم وكبيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، كان منزله مفتوحاً ، يستقبل فيه مواطنيه الذين يسعى إليهم من المطار ، أو يزورهم في نُزُلهم ، يعود مريضهم ، كان الرجل عينة نادرة تجلس إليه لأول مرة فتحس أنك تعرفه منذ سنين ، تشعر برابطة حميمة تشدك إليه ، عذب الحديث صادقه ، حبه لبلاده أنشودة ترددها شفتاه ، يحفظ تاريخ عظمائها ، ويروي سيرهم عن ظهر قلب أو كأنه يقرأ من كتاب ، صورة صادقة وأمينة للرجولة الحقة .

إنسان بكل معاني الكلمة :

وكتب معالي الدكتور محمود محمد سفر عن الشيخ محمد في أعقاب وفاته مقالاً بعنوان : «مات كريم فينا » ، نستخلص منه الأجزاء الآتية :

- مات المواطن الشهم الكريم العفيف الجواد السمح المعطاء ولا نزكيه على الله ، توفي ، بعد أن ترك رصيداً كبيراً من السمعة الحسنة والسيرة الزكية والذكرى العطرة .

كان إنساناً ، بكل معاني الكلمة ، عفيف اللسان ، أبيّ النفس ، أميناً في عمله شهماً في تعامله محباً للخير وساعياً إليه بكل ما يستطيع وأكثر مما يستطيع .

كان يؤثر على نفسه ويضحي من أجل قضاء حوائج الآخرين ، لقد أدرك بإباء أن الجود والكرم والشهامة وإسداء المعروف وفعل الخير وخدمة الغير هي من مقومات المؤمن وصفات المسلم .



الملك سعود وبجواره ملك العراق (فيصل الثاني) يستقبل الرعايا السعوديين في بغداد (ويرى عبد الرحمن الصالح الذكير وهو يصافح جلالته).

السفير القدوة :

كما رثاه السفير الأستاذ محمد عبد القادر علاقي فقال :

- لقد دمعت عيني يوم الخميس الماضي عندما انتقل إلى رحمة الله، السفير العملاق، قدوة السفراء في الكرم، وحسن الخلق، وطيب المعشر، والرعاية الكاملة لكافة أبناء الوطن الذين يوجدون في البلد الذي يعمل فيه، لقد كان تواضعه في وقار، كان سباقاً إلى إصلاح ذات البين، متسامحاً ومترفعاً عن الصغائر وكان ودوداً ينفذ إلى النفس بسهولة ويستولي على محبة الناس.

الموت نقاد :

وتحت هذا العنوان، كتب الأستاذ عبد الله سليمان الحصيّن مقال رثاء، نختار منه الفقرات التالية :

- عندما تتداخل الرؤى وتتعانق الذكريات وتختلط أحاديث الرجال عن كل شيء، قد يختلف الناس في الرؤية أو التقويم أو إصدار الأحكام، لكنهم لا بد أن يجتمعوا على رأي واحد إذا ذكر هذا الرجل.

الشيخ محمد حديث يعطر المجالس ويثري الندوات بالمواقف الوطنية والإنسانية النبيلة.



في أفغانستان مع عدد من الضيوف والطلبة السعوديين في باكستان .

لقد عاش بحس المواطن الأصيل ، الذي يرى في المروءة والحب والكرم قيماً يمارسها بفطرته ، تصدر عن سجيته دون تكلف ، كأنما تشعر وهو يلقاك بكل الحب لأول مرة ، أنك تعرفه ويعرفك منذ سنين .

لقد تعود الناس في حياتهم على أن تقف خدماتهم عند حدود علاقاتهم أو صداقاتهم أو مصالحهم ، لكن قلبه اتسع بالحب لمن يعرف ولمن لا يعرف .

- إنه أحد العلامات المضيئة في صدق هذا المواطن ، وعمق انتمائه لوطنه وتاريخه .

- لقد مضى ، وهو ممتلئ بالوفاء لدينه ومليكه وتراب وطنه .

كان من الأفذاذ :

وكتب الأستاذ مقبول فرج الجهني في مجلة « اقرأ » مقالاً بعنوان : الشيخ الشبيلي والسيرة الطيبة :

الشيخ محمد سفير المملكة في ماليزيا الذي انتقل إلى رحمة الله قبل أسبوع ، كان من الرجال الأفذاذ الكرماء الأوفياء الذين يقل وجودهم في هذا الزمان ، الذي يتصارع الناس فيه على المادة .



إنني لا أعرفه، وإنما حدثني صديق أحاديث كثيرة عن سجاياه الحميدة أذهلتني كثيراً، من أنه كان يعتبر أي مواطن يزور ماليزيا ضيفاً مكرماً عزيزاً عليه حتى مغادرته، يرحمه الله رحمة الأبرار.

نماذج من تواضعه :

وكتب الأستاذ حمد العبد الله الصغيّر مقالاً مطولاً، تحدث فيه عن بعض ذكرياته في بغداد برفقة الشيخ محمد، فقال :

كنا إذا جمعتنا الظروف، وأردنا منه أن يتحدث حديثه الممتع الشيق الذي يمتد حتى ساعة متأخرة من الليل، استذكرنا قصة من قصص الملك عبد العزيز في الوفاء أو العبقرية، فإذا بهذا الباب ينفتح على مصراعيه عن مخزون هائل من الذكريات، حديث الإعجاب بالمؤسس العظيم والتقدير لذاكرة الشيخ محمد ووفائه.

لقد انتقل إلى البصرة قنصلاً عامّاً فاتجهت عيون الناس إلى ذلك الكريم المقيم على شط العرب موازياً له كرماً ومدّاً.

ثم ذهب منها إلى سفارتي بلادنا في باكستان والهند وفتح بيته هناك للقادمين وللجاليات ولمواطني تلك البلدان، فرويت عنه الأساطير من صدقة خفية لفقير معدم إلى مساعدة لخروج أحد المواطنين من مأزق وقع فيه.

ثم عاد إلى العراق سفيراً، وقد قدر لي أن أزور بغداد آنذاك فكنت أشاهد جموع الوافدين من كل جهة من الجالية السعودية والعشائر ومواطني العراق ومسئوليه، يستقبلهم ببشاشته وهداياه وكرمه اللامحدود، وشاهدت الأدباء والأعيان على مائدته يلاطفهم بما يناسبهم من الحديث، وأتذكر أن شاعراً كبيراً معروفاً من بلدة الخالص، كان في ضيافته، فأراد الشيخ محمد أن يخصه ببعض الحديث فقال : الحب الخالص يأتي بالأصدقاء من الخالص، فقام الشاعر وارتجل أبياتاً، رائعة حفظت جزءاً منها ولكن أبا سليمان رجاني ألاّ أذكرها لأنه رأى فيها شيئاً من المبالغة[1].

طلب مني يوماً أن أرافقه إلى أحد الأماكن الأثرية في العراق وكان معنا أخوه سليمان، فذهبنا جميعاً في يوم قائظ وعندما وصلنا قال بعبارته الرقيقة : أنتم شباب انزلوا وتفرجوا أما أنا فسأبقى في السيارة، وعندما عدنا لم نجده، ثم عرفنا أنه كان قد ذهب لإيصال عدد من الزوار إلى مقاصدهم، وعندما عاد ركبنا وإذا بجندي يمشي في الشمس فوقفنا وأركبناه بجوارنا حتى أوصلناه، وعندما نزل إذا بعجوز تركمانية تحمل أغراضاً على رأسها فزحف إلى جوار السائق وترك مقعده لها حتى أوصلها.

كنا نحضر إليه فيفتقد الأطفال ويرسل سيارته لإحضارهم، يحملهم على كتفه ويداعبهم حتى ألفوه وأحبوه.

فهذه الأمثلة رغم بساطتها إلا أنها القاعدة عنده وتعتبر نماذج من تواضعه.

---

(١) ربما تكون تلك قصيدة الشاعر حسين بستانه المشار إليها في الفصل السابع.

إنسانيته لا توصف ولا تقاس:

«إنسانية الشبيلي» عنوان مقال، كتبه الأستاذ فوزان عبد العزيز الحمين في جريدة اليوم، جاء فيه :

- يعلم الله أنني لا أعرفه ولم يسبق لي أن قابلته، ولكن مع ما سمعت وقرأت عنه بعد وفاته، رأيت لزاماً عليّ أن أروي ما سمعته عنه وبأمانة وإخلاص للراوي والمروي عنه :

فهذه قصة جرت أحداثها قبل خمسة وعشرين عاماً، حينما كنت مديراً لمدرسة «رحيمة»، وفي وقتها كان بالمدرسة حارس كبير السن، مريض في عينيه، بحث عن العلاج في كل مكان، في المملكة وخارجها، واقترض مالاً وسافر إلى ألمانيا للعلاج، وعندما أقام عدة أسابيع لم تبق لديه قيمة عودته، فالتجأ إلى السفارة لعله يجد من يسهّل عودته، وكان في السفارة أحد إخواننا العرب، الذي أشفق عليه فدله على صديق عربي له يقيم في برلين الشرقية، اشترى له تذكرة سافر بها إلى بغداد، وهناك ذهب إلى السفارة، ونعم من ذهب إليه، لقد استقبله الشيخ محمد استقبال الأخ لأخيه، وأكرمه وكان يقسم لي بالله العظيم، أن الشبيلي يفتح له باب السيارة بنفسه ويشرف على نومه ويُدني الغطاء عليه عندما يريد أن ينام، فيا له من كرم لا يمكن أن يوصف أو يقاس.



في بغداد بين حسن المشاري وعبد الرحمن الذكير.

إنها من حكايات الخيال الذي يكاد لا يصدق، لكنها الحقيقة تتمثل في شخصه ـ يرحمه الله ـ وهذا سيجده أمامه في الفردوس الأعلى، إن شاء الله.

قصص عجيبة:

وتحت عنوان «رحمك الله أبا سليمان»، كتب اللواء صالح إبراهيم الأحيدب مقالاً، ضمنه ذكريات أول لقاء به:

ـ الرجل غني عن التعريف، ولكنْ عملاً بذكر محاسن موتانا، فهذا الرجل قد غادرنا إلى دار البقاء مشيعاً بدعوات الرحمة ممن عرفه أو سمع عن أفعاله التي تتحدث بها المجالس في كل مكان ووقت.

كان ذلك منذ عشرين عاماً، عندما غادرت لبنان عن طريق البر إلى المملكة مروراً بسوريا والأردن ثم العراق، وكنا ثلاثة.

كنت قد سمعت عن الشيخ محمد قصصاً عجيبة في كرمه وخلقه وتحمله وصبره، فمما سمعت عنه أنه عندما كان قنصلاً في البصرة في السبعينات الهجرية، كان مكتبه مزاراً لكل السعوديين، وقد خصص ضمن دارته ضيافة يسكن فيها بعضهم حتى يقضوا حاجاتهم من زيارة البصرة، ويزود البعض بهدايا خاصة أو نقود حسب حالتهم، كما سمعت حكايات نادرة في وضع ذلك الزمان.

مرت في ذهني كل تلك القصص، ونحن في الطريق إلى بغداد، وما أن وصلنا إلى الفندق، وكنا في وقت متأخر من المساء، إذا بهاتف من السفير يقول إنه في انتظارك في صالة الفندق، فسلمنا عليه ورحّب، وقال لنكمل الحديث في البيت، قلت له: أي بيت تعني؟ . نحن قدمنا بالسيارات وبحاجة للراحة وغداً إن شاء الله نزوركم، فقال: بل يجب أن تصحبوني الآن، ولن أقبل أي عذر، وفي الطريق سألناه كيف عرف بقدومنا، فقال بمرح: هذه وسائلي الخاصة، والغريب أن الفنادق تتعاون معه في أي مطلب وكأنّ موظفيها مسخرون (حيث لا يخدم بخيل كما يقال).

وكان العشاء في بيته عامراً، وكان ضيفا الشرف: سمو الأمير سعود الفيصل والشيخ عبد الرحمن العتيقي، اللذين كانا يحضران اجتماعات للنفط.

وبعد العشاء، استأذناه للعودة إلى الفندق للراحة فقال قولته المشهورة «لحظة» وامتدت اللحظة إلى ساعات، قريباً من الفجر، قلنا له: نودعك، فغداً سنأخذه راحة ثم نسافر بعد غد. فقال: إن العشاء الذي حضرتم لم يكن معدّاً لكم، ولكن عشاءكم غداً، على شرط أن يرانا في نهاية الدوام غداً في السفارة، وأصر رغم كل الأعذار، وهو إذا قال لا، فإنه لا يتراجع وبخاصة في الأمور التي تتعلق بالإكرام، واستسلمنا على غير ارتياح خشية تمديد إقامتنا، وكان يريد أن

نبقى أسبوعاً في ضيافته، والحق أنه بشوش سلس الحديث، ذو وجه صبوح، ولا تشعر بمضي الوقت في مجلسه الذي لا يخلو من جليس.

رجال لا ينسون :



مع الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف.

وتحت عنوان : رجال لا ينسون، كتب الأستاذ عبد العزيز بن محمد العوشن مقالاً أثناء مرض الشيخ محمد قال فيه :

ـــ وواقعة لمستها وعشتها مع زملاء لي عندما وصلنا إلى بغداد إبان عمله سفيراً فيها فقد ذهبنا للسلام عليه، ولمّا لم نجده لكونه في مهمة خارجها، ولما نعرفه عن كرمه ومكارمه، فقد انتهزنا فرصة غيابه لاستئجار سكن لأن مدة مهمتنا تزيد عن الشهر، ولما أردنا أن ندفع أجرة السكن أصر سائقه على دفعها هو من حساب وضعه لديه لهذه الغايات، إلا أن نقيم في دار ضيافة السفارة، وقد تحايلنا على السائق.

ولما عاد وعرف عن ذلك، أصر على أن نتناول الغداء والعشاء على مائدته يومياً حتى تنتهي المهمة قائلا: هذه المدة على ضيافة السفارة وبعدها أنتم ضيوف عليّ لثلاثة أيام، فالتفتَ إليّ أحدُ موظفي الملحقية الثقافية في بغداد وقال :

ـ صار لنا أربع سنوات، ونحن نتاول جميعاً غداءنا وعشاءنا على مائدته.

وأخرى صادفها قريب لي عند مروره ببغداد، ولما كان يسمعه عنه من طيب الذكر وعاطر الثناء ذهب للسلام عليه وتسجيل جوازه في القنصلية فلم يجده، وما كاد يعود إلى الفندق حتى هاتفه الشيخ محمد قائلا: ستصلك السيارة لإحضارك. يقول: ولما نزلت إلى بهو الفندق وجدت السائق قد سدد حسابي، وقد لامني الشيخ محمد لأني نزلت في فندق وتركت ضيافة السفارة، التي هي دار لكل السعوديين، وبقي عشرة أيام في ضيافة السفارة وثلاثة أيام ضيفاً على معاليه كما هي عادته، وعند سفره رافقه إلى أن غادر مصحوباً بهدية غالية.

حضن الوطن:

وفي «ظلال» الأستاذ عبد الله الجفري كتب يقول:

- يرحم الله هذا العزيز الذي فقدناه . . . كان طرازاً فريداً من الرجال الأقوياء بتفوّق السلوك وإبهار التعامل مع الناس . .

وإذا كان قد تقلب في عدة مناصب دبلوماسية، فإن هذه المهنة لم تكسبه وحدها ما اصطلحنا عليه بالتصرف الدبلوماسي، لأن طبيعة نفسه من الداخل كانت تبلور تلك التصرفات ولأن مواقفه المضيئة بالفعل الإنساني كانت «تصيغه» إنساناً مميزاً جداً.

عرفته في عدة رحلات، كان فيها يتجاوز حدود «الكرم» المعهود والمتوقع، فهو يشعرك من الوهلة الأولى أنه الأخ والصديق والأب وحضن الوطن في الغربة، كنا نقصّر معه، وكان يفيض علينا من ذلك الحسن الجميل في تعامله وبشاشة وجهه.

كنا نحبه كثيراً. ولكنه كان يتفوق علينا بحب غامر لا مقابل له.

لقد افتقدناه الآن، ولكنه يبقى مثالاً على الكرم ونظافة اللسان وصدق الشعور.

خير الناس أنفعهم للناس:

كما عبر صديقه الشيخ محمد العبد الله العريفي عن مشاعر الرثاء في نفسه، فكتب هذه العبارات:

- مر أسبوع على وفاة الراحل الشيخ محمد، فكان لوفاته لوعة حزن وأسى لبلده ومحبيه ولأصدقائه، لما كان يتمتع به الراحل من وفاء وصفاء وصفات حميدة وأخلاق مجيدة.

لقد كان مثالاً وقدوةً حسنة، كريم الخصال، طيب الأفعال على قاعدة: خير الناس أنفعهم للناس، فلم يكن يمضي يوم، إلا أسس فيه مجداً أو أثنى فيه حمداً، فكان لا ينتهي من عمل إلا لعمل.

كان يداوي جراح المجروحين، ويواسي البائسين، وهكذا استمر حتى آخر أيام عمره يعيد الإعجاب في كل عمل يعمله غير متبجح، قوي الصبر، بعيداً عن الجزع سريع العزم، شديد الحزم، يحتسب الغايات ويفاجئ بالأمور الكريمة.

كان رفيع التواضع، موصوفاً بعزة الأمانة وكنز القناعة.



مع وفد إعلامي سعودي.

علم من أعلامنا:

وتحت عنوان «رحيل علم من أعلامنا»، كتب الأستاذ أحمد محمد الحماد الشبيلي مقالاً موجزاً، عدد فيه خصاله واستعرض أسلوبه في التعامل، وصلة القربى، وعلاقاته بمواطنيه واهتمامه بالمحتاج منهم سراً وعلانية، وزيارة العاجز والمريض.

حاتم عصره:

وخصصت جريدة الشرق الأوسط زاوية «للأحداث وجوه» بعد يومين من وفاته للحديث عنه تحت عنوان: أبو سليمان حاتم عصره: قالت فيه:

- هذا السفير السعودي العريق الذي توفي عن ثمانين عاماً، كان مثالاً في الكرم والسماحة، فما يروى عنه من قصص صارت أقرب إلى الخيال، وطوال الخمسين عاماً الماضية التي قضاها في سلك بلاده الدبلوماسي مبتدئاً عمله قنصلاً في البصرة ثم سفيراً في باكستان والهند والعراق وأفغانستان وماليزيا، فلا تخلو عاصمة مر بها سائح عربي أو رجل أعمال عربي أو طالب عربي، إلا وتسمع القصص والحكايات عن الطريقة العجيبة التي كان يحاول فيها تكريم ذلك الضيف، والسهر على راحته والبحث عن أي سبيل من أجل رغده في إقامته.

وكان يتحمل تكاليف الضيف من إقامة وسفر طوال تلك الرحلة حتى ولو كان لا يعرفه، ولم يلتق به، أو ينتمي لبلاده، يكفيه نطق كلمة الضاد ليجد له لديه داراً وسكناً وضيافة.

أبو سليمان، كما يلقبه الجميع كان سفيراً فوق العادة اختار خدمة بلاده سفيراً، ولقد عرض عليه منصب وزاري لكنه اعتذر عنه، مفضلاً أن يكون جوالاً متنقلاً بين عاصمة وأخرى بأمر مليكه، فشكّل وجوده في كل عاصمة ثقلاً غير معتاد لا يضارعه فيه صاحب قوة فكيف بسفير في بلاد غريبة؟ .

عاش فقط للناس، كان معظم حياته يعيش أعزب، فقد فضل أن يسخر طاقته لخدمة الآخرين، ولممارسة ذلك العمل الجميل العتيق: الدبلوماسية فنجح في المهمتين.

وبعد وفاته، بكاه الكثيرون، وبخاصة أولئك الذين وقف معهم ساعة الشدة، أو منحهم لفتة كريمة من لفتاته التي لا تعد ولا تحصى.

هل يتعلم منه آخرون:

وفي زاوية «مساحة للتفكير» في جريدة الجزيرة، نشر الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان الكلمة الوجيزة التالية:

ـ وتسابق الشعراء في رثائه، وتبارى الأدباء في إطرائه، وعدّد الشاكرون محاسنه، وذكر الحامدون مآثره، وسُرّت النفوس بتلك القصص التي رويت عنه، والتي قد يُشَكّ في صحتها لولا صدق رواتها.

هذا الراحل ما عرفته وكثيرون غيري ما عرفوه، إلا من خلال الأخبار السارة التي رويت عنه، فليس هو بالعالم ولا الشاعر ولا الأديب، ولكنه الفقيد(محمد بن الحمد الشبيلي) يغفر الله له ولوالديه، ويُنزل عليهم شآبيب رحمته.

هذا الراحل، ظَلَلنا نقرأ ونسمع عنه بين الحين والآخر أشياء ما علمناها، وأموراً لم نعرفها تنبئ عن شهامته، فقد أعطى دروساً في الأخلاق ونماذج في الكرم وقصصاً في حسن الخلق، فهل يتعلم منه آخرون؟ .

روّض نفسه وعلّمها مكارم الأخلاق وحسن المعاملة، فكان علماً بارزاً يذكر في كل مجلس ويشاد به في كل مكان.

حي في القلوب:

وتحت عنوان: الشبيلي حي في القلوب، كتب الأستاذ عبد العزيز بن عبدالرحمن المحمد المنصور مقالاً في جريدة اليوم، وردت فيه الفقرات الآتية:

أذكرك منذ سنين والعطـاء ينمو في قلبك بدون حدود، لم تكن مليـونيراً ولا صاحب أرصدة، ولكن كان عنـدك ما هو أكثر: محبة الناس صغيرهم وكبيرهم، شابهم وشيبتهم.

كنت المثل الممتاز للسفير، في التعامل والطيبة والكرم.

ـ أذكـرك على فراش المرض تتابـع أحوال أحد ممن لجأوا إليك بعـد الله، كتلك المرأة العجوز التي كـانت تتحاور معك حول مشكلة لابنها الوحيد، وكنت خير الأب والمعين في الوقوف معها.

أذكرك عندمـا زارتك أسرة سعودية معها أحـد الأطفال، فاستدعيت أسرة مـاليزية مع أطفالها للعـب معه، وإدخال السرور إلى قلبه.

إن كل موقف لك يرفعك درجات بعد وفاتك، وإن اسمك لن يمحى من قلوبنـا، فهو مكتوب بمداد لا تزيله الأيام والسنون.

الرجال الرجال:

وجاء في مقال كتبه الأستاذ بدر أحمد كريم:

ـ إن فقد الرجال الـرجال خسارة كبرى لا تعوّض، لأننا نفتقد بوفاتهم أنماطاً من السلـوك الرفيع، إيماناً ووفاءً وسخاءً وتواضعاً، وهـذه هي معايير الرجولة الحقة التي ينـدر أن تتوفر مجتمعة إلا فيمن أكرمـه الله بهذه الفضائل، فلم يضعها في خزائنه، بل قدّمها في غير منّ ولا رياء..

ومن بين هؤلاء الرجال، الذين فقدهم المجتمع السعودي، الشيخ محمد، الذي لقي وجه ربه يوم الخميس الماضي.

والمسلمون الذين عـرفوه ودخلوا أبوابه المفتوحـة منذ ساعة مبكرة كل صبـاح وحتى آخر الليل، ولم تقفل قط في الدول الخمس التي كان فيها.

بعد صلاة الجمعة، كانت جموع المصلين المشيّعين هي اللوحة التي صورت حجم الذكريات التي تركها الشيخ محمد.

وأجزم، أن أكثرية من تفرست في وجوههم في مسجد الملك عبـد العزيز بالمربع ومقبرة العود، هم الذين سمعوا عنه، فلقد شيّعه إلى ربه من يعرفه ومن لا يعرفه..

لقد خلف وراءه أسفاراً من الأعمال الطيبة والذكرى الحميدة والخلق الرفيع.

لقد توفي، وبقيت بين أيـدينا سطور وصفحات مضيئة من تـاريخه، نستزيد منها معرفـةً وعلماً ودروساً عن حياة رجل من خيرة الرجال . .

العزاء للوطن :

وكتب الأستاذ محمـد بن ناصر آل ياسر الأسمري مقـالاً بعنوان : «البقاء لله والعزاء للـوطن» يقول فيه :

ـ بالأمس مات كأي حي، لكنه مات جسداً وطـواه التراب، ولم يمت في قلوب الناس وأذهانهم من الذين عملوا معه، أو تعاملـوا معه، أو عرفوه، أو سمعـوا بسلوكياته الـرفيعة المثالية، التي لم يكن فيهـا تملق أو رياء أو غايات، فلقـد كان إنساناً شهماً نبيلاً متواضعاً كريماً، عطوفاً شفوقاً على مواطني بلاده هذه وإخوانه من العرب والمسلمين.

لقد عرفت هـذا الرجل في بغداد عام ١٩٦٨م عندمـا سافرت لأول مرة في بـداية فهمي للحياة، مرافقا صحفيـاً لوفد المملكة إلى مؤتمر دولي.



في حديقة السفارة في نيودلهي مع بعض الضيوف.

ودهشت لأخلاقه وبشاشته وكرمه ، فلم يكن يعرف توقيتاً يلتزم به لأداء مهامه الإنسانية والرسمية .

لقد أولى الوفد رعايةً فائقة ، جعلت جميع أعضائه يشعرون بالخجل والحرج البالغ مما فعل وقدم لهم من العناية والتكريم .

ولا أنسى موقفاً نبيلاً منه تجاهي ، يتلخص في إنقاذي من استفزاز أحد الصحفيين الأجانب ، الذي حاول أن يصطاد في الماء العكر ، ولا زلت أحتفظ لنفسي بتوجيهاته الكريمة وكلماته النابعة من قلب نقي وسريرة صادقة ، ليس فيها طريق للخداع أو الانخداع بالمناصب أو الغرور .

يرحمك الله أيها السفير الأمين ، والرجل الرجل ، والإنسان النبيل ، فلقد عدت إلى بارئك راضياً مرضياً ، إن شاء الله .

درّسوا سيرته :

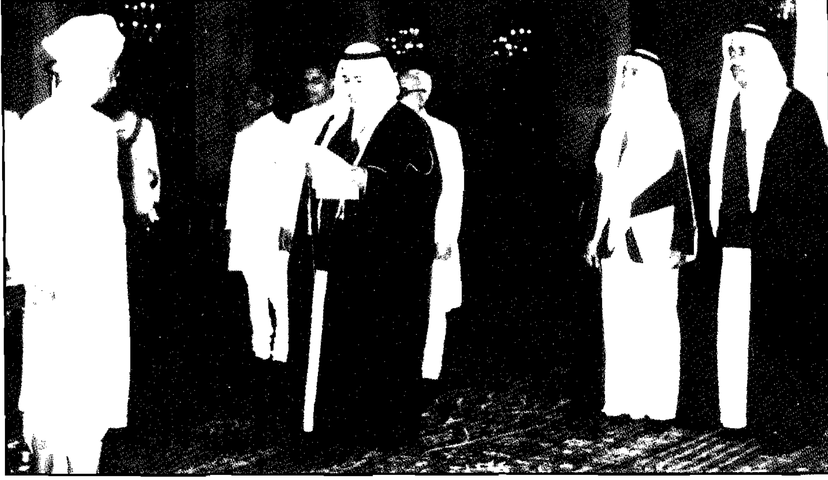
وكتب الأستاذ علي بن أحمد الشدي في زاوية «غرابيل» بجريدة الرياض مقالاً بعنوان : «درّسوا سيرة هذا الرجل» .

وبعد أن أورد قصة أم «حاتم طي» مع قريبه الذي حاول تقليد حاتم في الكرم فقالت له : يا بني ارفق بنفسك ، فالطبع يغلب التطبع . . يقول الأستاذ الشدي :

ـ أوردت هذه القصة مقدمة للحديث عن الشيخ محمد ، الذي كان كرمه وإنسانيته ووطنيته طبعاً فيه لا تطبعاً ، ولهذا كان يتعامل بهذه الصفات مع من يعرف ومن لا يعرف ، دون اعتبار لأي سبب مما جعل بعض قصصه أقرب إلى الخيال .

يقول أحدهم : جاء أبو سليمان إلى الرياض قبل خمسة عشر عاماً لحضور اجتماع السفراء السعوديين ، وسكن في أحد الفنادق الكبرى حيث لم يكن يملك مسكناً ، وبدأت دعوات التكريم منه كعادته لزملائه السفراء وللآخرين ، فكانت تكاليف إقامته تكفي لشراء سكن وتأثيثه وإقامة هذه الولائم فيه ، وقد دفعها ـ يرحمه الله ـ بلا تردد أو تأخير أو مناقشة .

وحينما كان سفيراً في بغداد جاءت عجوز مع ابنها للعلاج ، وأخذ يرسل موظفاً من موظفي السفارة يومياً لإيصالها للطبيب وتلبية احتياجاتها ، وتضايق الموظف وأوشك أن يفاتح السفير بأنه لم يأت ويعمل بالسفارة لخدمة مثل هذه العجوز ، لكنه رأى السفير بنفسه يطمئن عليها يومياً ثم يودعها في المطار ، فخجل ولم يفاتحه ، وتعود على أسلوب السفير فيما بعد ، حيث تقدم الخدمات لجميع السعوديين دون اعتبار للألقاب أو المناصب .



إنني لا أستطيع أن أضيف جديداً إلى ما كتب حول إنسانية هذا الرجل، إلا أن أوجه نداءً إلى سمو وزير الخارجية، لتدريس سيرته في المعهد الدبلوماسي، مثالاً للدبلوماسي الناجح الذي يعتز به الوطن والمواطن.

مطبوع على الخير:

وفي زاوية (مساحة للتفكير) في جريدة الجزيرة، كتب الأستاذ محمد أحمد الشدي مقالاً عنوانه: «الرجل الأسطورة» يقول فيه:

- لقد عرفته في كثير من المواقع وخبرت سجاياه عن قرب، فتأكد لي كما لغيري أن الرجل يتصرف بصدق وإخلاص دافعه حب الناس جميعاً، مطبوع على الخير النابع من سيرة خيّرة..

وامتثالاً للقول الكريم، فإن من الواجب أن نذكر شيئاً من صفاته ومعروفه، الذي يسديه لمن يعرف ومن لا يعرف.

ففي لبنان، حيث كان يصطاف مرة، علم بوجود وفد سعودي، فسعى إلى رئيس الوفد يدعوهم إلى وليمة، فاعتذر لمعرفته بكرمه وبحجة سفره غداً، وتوهم أن الأمر انتهى عند هذا الحد، واستدرجه الشيخ فعرف منه موعد الرحلة، وعند حضورهم إلى المطار فوجئوا «بطرد» لكل واحد منهم وهم أكثر من عشرة. وقد شحن على نفقته.

- كما أورد الأستاذ الشدي قصصاً طريفة أخرى مماثلة تبين أساليبه المتعددة في الإكرام وكيف أنه من الصعب أن تدخل معه في محاولة لإكرامه أو لرد ضيافته.

سلاماً سلاماً:

وكتب الأستاذ مطلق العنزي في جريدة اليوم مقالاً عنوانه: «أبا سليمان: سلاماً سلاماً» جاء فيه:

- حينما يبكي المرء عزيزاً عليه وحده يصبح مكلوماً، ولكنه يبقى في دائرة الحزن الفردي، ولكن حينما يتعلق المرء بعزيز على كثيرين يصبح الجرح جماعياً بحجم مكانة الفقيد وقدره.

هكذا كان نبأ وفاة الشيخ محمد غير عادي، لأنه يتعلق بشخص غير عادي.

فلقد تواضع الشيخ محمد حتى الرفعة، ولم يكن «بروتوكولياً» متزمتاً بل كان يعبر عن أصالة صحراء العرب وأخلاقها، صاحب مدرسة دبلوماسية شعارها: أن الصدق والإخلاص للقيم الإسلامية والعربية هي الحل لكل المشكلات دون اللجوء إلى الأساليب الملتوية، ولقد كان يليق به حقاً أن يكون سفيراً للمملكة العربية السعودية التي تتبنى هذا الشعار.

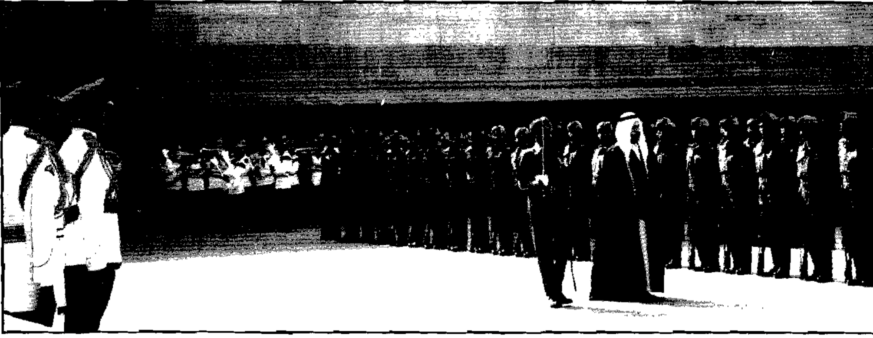
وعزاؤنا فيه، أنه سجل على مدى خمسين عاماً مواقف غاية في النبل والكرم والسخاء يذكرها الآخرون.

تعبير عن مشاعر فياضة:

وتحت عنوان: «لكل أجل كتاب»، كتب الشيخ ثنيان بن فهد الثنيان مقالاً جاء فيه:

إن من كتب عن أبي سليمان لم يكتب تصنعاً أو مجاملةً ولكنه تعبير عن مشاعر فياضة، فحينما أذيع نبأ وفاته، كان لذلك أثر كبير في نفوس من يعرفه ومن لا يعرفه.

لقد ترك رصيداً لا يقاس بمال أو عقار، ترك الثناء العاطر على الكرم ومكارم الأخلاق و إخلاصه لدينه ومليكه ووطنه، وإنها هبة من الله سبحانه وتعالى.



أذكر أنه في عام ١٣٧٦هـ قضى إجازة في لبنان، مع والده وبعض أقاربه وأصدقائه، وكان في إحدى الليالي متوجهاً إلى فندقه، وحصل له حادث من سيارة كاد يودي بحياته لولا لطف الله، فقد حدثت عدة كسور في رجليه وأنحاء من جسمه، وعندما قمت بزيارته وسألت عن تفاصيل الحادث، عرفت أنه عندما أفاق سمع الطبيب يتحدث مع أحد معارفه بأن حالته خطيرة بنسبة عالية، فكانت أول كلمة نطق بها، أن تنازل عن حقه ورجا السلطات اللبنانية أن تتنازل هي الأخرى عن الحق العام.

ومن أفكاره النيرة، أنه كان في يوم من الأيام يتمشى بالسيارة في الرياض، ولاحظ أن هناك مشروعاً يبنى خلف قصر «المصمك»، فما كان منه إلا أن توجه إلى سمو أمير منطقة الرياض، الأمير سلمان بن عبد العزيز، وعرض له أن

«المصمك» يعتبر من المعالم التاريخية والتراثية التي نفتخر بها، وإذا بني حوله بناء يخفي القصر، فما كان من سموه ـ يحفظه الله ـ إلا أن رفع هذه الفكرة، إلى المقام السامي، وتحققت.

«الناس» كانوا على حق :

وكتب الأستاذ خالد فهد الحسين، من الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مقالاً عنوانه: «تعطرنا بسيرتك ثم بكرمك» ورد فيه :

ـ وعلى الفور عدت بذاكرتي ثماني سنوات خلت، حين حظيت بمقابلته والتعامل معه مدة شهر كامل في ماليزيا، فانبعثت الذكريات تعود بي إلى المرة الأولى التي سمعت فيها سيرة هذا الرجل، وعندما أسعدني حظي والتقيت به أدركت أن الناس كانوا على حق.

وعادت بي الذاكرة إلى سنوات الدراسة، إذ كان لي قريب وزميل يدرس في باكستان (عندما كان الفقيد سفيراً فيها) وهو الطبيب سليمان بن محمد السعيد (من منسوبي مستشفى قوى الأمن الآن)، فكان عند كل زيارة له يحدثنا عن هذا الرجل، في كرمه وسماحته ووفائه وإخلاصه لوطنه.

كنت أسمع عنه وأكبره، حتى اجتمعت به عام ١٤٠١هـ، فرأيت رجلاً كلما اقتربت منه اكتشفت جوانب عظيمة في شخصية عظيمة، كان ذلك أثناء زيارة وفد من شباب المملكة إلى ماليزيا، وكنا نحو الأربعين شاباً.

كان يصر على أن نتناول معه الغداء والعشاء، وإن لم نكن جميعاً فلا أقل من بعضنا، ولأننا لم نكن نتذوق الأكلات الماليزية، كان يوفر لنا أكلاتنا الشعبية على مائدته، كان يقف على إطعامنا قبل أن يأكل، كان يتابع احتياجاتنا على المائدة في ابتسامة ودودة لا تذهب عن الذاكرة، كان ينتقل بين الشباب مشاركاً كل مجموعة حديثها بروح الأبوة الحانية، ومع أن زيارتنا كانت بدعوة رسمية من وزارة الشباب الماليزية، إلا أنه كان يصر على دعوتنا كل يوم.

ولا أنسى أحد الأيام، والشباب يتهامسون عن مباراة في الغد لمنتخب المملكة للناشئين في سنغافورة، كيف رتّب زيارتهم وقال: إن ذهابكم إلى هناك سيتيح لكم فرصة مشاهدة بلد آخر.

وكما أن للزيارة برنامجاً معدّاً سلفاً، إلا أنه في كل يوم كان يضيف إليه ما يتذكر من أماكن السياحة المهمة، وكان

يطمئن على الشباب يومياً، كما خصص لمرافقتنا الأستاذ ناصر الفارس السكرتير الأول للسفارة في ذلك الوقت.

كان يفعل ذلك دون انتظار شكر أو طمعٍ في الأضواء الإعلامية، بل كان يعتذر برقة لأي زميل من الإعلاميين الذين كانوا يطلبون منه حديثاً أو تصريحاً.

وقال عند مغادرتنا ـ على طريقته الكريمة في نكران الذات ـ لقد حققتم كسباً إعلاميًّا للمملكة خلال زيارتكم هذه لم نستطع تحقيقه في عشر سنوات.

ـ وفي مقال مماثل في جريدة البلاد، كتب الأستاذ شلهوب عبد الله الشلهوب، يرثيه، ويتذكر تفاصيل رحلته إلى ماليزيا لحضور مباريات المنتخب الوطني في تصفيات كأس آسيا عام ١٤٠١هـ.

ربما لا يصدق البعض:

وعن مآثر الشيخ محمد، كتب الأستاذ صالح العماش، مقالاً مسهباً عن قصة رحلة له مع خمسة من زملائه في العمل إلى بغداد، عندما كان الشيخ محمد سفيراً هناك، وكيف تحايل عليهم لقبول دعوة عشاء، تظاهر أمامهم بأنه أقامها لغيرهم، ثم اكتشفوا أنه أقامها لهم على عجل، وأنه دعا إليها العديد من رجال السلك الدبلوماسي. . ثم يقول:

وفي صباح اليوم التالي، اتجهنا إلى البصرة وطلبنا من مدير الفندق ألا يخبره إلا بعد سفرنا، فوافق على ذلك لكننا اكتشفنا أن هناك تعميداً خطياً من قبله بأن يتحمل كافة مصاريف إقامتنا، ولم تجد محاولتنا مع الفندق إذ أصر وأكد أنه لا يمكنه تجاوز أوامره وأن تلك سنّته وقاعدته.

وأمانة للتاريخ والحق، فإن الشيخ محمد صنف من الرجال، يستحق أن تسافر له خصيصاً حتى ولو كان بأقصى بقاع العالم ضيفاً كريماً عنده، ذلك لأنه كان يجد في ذلك متعةً وانشراحاً شديدين، وحيث يفي الضيافة حقَّها وأكثر، وقد تتساءل بنفسك، ألا يجد هذا الرجل شيئاً يشغله سوى ذلك؟، فهو يسهر على راحة ضيفه ويكثر السؤال عنه، وربما لا يصدق البعض ذلك، ولكن من عرفه وعاشره ووقف على مآثره العظيمة وتضحياته الجمة بوقته وماله وراحته لإسعاد ضيوفه، يصدق ذلك.

وشهادة من باكستان :

وفي جريدة «العرب» الباكستانية، كتب الأستاذ محمد عبد المنعم العدوي، مقالاً نقل فيه جزءاً كبيراً من مقال المؤلف ــ وتوقّف القلب الكبير ــ المنشور في مجلة اليمامة (١٤٠٩هـ) وقال في مطلع مقاله :



بعد تقديم أوراق إعتماده إلى اسكندر ميرزا سفيراً لأول مرة لدى باكستان.

ـ توفي هذا الشبل من أشبال الجزيرة العربية قبل بضعة شهور في الرياض، وكانت له علاقات وثيقة في شبه القارة (الهندية) حيث إنه كان سفيراً للمملكة العربية السعودية لدى باكستان، لفترة حوالي ثماني سنوات، ثم سفيراً للمملكة في الهند، ثم أفغانستان، وكذلك العراق، قبل نقله إلى آخر منصب له سفيراً في ماليزيا.

وكان والدنا (عبد المنعم العدوي) كثير الذكر لهذا الإنسان الشريف السخي، الذي لم يكن يمثل المملكة العربية السعودية فقط، بل كان مثالاً رائعاً للجود والكرم والإنسانية والخلق المثالي في العالم الإسلامي كله.

وكان والدنا يحدثنا بأن هذا الإنسان السخي، كان قد ملك قلوب أهالي الباكستان بأجمعها وأهالي كراتشي بالأخص.

وقد روى لنا الوالد قصة عجيبة لهذا الإنسان السخي الكريم قائلا: إنه في ليلة من الليالي، كان يعبر من شارع بسيارته، وكان الشارع مظلماً، ورأى بعض العمال من شركة الكهرباء يشتغلون لإصلاح الأسلاك الكهربائية فوق الأعمدة فطلب من سائقه إيقاف السيارة ومناداتهم، وعندما اجتمعوا عند السيارة لمعرفة سبب طلبهم، أخرج من كيسه مبالغ وزعها عليهم، ولم يكن هؤلاء العمال يصدقون من أين وصل هذا الحاتم السخي، الذي وزع عليهم هذه النقود.

ولقد ذهبت أنا شخصياً عام ١٩٨١م إلى الشرق الأقصى في زيارة، وحسب توصية والدي توقفت في كوالالامبور واتصلت بالسفارة لكي أسلم على السفير، وتركت الخبر عند السكرتير، وسرعان ما اتصل بي الشيخ محمد شخصياً، وطلب مني الحضور إلى منزله لتناول الغداء، وقد أرسل السائق وأخذني إلى داره وعرّفت نفسي عليه، وقد فرح جدّاً لهذه المقابلة وشكرني على الاتصال به، وكانت الصالة ملأى بالضيوف من شتى الأقطار، وفي اليوم التالي أرسل لي تذاكر

حضـور مباراة المملكـة مع الصين الشعبية، حيث تصـادفت زيارتي مـع يوم المبـاراة، وقد أرسل إلي السـائق بالـرغم من انشغاله بالمبـاراة، وكان الوفد السعودي برئاسـة الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز. وعنـدما أردت المغادرة وجدت أن فاتورة الفندق قد سددت، علاوة على شنطة بها هدايا مختلفة للوالد ولي وللأهل.

كل خصاله الحميدة :

وفي مجلة « اقـرأ » رثاه الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، بكلمة قال فيها :

- وهكذا انتقل إلى رحمة ربه، الـرجل الشهم، الرجل الباش الذي ينطبق عليه قول الشـاعر: كأنك تعطيه الذي أنت سائله.

توفي بعد معاناة طويلة من مرض ألمّ به، فترك فراغاً كبيراً بمساحة فضله وكرمه ووده، فهو رجل ندرة في هذه الخصال الكريمة، يتحدث عنه بالخير الذي لا يعرفه بَلْـهَ الذي يعرفه، .

والحديث لا يتـوقف في البلد الـذي يقطن فيه، وإنما يتجـاوزه إلى بلاد بعيـدة، إنه يسعى إلى الصـديق غير ذي الجاه والمكانة إذا جاء إلى الوطن يحمل معه أو يسبقه سخاؤه وعطاياه، ويعتذر عن أن يكون ضيفاً.



في أحد مصانع باكستان وبين أيديهم قطعة من كسوة الكعبة المشرفة.

أرجو الله أن يكتب في حسناته برّه وحبه للناس، وكرمه ووده وإيثاره ومروءته، ووفاءه وشهامته، وكل الخصال الحميدة الكريمة التي يتحلى بها، وأن يغفر له ويتقبله برحمته التي وسعت كل شيء، إنه هو البر الرحيم.

مروءة ونخوة إنسانية :

تحت عنوان: هواجس في طقس الوطن، كتب الأستاذ محمد حسن فقي مقالاً يرثي فيه الشيخ محمد، فيقول:

ـ كان ذا مروءة ونخوة وإنسانية وكرم منقطع النظير، كرم يبادر النّاس قبل السؤال فيذهل ويسدّ الحاجة ويغني عن إراقة ماء الوجه بالسؤال، وقد عرف ملوك آل سعود هذا عن الفقيد الراحل، فكانوا يعينونه على مروءته وسماحته اللتين أغرقتاه في الديون.



مع ابنة أخته.

لقد زرت بعض البلدان التي كان يمثل مليكه ودولته بها، فكنت أتحاشى الاتصال به وزيارته خشية أن يصرّ، كعادته مع الناس كلهم، على استضافتي وإغراقي بأفضاله، وكنت بعد سفري من تلك البلاد أكتب له، فيجيبني بعتب شديد ويلح في دعوتي إلى زيارة البلد الذي يمثلنا فيه، فكنت أعد وأعتذر.

وذات مرة، كان ابني فؤاد يقوم بمهمة رسمية في ماليزيا فبالغ، يرحمه الله، في إكرامه، وأخذ يسأله عني بمودة وتكريم ويحمله تحياته واشتياقه إلي، وعندما انتهت مهمة فؤاد واعتزم العودة إلى بلده حمّله لي كتاباً وهدية ما زلت أكرر شكراني عليها وتقديري واعتزازي لصاحبها.

عمو أبو سليمان :

وكتبت خزيمة العطاس في مجلة «اقرأ» مقالاً عنوانه: «مواقف للذكرى: عمو أبو سليمان» قالت فيه:

ـ هكذا كنا ندعوه في حضوره وغيابه، وهو الوالد الحنون. والإنسان المعطاء، والكريم دون حدود، والمتواضع للكبير

والصغير، والسخي للفقير، والمواطن المسؤول .

ومع الكثير من الخصال، فهو رجل الدبلوماسية بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني .

عمو أبو سليمان، هو سفيرنا الراحل الذي حظينا برعايته في باكستان وبغداد وماليزيا، رحل وترك الذكريات الطيبة التي نحملها في نفوسنا تجاهه .

كان يرعى طفولتنا في باكستان، حيث كان حريصاً على تخصيص يوم لاستقبال أبناء موظفيه ليقدم لنا الترفيه، من خلال دعوة أصحاب الحرف والبرامج الترفيهية كالحاوي والأراجوز والحيوانات المدربة، لنستمتع بوقت كان يشاركنا خلاله اللعب، ويقدم لنا في نهايته الهدايا التي كان، وما زال، حتى آخر لحظة من لحظات حياته، حريصاً على توفيرها للصغير والكبير.

عمو أبو سليمان . . . الأب الكبير في حنانه، وفي حبه للطفولة، ابتسامته لا تفارق محياه لكل مستقبليه، بريء كالطفل في تعامله مع طفولتنا وشبابنا .

أذكر حبه الشديد لشخصية الفنان «إسماعيل ياسين»، فكان يقدم لنا عرضاً سينمائياً لفيلم من أفلامه خلال اليوم الذي يستقبلنا فيه .

عمو أبو سليمان، كان إنساناً صادقاً واقعياً بريئاً، الفرح والابتسامة لا تفارق نفسه الطيبة، حتى ولو كان في لحظة معاناة .

في أحاديث المجالس :

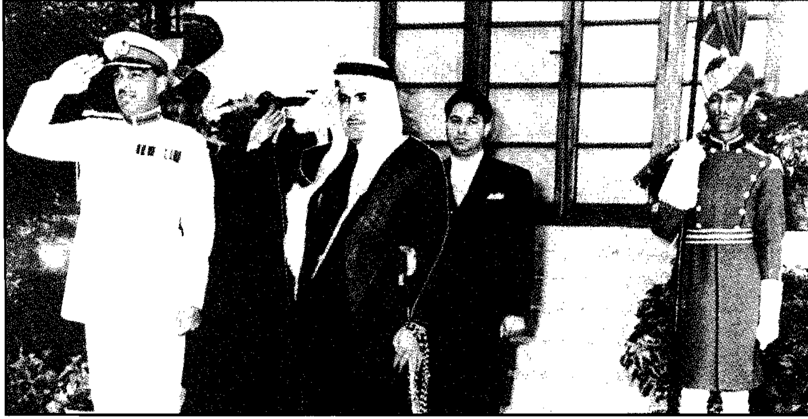
وكتب الأستاذ عبد الرحمن السماري، في جريدة الجزيرة في هذا العام (١٤١٤هـ)، مقالاً يثني فيه على تعامل الأستاذ محمد عبد الله الحمدان، السفير السعودي في سنغافورة، ويخصص حيّزاً من مقاله لتذكّر خصال الشيخ محمد، حيث يقول :

ـ وعندما تعاملت مع هذا الرجل عن قرب، عادت بي الذاكرة إلى ذلك الإنسان الذي يعد مضرب المثل بين السفراء، الشيخ محمد، فما أن يأتي حديث في مجلس من المجالس حتى يثني عليه كل الحضور، ويتحدثون عن سجايا وخصال لا تتوفر إلاّ في أمثاله من الرجال .

سفير كريم :

ومن مكة المكرمة، كتب علي جمال وعبد الله مير عالم (عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) في جريدة عكاظ مقالاً موجهاً إلى «سفيرنا في باكستان : أجمل معاني الشكر» .

ـ كما كتب د. عبد الله بخاري عام (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م) مقالاً بعنوان: سفير كريم يقول فيه :



يستعرض حرس الشرف قبل تقديم أوراق اعتماده في باكستان .

أعترف بأنني لم أره قط ولم أجتمع به في حياتي، ولكنني سمعت الكثير من الثناء عليه في جلسات متعددة، وكان آخر من حدثني عن هذا الإنسان النبيل : صديق صحب والدته إلى ماليزيا للعلاج، فكان أن أحسن السفير استقباله واستضافته وكأنه في منزله وبين أهله وربعه .

هذه ظاهرة تستحق التوقف والتأمل والإعجاب، فبالرغم من الأعمال الكثيرة التي تشغل وقت السفير عادة، استطاع الشيخ محمد أن يمثّل الواجهة الكريمة لهذه الدولة الطيبة، ولهذا الوطن الكريم، وأن يظهر إنسانية هذا الشعب فيهتم بأبناء وطنه، أخاً أكبر لهم يسهل لهم أعمالهم، ويشعرهم بالحب والطمأنينة في الغربة .

شهادة من مجهول :

وقد عثرت على صورة مقال بعنوان: «السفير الشبيلي»، لا يحتوي على اسم الكاتب أو الصحيفة أو تاريخه، إلا أن شكل الطباعة يوحي بأنه نشر في مجلة باكستانية وربما تكون جريدة «العرب» المعروفة، وقد جاء فيه :

ـ لم تنصف وزارة الخارجية السعودية، وقد تعجلت واختطفت فجأةً من بين أيدي باكستان بأسرها، الرجل الذي أحبته وآخته وأنزلته من نفسها منزلةً لا تجارى، فلقد تمسكت الوزارة بالعرف الدبلوماسي وتقاليده وطبقته على السفير، الذي أصبح قطعة من حشاشة قلوب أهل باكستان، ولم تراع حبها له واعتزازها بوجوده .



لقد أمضى في كراتشي أكثر مـن خمس سنوات، عاش فيها على نظام وأسلوب واحد من الحيـاة يستحيل أن يجاريه فيه أحد، وكان هذا شأنه قبل باكستان، فهو في حركـة دائمة بين العمل الدبلوماسي، الذي لا يعرف وقتاً في السفارة ليلاً أو نهاراً، وبين استقبال وتوديـع وزيارة وحفاوة وتكريم وعيـادة مريض وإسهام في أفراح المحبين والأصـدقاء وأحزانهم، ولا تخلو مائدته ـ أبداً ـ فطوراً وغداءً وعشاءً وبعد العصر من ضيوف وأصدقاء وأعزاء.

فهو يقوم بعـد أذان الفجر لتأدية الفريضـة، ثم يستعد للفطور مع من حضر من الضيوف، ثم يبـاشر عمله الرسمي ويستقبل الزوار وأصحاب الحاجة، وبعد صلاة الظهر يستعد لاستقبال المدعوين.

وقلّما تخلو ليلة من استقبـال وافد أو توديع ضيف في المطار، في سـاعة متأخرة أو عند الفجـر أو في الصباح، وبين هذا وذاك، لا بد أن ينتهز من أوقاتـه فرصة لزيارة مفاجئة لعيـادة مريض والترفيه عنه، أو زيارة بيت عزيـز أتى عليه الدهر، فيمنحه من بـره وعطفه مـا يخفف عنه، أو مواسـاة عائلـة منكوبة أو حضـور جنازة، وكم بعث إلى المحتـاجين والفقراء والمعوزين بمظاريف مغلقـة، تحمل المال إليهم للتخفيف عنهم، وكم قصد طلبة أقعدهم الفقـر عن مواصلة دراستهم، وكم من جمعيات ودور أيتام وعجزة وملاجئ تقصده فلا تعود خائبة، وكم له من آياد بيضاء نحو المساجد.

رسالة إلى الإنسان:

وكتب الأستاذ أحمد عبد الـرحمن الغامدي، فـي مجلـة الشرق، التي تصـدر في المنطقـة الشرقية من المملكـة مقالين: كان أولهما عـام (١٤٠٦ هـــ ١٩٨٦م) بتوقيع (صـديق) وقد اهتـديت إلى معـرفة الإسم الصحيح بمساعدة الشيخ عبد المحسن المنقور، أما الثاني فقد كان رثاءً.

وفيما يلي فقرات من المقال الأول وعنوانه: رسالة إلى الإنسان، بقلم صديق:

ـ الذين يعرفونه، يعرفون رجلاً تتجسـد فيه مجموعة من القيم، رجل تتجمع فيه صفات الإنسان، وصفات المواطن، وصفات الصديق، كأصفى ما تكون هذه المعاني، وأنقى ما تكون.

ولهذا يعتبر عملة بشرية فـريدة، ونحن حين نستوحشه اليـوم نستوحش معه تلك القيم النبيلة التي لا يعـرف أصالتها ونبلها وعمقها إلا من عرف الرجل إنساناً، ومواطناً وصديقاً في آن.

والقيمة الأولى التي يجسدهـا هي قيمة«الإنسان» الحق، حين يسمو بخلقـه وأخلاقه، فهنا طـراز بشري فريد تتجمع فيه أنقى صفات الإنسان، الذي يذوب تواضعاً وسماحة، وعلماً وحلماً، وأصالة ومعاصرة.



وهنـا رجل بلغ السمت في ذاتـه، يحب الكبير ويعطف على الصغير، ويحترم الجميع، ورغم أن رضى النـاس غايـة لا تدرك، فلقد استطاع أن يحوز على رضى الخالق، ورضى الناس الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه في ذات الوقت.

والذين يعرفون الشبيلي، الإنسـان، يعرفون رجلاً تعوّد أن يعطي ولم يتعود أبداً أن يأخـذ، فهو يعطي من أخلاقه ومن صفاته ومن سلوكه، بمثل ما يعطي من ماله ومما حباه به الله.

وعلى امتداد سنوات طويلة، كان هو المثال الذي يحتذى في السلوك العام، والانضباط العملي، والإخلاص الوظيفي، والولاء بغير حد لهذا الوطن الغالي، ولحكامه البررة، وأبنائه الكرام.

وأما القيمة الثانية التي يجسـدها هذا «الرجل المثالي» فهي قيمة «الصداقة»، فلقد كـان الرجل «رمزاً» لكل ما تحفل به الصداقة من الصدق والإيثار والتفاني في الآخرين، كان يصدق أصدقاءه، ولهذا كانوا يبادلونه حباً بحب وإكباراً بإكبار، واحتراماً باحترام.

وكان الرجل يضرب بسلوكه المثال، على ما يجب أن تكـون عليه العلاقة بين البشر، ومن هنا لم يجتمع رأي الناس حول واحد منهم كما اجتمع رأي الأصدقاء فيه.

ومن هنا، لم يكن غريبـاً أن تتعلق به قلوب الذين يعرفونـه والذين لا يعرفونه، وهو يـرقد الآن في مستشفاه، بين يدي رحمة ربه، ولم يكن غريبـاً أن يتجه الكل له بالـدعاء، واستنزال الرحمة من الله العلي القـدير وأن يرد عليه عـافيته فيعود إلى أهله وناسه ووطنه ومحبيه صحيحاً معافى، ليواصل العطاء بالحب والصدق والحق والخير والجمال.

أمـا القيمة الثـالثة التي يجسـدها فهي قيمـة «المواطن»، والحق أن هـذا الرجل بما جبل عليـه من صفات، إنما يجسـد الصورة المثلى للمواطن الحق وكما ينبغي أن يكون، وليس من المبالغة في شيء أن يـوصف هذا الرجل بأنه قد تجسد في وطنه بمثل ما تجسد فيـه وطنه، لقد أصبحا كـلاً في واحد، وقد اتخذ معنى الوطن في حيـاته وسلوكه «رمـوزاً» متعددة لا يعرف معناها ومغزاها إلا من عرفه عن قرب نموذجاً مثالياً في أي موقع يختاره وطنه وأولو الأمر فيه ليقدم الدور الذي أنيط به.

وسواءً كان الرجل يمارس مهامه في العمل داخل حدود المملكة، أو خارجها، فهو أبداً ذلك النموذج الذي يشرّف أي بلد بأن يكـون ابناً من أبنائه، ومن هنا كـان قبساً من المعرفة والخير والعطـاء، حين قُدّر له أن يتولى المسـؤولية لسنوات في سفارات المملكة بالخارج، فكان يشعر أبناء المملكة معه وكأنهم في حضن الوطن الأم.

بكل معاني الإعـزاز والتكريم لـرفيق رحلة العمر، لأنـه حوّل كل صديق لـه إلى أخ، على طريقـة «رب أخ لك لم تلده أمك» فكـان بسلوكـه نمطاً نـادراً، كما كان الـرجل بالنسبـة لأصدقـائه قبساً يضيء أبـداً بكل معاني الـرجولـة والكرامـة

والشهامة، وكل أخلاقيات الفرسان العرب الخلّص الذين لا تجود بمثلهم الأيام إلا في القليل.

وهكـذا، تجسدت فيه معاني الإنسان ومعاني المواطن، ومعاني الصديق، في أبلغ قيمها وأكثرها مدعاةً للاحترام والتقدير.

واليوم، يعيش في مستشفاه تحيط به دعوات الأهل والخلان والأصدقاء، وابتهالات من عرفه ومن لم يعرفه لأنهم سمعوا عنه الكثير، فعسى الله أن يستجيب لدعاء القلوب فيمنّ عليه بالشفاء العاجل، إنه نعم المولى ونعم النصير.



المغفور لهما، الملك سعود والملك فيصل (ولي العهد آنذاك) في انتظار وصول الرئيس الباكستاني أيوب خان إلى مطار الرياض، ويرى الشيخ محمد في طرف الصورة. (جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م).

ـ أخي أبو سليمان:

هذه كلمات من عطر الأحباب أهديها إليك، وأنا لا أكتبها بقلمي، بل أكتبها بقلوب محبيك.

عد إلينا فنحن نريدك.. نحن نريدك.

«صديق»

تحقيق صحفي:

وتحت عنوان: «طالبان من مدارس الثغر النموذجية يفوزان بجوائز دولية ـ فخامة الرئيس الهندي يسلم جوائز الطالبين لسعادة سفيرنا في الهند»، نشرت جريدة البلاد، تحقيقاً صحفياً، بتاريخ ٣/ ٩/ ١٣٨٤هـ(٥/ ١/ ١٩٦٥م) عن جائزتين حصل عليهما الطالبان عادل محيي الدين براده وصبري عفيفي، وقد تسلمهما الشيخ محمد في الهند، نيابة عن الطالبين، ثم بعثهما مقرونتين بهديتين من عنده،

حيث قـدمهما الأستاذ محمـد فدا ، مـديـر عام مـدارس الثغـر إلى الطالبين ، في حفل المهـرجان الشعـري للمدارس .

وكان الحفل الأول في الهنـد قد أقيم تحت إشراف وزارة المعـارف الهنديـة ، وحضره لال بهادور شاستري رئيس وزراء الهند ، وقد شارك الطالبان السعوديان بلـوحتين ، ضمن فعاليات مهرجان الفن العالمي الذي نظمته صحيفة شنكار الهندية .

اليـد البيضاء :

وعثر المؤلف ، على مقـال كتبه الأستاذ محمـد يوسف عطية (المبعوث الثقـافي للجمهورية العـربية المتحدة في باكستان) ، وكان المقال عبارة عن صفحة من مجلة (بدون اسم أو تاريخ) وقد جاء فيه :



مع الرئيس جمال عبدالناصر أثناء زيارته لباكستان .

ــ تهفـو القلـوب ، وتسمـو النفـوس ، وتـرنـو النـواظر لـرؤيـة محيّا عـربي كـريم ، وحق للقلـوب أن تهفو ، وللنفوس أن تشرق ، وللعيون أن تتطلع لاجتلاء طلعة ذلك الـوجه البسام ، إنـه زينـة المجـالس تلتف حوله ، وبـدر النجوم تتجه صـوبـه ، ذو قلب نضّـاح بـالخير ، ولســان ريّـان بالحكمة ، ويد بيضاء بالإحسان ، ووجه طافح بالبشر والحنان .

إذا سمع عن مقدم زائر ـ أي زائر ـ يتشوق إلى زيارته ، أو طالب حاجة ـ أي حاجة ـ يرجو قضاءها من سفارته ، خف إلى استقباله وبادره بالسـؤال عن حاله ، فإذا الزائر ينسى نفسه بين يديه ، وطالب الحاجة يجد مـا هو خير فتند حاجته عن ذهنه ، وتنزاح غمته عن خاطره .



إذا كلمك في المجتمع ألفيته طبًّا بأدوائه، نطاسياً في شفائه، وإذا حدثك في السياسة، وضع كل موضوع في موضعه الحق.

وفيّ لمليكه، مُخلص في الثناء عليه، والدعاء له، يحبه بمجامع قلبه، فيزيد الناس في حبه والتعلق به، فهو حامي أرض العروبة الأولى، ومهبط الرسالة المحمدية، خادم البيت الحرام، والروضة النبوية، على صاحبها أزكى السلام وأفضل التحية.

خواطر وذكريات:

وكتب الأستاذ نجدة فتحي صفوة، الذي كان مدير عام الدائرة السياسية بوزارة الخارجية العراقية، عندما كان الشيخ محمد سفيراً في بغداد، مقالاً عنوانه: «رحمة الله عليك يا أبا سليمان، خواطر وذكريات» في جريدة الشرق الأوسط، قال فيه:

- قدّر لي خلال نصف قرن أو نحوه من العمل الدبلوماسي، في ثمانٍ من عواصم العالم، أن أتعرف على عشرات، وربما مئات، من السفراء العرب والأجانب بينهم بطبيعة الحال عدد من سفراء المملكة العربية السعودية ودبلوماسييها، الذين كان لي منهم أصدقاء كرماء وزملاء أوفياء تحتل أسماؤهم مكانة عزيزة في قلبي وبين ذكرياتي، وكان من أعز أولئك الدبلوماسيين، الذين أسعدني الحظ بمعرفتهم والتعامل - أو التعاون - معهم الشيخ محمد الحمد الشبيلي الذي فجعت بقراءة نعيه في «الشرق الأوسط» الغراء.

وجلست ساعة أستعيد ذكرياتي عن الشيخ محمد، وكانت أشبه بفيلم سينمائي، أو رؤيا نائم، كاد تعاقب السنين أن يطمس بعض معالمها، وإن كانت ملامحها الرئيسية مما لا يمكن أن يتطرق إليه النسيان.

عرفته سفيراً في بغداد وأنا مدير عام الدائرة السياسية بوزارة الخارجية العراقية، واستمرت صلتي به بعد استقالتي من الوظيفة، وحتى مغادرته بغداد.

وأشهد أن أبا سليمان كان طيلة اتصالي به بصفتي الرسمية والشخصية، ظاهرة غريبة في الكرم والوفاء والصداقة، وهذه الصفات لا ينبغي أن تكون مستغربة، فهي صفات العربي الأصيلة التي توارثها عبر العصور، حتى أصبحت من تقاليده وعاداته التي اقترنت به واقترن بها، ولكن الأمر معه كان مختلفاً، فقد تجلت فيه هذه الصفات بصورة تكاد تكون فيها مبالغة.

كان لا يدع مناسبة تفوت لتفقد صديق، أو عيادة مريض، أو تكريم زائر.

وكان إذا بادرته بتحية حياك بأحسن منها، وإذا تذكرته بهدية ندمت على «فعلتك» لا لأنه لا يستحقها، بل لأنه يجعلك تشعر بالخجل حين يقابلك عليها بأضعافها المضاعفة، وإذا دعوته إلى دارك حضر حاملاً الورود والهدايا، ثم قابلك على دعوتك بعشر دعوات.

لم يكن سفير دولة عربية واحدة، بل كان سفير العرب جميعاً، بل مؤسسة فريدة قائمة بذاتها، وإذا منح كل سفير، لقب «فوق العادة» شكلياً، أو كمصطلح دبلوماسي، فإنه كان سفيراً فوق العادة، بالمعنى الحرفي أو اللغوي للعبارة أيضاً، وكانت سفارة المملكة العربية السعودية في بغداد، على عهده، ملتقىً لكل العرب، ومثابةً لأصدقائه من كل ميادين الحياة، وكان مما يلفت النظر ويدعو إلى التعجب والإعجاب، أن يتمكن أي سفير من تكوين هذا العدد الضخم من الأصدقاء، بعد وصوله إلى مقر عمله بمثل تلك المدة القصيرة، وكنت تجد بين زواره وضيوفه، فضلاً عن الدبلوماسيين، السياسي المهم، والعالم الكبير، والأستاذ الجامعي، والصحفي، والتاجر، والطبيب، والمحامي، وكلهم أصدقاؤه الشخصيون، وكانت عنايته بضيوفه غريبة أيضاً، بحيث كان كل ضيف يشعر وكأنه ضيف الشرف في تلك الدعوة، أو كأنه المدعو الوحيد إلى تلك الحفلة المزدحمة بكبار المدعوين، لما يجده من اهتمام مضيفه وحرصه على راحة الكبير من ضيوفه والصغير على السواء.

أما في ساعات الجد والعمل الرسمي، فقد كانت سمته الوقار الذي يفرض الاحترام، وكان كثير الإصغاء، قليل الكلام، فإذا نطق لمست في كلامه الخلق الرضي، والرأي السديد. والحجة الواضحة المقنعة.

كان دبلوماسيًّا مثاليًّا، إذا راجع الوزارة[1]، لبحث قضية مهمة، أو المفاتحة في أمر خطير، أثار الموضوع في هدوء ولا تفارقه ابتسامته حتى حين يحتج، مع عبارة واضحة في غير إطناب، وصفاء في الذهن في غير استفزاز، بحيث كان يجعلك تتفهم وجهة نظره، ولا تملك ـــ إزاء أسلوبه الودي ـ إلا أن تتفق معه في الرأي، وتقطع له الوعد بمتابعة الموضوع الذي جاء من أجله، ثم تعمل على حله بما يرضيه، وأنت متشوق إلى إبلاغه بنتيجة إيجابية، سعيد بتلبية طلب له، وتلك هي الدبلوماسية الحكيمة الناجحة، وصفة فيه هي من خير ما يستطيع أن يتحلى بها الدبلوماسي من صفات، ومن أكثرها صعوبة.

حضر لزيارتي في وزارة الخارجية مرة بناء على طلبه، فرحبت به بطبيعة الحال، وبعد المجاملات المعتادة والاستفسار

(١) يقصد: وزارة الخارجية العراقية إذ ذاك.



في العراق مع عبدالعزيز الصقير ومحمد بن رشيد الليلا في السبعينات الهجرية .

عن الأهل والأطفال ، أشار بكل لطف وكياسة إلى سلسلة مقالات ، بـدأت بنشرها إحدى الصحف العراقية ، كانت فيها أمور لا تخدم العلاقات الأخوية بين الدول العربية ، وتمس بصـورة خاصة بعض الجهات في المملكة العربية السعودية ، ولم تكن في كلامه نبرة احتجاج ، بل كان وكأنه يطلب نصيحتي في كيفيـة معالجة الموضوع ، وكان قد راجعني قبله سفير دولة أخرى محتجـاً بلهجة فيهـا شيء من العنف والاستياء بسبب المقـالات نفسها ، فأبـديت له أن الأمـر لا يقع في اختصاص دائرتي ، واقترحت عليه أن يفـاتـح في الموضوع مدير الـدائرة العربية أو دائرة الصحافـة والعلاقات العامـة ، لأن تدخلي في الموضوع يعـد افتئاتـاً على اختصاصهما وتـدخلاً في أعمالهما ، وبذلك أغلقت دونـه باب الاسترسـال في الموضوع ومنـاقشة تفاصيله معي ، أمـا مع أبي سليمان فكان الأمر مختلفاً ، ولم يسعني إلا أن أبـدي له أنني سأحاول معالجة الموضـوع وسأبذل فيه كل جهـد ممكن ، فشكرني وانصرف ، وعرضـت الأمر على زميلي ، المدير العـام لدائرة العلاقـات العامة ، كما رفعنـا به مذكرة إلى وزير الخارجية ، ولا تسل عن سعادتي حين كلمته بـالتليفون في اليوم التالي لأخبره بالنتيجة ، وكان قد اطلع على الجريدة في الصباح الباكر، فما كـان منه إلا حضر لزيارتي مرة أخرى ليعرب عن شكـره شخصياً على هذه الخدمة البسيطة

التي وجدت، أن من الواجب الأخوي والواجب العربي القيام بها تجاه شخص في مثل نبله وخلقه، وهكذا كانت دبلوماسيته الهادئة الوقورة وإدراكه لمهمة الدبلوماسي في تحسين العلاقات وإدامة حسن الصلات دون تهويل الأمور وتكبير الصغائر.

لقد رحل، ولكن ذكراه ستبقى عاطرة في نفوس أصدقائه وعارفيه، والمرء بأخلاقه وصفاته الحسنة حديث بعده.



في بغداد مع عبد الهادي التازي وعبد الكريم رسول (من مثقفي المغرب).

ماليسيا، كوالالمبور، الأستاذ الشبيلي:

الأستاذان علي وعثمان حافظ، يرحمهما الله، كانا من أصدقاء الشيخ محمد، وقد كنت أعلم أنهما سبق أن كتبا عنه، إلا أنني لم أعثر إلا على هذا المقال الذي كتبه الأستاذ علي حافظ، ونشره في العدد (٤٢٧١) من جريدة المدينة بتاريخ السبت ١٥/ ٥/ ١٣٩٨هـ (٢٢/ ٤/ ١٩٧٨م)، والذي أُثبتُ فيما يلي مقاطع منه، وهو بعنوان «ماليسيا، كوالالمبور، الأستاذ الشبيلي»:

ماليسيا، جنة وارفة الظلال، باسقة الأشجار، يانعة الثمار، دانية القطوف، والمأكول، متألقة الورود والأزهار.

وكوالالمبور، عروس ماليسيا الحسناء، وعاصمتها الشماء ذات الفنادق الفارهة، والعمارات الشاهقة، والطرق المشجرة المورِدة الناعمة، والمدارس الإسلامية المتعددة والمسجد الواسع النظيف الأنيق.

وصلناها يوم ١٦ صفر سنة ١٣٩٨هـ من بومباي، وغادرناها يوم ٢٥ صفر سنة ١٣٩٨هـ، ومكثنا بها حوالي عشرة أيام وهي أطول مدة جلسناها في أي بلد زرناه من بلدان الشرق الأقصى، إنها بحق إمتاع وجمال وراحة وسياحة واستجمام.

وهذا الرجل، محمد بن حمد الشبيلي، على جانب كبير من دماثة الخلق، والكرم الذي لا يضاهى.

لقد اتصلنا بسعادة سفيرنا في كوالالمبور الأستاذ محمد فوجدناه في استقبالنا في المطار كما وجدنا الحجز لنا في فندق هيلتون قد تم حسب رغبتنا.



وجدنا ذلك، ووجدنـا سلالاً تفيض بجميع فواكه ماليسيا، (والآيس كريم الدرياني)، وجدنا فواكـه ليست لثلاثة أشخاص بل لعشرة، وخرجنا من الفندق ولم تنته تلك الفواكه.

ولم يتركنا الأستاذ الشبيلي حتى اطمأن على راحتنـا في الفندق، ولم يكن أحدنا يمتـاز عن الآخر بالنسبة لاستقبـاله لنا، فقد كانت تحياته وابتساماته ورعايته توزع علينـا بالتساوي وكنا نقول له: يا شيخ محمد، ارحمنا إننا لا نستطيع تحمل كل هذه العطاءات، فيبتسم ويزيد إكراماً، وكرماً، ورعاية.

وجاء دور تجولنا في جبال وربوع كوالالمبور، التي يؤمها السواح غالباً فاختار لنا أجمل هذه المرابع.

كان تجوالنا بسيارته، وفي ذهابنا إلى (فريزرهيل) وكمرون هيلاندزو (فلفلان) كان قائد سيارتنا هو قائد سيارته.

والمفـاجأة التي واجهتنا في جـولتنـا هذه، هي أن قـائد السيارة كـان يسبقنـا، ونحن غائبـون، إلى محاسبة الفنـادق، ويسبقنا إلى تسديد فـواتير الغداء والعشاء والإفطار، ولما بدأ يفعل هذا ناقشنـاه، وأصررنا على أن لا يفعل هذا، فقال: المسألة سهلـة أنا أدفع ثم يجري الحساب معكم، والطـريقة التي كنا نتبعهـا ونسير عليها في رحلتنا هي أن الأستـاذ محمد عمر توفيق يتـولى الصرف ثم نتحاسب، وكل واحد يسدد ما عليـه له أثلاثاً، فاتفقنا على أن مـرافقنا يصرف وقبل العودة إلى كوالالمبـور نتحاسب، حسب طريقتنـا مع الأستاذ محمـد عمر، وأردنا أن نعطيـه نقوداً ليصرف فقال: أنـا عندي وإن نقص عليّ آخذ منكم، وعندما قررنا العودة إلى كوالالمبور طالبناه بالحساب فقال: إن الشبيلي لا يوافق وقد أمرني بهذا فقلنا له: إننا نزعـل جداً وتحمسنا فقال: تزعلوْن أنتم ولا يزعـل الشبيلي، أنا مأمور فاعذروني، فكنا أمام أمـر واقع، ولما عدنا إلى كوالالمبور، وشكونا إليه قائد سيارتنا أخذ يضحك وما استطعنا عمل أي شي تجاه هذه المفاجأة.

لم يكن الأستاذ الشبيلي يـزورنا في الفندق إلا لماماً، وكنا أكثـر الأوقات عنده على الغداء والعشـاء في البيت، وكل يوم يقترح لنا أكلة سعودية يصنعها لنا، واستقباله ولقـاءاته، وابتساماته التي لا مثيل لها وعنايته الكبرى بنا، جعلتنا نخضع لإرادته وسلمنا أمرنا لله.

وزارنا الأستاذ الشبيلي في الفندق بعد المغرب ليلة عـزمنا على الخروج من الفندق، وكنا من بعد العصر، طلبنا الحساب من قسم المحاسبة في الفندق فقدم لنا البيانات اللازمة وجهزنا ما يستحقه الفندق بالدولارات الأمريكية.

وكانت المفـاجأة الكبرى، أننا عندمـا أردنا دفع الحساب في الصبـاح قالت لنـا المحاسبة: إن الحسـاب سدد من قبل سعادة السفير، ولا يمكن مراجعتـه في ذلك الحين، ولما راجعناه ما وجدنا فائدة فهـو يواجه كل نقاشنا وكل احتجـاجاتنا بالابتسام وتحوير الكلام إلى نطاق آخر، فعرفنا أننا وقعنا، وغرقنا في بحر كرم هذا الرجل ولطفه وأدبه وخلقه الكريم.



ولقد ذهلنا من كرم هـذا الرجل، فهو في كرمه لا يجود بماله فحسب، بل وبكريم خلقه، وحسن استقبـاله، وبشاشة وجهـه، وابتسامتـه التي لا تفارق ثغـره، ثم هو يحاول أن يجعلنـا راضين مرتـاحين، سواء كنـا في داره أو بعيدين عنـه في الفندق أو في جولة، ولقد كان مـن مجموعة الأفلام التي رأيناها، أفلام تروي قصة جهاد الملك عبـد العزيز ـ يرحمه الله ـ في تأسيس هذه الدولة المجيدة، كأروع تاريخ يراه ويسمعه الإنسان بالأرقام والمشاهدة بالأفلام المرئية الناطقة.

لقد بهرنا هذا الرجل العمـلاق بكرمه ودماثة أخلاقه، إنه رائع حقاً في كل خطـواته، إنه رجل، لا يمكن أن يكون له مثيل، إننا ما كنا نظن أننا نلتقي به أو بمثله في حياتنا كلها.

ومثل هذا العمل المذهل جعلنا نتحدث به، وزادنا إكباراً له، وإعجـاباً به، أن كل من سمع قصتنا قال: إن هذا هو طبع الرجل، وهذه عادته، وقالوا لنا: لا تظنوا أن هذه المعـاملة خاصة بكم، إنه يعامل كل ضيف عنده بما عاملكم به، وأنه يتصيد الناس تصيداً ليفترسهم بكرمه افتراساً وقـال واحد: إن شخصاً عامله مثل معاملتكم وأراد أن يتزوج فلم يشعر إلا وقد دفع عنه المهر.

كانت عندي كاميرا صغيرة، (فلاشها) في بطنها يضيء بـالبطاريات، وكنت ألتقط بها بعض الصور، ونسيتها في أحد الفنادق التي نزلنا فيها في جـولتنا خارج كوالالمبور، وقلت هذا أمام الأستاذ الشبيلي، فقـال لأحد موظفي السفارة: اسألوا عنها بالتليفـون، فسألوا فوجدوها، وفي اليوم الثـاني قالوا وُجدت الكاميرا وستصل اليـوم، قلت لهم: إنني وهبتها للأخ الأستاذ حسين أركـوبي وانتهى الكـلام، ولما سافـرنا إلى سنغـافورة جـاءنا الأستـاذ عمر أركـوبي القائم بـالأعمال بثلاث كاميرات هدية من الشبيلي، لكل واحد منا كاميرا مماثلة لكاميرتي وكأنها هي.

إنني أقترح أن يكتب تـاريخ هذا الرجل النـادر الفذ فهـو عملاق من عمالقـة الرجـال وخسارة علينـا أن لا يكتب له تاريخ.

إن حاتماً الطائي لو وجد اليوم لكان تلميذاً له، وإنـه لقمين بأن يكون أستاذاً لكل من تحدثه نفسه وتساعده لأن يخطو ولو بعض خطواتـه، إنه لا يعادي الناس ولا يعادي أحداً، إن عـدوه اللدود الوحيد هو (المال) وأظنه مـديناً، فمثله مهما كان لديه من المال لا يظل في يده أبداً.

فلنكتب تاريخ هذا الرجل وأمثاله من الرجال.

تحقيقات صحفية

سبق أن أشير في مواقع عـديدة من هـذه الدراسـة إلى أن الشيخ محمد ـ حسـب علم المؤلف ـ لم يسبق أن أجريـت معه مقابلـة إذاعية أو تليفـزيونيـة أو صحفية، كتلك التي تجرى بغـرض إيضاح سيرة حياة الضيف، واستعراض إنجازاته وآرائه وهواياته . . إلخ .

ولكن الصحف السعوديـة، في الواقع، أوفته حقـه من التغطية الإعلاميـة أثناء مرضه وفترة العـزاء به، حتى أن صحيفـة البلاد، عـادت بعد مـرور عام على وفـاته، فخصصت عـدة صفحات، وفي عـددين متتاليين، أجرت فيها مقابلات مع أقاربه وعارفيه للحديث عنه .



في طريقه لتقديم أوراق إعتماده سفيراً لدى الهند .

ولأن تلك التحقيقات، تعتبر روافد أساسية مهمة في المعلومات والانطباعات والآراء التي تصب في خدمة هدف هذا الكتاب، فإن الصفحات التالية ستعرض لأبرز تلك الأقوال التي سجلت في التحقيقات الصحفية، التي ظهرت في صحف: الرياض والجزيرة وعكاظ والبلاد.

التاريخ يعيد نفسه:

في التحقيق الصحفي الذي أجراه في جريدة الجزيرة، أشار الأستاذ محمد الوعيل إلى محاولاته المتكررة أيام حياة الشيخ محمد، لاستضافته في التحقيق الأسبوعي «ضيف الجزيرة»، ورغم الاستعانة بعدد من أقربائه المقربين لإقناعه والتوسط معه، إلا أنه لم ينجح في مساعيه المتعددة.

- ومما قاله الأستاذ عبد الله الشبيلي، أخو الشيخ محمد، في هذا الحوار:

- أن الشيخ محمد لم يكن يُطلع أحداً من ذويه المقربين على ما يقدم من مساعدات مالية.

- عندما نصح الشيخ محمد بالترفق بصحته وإذا لم يكن فليرفق بماله، أجابه: بأن التاريخ يعيد نفسه وأنها كانت نصيحته لوالده وهو صغير.

- وأن الشيخ محمد تردد في بداية الأمر، في الذهاب إلى البصرة عندما كلفه الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - بذلك حتى لا يكون بعيداً عن والده وإخوته، ثم قال له الملك عبدالعزيز: اذهب وسأمنحك إجازتين في العام لزيارتهم، ثم قال الشيخ محمد، فيما بعد: لو علم جلالة الملك عبد العزيز أنني سأستقر في البصرة كل هذه المدة ما أرسلني فلقد ذهبت مكرها، ثم ارتاح خاطري لها.

- كان والد الشيخ محمد يقول: إن يدي التي تنفق أحب إلي من تلك التي تمسك.

- كان الشيخ محمد يغبط اثنين: إنساناً باراً بوالديه وإنساناً يقول الشعر يعبر به عما بخاطره، فكان ذواقةً حافظاً للشعر وراوياً له.

- إن قادة المملكة قد أوفوا عن الشيخ محمد الكثير من ديونه.

- إن الشيخ محمد لم يكن يفكر في المال، فهو في نظره وسيلة وأنه منح مرة قطعة أرض ولم يراجع بها ولا أحد يعرف مصيرها.

ـ توفي الشيخ محمـد وهو لا يملك إلا بيتاً هبة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهـد بن عبدالعزيز ـ أيـده الله ـ بعد مرضه وقطعتي أرض ، وكلها منح من الدولة سعى له فيها بعض محبيه .

ـ كان إذا افتقد المال اقترضه من البنك أو من معارفه وتمضي السنون قبل أن يردها .

نموذج للوفاء :

وفي هذا الحوار قال الأستاذ محمد إبراهيم السلمان (شقيق زوجة الشيخ محمد) :

ـ لقد كان الشيخ محمد نمـوذجاً للوفاء حيث لم يتزوج بعد وفاة زوجته ، وكـان وفياً لكل الناس ، ولهذا كان الكل وفياً معه في مماته كما كان هو في حياته .

كما قـابلت الجزيرة الأستـاذ محمد الحمـد السليم ، أمير عنيزة ، الـذي جاء للمشـاركة في العـزاء حيث قال :

ـ حزنت لأن الـرجل كان نادر الوفاء نـادر الكرم ، وكان وده وحبه ووصلـه دائمـاً ، وبخاصة لأهالينـا في عنيزة ، كان أهلاً للمحبة ، ولن تنسى عنيزة إسهامه ، أثناء مرضه الأخير، في مشروع تجميل المدينة بثلاثمائة ألف ريال .

وكان قد أسهم ـ يرحمه الله ـ بمبلغ سخي في تكـاليف الحفل ، الذي أقامه أهل عنيزة ، تكريماً لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ ، وبمبلغ كبير في مشروع مركز ابن صالح الثقافي ، وغيره من المشروعات الخيرية .

وتقديراً لإسهاماتـه الخيرة ومكانته في قلوب الناس ، فقد أُطلق اسمه على أحد شوارع عنيـزة الرئيسية ، تعبيراً رمزياً عن امتنان الأهالي لخدماته تجاه مسقط رأسه .

أجمع الناس على محبتـه :

ومما قاله الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري في هذا الحوار:

ـ إن من الوفـاء لهذا الرجل ، الذي جمع المجد من أطرافـه أن يكتب في سفر تاريخه ، أنه مهما قيل في وصف نبلـه وكرمه ومروءته ونخوته ونجدته ، فهو قليل في حقه وهو الذي أجمع الناس على محبته .

ـ كـان إخلاصـه لبلاده مضرب المثل ، ويملك منـه كل جوارحه ومشـاعره ، وقـد روى لي مرة طـرائف عن الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ ، فكان كلما أتى على ذكره ذرفت عيناه الدموع .

ـ كانت فرحته لا توصف، يوم تشرفت قبل سنوات وتحت رعايتـه بتوقيع عقد استئجار مرسلات الإذاعة الماليزية لبث إذاعة نداء الإسلام، فقد تحقق حلمه بوصول صوت الدعوة الإسلامية إلى بلاد إسلامية بعيدة.

«أعجوبة العصر»:

وفي تحقيق صحفي آخـر أجرتـه جريدة الجزيـرة، في حلقاتها الأسبـوعية «ضيف الجزيـرة»، مع السفير الشيخ أحمد المبارك ـ أثناء مرض الشيخ محمد ـ تطرق الحديث إليه فأسماه «أعجوبة العصر» حيث قال عنه: «كرمـه خرج عن النطـاق العادي ولكنـه لم يخرج عن مكان الكـرم، وهناك فـرق دقيق بين الإسراف والكرم، والميزة التي يتحلى بها أن كرمه لا يسمى إسرافاً فهو يتخيّر المواقع، وبدون تـأخر أو غفوة، لذلك تجده كريماً مع من يعرفه ومن لا يعرفه».

ـ في التحقيق الذي أجرته جـريدة عكاظ، وقام به عدد من مندوبيهـا في جدة والرياض، نقلت آراء وتعليقات عدد من المشـاركين في العزاء، على مدى يومين في عددين متتاليين، فقـد أثنى الأستاذ عبد الرحمن الصالح العثمان والأستاذ حسن عبـد الله القرشي على مآثر الفقيد في الإيثار وإنكـار الذات وخدمة المواطنين.

السفير الهندي يقول:

لقـد كان الفقيد صديقـاً للهند والهنود الـذين أحبوه وتألموا لفراقه، وعنـدما كان الفقيـد يعمل في الهند أسهم بشكل فعال في تعزيز العلاقات السعودية ـ الهندية ودعم التعاون المشترك حتى أصبحت على درجة عالية من التطور.

السفير العراقي يتحدث:

وقال الأستاذ عبد الوهاب محمود الصباغ، السفير العراقي لدى المملكة:

ـ إن مآثر الفقيد لا تعد، لقد كان رجلاً عملاقاً، عمل في بغداد والبصرة فترة طويلة تميز خلالها بالسعي الدؤوب من أجل تطوير العلاقات بين المملكة والعراق، وإن وفاته خسارة للعراق كما هي للمملكـة.



يصافح الرئيس العراقي أحمد حسن البكر وبينهما خير الله الطلفاح .

وسفير ماليزيا :

وتحدث السفير الماليزي في المملكة الحاج مختار بن الحاج أحمد فقال :

ـ بفقد الشيخ محمد فقدت أخاً وصديقاً ووالداً ، وعلاقتي بـه ـ يرحمه الله ـ تمتد لأعوام طويلة قبل أن يتسلم مهام عمله في ماليزيا ، ولقـد كان الشيخ محمد سفيراً لكل العرب في ماليزيـا ، كما كان من القلائل الذين يتفانون في خـدمة الآخرين ويتمتع بصفات حميدة وكرم قل نظيره .

لقد عمل الشيخ محمد اثني عشر عاماً في ماليزيا ، وكان معروفـاً لدى ملك ماليزيا وحكام الولايات ، كما منح العديد من الأوسمة تقـديراً لجهوده في تـوطيد أواصر الأخوة بين البلـدين ، وكان عميـداً للسلك الدبلومـاسي هناك ، حيث رعى الجميع بكل سماحة وخلق .

متعه الله بحب أصدقائه :

وقال الشيخ محمد حسين زيدان ، يرحمه الله :

ـ لقـد متعه الله بحب الأصدقـاء ، إنه الرجل الإنسـان الذي لم يكن له أعداء ، صـان نسبه واعتزت بـه أسرته ، وازدان

بسببه، فهو على خلق المسلم كـريم في لقائه، عرفته بالاسم من الثنـاء عليه ثم عرفته سفيراً في الهند، فأكـرمني فإذا أنا به وكأنني منه حتى أصبحت لـه، لقد سألت عنه كثيراً ولكن الإجابـة جاءت بخبر الموت، لقد مات كأي إنسـان لكنه يحيا بيننـا، بعفة اللسـان وكرامـة الإنسان ومعـزّة الإخوان، إنـه يملي علي أن أكتب الكثير عنه، ولكن مفـاجأة الخبر جعلتني أختصر، لأعتصر نفسي من الحزن عليه، ولأمتع نفسي بالترحم عليه لقد كان كريماً وبذلك كان عظيماً.

أثر طيب:

وقال عنـه السفير توفيق علمدار:

لقد كـان الشيخ محمد دبلومـاسياً محنكاً كريم الخلق والطباع محبوباً من الجميع، حيثما يحل يترك الأثـــر الطيب، لقـــد جمع بين حنكـــة الدبلوماسي وتواضع الكبار.

محل ثقة الملك عبد العزيز:

وقـال معـالي الأستـاذ محمـد المرشد الـزغيبي، وزيـر المواصلات الأسبق، وأحـد أقرب زمـلائه وأصـدقائه، وممن كـانت بينهما مراسلات مستمرة:

ـ ربطتني به زمالة قـديمة، منذ أن كان يعمل في ديوان جلالة المغفور له الملك عبدالعـزيز، طيب الله ثراه، وكان مثالاً للإخلاص والنزاهة، كما كان محل ثقة جلالته، محبوباً من زملائه قبل أن يعرفه الآخرون.

من أقدم السفراء

وقال عنه السفير سالم سنبل:

ـ يعتبر الشيخ محمد من أقـدم سفراء المملكة في الخارج، وقدم خـدمات كبيرة لحكومته ووطنه، كما أنـه كان من أكرم الناس، فلم يتأخـر عن مساعدة أي مـواطن سعودي احتاج لمساعـدته، والمعروف عنـه حرصه على معـرفة أمور الرعـايا السعوديين الذين ينزلون بالبلد الذي يعمل فيـه، كما كان يحب التعرف على جميع موظفي الوزارة (الخارجية) عندما يأتي في

زيارة، فيذهب إلى كل شخص في مكتبه ويسلم عليه، ويتعرف على الموظفين الجدد. .

نفس طيبة :

وقال الفريق أول محمد الطيب التونسي مدير الأمن العام السعودي الأسبق، يرحمه الله :

ـ لقد كان واحداً ممن تألمت لوفاتهم، كان يحمل نفساً طيبة وكرماً يفوق الوصف، يجامل على حساب راحته وصحته، وتلك السمات جعلتني أعجب بشخصه وسعة صدره.

ومن الذكريات التي أحملها عنه، أثناء زيارتنا للباكستان، وكان سفيراً فيها، أنه استقبلنا أحسن استقبال واعتنى بنا عناية خاصة، وكان يبدأ برنامجه اليومي بزيارة القاعات التي يوجد فيها الوفد، ليتأكد من راحة أعضائه وكان ملازماً لنا طوال فترة بقائنا.

وأذكر قصة أخرى تدل على حسن خلقه وكرمه، ففي عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م كان معاون رئيس هيئة الأركان العراقي في القيادة العربية الموحدة يحتفل بمناسبة خاصة، وبمجرد علم الشيخ محمد بذلك، أرسل سيارة تقل كل متطلبات الحفل، ومعها أفلام خاصة بالأطفال، ولقد سمعت من معالي وزير الإعلام، الأستاذ علي الشاعر، الكثير عن أخلاقه ووفائه، حيث ربطت بينهما زمالة عمل وصداقة كبيرة، وعُرف الرجل بإخلاصه لمليكه ودينه ووطنه، فكان مثالاً للوفاء وقدوة للجميع. .

كان مثالا يحتذى :

وفي إطار التحقيق الصحفي الواسع لجريدة عكاظ، تحدث معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، نائب رئيس الحرس الوطني، عن شمائل الشيخ محمد، فقال :

ـ لقد كان مثالاً يحتذى في أخلاقه دون تكلف، كان أصيلاً يحبه كل من يراه أو يسمع عنه، كان عطوفاً شفوقاً يحن على الصغار والكبار، يتسم بعدة خصال فاضلة، ولقد ذهب إلى ربه بعد أن ترك، ولله الحمد، سيرة حسنة يرددها كل من يعرفه، لقد خرج من هذه الدنيا بعد أن بذل جهوداً جبارة لخدمة بلاده وأمته.

كان قدوة لنا :

وقال معالي الشيخ ناصر المنقور، سفير المملكة السابق في بريطانيا :

ـ رحم الله الشيخ محمد، فهو أحد الرواد القلائل في السلك الدبلوماسي السعودي، الذي أمضى جل حياته، وبذل

الكثير من الجهد والوقت والمال في سبيل الوطن الغالي، لقد كان صديقاً عزيزاً وأخاً كريماً متواضعاً حليماً، كان قدوة لنا في عمله وخلقه وكرمه.

من أفضل السفراء:

وقال الشيخ صالح العجروش:

لقد كان الشيخ محمد، من أفضل السفراء السعوديين، الذين مثّلوا المملكة في الخارج بكل إخلاص وتفان، تميّز بأخلاقه الكريمة وتعامله الحسن مع الناس، واشتهر بتفانيه مع المواطنين السعوديين، حتى وصل اهتمامه بهم درجة لا يكاد أن يصدّقها إلا من عاشها.

يعرفه من لا يعرفه:

وفي تحقيق صحفي موسع من جزءين أجرته جريدة البلاد في زاوية «حياتهم» (السبت ١٦/ ٥/ ١٤١٠هـ ١٣/ ١/ ١٩٩٠م) أي بعد عام وشهرين من وفاته، وبعنوان: السفير الذي يعرفه من لا يعرفه، تضمنت الصفحات المخصصة لهذا التحقيق، العديد من الصور النادرة للشيخ محمد، وأحاديث للعديد من أقاربه وبعض المسؤولين، الذين عمل في بلادهم وبعض الشخصيات السعودية:

واستهل التحقيق، الذي أجراه الأستاذ منصور محمد العمري بمقابلة مع ابنه سليمان، الذي استعرض في بداية المقابلة جوانب تاريخية من حياة والده، ثم أشار إلى المكتبة الإعلامية التي كان يمتلكها والده، وما تتضمن من مواد إعلامية وأفلام وثائقية عن نشأة المملكة وشواهد النهضة والتنمية فيها، وزيارات الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ إلى كل من البحرين والقاهرة وغيرها، كما أشار إلى إهداء ذويه قطعة كبيرة من كسوة الكعبة المشرفة، برغبة الفقيد، إلى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ثم انتقل به الحديث عن اعتزاز والده بالزي الوطني وكافة صنوف التراث، واقتبس مقولات لرئيس مجلس الأمة الكويتي الأسبق، ولمعالي الدكتور عبد الهادي التازي السفير المغربي الأسبق في بغداد وغيرهم.

ثم قدم الشكر لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد، يحفظه الله، على بادرته الكريمة عندما وجه فريقاً طبياً خاصاً كان يزور المملكة بمراقبة علاج الشيخ محمد قبيل وفاته.

ثم ذكر شيئاً عن جهود والـده، في رعاية المؤسسات الإسلامية، وتـوزيع المصاحف، وأشرطة القرآن الكريم، والكتب الإسلامية، في البلاد التي عمل فيها.

ومضى الأستـاذ سليمان يقول: إن والـده، حينما كان يعالـج في النمسا (قبيل وفـاته بعـدة أشهر) زاره رئيس وزراء ماليزيا الدكتور محاذير محمد، وقال له: إننـا افتقدناك في بلادنا يا أبا سليمان فرد عليه الوالد: **إذا كنتم افتقـدتم شخصـاً فأنـا افتقـدت الجميع،**

وتأثــر رئيس وزراء مــاليـزيــا بهذا الموقف العاطفي كما تأثر والده.

ووصف في مقـابلتــه تلك، الاتصـالات الهاتفيـة المتواصلـة، التي تلقـاها ذووه بعـد وفاته من مختلف الدول التي عمل فيها:

والتقت «البـلاد» بالأستـاذ نـاصر عبد العـزيز الفـارس، الذي كـان يعمل في مـاليزيـا، أثنـاء وجود الشيخ محمـد سفيراً، فـروى عدداً من ذكـرياتـه معه، ومن بينهـا قصة وصول شابين إلى ماليـزيا عبوراً إلى دولة أخرى عند منتصف الليـل، وفي المطار فقدا حقيبـة بها جوازاهما، فما كـان من سلطـات المطـار إلا أن استبقتهما بـانتظـار أول طـائرة لإعادتهما إلى المملكة.

وزارة النفط
ص.ب: ٥٠٧٧ ـ الكويت
العنوان البرقي: بترول ـ كويت
تيلكس (بترول) ٢٣٦٢ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

MINISTRY OF OIL
P. O. Box 5077
Cable Add.: PETROL - KUWAIT
Telex No. " PETROL 2363 KT. "

مكتب الوزير

Office of The Minister

الكويت في ١٥ ـ شوال ـ ١٣٩٧هـ
٢٨ ـ ٩ ـ ١٩٧٧م

Kuwait

اشارتنا ٣/٢٢ ـ ٩٠ ـ ١ ـ ٢٧٤

Our Ref

سعادة الأخ الفاضل الشيخ محمد الشبيلي الموقر
سفير المملكة العربية السعودية ـ ماليزيا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أما بعد فانه لمن دواعي سروري واعتزازي ان ابعث الى سعادتكم بعد عودتي الى ارض الوطن بكتابي هذا لاكرر لكم الشكر والامتنان على تحملكم مشاق استقبالنا والترحيب بنا وما احطتمونا به من مظاهر الحفاوة وكرم الضيافة العربية الاصيلة منذ لحظة وصولي والوفد المرافق لي الى كوالالمبور حتى ساعة مغادرتنا لها مما كان له اعمق الاثر في نفسي. كما أود ان اشكركم على الهدية الطيبة التي تكرمتم بارسالها لنا عند سفرنا.

واني اذ اقدر لسعادتكم هذه الروح والمشاعر العربية الكريمة ارجو المولى ان يديم عليكم وعلى العائلة الكريمة نعمة الصحة والسعادة وان يوفقكم دائما في خدمة الامة العربية والاسلامية.

مع اخلص مشاعر الود واطيب التمنيات،،،

اخوكم
عبد المطلب الكاظمي
وزير النفط

قبل افتتـاح سفارة الكويت في ماليزيا، كانت السفارة السعودية ترعى المصالح الكويتية

وبـاتصــالهما بـالسفير، طلب مـن أحـد مـوظفي السفارة مـراجعـة المطار وإخـراجهما على كفالتـه، وإحضارهما إلى داره عند الفجر، حيـث استقبلهما بالتمر والقهوة والإفطـار، وفي الصباح،

اتصل المطــــار وأبلغ عن العثـــور على الحقيبــة فاستبقاهما لديه أسبوعاً في ضيافته.

ـ ومن مـآثـره الكـريمـة، مـا ذكـره الأستـاذ الفــارس، مـن أن مسلمي أستراليــا ورؤســاء الجمعيات الإسـلامية هناك، كـانوا ـ قبل إنشاء السفـارة السعـوديـة هنــاك ـ يتصلـون بـالشيخ محمد، وحـدث مرة، أن عـدداً منهم أخبره بأنهم سيصلون مـاليزيا عند منتصف الليل، ويـرجون تـرتيب حصولهم على التأشيرات للحج في المطـار ليتمكنوا من مواصلـة سفرهم آخر الليل، فأرسل من أحضرهم للعشــاء عنـده ومَنَحهم تأشيرات الحج، ثم ودعهم بنفسه في المطار عند الفجر.

وعدد الأستـاذ ناصر الفـارس بعضاً من مـآثر الشيخ محمـــد تجاه الماليـزيين وتجاه المجـاهــدين الأفغان بعـد احتلال بـلادهم، حيث كان يعمل في السابق سفيراً هنـاك، وأنه عندمـا أصبح عميداً للسلك الدبلـوماسي في ماليزيـا، حوّل كافـة حفلات توديع السفراء إلى منزله بدلاً من نادي السفـراء، كما أشار إلى الشهادة التي قالها سفير بريطانيا عن الشيخ محمد عند توديع الأول.



KUALA LUMPUR,
MALAYSIA

TIMBALAN PERDANA MENTERI
DEPUTY PRIME MINISTER

11th August, 1980

H.E. Mr. Mohamed Al-Hamad Al-Shubaili
Ambassador,
Royal Embassy of Saudi Arabia,
251 Jalan Pekeliling,
KUALA LUMPUR

Your Excellency,

On behalf of the Government I would like to express our grateful thanks to the Rabitah and to you for the generous donation to the four mosques in Kedah.

With all good wishes for Aidilfitri. May Allah bless you, your people and your country.

Yours sincerely,

(DR. MAHATHIR BIN MOHAMAD)

خطاب شكر من رئيس وزراء ماليزيا للدعم الذي قدمته المملكة لمساجد قدح.

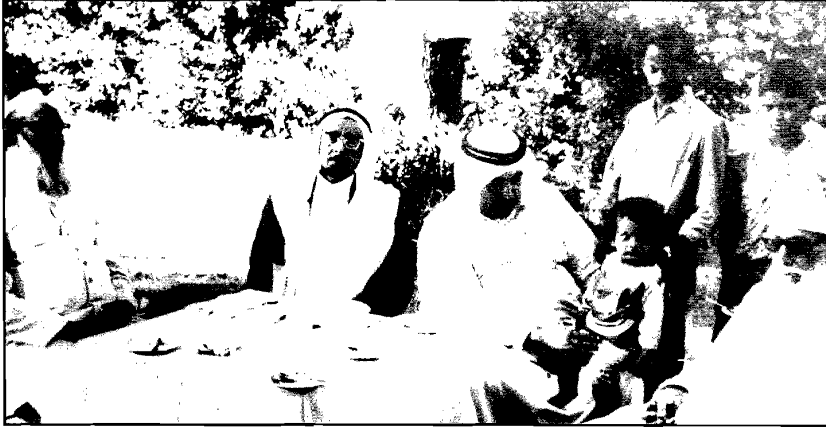
ـ أمـا الجزء الثاني، من التحقيق المصـور الـذي نشرته جـريـدة «البلاد»، فقـد تضمن مقابلة مع الشيخ صالح بن عبد المحسن الشملان، أحد الأصدقاء القـريبين منه، فروى قصة ثلاثة من السعوديين تحينوا فـرصة غياب الشيـخ محمد عن بغداد لـزيارتها، وبعد أيـام أتاهم منـدوب من الشيخ محمد يطلب منهم الانتقـال إلى ضيافـة السفـارة، وإلا فإنه مكلف مـن قبل الشيخ محمد بـدفع نفقـات الفندق مـدة إقامتهم.

يعجز اللسان عن التعبير:

كما التقت «البلاد» في تحقيقها بسعادة الشيخ محمد المنصور الرميح ، السفير السعودي السابق في لبنان ، والذي عمل مع الشيخ محمد في البصرة (وقد بدا شديد التأثر أثناء تشييع جثمانه) حيث قال :

ـ إن اللسان يعجز عن التعبير عن مزايا هذا الإنسان الكريم ، الذي أفنى حياته خدمة لهذا الوطن الغالي دون كلل أو ملل ، وإن الناس يعتبرون حاتم الطائي «أسطورة» ولا يصدقون كل ما نقل عنه ، والواقع أننا نحن الذين عايشنا الشيخ محمد على مستوى التلمذة أو الزمالة ، شاهدنا أمثلة كثيرة تفوق ما قيل عن حاتم .

كما تطرق الشيخ الرميح إلى جوانب من حدب الشيخ محمد وعطفه على الفقراء ، وإلى جوانب من وطنيته واحتفاظه بأفلام الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ التي كان يعرضها في كل مناسبة وطنية .



في نيودلهي (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٥٧ م) مع الشيخ عبد الله آل محمود وعدد من علماء الهند .

إيثار منذ الصغر :

ثم انتقل التحقيق الصحفي لمقابلة أخويه ، عبد الرحمن وسليمان ، اللذين سردا عدداً من الصور الإنسانية ، التي كان يتحلى بها الشيخ محمد منذ صغره ، حيث كان يلعب مع أقرانه ويتفوق عليهم ، ثم يوزع ما يكسبه منهم عليهم ، وأنه عندما كان يحضر بسيارته إلى عنيزة في بداية عمله في الدولة ، كان ينظم الرحلات لمواطنيه ، لأنها كانت السيارة الوحيدة ، وأنه كان يُحْضِر معه الإسعافات الأولية لمواطنيه وذويه في عنيزة قبل مجيء الأطباء والصيدليات ، وهي أمثلة ، مع بساطتها ، تعتبر شواهد على استعداده الفطري للبذل والعطاء والإيثار منذ صغره .

- ثم أجرت «البـلاد» مقابلة خـاصة أخرى، مع الشيخ عبد الـرحمن المنصور الزامل، أحـد أقرب أقاربه وأصدقائه إليـه منذ الصغر، حيث استعرض جوانب من سجاياه، ومن أبرزها صلتـه بربه سبحانه وتعالى، وصلة الرحم والقربى وبـرّه بوالديه، ومساعداته الإنسانية للجمعيـات الخيرية الإسلامية، (وقد تناول الشيخ عبد الـرحمن بالتفصيل بعضاً من معلومـاته وذكرياته عن الشيخ محمـد في بحثه الـمُدرج في الفصل الخامس).

علم عربي شامخ:

وأخيراً: تحدث إلى جريدة «البلاد» الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري، فقال:

- إن الشيخ محمـد علم عربي شامخ، ستظل الأجيـال تذكره بمكـارم أخلاقه ونبلـه وشهامته وسخـائه، وكل صفات الرجولة والخلق العربي النبيل.

- عرفته، بما يتنـاقلونه عنه من تلك السجايا، وكنـت أظنهم يبالغون، إلى أن سعدت بمجلسه في ماليـزيا، فوجدت أن ما وُصف به أقل من الحقيقة، فقد غمرني وصحبي من الإكـرام والبشاشة بما لم نر من قبل، إلى ذلك، جمع تواضعاً جمّاً



في الهند مع سفير الكويت، وعلي الفوزان وأخيه عبد الرحمن.

وسماحة ونبل مشاعر، رجل لا يُمل حديثه، إذا حـدثك في التاريخ أو الأدب أحسن وأجاد وملك القلوب، وكان ذا نفس رقيقة، تذرف دموعـه حينما يتذكر المواقف العظيمة في التاريخ، وبخاصة إذا روى مواقف الملك عبـد العزيز وسيرته، بما ينبئ عن الأخلاق وحب هذا الوطن وتاريخه وتراثه، ولم يكن للاعتبـارات الدبلوماسية أي مقياس في نظره، في سبيل تلبية دواعي نفسـه في الاكرام، فقـد كان يخرج للمطـار مستقبلاً ومـودعـاً من هم في سن أبنائه ومقـام مرؤوسيـه، وإن لم يكن يعرفهم من قبل، ولقـد تمنيت لو أجد وسيلـة أرد بها بعض ما غمرني به هـذا الرجل من فضل وإكرام، يـوم جمع السفراء ومـوظفي السلك الدبلـومـاسي في ماليـزيا، وقـام يلقي كلمـة لا يستحق شخصي المتواضـع سطراً واحـداً منها، ولكنـه التواضع والكرم الجم من رجل هو مضرب المثل في الكرم والأخلاق.

جزاه الله أكرم الجزاء في جنات الخلد، ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ * إلاَّ مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم [1] ﴾.

المقابلة الوحيدة:

وعثر المؤلف بين أوراق مبعثـرة للشيخ محمد، على مقـابلة قصيرة، أجـراها مـاجد مـدني مندوب جريدة اليوم السعودية (زاوية ربع ساعة)، أثنـاء رحلته التي قام بها إلى الهند بدعوة من الخطوط السعودية عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) (وكان أحد أصدقاء الشيخ محمد في الدمام قد بعثها إليه في الهند إلا أنه لم يوثّق رقم العدد أو تـاريخه)، ومع إيجاز المقابلـة، فإنها تكون حسب علم المؤلف، المقـابلة الـوحيدة حيث لا يُعلم عن مقابلات صحفية أخرى.



(١) سورة الشعراء ـ الآيتان ٨٨/ ٨٩.









الفصل السابع

أبو سليمان في الشعر

أما بلغة الشعر ، فقد تحدث عنه كثير من الشعراء ، وفي اعتقادي أن ما فقد من القصائد ربما يفوق ما فقد من النثر المنشور ، لأن القصائد الفصحى والعامية ، تظل إحدى الوسائل المحببة للتعبير عن الامتنان والتقدير ، ومقال الشيخ عثمان الصالح المنشور في الفصل السابق يوضح كم قصيدة قصيرة ومطولة قيلت عنه في رحلة واحدة ، وإنّ إقامته التي دامت أكثر من عشرين عاماً في العراق بالذات حيث ــ كما في المملكة ــ يحلو التعبير شعراً ، لابد أن تكون قد أنتجت عشرات من القصائد من سعوديين أو عراقيين ، ولكنها تحتاج إلى بحث وتنقيب .

إن معظم القصائد التي أدرجت في الصفحات التالية، وجدت مبعثرة وتفتقر إلى التوثيق من حيث تحديد التاريخ والمناسبة وما إذا كان بعضها منشوراً، وهو ما نرجو التأكد منه مستقبلاً، ولهذا لم تظهر بعض تلك القصائد في كشاف الكتاب.

ولقد اختصرت بعض القصائد لاحتوائها ـ وهو الغالب ـ على شيء من المبالغات، شأن كثير من الأشعار، أو بسبب بعض الاختلال في الوزن، أو بسبب طولها أو لاحتوائها على موضوعات بعيدة عن هدف الكتاب.

لقد تتبع المؤلف بعض الكتب التي صدرت عن التاريخ المعاصر للبصرة والزبير ـ وهي متعددة ـ فوجدها مصادر جيدة عن الشيخ محمد وعن أسرته، فكتاب «إمارة الزبير بين هجرتين» لمؤلفيه عبدالرزاق الصانع وعبد العزيز العلي، والمكون من خمسة أجزاء، والمطبوع في عدة مطابع في الكويت، (الجزء الثالث ـ مطابع مقهوي ـ الكويت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، أورد ثلاث قصائد عن الشيخ محمد، أولاها، قصيدة مع رسالة، كتبها الشيخ عبد المحسن إبراهيم أبابطين إلى الشيخ محمد، بمناسبة تعيينه قنصلاً عاماً في البصرة عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، بعد أن كان نائب قنصل لمدة ست سنوات وقال فيها:

بمناسبة تقليدكم هذا المنصب الجديد المبارك وترفيعكم إليه، من لدن حضرة مولانا صاحب الجلالة الملك المفدى عبد العزيز آل سعود، حرسه الله تعالى ونصره، نهنئكم بذلك، وفي الحقيقة، إن حضرتكم ممن تسمو به المناصب وتهنأ، لما جبلتم عليه من مكارم الأخلاق، وقياماً ببعض الواجب المحتّم علينا نحوكم، شرفت أقلامنا بنظم أبيات، راجين أن تقع لديكم موقع القبول وهي:

أمحمد يا ذا المكارم والعلا	يا قائماً بالمجد والأفضال
يا ماجداً يا ذا النجابة والنهى	يا طيّب الأقوال والأفعال
والمرء بالأخلاق يسمو والعلا	لا بالغنى أو كثرة الأموال
سبحان من أعطاك كل فضيلة	من كل مفخرة سمت وكمال
إني وإن بالغت في إطرائكم	تعيا بحصر خصالكم أقوالي
أهل الجزيرة فضلكم بين الملا	هو ثابت من سالف الأجيال
فاهنأ بمنصبك الجديد ممتعاً	بالعز والتبجيل والإقبال
والله يحرسكم ويعلي شأنكم	بتقلب الأزمان والأحوال



أما الثانية، فقد نظمها الأستاذ أحمد عثمان البسام، وهي طويلة مرحة، قالها عام (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م):

أويت إلى الفراش وبي عناء ... ونصف الليل يوشك أو يزيد
ولما داعب الأجفان نوم ... وكل الناس من تعب رقود
أتاني خادم والليل يمضي ... فقلت لخادمي: ماذا تريد؟
فقال انهض إليك أتى صديق ... بشوش الوجه خاطره سعيد
ولما قمت أنظر قلت هذا ... سليمان، وصاحبه حميد
سليمان المحمد نجل شهم ... فتى في الجود ليس له حدود
فوالده الكريم سليل قوم ... ترنم باسمهم بيض وسود
فرؤية وجهه للصحب يمن ... وعود زكا به للناس عيد
وضوع خصاله كالمسك طيباً ... ومثل حديثه الحاني نشيد

وأما الثالثة، فقد نظمها علي بن يوسف العنيزي عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) بعنوان ثناء ودعاء وهي ستة عشر بيتاً، اخترنا منها الأبيات الآتية:

إلى من فاق بالنبل الخطابا ... وقارب في سماحته السحابا
ويحفظ للجماعة كل ود ... يبلغها المطالب والرغابا
إليك أبا سليمان التحايا ... من الأعماق أبعثها خطابا
أعبر عن مدى شكري وحبي ... وأرقب للقاء بكم إيابا
عهدتك يا همام أخا وفاء ... فلو يدعى لمكرمة أجابا
ويُجهد في سبيل الخير نفساً ... ولا يخشى الملامة والعتابا
ويقتحم المصاعب لا يبالي ... يرى فيها رغائبه العذابا
له الأيام تشهد بالمعالي ... ومن رُزِق المعالي لن يهابا

وفي ٢٥ شوال سنة ١٣٦٩هـ (١٠ أغسطس ١٩٥٠م) حينما كان قنصلاً عاماً في البصرة بعث إليه صديق له من دمشق (وهو محمد جواد السهلاني) بيتين يقول فيهما :

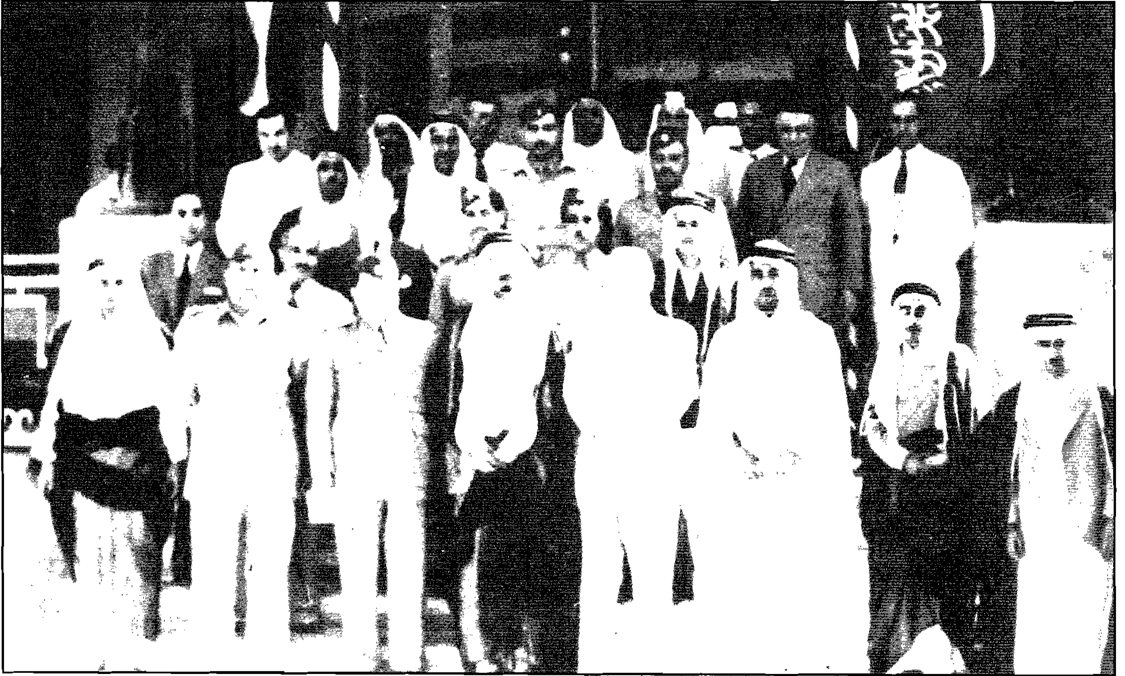
من ربوة في أعالي الشام فاتنة ... أهديك أسمى تحياتي وإخلاصي

يا من تسامى بأخلاق غدت مثلاً ... بين العروبة من دانٍ ومن قاصي

ونظم حسن بن علي الأهدلي - الموظف في السفارة السعودية في كراتشي - قصيدة بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٣٨١هـ، يقول في بدايتها :

الحمد لله مولى كل إحسان ... فضلاً وجوداً ومنَّا فيض منان

ما دلني غير ترتيب لخدمتكم ... وبالدعاء لكم في كل أحيان



في إحدى المناسبات الرسمية في العراق ويبدو في الصورة السفير عبدالله الخيال وكذلك الشيخ محمد (القنصل السعودي في البصرة أنذاك) .

وكتب الشيخ محمد العلي العبيّد من عنيزة هذه الأبيات إلى الشيخ محمد :

تــذكــرت شهماً بــالعــراق مــزاره ... فكنت حــريّـاً والمزار يسير
فمن كــان للمعــروف أهــلاً ومــوضعــاً ... فكــان لعمــري بــالثنــاء جــديــر
تطــارده الأيــام دون حليلــة ... وقــد لاح شيب والمغيب نــذيــر

كما وجدت قصيـدة، كتبها الأستـاذ عبد الله محمد الـرابح، عبر فيها عن شكـره وعرفـانه للشيخ محمد :

قف بــالــريــاض وحيّ أكــرم وافــدٍ ... فخــر الشهــامــة والنــدى والجود
أمحمــداً منـي إليـك تحيـــة ... لم أستطع إلقــاءهــا بشهــود
فلــذا بعثت مــرحبــاً بــرســالتي ... فلعلهــا أن تحظ بــالمقصــود
قــد كنت في بــذل العطــاء وغيره ... من يـأتــه يظفــرْ بكـل مفيــد

ونظم الأستاذ سعد عبد الـرحمن البراهيم (من غرفة التجارة والصناعة بالأحسـاء) قصيدة بمناسبة زيارة وفد تجاري سعودي إلى ماليزيا بتاريخ ٩/ ٧/ ١٤٠٣هـ (٢٢/ ٤/ ١٩٨٣م)، قال فيها :

خفق الفــؤاد وقــال حقــاً أخفق ... قــد شــدّني للمكــرمــات تشــوّق
فـإذا النفــوس تعــاظمت آمــالها ... ألفيت مـن يسعى إليهــا يــرهـق
همو الــرجــال شــواهــد من فعلهم ... والقــول بــالفعل الجميل مصــدق
فمحمــد نعـم السفير إذا بــدا ... في المعضــلات هــزيــرهــا لا يغــرق
جئنــا وقــد عـمّ الضبــاب سماءهم ... وإذا بــه شمـس علينــا تشرق
سحـت أنــاملــه بكثــر نــوالــه ... لا تعلــم اليمنــى بماذا تنفــق
الجود أرهقهــا فما إن تنثنــي ... إلا ويسراه تجود وتغــدق
زاد البهــاء بــه كســاء فــاخــر ... للكعبــة العظمى بنــور يبرق
صحبـي الكــرام يــودعــون كــريمهم ... يــرجــون في خيرٍ بــه أن يلتقــوا

وأثناء رحلة له إلى ماليزيا، كتب معالي الشيخ محمد عمر توفيق قصيدةً طويلة، قال فيها:

كان الشبيلي كريماً في استضافتنا ... بالإسكريم من «الدوريان» في مالي
وبالتمور وبالبنّ الذي انسجمت ... لقهوةٍ منه أفكاري وأحوالي
وبالفواكه حدّث عن أطايبها ... وعن كريم أصيل الطبع رجال
وبالمطازيز والأصناف أجمعها ... وبالمكارم لا بالقيل والقال
«أبا سليمان» قد غرّقتنا كرماً ... والله يجزيك أفضالاً بأفضال

وتحت عنوان: «تحية للكريم الغائب» كتب الشاعر البحريني، الأستاذ عبد الرحمن محمد رفيع بتاريخ ١/ ٣/ ١٤٠٣هـ (١٦/ ١٢/ ١٩٨٢م) قصيدة عندما زار ماليزيا ولم يجد الشيخ محمد حاضراً، قال فيها:

بدون أبي سليمان تراءت ... «كوالا» الحسن ناقصة الجمال
وكنا قبل قد زرنا «كوالا» ... فكانت كالمضيء من اللآلي
فلما أن مضى منها الشبيلي ... غدت قفراً حزين اللون خال
لسوف تردّد الركبان عنه ... أحاديثاً قربن من الخيال

وقال فيه الدكتور محمد عبد الرؤوف، المدير السابق للجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا بتاريخ ١/ ٦/ ١٤٠٥هـ الموافق (٢٢/ ١/ ١٩٨٥م):

إن الشبيلي العزيز محمداً ... شهم همام في المكارم ضيغم
أكرم بفضل أبي سليمان الذي ... سلب القلوب تحية وتعظم
الله باركه وأحسن خلقه ... بالحلم زيّنه يجود ويكرم
وإذا نظرت لوجهه ألفيته ... بدراً منيراً ضاحكاً يتبسّم
يلقاك بالوجه الصبوح بشاشة ... تجلو الهموم عن القلوب فتسلم



في بغداد يصافح الرئيس اليمني (الإرياني) وبجوارهما الرئيس العراقي (البكر) .

ونظم فيه الشاعر العراقي حسين بستانه[1]، من بلدة الخالص بالعراق، قصيدة تاريخها ١٧/ ٥/ ١٣٨٨هـ (١١/ ٨/ ١٩٦٨م) عندما كان الشيخ محمد سفيراً في بغداد قال فيها :

رحلت إليك المكرمات جمالها ... وحبتك من غرر الصفات كمالها
فلك الكياسة والسياسة والإبا ... نشرت عليك برودها وجلالها
لو صوّرت غرر المحامد في فتى ... حاز الرجال، لكنت أنت مثالها

---

(١) عمل في مجال التعليم والشرطة وتوفي في السبعينات الميلادية (التسعينات الهجرية) وقد عثر المؤلف على قصيدة رائعة له، قالها في الحفل الملكي السنوي بمنى، بمكة المكرمة يوم ١١/ ١/ ١٣٨٧هـ وهي في حوالي مائة بيت بعنوان (تحية الرضوان) يقول في مطلعها :

رمتني العاذلات وقلن خابا ... وحاذر أن يقال لقد تصابى
وكان بعهدنا جلداً رصيناً ... عصيّاً لا يحابي أو يُحابى

وربما تكون قصيدته التي قالها عن الشيخ محمد ـ أعلاه ـ هي التي أشار إليها الأستاذ حمد الصغيّر في مقاله المنشور في الفصل السابق.

أأبــــــا سليمان، ملكـت مــــــــــودتي ... وربطـت في نبـض الفــــــؤاد حبـــــــالها

يـــــا خير أخـــــدان السحـــــائب في يـــــد ... مــــــا نــــــال هتــــان السحـــــاب منـــالها

بـــــالغـت في إكـــــــرام ضيفـك بـــــاذلاً ... بشر الكـــــــريـم على قـــــــراك حيـــــالها

وخصصتنـي بهديـــــــــة فشكــــــــــرتها ... وشهــــــــــــــرتها إذ لم أرد إغفـــــــــالها

وكســــــوتني فلســـوف تكســوك العـــلا ... مـــــدحــــاً أطـــرّز بـــــالثنـــا أذيـــالها

كـــــانت هــــــديتك التي قـــــــد عبّرت ... وحْيـــــاً يمــــد مـن البحـــــار طــــوالها

فـــــالسحب تستسقي وكفـك بـــــالنـــــدى ... سبقـت فـأغنـت ســــــائليـك ســـــؤالها

في ظـل بيـت للعـــــــروبــــــة شـــــاده ... أســــــد الجزيـــــرة حيـث مــــدّ ظـــــلالها

لابـن الشبيلي الـــــــذي ســـــامت بـــــه ... همم الأســـــــود فـأسّــــــدت أشبـــــالها

وتـــــواضع الـــــرجل الكــــريـم يـــزيـــده ... ألقـــــاً وفخـــــراً حيـث حـط رحـــــالها

⸙ كما قال أخوه الشاعر العراقي عبد الرزاق بستانه[1]، قصيدة رقيقة في حفل توديع الشيخ محمد، عند انتقاله من بغداد بتاريخ ٣/ ٥/ ١٣٩١هـ (٢٦/ ٦/ ١٩٧١م):

يـــا طـــائر السعــد رفـرف فـوق مــوكبـه ... واسجع بـأعـــذب تغـــريـــدٍ وأطـــربـــه

وانقـل لــــه بعـض مــــا نلقـى لفــــرقتـــه ... وصـغ لـــــه القــــول في لحن يليـق بـــــه

إذ أنـــــه لم يــــدع في الـــرافــــدين ســـــوى الــــذكــــر الحميـــــد، وهـــــذا جـل مأربـــــه

أيــــامـــه الغــــرّ مـــرّت كـــالنسيم إذا ... يسري بـألطف مـــــا يسري وأعـــــذبـــــه

(أبـــــو سليمان) حـــــاز المجــــد أجمعـــه ... بنبلـــــه ليس مـن عليـــــاء منصبـــــه

مـن كـل أروع مقـــــــــــدام أخـي شيـم ... غـــــرّ، ومـــــا شـــــذّ عـن آداب منجبـــه

تـــوارثـــوا كـــابـــراً عـن كـــابـــر شرفـــاً ... يسمـــــــو زهـــــوّاً ويحلـــــو في تـأدبـــه

فـــلا غـــــرابـــة مـن تـــذكـي شمائلـــه ... طيبـــاً ويبـــدو الحجـــا من بعض مشربـــه

والجود والفضـل بـــاتـــا مـن طبـــائعـــه ... شـأن الأبيّ أجـــــادوا في تـــــــربيـــه

(١) صاحب مجلة المناهل التي تصدر في بغداد، كان يعمل في الجيش العراقي.





في الهند مع بعض الدبلوماسيين العرب.

طلق المحيـــا فما تلقــــاه مكتئبــــاً البشر يعلـــــوه مهما قــــد ألمّ بــــه
يصـــافح القلب إذ يلقـــاك لا بيـــدٍ لكن بأجمل تـــــرحيب وأطيبــــه
(أبـــا سليمان) عفـــواً إن بـــدا كلمي دون المقـــام ومـــا أوفى بمـــوجبــه
فإن تجاسرتُ فـــالإخـــلاص يـــدفعني وإن عفـــوت فهـــذا مـــا تمن بـــه
مـــا إن أراك ســـوى نعم السفير لنـــا وللعـــروبـــة في أسمى مـــواهبـــه
أنّـى حللت يحلُ اليُمـن مبتهجـــــاً سيّـــان في المشرق الأقصى ومغـــربـــه

ورثاه الأستاذ محمد بن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك من الأحساء، بقصيدة تقول:

نبـأ أهـــــاج لمدمعي لمّا مضى شيخ أمضّ بـــه السقـــام وأمـــرضـــا
فمحمـــد «إبن الشبيلي» مـــؤمن أدى الأمـــانـــة كـــان ممن أقـــرضـــا
عـــاش الثـــلاث من السنين بعلـــة وحـــوى من الحسنـــات خيراً يـــرتضى
إني أكفكف دمعـــة مهـــراقـــة حـــزنـــاً عليـــه ولا منـــاص من القضـــا

إني سمعـــت بصبره وبجـــــــــــــــــوده | وصفـــــاتـــــه المثلى التـي علـت الفضـــــا
لم ألفـــــه لكنّ ســـــابغ فضلـــــه | للنـــاس في ذكـــري لـــه قـــد عـــوّضـــا
ضمّنت مـن حبـي لـــــه مستشهـــــداً | مـــا البحتري بـــــه أفـــاض وأنهضـــا
«لـــــو جـــاود الغيـث المشجج كفـــه | لأتـت بأطـــول من نـــداه وأعـــرضـــا»
رحماك يـــــا ربي بـــــه واجعـل لـــه | من بـــرد جـــودك مـــا يبلّغـــه الـــرضى

كما كتب الأستاذ سليمان العبد الله الحمدان قصيدة رثاء من أحد عشر بيتاً، يقول منها:

تـــرى: أبـــا الأشعـــار أبكيكـــا | أم أنني بـــالنثـــر أرثيكـــا
لاذا ولا هـــــذا بـــــذي قبـل | بما بلغـت وليـس يجزيكـــــــــا
حطّمت أرقـــام النـــدى ولقـــد | شككت في الطـــائيّ تشكيكـــا
مـــا كنت تعـــرف غير «خـــذ» أبـــداً | بـل «هـــــات» لاتجري على فيكـــا
إني لعـــاذره وشـــاكـــره | قلـم تلجلـج وهـــو يبكيكـــا

وقال فيه الأستاذ أحمد الأهدل من جامعة الملك عبد العزيز «عشيرة الجوّالة» قصيدة، جاء فيها:

الفـــرح عـم وطـــابـت الأشـــواق | وصفـــا إلى صفـــو القلـــوب عنـــاق
قـــد كنت أرقـب يـــوم لقيـــاكـم على | أمـل يلـــوح ونسمـــةٍ تشتـــاق
هـي شمعـــة بـــدأت تنير طـــريقنـــا | لا صـــابها ملـل ولا إرهـــاق
الفـــرحـــة الكبرى عـــلامـــة صـــدقهـــا | والصفـــو رمـــز في العـــلا خفـــاق
لـك يـــا شبيلي أضلـع قـــد رفـــرفـت | مـن فجـــرهـــا للقـــائكم تشتـــاق

ونظم الأستاذ طاهر عبد الله أبو رغيف من البصرة، قصيدة بتاريخ ١٢/ ١٠/ ١٣٦٩هـ على إثر قيام الشيخ محمد بزيارة له في المستشفى:

أبـــا قـــاسم لم أستطع ذكـــر فضلكم | فـأي امـــرئ يسطيع عـــد الكـــواكـب
فمـــذ زرتني شـــوفيت مـن كل علـــة | وقبـــلاً فـــؤادي كـــان نهب المتـــاعـب

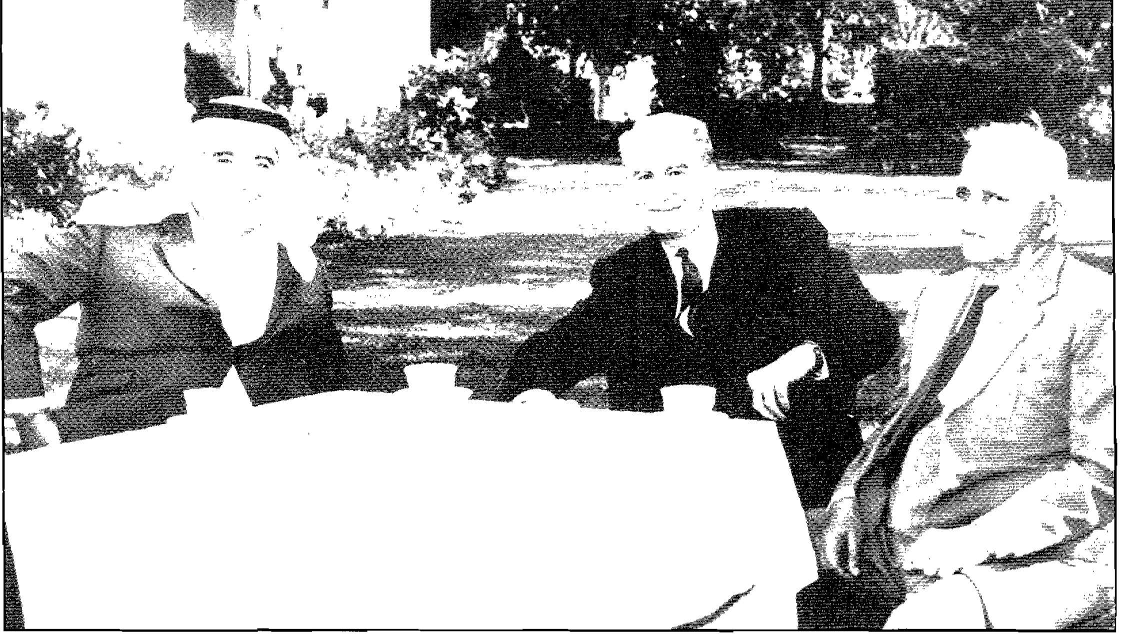
حـــــــديثك للنفس البريئـــــــة بلسم	يــــداوى بـــه الشـــاكي وأهـل المصـــائب
عـــرفنـــاك فـــذاً في مـــزايـــاك كلهـــا	فخير سيـــاسي وأبـــدع كـــاتـب
فـــلازلت عنـــوان العـــروبـــة بيننـــا	منـــاراً إلى العليـــا ومن كـل جـــانـب

وزاره يوماً الدكتور يـوسف عز الدين في مقر إقامته في الرياض أحيـاناً : «فندق زهرة الشرق» فلم يجده، فترك له الرسالة التالية :

مـــرحبـــاً يـــا جـــواد أهـــلاً وسهـــلاً	ثـم مليـــون مـــرحبـــاً بـــالجواد
قـــد مـــلأت الآفـــاق علماً وفضـــلاً	هكـــذا الفضل منكمـــو بـــازديـــاد



الدكتور يوسف عز الدين عند مدخل السفارة في بغداد وبجانبه فارس الحامد.



مع عمر أبو ريشة في الهند .

وكان الشاعر الكبير عمـر أبو ريشة ـ يرحمه الله ـ سفيراً لسوريـا في الهند في الفترة نفسها التي كان الشيخ محمد فيها سفيراً للمملكة، وكانت بينهما علاقة وثيقة وصداقة حميمة، إلا أنني وقد كنت أتوقع أن أجد شعراً لم أعثر إلا على ورقة صغيرة بخط اليد، كتب فيها الشاعر الجمل النثرية الآتية :

سيدي الأخ محمد :

لم تـزدني التفاتتك الخيّرة علماً بنبل عـاطفتك، وشرف محتـدك، ولئن سكت عن التعبير عن شكـري، فلأنّي لا أعـرف شاعراً من قبل تصدى ليشكر الروض على زهره أو الزهر على عطره، صانك الله ومتّعك بما تحب .

المخلص عمر أبو ريشة

١٤/ ٨/ ١٩٦٤م

وكتب الأستاذ رشاد الخطيب، من منطقة هيث بالعراق، قصيدة عنوانها «نداء المخلصين» (بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٩٦٨م) يقول فيها:

أبا سليمان يا رمز الوفاء ... ويا سند الأخوّة والإخاء
فأولادي لرؤيتهم طلبتم ... لنحظى بالسعادة في اللقاء
زهير بل وزيد بل زبير ... فلذة خافقي أحلى رجائي
هدايا يحملون إلى صديق ... وفّي في الصداقة كالضياء
فمنسوجات «هيثٍ» خير ذكرى ... صناعتنا البسيطة في القضاء
وهذا التمر من نوع لذيذ ... فهيث نخلها جمّ العطاء
ستأكله هنيئاً بل مريئاً ... وتحظى في الحلاوة بالشفاء

وفي ٢٦ رمضان ١٣٩٧هـ (٩/ ٩/ ١٩٧٧م) نظم الأستاذ شاكر البدري قصيدة في كوالالامبور يقول فيها:

يابن الكرام المعتمد ... وأبا الوداد المستمد
سُميت باسم المصطفى ... بمحمد عالي السند
لقّبت شبل الملتقى ... والشبل من ذاك الأسد
قلّدتنا بجدارة ... مننا بها الشكر اغتمد
والشكر في هذي الدنا ... باقي الرواية لم يحد
ذكر يخلّد أهله ... وسجله لم يفتقد
ما مرّت الأيام في ... درب الزمان إلى الأبد
دم في السعادة هانئاً ... يابن الكرام المعتمد

ونظم الأستاذ زين العابدين توفيق، مدير مدرسة الجبيل بالبصرة (العشّار)، بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٣٦٥هـ قصيدة جاء فيها:

صبح السعادة قد غدا بساما ... والأنس عاد فأرغم الأياما
وغدوت لا أدري لفرط مسرتي ... أحقيقة ذا أم أراه مناما

إذ حيث جئت «بقنصلية بصرة»	أرجو الشبيلي السيد المقداما
كيما أراه وأزدهي بحديثه	فوجدت منه العطف والإكراما
فحقيقة هو رمز كل فضيلة	وعلى «القناصل» بالكمال تسامى

وتحت عنوان «نفثة الفراق»، وجدت القصيدة الآتية بتوقيع عبد المجيد الملا، (والتي يبدو أنها كتبت في العراق):

أبا سليمان، هل أبقيت من وطري	إلا بقية آهات على الوتر
مرنّحات لها من مقلتي نغم	ويح الأليفين من وجد ومن سهر
ملأت نفسي إيماناً بما رفعت	به العروبة من أمجادها الغرر
مثّلتهم كرماً يسمو الكرام به	ورحت منطلقاً تمضي على الأثر
كديمة أشرقت عنها معطرة	رُبًى تتيه بألوان من الزّهر
فاسلم على البعد داعي الشوق يجمعنا	فأنت في النفس داع من هوى عطر

وفي فترة عامي ١٩٦٦م و١٩٦٧م، وجدت مراسلات من أخ اسمه: عبد الله إبراهيم فنون، يبدو أنه فلسطيني مقيم في الهند، احتوت على عدد من القصائد، من بينها واحدة كتبت في (٢٩/ ١/ ١٩٦٧م):

أتيتك قاصداً خيراً وإني	ملأت النفس آمالاً عظاما
رجوت على يديك كريم خير	وليس يخاب من سأل الكراما
أخي بالله لو أبصرت حالي	وظلماً قد عرى مني قواما
لكنت إلي معواناً كريماً	على التقوى وأحسنها ختاما



في باكستان مع بعض موظفي السفارة.

وتحت عنوان: تطيب بذكرك الأذكار، نشر الأستاذ عبد الله عبد الرحمن العرفج، قصيدة رثاء، والأستاذ العرفج من أوائل رجال التعليم في عنيزة:

رضينـــا أم نبـــالغ في الإبـــاء ... سيمضي مـــا يجيء من السماء
قضـــاء الله مكتـــوب علينـــا ... بقـــرب أم بـــروعـــات التنـــائي
ولا يغنـــي حبيـــب أو طبيـــب ... وليس يفيـــد تنسيق الـــدواء
تأمـل في بـــدايـــة كل شيء ... ســوى رب البريـــة لانتهـــاء
نـــواة ثم أوراق وســـاق ... ولكن كـل ذلـك للفنـــاء
فلـــو يفـــدى بهال كل غـــال ... بـــذلنـــا كل غـــال للفـــداء
ولكن يـــا محمـــد نم قـــريـــراً ... بقـــربك والبقـــاء لـــذي البقـــاء
تعبت بهمـــة ستين عـــامـــاً ... تكـــافح في الصبـــاح وفي المســـاء
ونحن لما سعيت بـــه شهـــود ... ومـــا قـــدّمت من جـــزل العطـــاء

لـــــــدينك خير أديــــــان البرايـــــا وقـــــومك في الحجـــــاز وفي الحســـــاء

وفي نجـــــد العــــزيـــــزة أو عسير وجلـق حيـث حـل أبـــــو العـــــلاء

وفي مصر الكنـــــانـــــة أو بصنعـــا وبغـــــــداد المبرّد والكســــــائي

شهــــودك كـل قحطــــان المعـــالي وعـــدنــــان القــــرابـــة والـــولاء

ظللت محمـــــــداً في كـل قطـــــر تعــــانق كـل أسبـــــاب الثنــــاء

تطيب بـــذكـــرك الأذكــــار فينـــا كطيـب الـــــروض مـن طيـب السماء

وفـــاؤك خـــالـــد حيـــاً ومحيـــاً وليس يمـــوت إنســـان الـــوفـــاء

سماحـــــة حـــاتـم في بـــــر معـن أيكـــرم بـــالسماحـــة والسخـــاء

لئن كنــــا فقــــدنــــا منك جسماً فـــروحك بيننــــا رمـــز الصفـــاء

وتحت عنوان: رجل الطيب: نشر الأستاذ مقبل العيسى في جريدة الجزيرة القصيدة التالية في بداية مرضه، والأستاذ العيسى، زميل للشيخ محمد في وزارة الخارجية، تقلب في عدد من المناصب الدبلوماسية:

قـــالــوا بـأن الطيب مــــورده يبـــدو حجـــازيـــاً.. ونجـــديـــا

فقلــت إن الطيـب أجهلـــــــه إن لم يكـن عنـــــــدي (شبيليـــــا)

هـــو (السفير) الفـــذ في خلق أمسى بها عـــذبـــاً فـــراتيـــا

شهـم تخال اللفـظ مـن فمـــه يحلــو.. كنفح الـــورد.. عطـــريـــا

والنـــاس تهوى الــــورد من أزل وهـل يكـــون الشـــوك محضيًّـــا

مـــن أيـــن يـأتي الطيـــب؟؟ مـــن رجـل قـــد صـــار لـــلأخـــلاق.. جنـــديـــا

أغلى نجـــــوم الأرض تعشقـــــه شهماً، كـــريـم النفس مهـــديـــا

لا ينطـــوي يـــومـــاً على حـــرد أو يـــرتضي طبعـــاً.. نفـــاقيـــا

مـن كـــان لـــلأطيـــاب معــدنــه تجده بين النـــاس مـــرضيـــا

أمـــا الـــذي تقســـو طبـــائعـــه يلقـى لســـان الخلق شـــوكيـــا



في باكستان مع عدد من الضيوف وبجواره يعقوب الرشيد الذي أصبح سفيراً للكويت في الهند، ويرجّح أن يكون الثاني من اليسار هو ذو الفقار علي بوتو الذي صار رئيساً لوزراء باكستان.

وتحت عنوان: الفراق المر، كتب الأستاذ عبد الله اليحيى الأبيات التالية في رثائه:

كـل حـي لضجعـة وانتهـاء ... كـل ضـوء لـومضـة وانطفـاء

نحـن للمـوت مـا أقمنـا طـويـلاً ... وأقمنـا البنـاء بعـد البنـاء

نحـن للمـوت والموت آت ... ليـس دون المهات أي وقـاء

مـات خير العبـاد قبـل الشبيلي ... وانقضـى نحـب سـادة الأتقيـاء

غـاب عنـا وفعلـه الخير بـاق ... الفعـال البيض رهـن البقـاء

دمع حـزني بكـى الشبيلي حقـاً ... هـل تـراني أعيـده بـالبكـاء

سـوف يبكيـه مـن رآه الليـالي ... بـل سيبكيـه سـامـع بـالثنـاء

يعجـز الشعـر عـن مـديح جـواد ... طـالما عـف عـن بـريـق الضيـاء

كيـف يـرقى لنجمنـا ذو بيـان ... فـاق شمـس الضحـى بـأفـق السماء

مـا لحسـن البيـان يبـدو كليـلاً ... قـل عـن شـأو منجـزات العطـاء

كم روى الناس عن معالي الشبيلي ... كم يحار الرواة في ذا اللواء
حادث جل فالجميع مصاب ... للمعزَّى وللمعزِّي عزائي
لا يمل الجليس قول الشبيلي ... بل يزيد الجوى بغير انتهاء

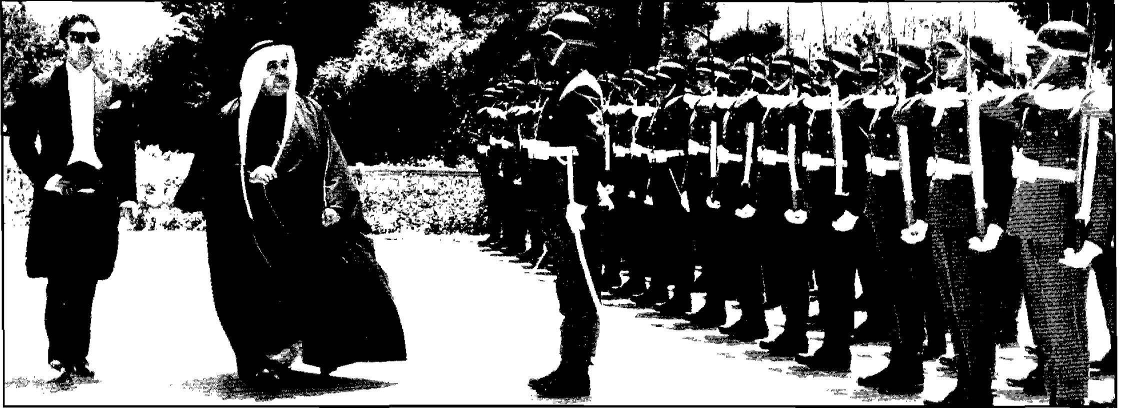
وبعث الأستاذ محمد البازي، من الكوفة بالعراق، قصيدة تهنئة بعيد الفطر المبارك (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) وهي مكونة من ثمانية وعشرين بيتاً، اخترنا منها الأبيات الآتية:

دع الشعر يسرح في محاسنك العظمى ... وعذرًا، إذا لا يستحيط بها علما
وخل القوافي يدلجن... مواجًا ... ويرجعن لا كيفاً أحطن، ولا كما
وكيف يوفي الشعر حقك جاهداً ... وإن جاد إبداعاً وإن سبر النظما
فحسب الفتى المنطيق يعرض عاجزًا ... عن الجد في التعريف، إن وجد الرسما
«محمد» لم تلق الرجولة في النهى ... سواك، ولا في الحلم فذاً لها ينمى
فإنك في كنه السياسة حاذق ... ولا تخش إن جدّت لقارعة خصما
ومن «فيصل» الإقدام حزت كياسة ... وقد صار هذا الفضل يدفعكم عزما
وما كنت بالجهم المعاب بمنظر ... وأكمل باري الخلق عقلك والجسما
أتيت بعيد الفطر يدفعني الجوى ... أهنئكم، والقلب من شغف أظمى
وقد آنست عيناي نور جبينكم ... فأهديت من تيه الضلالة للنعما
عشقتك إنساناً جميل شمائل ... وصرت لعظم الوجد مؤتسراً همّا
وحقكمو، إني أحب لقاءكم ... ويدفعني وجد لذلك كالأعمى
فربع به ذكر الإله مردد ... حري بأن يهواه من طلب الغنما
«محمد» قد مغنطت قلب «محمد»[1] ... وخمس الحواس النبه صيرّها بكما
فهذا قصيدي للجمال هديته ... كتمر، وأهديه إلى «هجر» كرما
وإنيَ مزت «البحتري» بوصفه ... لأني صورت الوقائع والرسما
وإني «نواسي» النسيب مغازلاً ... ولكنني لم ارتكب أبدًا إثما
وإنيَ لا أرجو بشعري مكسباً ... ولكنّه الإحساس، أوضحه نظما

(١) محمد الأولى يقصد بها «أبو سليمان» والثانية يقصد بها نفسه.

وكتب الأستاذ فريد العثمان ـ ابن عبد الرحمن عبد العزيز العثمان، صديق الشيخ محمد، قصيدة عنوانها (أنت والجود):

ما مات من مات عن ذكر له شان — الذكر للناس إحياء وعمران
إن الشمائل تحيي ذكر صاحبها — يحيا على الموت كم في الموت خسران
أبا سليمان إن يطو الثرى جسداً — فما طوى ذكركم والذكر سلوان
فيك الخصال تناهت وانجلت صوراً — وجسَّمتها على الأفضال ألوان
إذا الرجال تسامت في خصائلها — فأنت شهم عفيف بر إنسان
وإن تجلت وبانت في تجسدها — فأنت والجود والإكرام صنوان
فراح عن غبطة معن يطاولها — وحاتم أعجبته فهو غيران
تأتي ألوف ويمحو ذكرها زمن — وينتقي البعض تاريخ وأزمان
ما ضرهم أنهم عاشوا الكفاف ولم — يسعوا وراء الغنى والغنم طغيان
فمعظم الناس ملهيّ بحاجته — وأنت للناس والحاجات معوان
بموتك الأمس ساد الناس كلهمو — دمع سخين وأتراح وأحزان
لو كان دمع يرد الموت فاض بهم — سيل من الدمع هطال وهتان
فحسبك اليوم أن الناس قد هرعوا — لما نعاك إلى الأمصار إعلان
تقاطروا زمراً من كل ناحية — لم يختلف فيك بالأحزان إثنان
فليرحم الله فذًا في شمائله — ولتنعم الروح فردوس ورضوان



وفي ختام الجزء الأول من هذا الفصل، نـورد ما قد يكون أطول ما قيل فيـه من شعر بالفصحى وهو خمس قصائد:

الأولى: للأستاذ صالح الأحمد العثيمين.

والثانية والثالثة: للأستاذ عثمان بن ناصر الصالح.

والرابعة: للشيخ صالح العبد الله الشبيلي ـ والد المؤلف.

والخامسة: لشخص لا يزال اسمه مجهولاً لدى المؤلف.

أما الأولى فقد نظمهـا الأستاذ العثيمين وهو تحت العلاج في لنـدن، عندما علم بـوفاة الشيخ محمد، فأملاها هـاتفياً على جريدة الجزيرة بعد أيام من وفـاته، ونشرتها بتاريخ (٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ)، والأستاذ صـالح يعتبر من أبرز شعـراء عنيزة المعاصرين، عمل في حقل التـدريس ثم تقاعـد مبكراً، والقصيدة بعنوان: الضياء الراحل، وقد قدمت لها «الجزيرة» بالمقدمة الآتية:

الشيخ الشبيلي ـ يـرحمه الله ـ علم وأنموذج، رجل مواقف، بـذل وعطاء، تجاوزت حكايات كـرمه وأريحيته وشهامتـه حدود الوصف وإطار المألـوف، ولقد حمل الناعي الخبر إلى شاعـرنا المرهف الأستاذ صالح الأحمد العثيمين، وهـو يواصل رحلته العـلاجية في لندن، فلم تلهه آلامـه الذاتية ووجـد نفسه أمام معاناة أشد، وهـو يدرك أبعاد الفاجعة بفقد هذا الإنسان الكبير، فكـان مولد هذه القصيدة التي أملاهـا الشاعر من سريـر مرضه في لنـدن وخص بها «الجزيرة»، ولم يستطع أبـو خالد أن يـوقف نزف قوافيه فيها، حتى طالت وطالت، واضطر إلى اختصارها بهذه الأبيات:

ألقيتهـــا - يـــانقيًـــا في مشــــاعــــره - عصـــاك، فــــاهتــــزت الأقــــلام والسير
تسيـــارك المجـــد يـــا واحـــاً بـــه سبحت كـل الطيـــور وجـــال الطيب والـــزهـــر
يـــا رحلـــة في ثـــرى الآزال ســـابحـــة جميعنـــا في ثـــراهـــا النـــاقص البشر
مـــازلت أذكـــر والأيـــام بـــاسمـــة كـــل الأمـــــــــــاني على كفيـك تنتشر
ألـــوى بها الموت والإعصـــار يـــا أفقـــا مـن النجــــوم وروضـــاً غصنـــه خضر

لقد أضأت وكم من يدعون مضوا ... ولم يضيئوا ، وأمثال الأُلى غمروا
ساروا مع الوهم في دنيا مفاوزهم ... أفكارهم بسواد الجهل تحتضر
هي النفوس كبار في ملامحها ... لكن في عمقها الإنسان مختصر
لا أدعي المثل الأعلى فجوهرنا ... -مهما يطول- ففيه النقص والقصر
إن الجسوم ولو زانت ملامحها ... فإن أعماقها الإنسان مقتصر
إن النفوس فناء اللذات يتلفها ... وكلها – رغمها – يوما ستندثر
مازلت يا أيها الباني مآثره ... دنيا بها تشرق الأفكار والعبر
نجواك أعرفها والحب يورقها ... فليس يعرفها زيد ولا عمر
وهبتهم كل ما يصبو الجمال له ... وكنت في كل أحقاف لهم مطر
عزفت عن كل دنيانا وضجتنا ... فاستأثرتك قلوب كلها درر
يا لوحة من ضياء ظل يأسرني ... تناثر الضوء فيها وانتشى القمر
عذرية اللون والتاريخ يكتبها ... نوراً من الحب درباً للذي اعتبروا
إني أودع أخلاقاً وفلسفة ... عطاؤها عاشقاها : العقل والنظر
تلك السنابل في شعري وقافيتي ... روحي بهن وفي أعماقها وتر
ودعتك الأمس والآلام تعصرني ... وكنت من حبك الآمال أعتصر
كل المنابع في عينيك أعرفها ... منك الصفاء ومنها الماء والثمر
حزني ييتم أشعاري وقافيتي ... ما أسوأ الحزن للأفكار يعتصر
شعري يسيل دماءً والجراح به ... قلب على سطوة الأحزان يندثر
هذي شجيراتك الخضراء باقية ... منها البكاء ومنا الوجد والسهر
كل الأغاريد شاخت في خمائلها ... لما بكت حولها الأمداء والمدر
يا ليت تدرك إحساسي وتقرؤه ... فكم قرأت سطوري والمنى وطر
يا رحلة قد سقتني في مرارتها ... شعري يكاد عليها الآن ينتحر
مدائن الحب مازالت مشاعرها ... بوحاً على وهج الأحزان ينصهر
عفواً إذا اهتز شعري أو نبا قلمي ... فكل قافية بالحرف تنفجر
إنساننا ذلك المأسور داخلنا ... فهل سيورق حرف ما له وتر ؟!

إذا ادعيت رثاءً إن هجرتكم ... رثاؤنا ، نحن، لا من روحه نضر

يا فارساً نحن منك الآن ملحمة ... أيامها الوجد والأحباب والفكر

يا نفحة من عبير أنت ناشره ... لا من تمد له الدنيا وتنحسر

أي الملاحم أهديها وأمنحها ... وكل جولات عمري ما لها عمر

أطلاله باكيات والأسى قدر ... ما كل شعر كشعر الحب يقتدر

الحب من بعض آيات بكوكبنا ... آياته زمر من خلفها زمر

تلك الحياة بدايات سنتركها ... وسوف تأتيك أجيال لها أخر

إلاه يأكل من شعري ومن جسدي ... فهل نلوم جسوماً سوف تندثر

منابعي — يا نقي الحب — يابسة ... كما القوافي لظل البين تنحدر

مهما ادعينا سراب العمر يأكلنا ... فلن يدوم لنا ليل ولا سمر

وحر فقدك معنى قد أحار به ... وكل معرفتي قبري سينتظر

هدوؤك العذب روح كلها مثل ... مازلت فيها مع الأيام أفتكر

مهما تطول بنا الدنيا وتسعدنا ... إن السعادة وهم كلها سقر

مهما نعاك فؤادي إن في ألمي ... روحاً بأعماقها الإنسان والعبر

وكل ناع سينعى عند مأتمه ... لن يقصر العقل عن هذا ولا النظر

مهما تلونت الأيام أو كثرت ... فمنتهى شوطها الأسقام والكبر

وكم سعينا وللآجال سطوتها ... كأنما للبقا والخلد نعتمر

مراكب الوهم والآلام تجمعنا ... ونحن «عنقاء» وهم ما لها أثر

تلك المشاعر أهديها وأمنحها ... لراحل كم رعانا حبه الغمر

عرفته في الليالي السود كوكبها ... والضوء حين يغيب الكوكب النضر

أعيشك الآن ذكرى غيرت طرفي ... وظل في مبتداها الخير، والخبر

مازلت أذكر في عينيك حلمهما ... وكم بعقلك هذا الحلم يفتخر

طالت حياتك بالأمجاد معشبة ... لا بالسنين فأنت الوجد والصغر

ممات كل كبير إذ يفارقنا ... فقد يهد الذي في فكرهم عمروا

مهما تطـــول بنـــا الــــدنيـــا نفـــارقهـــا ... والمجــــــــــد ينصف أفــــــــذاذاً بها قبروا

إني أودع دنيـــــــــــــاً كــم صنعــت بها ... روحــــــاً ومجداً وفعـــــلاً كلـــــه أثـــــر

ذكـــــراك تـأخـــــذ مني بعـض مـــوهبتي ... وكــم بها تعشــب الصحـــــــــــــراء والجزر

أراك في كـل شيء في مـــــــــرابعنـــــــا ... حتـى الــــذي لا نـــــرى أو ســـوف يبتكـــر

يــــا مـن يســـائل عـن عمــــر أضــــاء لنـــا ... إني أســــائلـــــه، كم يـــورق العمـــــر ؟

دنيــــا المكـــــارم كـم عــــايشتهـــــا مثـــــلاً ... حتـــــى بكتـــــك تميـــــم وانتهـــــت مضر

إني أودع حبـــــاً كـــــان يـــــزهــــــرني ... وفيـــــه تــــــزهـــــر أرواح هـي الثمـــــر

كـم كنت بـــــالعطـف تمحـــــوني وتكتبنـي ... فنـــــار دمعـي على الخديـن ينحـــــــدر

كم في الــــرجـــال الـــذي يحيي معـــالمنـــا ... ويجعـل الطلـل البــــــالي لنــــــا نهر

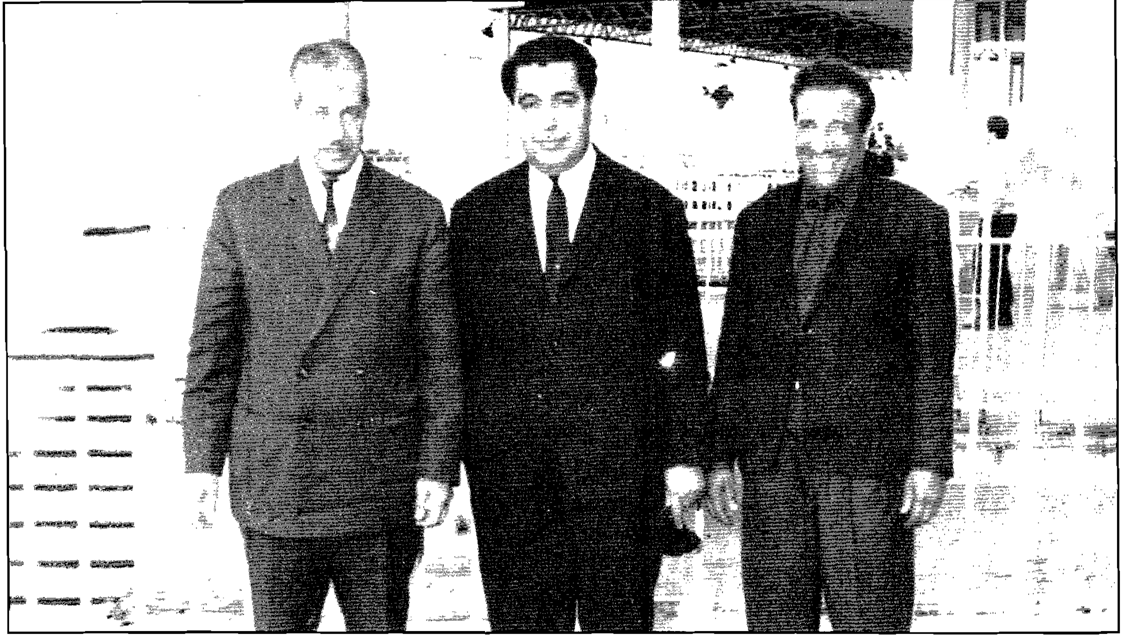
يـــا نفحـــة من (صبـــا نجـــد) وهمستهـــا ... إني بفقــــــــدك روح مــــــــالها وزر

أما القصيدتان الثانية والثالثة ، فقد نظمهما الشيخ عثمان الناصر الصالح بعد زيارتين قام بهما إلى ماليزيا .

ولكن يبدو أن هـاتين القصيدتين ــ على طولهما ــ ليستا كل مـا نظمه الشيخ عثمان في صـديقه الشيخ محمد، فمقـاله المنشور في الفصل الســابق يؤكد ذلـك، وبالإضافـة إليه، اطلع المؤلف على رسالـة كتبها الشيخ عثمان بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٤٠٩ هـ(١٩/ ١١/ ١٩٨٨م) ـ أي بعد وفاة الشيخ محمد ـ ووجهها إلى عبد الـرحمن المنصور الـزامل وصالح العبـد الرحمن العبـدلي، وفيها يستعـرض علاقتهما بـالشيخ محمد، ويعدد مآثره، وقد ضمنها قصيدتين عنه يقول في مطلع إحداهما، (وهي من بضعة أبيات) :

فـإن كــــــان الشبيلي في المكـــــــــارم ... فــــــريــــــدًا حـلّ فيهــــا مثـل حـــــاتـم

وفي الأخـــــلاق في الـــــدنيـــــا مثـــال ... بـــدنيـــــانـــا مـــدى الأيـــام قـــائم



مع عثمان الصالح في لبنان ومعهما عبد العزيز الخطاب .

وجاء في مطلع الأخرى (وهي من عدة أبيات أيضاً) :

يغـــادرنـــا محمـــد في حيـــاة	لـــه فيهـــا أريـج كـــالخزامىٰ
فلـن تنســـاه أمتنـــا بـــذكـــر	ولـن ينســـاه في الـــدنيـــا اليتـــامى

نعود إلى القصيدة الثانية الطويلة، وتاريخها (٢٦/ ٦/ ١٣٩٨ هـ)، وهي تزيد على مائة وعشرة أبيات، ونختار منها الآتي :

لي في التنقـل رغبـــة وأمـــاني	لـــزيـــارة الأصحـــاب والخلان
ويقـــول أصحـــابي وعـــزمي ثـــابت	وعـــزيمتي مـــا كنت عنهـــا الـــواني
لم ذا الترحـل والمشيـب عـــلاك في	فـــوديك فـــاتـــرك وثبـــة الشبـــان
ضحـك المشيـب بعـــارضيك لقـــاؤه	منـــه البكـــاء على فـــوات زمـــان
فـــالـــزم لبيتـك للصـــلاة ومكتب	لقـــراءة الآداب والقـــرآن
ولأنـت في خطـل ورأي شـــاطـح	بتنقـــل في معظـم البلـــدان

وكأنك الأطيار في طيرانها ... أو في النشاط تخف كالفتيان
فأجبته والقول مني صادق ... والصدق مني واضح البرهان
ما كنت ذا سفه ولا ذا متعة ... أبداً وما أنا في هوى الشيطان
أنا في الإقامة والرحيل مؤدياً ... كل الحقوق عليّ للرحمن
أو ما سمعت كلام ربك مخبرًا ... بفوائد الأسفار في الفرقان
(أو لم يسيروا) كي يَروا ما في الورى ... من عبرة للحاذق اليقظان
إن الفوائد جمة تمشي بها ... في رحلة (للهند) و (اليابان)
في (لندن) أو (بصطن أو دولة) ... (في الشرق أو في الغرب أو لبنان)
وبذا رأيت الخل مقتنعاً بها ... قد قلته وأصاخ عن إذعان
هذا وقد أفضى المسير إلى الذي ... نهواه في الأسرار والإعلان
(المجد) بخل و(الشبيلي) سيد ... من سادة في الفضل والعرفان
هذا الذي شاد المكارم جده ... وأبوه في (نجد) وفي (بغدان)
ورث المكارم كابراً عن كابر ... وبنى عليها عالي البنيان
ما كان يهوى قمة لوظيفة ... إلا ويقصد خدمة الإنسان
أولى الجميل ولم يكن في سعيه ... للخل والأصحاب بالمنّان
ويهش في طرب لتحقيق المنى ... للعاجزين وأي شخص عان
في صدره والبيت منه رحابة ... كرحابة الدهناء والصمان
إن جئته في حاجة ألفيته ... جذلاً بها توليكها الكفان
هو جعبة في نصحه لبلاده ... ومليكه، في حبهم متفان
هو في السياسة دارس ومدرس ... والكل يعرفه بلا نكران
كم ساسة لمسوا بعمق حديثه ... سمت الرجولة في ثبات جنان
عرفوه في سلك السياسة واعياً ... بإطاحة الأضداد والأقران
يدلي برأي واضح وبفكرة ... بسلاسة ضمت جميل معان
ما فاه للخصم الألد بجارح ... من كلمة ندّت بلفظ لسان
لكنه متحفظ من جملة ... أمضى بجرح من ثبات لسان

يبدي البشاشة للصديق كأنها ... زهر تفتح في رُبى البستان
منه الفكاهة للصديق مسلياً ... وحديثه كالدر والمرجان
ما فيه من سقط يشين وكلفة ... يجلو جيوش الهم والأحزان
وإذا تحدث عن موحد أمتي ... عبد العزيز مؤسس العمران
وعن الأسود بنيه في أعمالهم ... تلك التي شمخت على كيوان
أدركت فيه محامداً ومناقباً ... تغلو لدى الأفكار والآذان
أوليتنا لمكارم لم يولها ... كرماء عدنان ولا قحطان
ألبستنا ثوباً جميلاً نسجه ... نمشي ونرفل منه بالأردان
حققت جولتنا بأرض طالما ... هفت النفوس لها بكل أوان
الدين زينة سيد في قومه ... إن المجرد منه كالعريان
إن الرئيس إذا علته فضائل ... للدين فهي عليه كالتيجان
وإذا السفير بدين (أحمد) أسفرت ... أعماله سيسير في نجحان
ولأنت في شرع الإله مسدّد ... والعقل منك بغاية الرجحان
رأي برحلتنا بأنك نورها ... وإليك رأيي يا أخا العرفان
(ماليزيا) بلد بها حل الجما ... ل بربعها في الحزن والشطآن
في سهلها وجبالها وتلاعها ... ولدى (بننق) توفر النوعان:
حسن الطبيعة والمناخ تلاقيا ... مع ممطر من مزنها المرنان
وأناسها في ساحها لا صاخب ... أو عابث من مارق خوّان
إنا لنذكر «للشبيلي» فضله ... من ينس ذا فضل فذو كفران
من ينس تمراً في الصباح وقهوة ... من أحسن الأنواع والألوان
الهيل في أرجائها كسفائن ... متماوجاً من شدّة الغليان
فالبن من «يمن» وهذا جاء من ... هند ومن أرض لدى سيلان
كم من نعيم جادنا بوفيره ... متعدد الأشكال والأفنان
ما نحن عند (محمد) إلا كمن ... في روضة يختال وسط جنان

عثمان بن ناصر الصالح
كوالا لامبور ـ ماليزيا
٢٦/٦/١٣٩٨هـ

والقصيدة الثالثة . تاريخها (٢٢/ ٧/ ١٤٠١هـ)، وهي في أربعين مقطعاً خماسياً نختار منها المقاطع الآتية :

تسائلني المكارم والمعالي　　وتبحث من لي الشخص الموالي؟
ومن هو من بدولتنا يغالي؟　　لها درع بحادثة الليالي
فهبت ثم قالت من يكون؟

فقلت لها عظيم من أهيلي　　تدفق للمروءة مثل سيل
أبوه وجده أرباب خيل　　وأسرته تلقب «بالشبيلي»
عليهم في رعايته أمين

إذا ما نابها في الدهر فتق　　فإن محمداً للفتق رتق
وإن ينتبكموا جمر يشق　　له في الهمة الشماء سبق
بنصرك يا عزيزتنا قمين

وإن «أبا سليمان» لشهم　　يزول به من المكروب هم
ولو أن المصاب لديك جم　　فما في ساحه ثلم وظلم
وعزك في منازله مكين

لمنكوب بدنيانا يهش　　ووجه باسم بكمو يبش
وللفضلاء والعلماء عش　　له كالغيث تهتان ورش
إذا ما أجدبت يوماً سنين

وقبل وصوله فاح الأريج　　ولاح من الرياض رؤى بهيج
وأزهار تضوع بها المروج　　وقال لنا رسول الشيخ عوجوا
لشهم فضله دوماً هتون

فحيت منه شهماً ذا بشاشه　　لها أبدى التواضع والهشاشه
وقال هنا مكرمة معاشه　　ستنسى من معاديك الكشاشه
ويضحك منك في هذا الجبين

فقــــــرت عينهـــــا بعـــــد البكـــــاء بـــــروض مـــــزهـــــر ونمير مـــــاء
ولم تسمع ســـــوى ذكـــــر الثنـــــاء وسمار بهم كـل الـــــوفـــــاء
وفي التـــاريخ مصـــدرهم معيـــن

وقـــــد قـــــرت بســـــاحتـــــه بشهم فقـــــد أمنت إســـــاءة أي فـــــدم
كـأن لم تـــــرم مـن لـــــؤم بسهم وزال عـــــن المروءة كـــــل وهـــــم
وعـــــزت بعـــــد أن كـــــادت تهون

ألم تعلـم فتـــــاة القـــــوم علماً يقين الحق لا ظنـــــاً ووهماً
بـأن الشهـم حيـث مشـى وأمـــــا فـإن الجدب قـــــد أعطـــــاه سلما
وأن الخصـب للكـــــرمـــــا خـــــديـن

لأن الله أولاه اليقينـــــا وأضحـى بـــــارزاً في العـــــالمينـــــا
وأكـــــرمـــــه بـــــذا دنيـــــاً ودينـــــاً ولله العظيـم غـــــدا مـــــدينـــــا
وحبـل الله في يـــــده مكيـــــن

فتـأتي فـــــاسمعـي ولـــــه أذيعي يـــــد الكـــــرمـــــاء تـــــورق كـــــالـــــربيع
وتثمـــــر كـل عـــــز للجميع ويبقـــــى في ذرى مجد رفيـــــع
وكـل من تـــــواضعـــــه مـــــديـــــن

ويعـــــرف ذا جميع النـــــاس طـــــراً لـــــه الحكـــــام والتـــــاريخ أطـــــرى
وأصبـح في الممالـــــك مسبطـــــراً وكـلٌ نـــــال منـــــه نـــــدىً وقطـــــرا
وفي بلـــــدي هـــــو العقـــــد الثمين

أرومتـــــه ومنبتـــــه «عنيـــــزة» لقـــــد نـــــالت بـــــه شرفـــــاً وقفـــــزه
ذكـــــرت خصـــــالـــــه ونشرت فـــــوزه ولـن أحصي مـــــآثـــــره وعـــــزه
وزان خـــــلالـــــه عقـل رزيـــــن

أشرت إلى المعـــــالي والكـــــرامـــــة ومن هـي فـــــوقـــــه كـــــالتـــــاج هـــــامـــــه
بـــــودي لـــــو أنظّـم (شـــــاه نـــــامـــــه) عقـــــوداً محكماً فيهـــــا نظـــــامـــــه
ولسـت بقـــــادر فـــــأنـــــا الحزيـن

ومـــا أنـــا ثـــاقب في الشعـــر دراً فـأمشي فيـــه لـــو حـــاولت شبرا

فـأوسعني، فـــديتك، فيـــه عـــذرا أمـــدني البنين بـــه فشكـــرا

ودلـــوي ملـــؤه مـــاء وطيـــن

عثمان بن ناصر الصالح
كوالا لامبور ـ ماليزيا
٢٢/ ٧/ ١٤٠١هـ

وأما الرابعة. فقد نظمها الشيخ صالح العبد الله الشبيلي ـ والد المؤلف ـ على أثر زيارته للشيخ محمد ببغداد في شوال ١٣٩٠ هـ، وهي تربو على خمسين بيتاً.

وكان لكل منهما موقع خاص في قلب الآخر، لقربهما وتجاور سكنهما في عنيزة، وقد ترافقا في عدة سفرات.

ولأن الشيخ صالح ـ يرحمه الله ـ كان قد أحس بقرب الفراق، إذ توفي بعد هذه الزيارة بأقل من عامين، فقد حرّر مقدمة لهذه القصيدة قال فيها:

الحمد لله، بعد أن فرغت من العمرة في رمضان وأوائل شوال سنة ١٣٩٠ هـ، وبعد أن توالت عليّ دعوات ابن عمي: الابن الكبير أبو سليمان، فقد وجبت علي الإجابة مما وقر في نفسي من الشوق لزيارته بعد طول المدة، وخشية من البعد بيننا، وخوفاً من ألا تُدرك الزيارة بما يحول أو يمنع من المعوقات، فقد انتهزت الفرصة، ورأيت منه ما لم أتوقع أضعافًا مضاعفة، ومن التكريم ما أدهشني، وأنا بعيد عن الأولاد والأحفاد، وما فيهم، مما أصاب أحدهم، من الحاجة إلى العلاج خارج الوطن، وقد كنت تركت تعاطي الأشعار، ولو أنها لم تكن لي خلقاً، ولكنها ـ أي الأشعار ـ تحدث معي إذا كان لها سبب من حزن أو إحسان غامر أو فراق حبيب، لذلك يتكوّن لدى الإنسان ما يدعو إلى أداء بعض الواجب، للإطناب بما طرقه من فضل، فيحب سبك الشعر نظمًا حسب المقدرة، لذلك قلت ما قلت، وبالصدفة زرت معه الشيخ يوسف الفوزان، وأنست بمقابلات جرت بيننا، وكما قيل في الحديث القدسي: لا يشقى بهم جليسهم.

(وقـــد يجمع الله الشتيتين بعـــدما يظنـــان كل الظن أن لا تـــلاقيـــا)

فـإن كـــان في أرض القصيم فحبّـــذا وإن كـــان في غيرٍ فما ذاك كـــافيـــا

نسأل الله له الشفاء العاجل ، لأنه لـم يكن يخلو مـن أثر ارتفاع في ضغط الدم ، ونرجو الله أن يبعد الأذى عن الجميع ويكشف الضر عنـه ويختم للجميع بخاتمة السعادة :



مع صالح العبد الله الشبيلي في بغداد (شوال ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) وبجواره فريد عقاد مدير الخطوط السعودية في بغداد .

بـــــآخــــــر شــــــوال أتتني رســـــــائل ... فـأشعـل مـــــــا في القلـب وهـــــــو جهير

فـأرّقنـي داع دعـــــــــاني لوصلـــــــــه ... شقيـق بـأرض الــــــــرافـــــــدين سفير

وأرهقني خـــــوفــــــاً بـأن لا تـــــلاقيـــــا ... بـأن كــــــان لـــــلأفغــــــان كــــــاد يسير

فمـن كـــــان بـــــالأفغــــــان شـط مـــــزاره ... على ســــــاكن الفيحـــــــاء (١) وهـــــو فقير

وخفت صروف الحق بـــــــالحول بيننـــــــا ... وقـــــد كـــــانـت الـــــدنيـــــا بـــــذاك تشير

فسرت إلى بغـــــــــداد بـــــــــالجو زائراً ... لأزكـى سفير بـــــــالعــــــراق وزيـــــــر (٢)

وجـــــدت لطيفـــــــاً بـــــــالسفـــــارة قـــائماً ... بكـلٍّ وأعمال السفير يـــــــــــديـــــــــر

فينصر مظلـــــومـــــاً ويطعـم جـــــائعــــاً ... سميـع لأوضــــــــاع الشــــــؤون بصير

صغيرٌ إذا بـــــــالضيـف ينـــــزل عنـــــده ... وعنــــــــد ملمات الأمـــــــور كبير

كـأن أبـــــانـــــا نـــــوح أنفـــــذ عهـــــده ... إليــــــه لمن في النـــــائبـــــات قصير

تـأهـل أخـــــلاق الكـــــرام سجيـــــة ... تعلّم بـــــذل الجهـــــد وهـــــو صغير

سرى بـــــالعـــــلا جـــــريًـــــا على طُــرْق أهلـــــه ... فـأصبـح في طُـــــــرْق الكـــــرام يطير

حنيفـــــاً سعـــــوديـــــاً على منهج العـــــلا ... على مـــــذهب الـــــوهـــــاب جـــــد سهير

فقـــــد جيء مـن غـــــرس النـــــواة بثمـــــرة ... وبـــــالغيث يـأتي لـــــؤلـــــؤ وغـــــديـــــر

فـألفيت في أكنـــــافـــــه بحفـــــاوة ... أقمتُ كمـن بـــــالقـــــافـــــلات أمير

وأُنسيتُ أهلي بـــــالقصيم وبـــــالحسـا ... وأنسيتُ ذا جـــــرح عليـــــه خطير

فعشنـــــا بـأيـــــام كـأنّ مرورهـــــا ... علينـــــا نعيـم والـــــزمـــــان منير

فـألقيت أوزاري وقـــــرّ بي النـــــوى ... ومـــــا راعني إلا الهتـــــاف شريـــــر

هلـم إلى أرض المطـــــار عشيـــــةً ... فـــــواعجبي كيـف الفـــــراق يثير

وغـــــادرت مَنْ بـــــالـــــرافـــــدين مقامـــــه ... وأضحـى فـــــرات الما عليّ كـــــديـــــر

وأصبح شمـلُ بيننـــــا متبـــــدداً ... وألفيت عنـــــد الآخـــــرين سمير

فما فـــــرحي يـــــوم اللقـــــاء بمنجـــــد ... إذا كـــــان لي يـــــوم الفـــــراق مـــــريـــــر

(١) الفيحـاء: عنيزة. وهو هنا يشير إلى أن الشيخ محمد نقل من العراق إلى أفغانستان.
(٢) يشير إلى تعيينه وزيراً في مطلع الثمانينات.

فشلّت يــد خطت بــه مــا يســؤوه ... وواشيــه أمسى بــالعظــام كسير

لحى الله مــن يلحي على البر أهلــه ... ومن هــو في فضل الكــرام غــديــر

فعفــوًا وشكــرًا يــا ابن عمي ومظهــري ... لســاني وقلبي بــالثنــاء يشير

فما الشكــر إلا بــاللســان وبــالحشــا ... وقــد بــاح مني بــالــدعــاء ضمير

ومــا كنتُ في بــذل القــوافي مكــافئــاً ... كما كــان يبتــاع القصيــد جــريــر

ومــا كــان عنــدي للــديــون مقــابلٌ ... ســوى لهجتي بــالشكــر وهــو جــديــر

وإني مــن المولى بخير وغبطــة ... ومــا لنعيم كنت فيــه نظير

فــأَشْكُــرُ من بــالحاصــلات أمــدني ... وأحمد من بــالكــائنــات خبير

فيــارب يسر لي عن الــذنب تــوبــة ... فقــد عشت في جمع الــذنــوب كثير

وقــد شــاب مني مفــرقي وعــوارضي ... ومــا ثم لي إلا القبــور مصير

وبعــد القبــور البعث والحشر والجزا ... وجسر عليــه العــالمين تسير

ومــازلت أرجــو من أخــاف عقــابــه ... ودمعي على مــا قــد جنيت قطير

رجــائي من الــرحمن جــاء مبشراً ... وخــوفي من الجبــار كــان نــذيــر

بــأزكى صــلاة أختم القــول معلنــاً ... على مــن أتــى للمــؤمنين بشير

فيــا قــارئاً نظمي علي تــرحموا ... علي فــإني للــدعــاء فقير

وأما القصيدة الخامسة . فقد عثرت ، بين ملفات الشيخ محمد وأوراقه ، على خطاب وجهه أحد الشعراء ـ العراقيين في الغالب ـ إلى جلالة الملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ ، ولم أتمكن بعد من معرفة اسم صاحبه الذي أرفق مع تلك الرسالة قصيدة طويلة ، يثني فيها على المملكة العربية السعودية ومؤسسها وقادتها ، كما يأتي على ذكر الشيخ محمد فيها .

ومن المعتقد أن تاريخ الرسالة والقصيدة في حدود عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) أي عندما كان الشيخ محمد سفيراً في بغداد :

ينسل الأكرمون نسلاً كريماً ... والخسيس اللئيم نسلاً لئيماً

والمربي للطفل أرض وماء ... ينشأ الطفل طيّباً أو ذميماً

والأراضي الخراب تنبت شوكاً ... والبساتين نرجساً وكروماً

ولكم أنبت الزمان رجالاً ... صعدوا الشمس واستقلّوا النجوما

أنت منهم، أبا سليمان، فرد ... بل لقد فقتهم ندىً وعلوما

لا تلمني على امتداحي فهذا ... جُل ما قد أهديه خلّاً حميما

لا تلمني فالشعر عكس اختياري ... ولذا جاء صادقاً وسليما

لا تلمني فأنت أكبر قدرًا ... من مديح وأنت أزكى أروما

كنت جددت مربداً وعكاظاً ... وتقمصت تغلباً وتميما

لا تلمني فإنّ شعري شعوري ... إن كتمتُ الشعور كنتَ الملوما

لست من يستفيد بالشعر جاهاً ... لا ولا من يبغي الثناء الجميما

أنا مهما أنظم بوصفك شعراً ... لست بالموف حقك المعلوما

طبت أصلاً وطبت أرضاً وماءً ... وبتاج الكمال صرت عظيما

صاغك الله فاعتنى وتأنّى ... خلقاً سامياً وقلباً رحوما

كان بدر السماء يلهمنا الشعر ويذكي بنا الهوى والهموما

لم يزل بدرنا كما كان بدرًا ... لم يزده مديحنا سنتيما

غير أني بخاطري ذكريات ... ألهمتني المنثور والمنظوما

ذكريات يطرقن شاشة فكري ... فأرى شخصك الحبيب الكريما

في صباحي وفي ضحى ومساء ... في الليالي وفي الرؤى مستديما

ثم يبديه بعد جور الليالي ... ذا جمال بشكله أو دميما

ورقيق الشعر ينطبع العمر شريطاً بذهنه مكتوما

صاح دعني أبصر شريطاً جميلاً ... من حياتي رأيت فيه النعيما

بين شوس الرجال من أهل نجد ... حيث ألقى الندى وألقى الحلوما

وأرى فيهم الشهامة طبعاً ... وأرى فيهم الرجولة سيما
وبه من سعادتي لقطات ... حينما كنت في حماك مقيما
يا أخي يا أبا سليمان إني ... لك أشكو مصائباً وهموما
من زمان قضى علي ببعد ... عن بلاد نشأت فيها كريما
فتغربت أضرب الأرض سعياً ... أقطع البيد والرّبى والحزوما
ما اشتياقي لأرض بغداد إلا ... كي أرى شخصك الحبيب الحميما
أذكر الليل والندى والمحيّا ... منك يجلو كآبة ووجوما
لست أنسى ليالي الصوم في البهـ ... ـو وعطر البخور فيه شميما
ورجالاً يضم مجلسك الر ... حب كراماً لم ألق فيهم ذميما
لست أنسى أبا سليمان وجهاً ... بسموّ الأخلاق كان وسيما
لست أنسى حديثه الشيّق الحلـ ... ـو عن القوم حاضراً وقديما
لست أنساه والضيوف وفود ... سلكوا الجوّ نحوه وسليما
إنه قائم يحيي ويقري ... ويراعي صغيرهم والعظيما
وبعينيه مقلتان تدوران ... برفق في الزائرين عموما
كان هذا في الذهن ليلاً أراه ... مشعلاً ما بين الضلوع جحيما
وأنا أشتكي جفاء الليالي ... نائياً أجرع الأسى والهموما
يا أخي يا أبا سليمان هذا ... قدرٌ شاء أن أرى المحتوما
عفت بغداد مكرهاً لا اختياراً ... أتوخى في البعد عيشاً كريما
غير أن السبيل شدّ بوجهي ... وأبى الاعوجاج أن يستقيما
هذه قسمتي وهذا نصيبي ... أتراني أخالف المقسوما
أنت ما دمت لي أخاً ونصيراً ... لا أبالي ولو كرعت الحميما
فأنا فيك بين قومي أباهي ... وأباهي ببدر الدجى والنجوما
جئت أسعى من الكويت لبغداد ... لألقى فيها أخاً لي كريما
أيّها الرائح المجد لبغداد ... تمهّل وحيّ فيها عظيما

حيّ فيها أبا سليمان قرماً ... حيّ فيه نجداً وحيّ القصيما

حيّ فيه تواضعاً واتّزاناً ... حيّ فيه طبعاً رقيقاً صميما

حيّ فيه وجهاً لوجه مليك ... حينما اختاره سفيراً حكيما

حيّ فيه الندى الأصيل بنجد ... حيّ فيه عقولها والحلوما

حيّ فيه آل السعود وشعباً ... عربيّاً بالدين بزّ الخصوما

مستقراً ما فرقته مباد ... لا ولم تنفث دماً وسموما

خصّه الله بالحجى وهداه ... من سبيليه مسلكاً مستقيما

فرأى حوله الصراع عنيفاً ... يجرف الحاكمين والمحكوما

ورأى حوله الشعوب من الفقـ ... ـر تلوك الثرى وترعى الهشيما

وهو في منعة وعيش رغيد ... قد حباه الرحمن خيراً عميما

تحت ظلّ من عهد فيصل ضاف ... ملأ البيد عدله والحزوما

حام كالصقر في البلاد فأقصى ... عن رباها غربانها والبوما

بسلاح من اليقين متين ... وبنهج القرآن ساس التخوما

درس العلم عن جهابذة العلم بعبد ... العزيز كانوا جسوما

درس العلم بالفراسة والعقل صبيّـ ... ـا فجاوز «الدبلوما»

لست والله بالمبالغ في القول ... فشمس النهار تخفي النجوما

وعبير الزهور نمّ عن الروض ... فأضحى بالقوم عقداً نظيما

طالما استهوت الرياض رجالاً ... واستطابوا تنهاتها وخريما

نصبوا حولها الخيام زماناً ... فأعزّوا وديانها والحزوما

من حديث في الدين والشعر حلو ... لا ترى فيه من يقول نميما

وترى مجلساً يضم أديباً ... وفقيهاً وشاعراً معلوما

وترى سيد البلاد فقيهاً ... بأحاديثهم ملمّاً عليما

وهو بين الحديث والصيد يقضي ... شأن ملك له ترامى تخوما

بين فيض من الرسائل تلقى ... ملكاً أروعاً حكيماً زعيما

فإذا زرتهم رأيت خياماً … وصقوراً ومسجداً موسوما

ووفود الضيوف فوق المطايا … وغناء الحداة عذباً رخيما

وتراهم بعد العشاء جموعاً … تسمع الأذن للحديث نئيما

ودويّاً للمركبات مثيراً … فوق تلك الحصباء يحكي الهزيما

وترى في الظلام ألسنة النور … تشقّ الدّجى وتعلو الغيوما

وقبيل الأصيل يفترش القوم أمـ … ـام الخيام رملاً قصيماا

حلقات حول المليك حسان … تشبه البدر ساطعاً والنجوما

يتولّى كشربة الماء أمراً … وهو يقضي منه العظيم الجسيما

عبقري حباه ربّي جناناً … وذكاءً ومنهجاً مستقيما

ثمّ ينفضّ مجلس لصلاة … داعياً ربّه الغفور الرحيما

ثم يمضي بعد الغروب مجدّاً … ناشقاً من عرف الزّهور نسيما

حيث قد لاح من بعيد قطيع … كان يرعى الأعشاب والقيصوما

ليس يدري أن الظّبا مرهفات … وبأنّ القدور تبغي لحوما

وبأن المليك ملأ الأرض … خياماً قد نظمت تنظيما

وبأن الضيوف قد ملأوها … موسم ضمّ أمّةً وزعيما

ضمّ عبد العزيز شعباً وملكاً … ضمّ نجداً وحائلاً والحطيما

وجناحي شبه الجزيرة فيه … ومن القلب عارضاً والقصيما

يالحيْ الله دهرنا كيف آضت … بعده هاتيك الربوع رسوما

وذوىٰ بعده العرار بنجد … بعد أن كان في يديه شميما

فعلى ذكره الزّكيّ سلام … قدر ما أمطر الغمام أديما

القصائد النبطية (العامية)

الأستاذ محمد إبراهيم السلمان، هو شقيق حرم الشيخ محمد (خال ابنه سليمان)، وقريبه من جهة والدته، التي سبقت الإشارة إليها في الفصل الثاني، ويُعَدّ من أبرز شعراء الشعر العامي ورواته في عنيزة وله ديوان مطبوع، كتب في الأقل ثلاث قصائد عن الشيخ محمد: الأولى كانت قصيدة قديمة غير منشورة، أما الثانية والثالثة فكانتا رثاءً فيه وهما منشورتان.

- تقول الأولى، (ويلاحظ أنه يناديه «يا خال» نظراً لصلته به من جهة والدته):

يا خال عن مكنون ما بالضمائر	أعطيك بالأمثال نظم ومنثور
والله لو أملك طول كيلو عما ير	مع ما يعادلهن من النقد مدخور
إني فلا عن جود فضلك مخاير	ما دمت لي فالباس عني بعاثور
هذا هو الواقع بلا شك صاير	والليل يجلي ظلمته واضح النور
متى على الله نجتمع فيك زاير	نحظى بشوفك يصبح القلب مسرور

- وأما الثانية، فهي بعنوان (رعاك الذي): أدرجتها هنا مع مقدمتها، كما نشرتا في جريدة الجزيرة:

أبا سليمان.. غفر الله لك وأسكنك فسيح جناته.

دعوات صادقة تلتوي على ملامح الحرف ومحيا الكلمة.. سمعتها على كل لسان بعد انتقالك لدار الآخرة.

دعوة خالصة لوجه الله، رددها من عرفك عن كثب وحروفها تتعثر في نهنهة الدموع.

مشاعر أحباب سمعوا عن مكارمك ومواقفك ووطنيتك وأحبوك في كل حال.

أبا سليمان لموتك معنى آخر.

لأنك واحد من الرجال الذين تفانوا في خدمة الدين والمليك والوطن.

وفي مثل هذه الضائقة لا نملك إلا التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لك، غفر الله لك.

وبعد.. هذه القصيدة كتبها الشاعر محمد إبراهيم السلمان يشكر فيها أبوة قائد مسيرتنا خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة:

بسم الله أبدا قبل ما دار بالبالي ... ثم السلام وبعد فيما يورالي

سلام مرهون على حَزة الطلب ... طوع يجي منقاد بالعاهل الغالي

واجب ولي من دفع الأسباب ما حدا ... شعوري سبب يا سيدي ما تهيالي

اللي دهاني وأشغل البال ما حصل ... بآخر صفر من عامنا الحاضر الحالي

مالم في منهو عزيز يعزكم ... للعايلة له بخاطره منزالي

أبو سليمان الشبيلي سفيركم ... وأنتم به أعلم قبل الأول مع التالي

فلا شك محسوبك على ما ما بغايته ... يعطيك مضمون الحقيقة بالأمثالي

عن اللي سمع بالعين شافه وشاهده ... بالفعل يا مولاي من دون الأقوال

عندي خبر من حال ما وصلك الخبر ... أمرت من نفذ على الفور بالحالي

بإحضار طيارة بكامل جهازها ... أطبا وما يلزم على المستوى العالي

سارت على خير وسلامة بفالها ... على يمة المشرق قصاد ولا عالي

وصلت وحطت وستشانو بشانهم ... كل بما يختص باشر للأعمالي

يوم استراحت بعد فحصه قلوبهم ... عادو ومعهم من عنوله بزرفالي

مع ذا شمل عطفك ولطفك ورعايته ... وقفك وإشرافك بعينك على خالي

رعاك الذي عينه إلى نامو الملا ... عينه على خلقه رقيب ومتعالي

ولي العهد نايبك الأول مهمته ... لها وزنها من دون توهيم وشكالي

ريّس ويحفظ للحمايل مقامها ... وهم حزة اللازم على أمره على الغالي

والنائب الثاني على البر والبحر ... أيضاً وله بالجو مظهر ومدخالي

وزير الدفاع عموم جيشه وما حوى ... ولا فات إلى فتش عنه ربع مثقالي

ونايف وزير الداخلية زمامها ... بيده وتنفيذه عن الشرع ما مالي

والمعضلات بحزم رايه يحلها ... نايف على اسمه نايف فوق ما طالي

وسلمان أبو سلطان كاشف على الفضا ... أمير يعرف بخاطره كل محتالي

له هاجس ياخذ من العين سرها ... عين الصدوق وعين ماكر وختالي

وأحمد لنايف مثل عين يرى بها ... وكيل مفوض غايب عنه وموالي

يصرم عروق المشكلة مع جذوعها ... من شان ما تنمي ولا يرضى الاهمالي

بقوله اللي ما تفوته مناسبة ... إلا ويبدي من شعوره وينجالي

من خاطره ما كان في داخل الحشا ... ثابت مدام الدمع بالعين ما زالي
لاهل الوفا وأنتم مقره ومعدنه ... من راس شيخ للمناعير سربالي
هذي تعاليمه وثرها وسيرته ... منها لكم مع واضح الحظ منوالي
ونا للجميع أرفع لكم وافر الثنا ... بالشكر والتقدير بإخلاص وجلالي
على ما خصيتو بالرعاية وعطفكم ... قريب ذكرت اسمه بتحديد تفصالي
وأنتم مثل روح جسدها يضمها ... الأجداد والأحفاد جمله والأنجالي
والبيت من بابه عموم مكانهم ... بقلبي بلا تفنيد من نجم وهلالي
ونا في رجا علام ما بان واختفى ... يزول باسه والضرر عنه ينزالي

ـ وأما القصيدة الثالثة، فقد كتبها رثاءً فيه أيضاً، وهي بعنوان: حنا عزانا:

قال الذي من مر كاسات الأيامي ... شرب من كدرها شربة الوارد الظامي
شرب شربة من حاير ماه ما جرى ... من حاجز نقعه عليه الكدر زامي
حداه الذي حده على شربة الكدر ... حدان أبحث ما خفى بالصدر كامي
شعور حجبها حاجب الصمت دونها ... ما لجم الهاجس عن الشعر بلجامي
هجرت القوافي والقوافي بحلها ... لها هاتف بارد على قلبي الدامي
مصيب يصيب من المصيبة صوابها ... بلا مرية نسجة من أضغاث الأحلامي
عايشتها مع كل طاري ظروفها ... بالإحساس ومنها تالي الوقت قدامي
ثلاثة أعوام بها صارع المرض ... والرابعة ربعه تمامه بلا توامي
يصارع بها الدنيا حياة نهايته ... مثل غيمة تنجال من ريح الأنسامي
طريح الفراش بحالة يرثى لها ... ترعاه عين اللي إلى نام مانامي
وحيد ولكن أنه عن ألفين جملة ... في هالظروف اللي تبي شدة حزامي
مضى وانقضى من حقه الوارد الذي ... فرض ورفعاً الصحايف والأقلامي
مع أجره من الله ثابت مع ميرته ... محسوب عند اللي بالأسرار علامي

رحل من جبا عدار مصيره إلى الفنا ... ما طاب به راع المثل قال ما دامي
لدار بها ما طاب ومالذ ماهنا ... دار البقا دار الكرامة والإنعامي
إلى جنة يا بو سليمان عرضها ... السبع وللي جدرها تحت الأقدامي
إنك من الباري بفضله تنالها ... بعفوه مع الغفران يشملك بإكرامي
وحنا عزانا فيك من كامل الملا ... الصبر والسلوان بيمان ولهامي
وإن غبت عنا حاضر في قلوبنا ... خيالك ورسمك ثابت نقل مرسامي
مع ما قضيته من حياتك عمومها ... ستين عام خير بذرك بها نامي
مع من عرف فضلك بها مع شهامتك ... أجواد من منسب خوال مع اعمامي
ما قالت الخنسا بصخر فأنا الذي ... أقول أنت للساري دليل إلى هامي
وختام مني صلاة على النبي ... ما رف بالجنحان طير إلى حامي
مع الآل والأصحاب ما قلت مبتدأ ... قال الذي من مر كاسات الأيامي

وشارك الأستاذ إبراهيم المحمد السبيّل بقصيدة يعزّي فيها الوطن، الذي فقد في سنواته الأخيرة عددًا من خيرة رجالاته، ومن بينهم الشيخ محمد، والأستاذ إبراهيم، أحد شعراء عنيزة المجيدين (بالفصحى والعامية)، ومن المهتمين بقضايا العمل الاجتماعي الخيري، عمل في سلك التعليم، ثم تقاعد مبكراً حيث يدير الآن مكتباً خاصاً في مجال المحاسبة القانونية، عنوان القصيدة: لك الله يا مفجوعة في عيالها، (يقصد المملكة):

لك الله يا مفجوعة في عيالها ... لك الله يا دار تربُّو بجالها
غذتهم وربتهم على الطيب والوفاء ... من طيب أهلها طيَّب الله فالها
مشوا في دروب المجد والعز والشرف ... والأوطان بأمر الله بعزّة رجالها
أرى الموت مكتوب علينا ولا لنا ... مطير ولو لِذْنا بشامخ جبالها
أيا ديرتي تقبلي واجب العزاء ... من أقصى البلاد وشرقها مع شمالها
ترى الكل مفجوع عليهم بفقدهم ... وكل تحمل للمصيبة وشالها
منهم رجال الجاه والمال والحسب ... ولا كلّ من رام الطويلة ينالها

ومنهم رجال العلم والشعر والأدب ... وعند المحافل دايم يلتجي لها
وأكبر مصيبتها بصفوة عيالها ... اللي ثقيلات الحمول ارتكالها
معروف بين الناس هو حاتم الصخا ... ريف الجميع إن قلّ وإن كثر مالها
وهو فزعة المضيوم حلال عقدته ... ألا ما حلا الفزعة إلى جا مجالها
وهو فوق ذا رمز الإخلاص للوطن ... وإلى حاشت أمثاله فهو من كمالها
عسى جنة الفردوس يالله مقرهم ... نفوس زكية طيبات فعالها
أعزي بهم نفسي وأنا من عيالهم ... وأعزي بهم دار نشَوْ في ظلالها
واختمه بتاليها بما قلت بأوله ... لك الله يا مفجوعة في عيالها

وكتب الأستاذ سعد محمد العجلان قصيدة رثاء من تسعة أبيات، قال فيها :

مرحوم يا قبلة هل الطيب مرحوم ... ودّعتنا في حفظ ربي شهيدي
لجّت مجالس نجد تدعي لك اليوم ... ومن كل صوب داعٍ لك عديدي
« طيّ » تجدد لك بالسخا حاتم القوم ... لومه على اللي ما يزور وبعيدي
درب طرقته بالسخا عجّز قروم ... وهو طريقه والمسافة بعيدي
شيخ تشيّخ بالكرم ودّع القوم ... عساه في جنات ربي سعيدي

وكتب الشاعر عيد بن ماضر العتيبي قصيدتين، الأولى مؤرخة في (١/ ٤/ ١٣٦٦هـ - ٢٢/ ٢/ ١٩٤٧م) أي عندما كان الشيخ محمد في البصرة :

يالله يا واضع الميزان ... يا معتني بالمساكين
انخاك حيثك عظيم الشان ... عن خندق السيف تغنيني
دايم إلى امرحت به سهران ... والنوم ما تقبله عيني
حيث الشبيلي قديم حسان ... وانخاه ما دام يوحيني

ـ أما القصيدة الثانية ، فيقول فيها :

يـــــــالله يـــــــا والي على كـل والي | يــــا واضع الميـــزان بـــالعـــدل مـــا مـــال
أطلبـك يـــــا منشي صـــــدوق الخيـــــالي | يــــا غـــــافـــــر الـــــزلات يـــــا زين الأعمال
أنخـى ولـــــــد حمد كـــــــريم السبـــــــالي | زيـن الضعيـف اللي بـــــــه الهم يحتـــــــال
أنخـى الشبيلي يـــــوم ضـــــاق احتيـــــالي | حيـث الشبيلي بـــــــالمواجيب رجّـــــــال
أولا ينطـح الشـــــدات كـــــود الـــــرجـــــالي | أولا يقصر الهفـــــــــوات غير طيـب الخال

وقال فيه الأخ سعد النفيعي قصيدتين ، اقتطفت من الأولى الأبيات التالية :

أهـــــدي نصيحـــــة للقلـــــوب الفطينـــــة | لمحمـــــــد اللي فـــــــاهم كـل الأحـــــوال
مـــــا للفتـى إلا مـــــا تقـــــدم يمينـــــه | وبـــــاقي الـــــدنيـــــا تـــــرى مـــــا هيب مـــــال
يقـــــول أبـــــو ممـــــدوح كلمـــــة ثمينـــــة | تفكـــــروا في كلمتـــــه يـــــاهـل الأمثـــــال
يـــــا بـــــو سليمان أنـت راعـي الجميلـــــة | وراعـي الكـــــرم كل شهـــــد لـــــه بها نـــــال

ـ أما القصيدة الثانية ، فقد جاء فيها

يـــــا ليـت إلى سرت في كـل الأوطـــــان | ألقـى الشبيلي سعـــــد مـن هـــــو يـــــروده
سعـــــد الضيـــــوف محمـــــد أبـــــو سليمان | اللي يـــــزيـل الضيـم حضرة وجـــــوده
مـن أهـل الكـــــرم والفعـل ذربين الإيمان | كلـن شهـــــد بـــــالمدح لـــــه وجدوده

وأنشد الشـاعر مخلف صيـاح الشمري قصيدتين فيـه : الأولى يبدو أنه كتبهـا عند تـوديعه من العراق منتقلاً إلى أفغانستان ، قال فيها :

يــــا الله يــــا عــــالم خفــــايــــا الأســــاريــــر | يــــا منشي مــــزن ضحــــوك مطيره
يــــا مشفـي المعلــــول مغني المفــــاقير | يــــا والي الــــدنيــــا عليم السريــــره
على خــــويّ ضــــارب نيــــة الخير | حــــلاّل صعبــــات العقــــد العسيره

يفـــرح اليـــاجـــوه الضيـــوف المســايير
وبلمـــــــــــوزمــــــــــه واضح على الحق مسيره
راعـي الـــوفـــا حسـن النبـــا والتبـــاشير
عفيـف نفـس عـن الأمــــــــــــور الصغيره
عنـــاه في بـــذل النـــدى للمعـــاسير
عنـــــد الشـــدايـــــد للـــرفـــا قـــة ذخيره
يـــا تـــارك بغـــداد مع نيـــة الخير
ذكـــــرك بقـي بـــــالطيب شمعـــــــه منيره
ذكـــرك بقي عنـــد الـــرجـــال المنـــاعير
رجـــاحـــــةٍ بـــــالـــــراي مع حسـن سيره
فضلـك كبير ولا تحيطـك تعـــــــــــــابير
وفي مــــــــــدحكم كـل القــــــــوافي فقيره
وختـــامهـــا مني ســـلام وتقـــديـــر
وشـــــــوق مع الأيـــــــام ينثـــــر عبيره

— أما القصيدة الثانية، فكانت رسالة شكر وتقدير منه :

الأجـــــــودي فعّـــال للجـــــود عــــاده
يمنـــاه في بـــذل النـدى مـــالَـــه احـــدود
تـــاتيـــــه حتى مـن الخصــــوم الشهــــاده
إنـــه مع المعـــروف حـــاضر ومـــوجـــود
يمنـــــــــــــاه تجلب للفقير السعـــــــــــــاده
لا شلفحـت لأوقـــــات والــــزاد مفقـــــود
منهـم أبـــــــــــــو سليمان شهـم الإراده
عنـــــد الشـــــدايـــــد والملمات بـــــه زود
ولـــــد الشبيلي مـن مــــوارث جـــــواده
بلمـــــوزمـــــة عـــد الصنـــاديـــد معـــدود

وكتب فيه الأستاذ ناصر محمد السكران قصيدة، قـال فيها :

المخلـص اللي مـــا مشى يـــوم بـــــالـــردا
ولا يـــوم بـأهل العـــرف قصّر بـــواجبـــه
يعمـل ولا يهمـل وبـــــــــــالطيب طيـب
حبيـب كل النـــاس صـــارت حبـــايبـــه
قلتـــه وأنـــا والله مـــا يـــوم شفتـــه
لكـن ذكـــره صـــار في كـل نـــايبـــه

— وله من قصيدة أخرى قالها رثاءً :

البـــارحـــة من غـــرقـــة النـــوم فـــزّيت
قـــالـــوا : عـــلامـك ؟ قلت : من ضيـق بـــالي
قـــالـــوا وراك قلـت هـــو صح مـــا أوحيت ؟
قـــــالـــــوا نعم عقـب النـــــزول ارتحالي
الله أكبر كـل مــــــــا أصبحـت وأمسيـت
ســـود الليـــالي دَلْبَحَتْ بـــالـــرجـــالي
ظهـــريّـــة الجمعـــة مع النـــاس صلّيت
يـــا كثـــر خلـق الله مـــاني لحالي

من شافني عزّا ومن شفت عزّيت ... ويا الله لا تقطع للأجواد ثالي

ما مات رجّال مع الناس له صيت ... ولا عاش بالدنيا قصير الحبالي

يابا الوفاء وقت الوفا ما ترديت ... واصلت مشوارك بشرق وشمالي

ويابا الكرم وقت الكرم ما ترديت ... بذلت من مالك رخيص وغالي

صلاة ربي عدّ من طاف بالبيت ... على نبي الله أول وتالي

وعلى أثر زيارة لها وأسرتها إلى ماليزيا، قالت والدة عبد العزيز الحمد الجميح قصيدة من عدة أبيات، اخترت منها الآتي :

أول سمعنا المدح واليوم شفناك ... شفناك شوف العين يابن الكرام

ما ولدت أمة واحد من حلاياك ... يفداك من حيّا ورد السلام

أبو حنونٍ يفتخر فيك من جاك ... من جاك من شرق وغرب ومن شام

كريم سبلا دايمٍ من عرفناك ... يا طير حوران تعلّى وحوّام

عسى المولى يا ابو سليمان يجزاك ... أصلك كريم وقاصدك عز ما يضام

وبعث الأستاذ عبد الرحمن إبراهيم الربيعي بطاقة معايدة للشيخ محمد، ضمنها الأبيات الآتية :

سريا قلم واكتب من القيل مفهوم ... ما احلا اندراج فوق صفح السجلّه

إكتب سلام عدّ ما فات من يوم ... أو ما عوى ذيب على مستقله

أحلى من الصحة على كبد محموم ... مستدرك جاه الشفا عقب عله

يابو سليمان احجا كل مضيوم ... شيّال قالاتٍ ارفاع محله

لوما عليك من التعب فوق ملموم ... حاض الجبل وانهار ما به اشكله

لا زلت في حفظ المولي دايم الدوم ... يا فزعة المضيوم لا جاه خلّه

والأستاذ إبراهيم العبد العزيز القنيبط كتب فيه عدة قصائد، عثرت على أربع منها أستعرضها بإيجاز:

— الأولى :

ليت أن الأيـــام تصفي لي وتعطيني | واسلي بها مع ربـــوع لي وخـــلاني
وتعيـــد عصر قضيتـــه مع محبيني | في مـــربع حـــافل بأهلي وحيـــاني
اللي على خـــاطـــري كنّـــه يبـــاريني | دايم على البـــال مـــا كنّـــه تعـــداني
فيـــه التـــواضع وعطفـــه للمســـاكيني | تبـــذل يمينـــه لهم بـــالسر واعـــلاني
هـــو (الشبيلي) على الشـــدات والليني | يلقى كما الشط يجري طـــول الأزمـــاني

— والثانيـة :

حيّـــا الله اللي إلى جـــانـــا فـــرحنـــا بـــه | ألّلي لـــه الماقف العـــالي يعـــرفـــونـــه
فـــرحَت بـــه الـــدار شبـــانـــه وشيـــابـــه | يـــاللي جميع البلـــد وأهلـــه يحبـــونـــه
رجـل تعـــزه رجـــال الحي وجنـــابـــه | تـــاج المراجل والكـــرم كـل يشـــوفـــونـــه
استبشري بـــه يـــا عنيـــزة وحيـــابـــه | يـــاللي كما الغيث كـل النـــاس يـــرجـــونـــه
فيك الفخـــر يـــا عنيـــزة ثبت أطنـــابـــه | من واحـــد من عيـــالـك شيـــد اركـــونـــه
اللي إلى صعبت القـــالـــه هقينـــابـــه | حـل المشـــاكـل إلى عجـــزوا يحلـــونـــه

— والثالثـة :

مـن المشتـــاق للغـــالي تحيـــة | مضمنهـــا التهـــاني بـــالســـلامـــه
ســـلام صـــافي مـن روح صـــافي | الفـــذ زاد عـــزة واحترامـــه
ســـلام قـــايلـــه مـن لـب قلبي | المن أخصـــه ســـلامي في ســـلامـــه
هـــلا يـــا من لـــه الـــدنيـــا فضيـــة | هـــلا بـك مـــرحبـــا وألـف كـــرامـــه
تشيـل الحمـل عـن كـــاهـل قبيلـك | ولـــو أنـــه كبر خشـم اليمامـــه
بـــدا كـــالحبري مـــا يـــوصف لغيره | إلى ســـار بـــالليـل والظلماء علامـــه

ـ والرابعة:

البـــــارحـــــة خير مـن الله رويتـــــه	كنـي على جـــال البحـــر خـــايض مـــاه
بـــرق سرى لم الـــديـــار البخيتـــة	شرق جنـــــوب الجدي عين تحلاه
نبـي (الشبيلي) والمدبّـــــر مشيتـــــه	المهتـــوي مـــا يقصر الـــرجل بخطـــاه
إن كـــان طيّـــرك الـــزمـــان أو نصبتـــه	لقيـت مـــا يبهـج ضميرك وتـــرضـــاه
مـن غير مـــرهـــات على الله رجيتـــه	ممشـــاه خمس وديـــرة الهنـــد ملفـــاه
بـــوسطـــه كتـــاب للي يجيبك طـــويتـــه	هـــذا الكتـــاب وخـــالص العلم يقـــراه

كما وجدت سبع قصـائد، على الأقل، كتبهـا من عنيـزة عبـد الله العلي السنـاني بين عـامي ١٣٧٧هـ و ١٣٨١ هـ أثناء وجود الشيخ محمد في باكستان :

— يقول في الأولى، وعدد أبياتها ستة عشر بيتاً (بدون تاريخ):

هنّيـت يـــالنـــادر بشهـــر الصيـــامـــا	الله يعيـــــده عـــــدة أيـــــام وسنين

— وفي الثانية، وعدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً (بدون تاريخ):

سـلام سـلام يـاللي حـاضر عنـدي ولا غـاب	عن خـاطـري دايم نلهج بـذكـره كـل سـاعـة

— وفي الثالثة، وقد كتبها بمناسبة وصول الشيخ محمد وعدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً (بدون تاريخ):

يـا مـرحبـا والهلا بـالطـارش الغـالي لفـانـا	ببـلادنـا مـن بـلادين بعيـدة ربي أدنـاهـا

— وفي الرابعة، وقد كتبها بتاريخ ٣/ ١٠/ ١٣٧٨هـ بمناسبة عيد الفطر المبارك وأبياتها ثمانية منها :

ســـلام وتحيـــة ومعـــايـــدة لأبـــو سليمان	بعيـد الفطـر جعلـه مـن العـايـديـن الفـايـزينـا

— والخامسة، حررها بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٣٨١ هـ :

العفـــــو للي زارنـــــا ضـــــارب فـجّ	شرّف مـن الخارج وقـــام يـــوحـــون بـــه
ألفـى عنيـــــزة كنـــــه السيـل لنشجّ	على النـــواحـي مـن شمال وجنـــوبـــه
أبـــو سليمان أبلـج الـــوجـــه منهـجّ	وإلى دخـل وإلى خـــرج خـــرجـــوا بـــه

— والسادسة، أرسلها بتاريخ ١/ ١٠/ ١٣٨١ هـ إليه في باكستان، ويبدو أنها كانت رداً على تعزية :

خـط لفى مـن سعـــــد في شهـــــر شـــــوال	عــــام التسع مــــرســـــوم عنــــدي بتهجير
فيــــه تعــــزات لمن عـن الخلق رحـــــال	عـن الفنـــاء لــــدار البقـــاء يـــالمواخير

— أما السابعة، فقد كتبها أيضا بمناسبة العيد وقال فيها :

أعــايـد الفــاضل المحبــوب حيثـه من مـوده	مــــودة مـــا تغير محلــــه داخل أحشـــــاه
عيـــد عسى الله يعيــــده عليـــه سنين مـــده	بطـول العمــر والبقـاء والعـافيـة مـا شـاف مـا ذاه
أبــــو سليمان تقبل دعــــوة لـــــه مـــا تـــرده	حيثــــه من صميـم القلب مصخيــــة لملاقـــاه
عــلا مـن الهنـد مثل الغيـث وامطـر فــوق خـده	فــوق الــوطن على منهـل تــرتــوي خضر مـرعـاه
وختـــامــــه للمسك والعنبر خلطتـــه في مشـــده	يفـــوح ريحه إلى فل الـــورق بـــالكف يقــرأه

وكتب إليه علي بن محمد بن طريخم رسالة ضمنها الأبيات التالية :

ســــــلام يـــــا ربـع تمادى على الطيـب	أهـل الكــــرم والمرجلــــة والشجـــاعــــه
أهـل الفخــــــر والجود عنــــــد المواجيب	معـــــروفهـم عنـــــد الملا كـل ســـــاعـــــه
راعـي جميل بـــــالعــــرب والأجــــانيب	وإن حلت الهيجـــــاء فهـــو من سبـــاعـــــه
هـــو عمــــدة السلطـــان إلى صـــار تصعيب	نفـــوز بــــه ونــــرتفـع بـــارتفـــاعــــه
وإلى جـــــالــــــه العــــاني تهلهل بترحيب	يفـــــرح إلى شـــاف العــرب والجماعــــه
هـــو معــــدن الشيمـــة قـــوي المضــــاريب	وهـــو الـــذي بالمرجلـــة قــد بـــاعــــه

والأستاذ محمد الصالح السلمان (ابن أخي زوجة الشيخ محمد) قال فيه قصيدة عنوانها : رسالة إلى الأحبه :

يـــا راكب اللي تــو طبلــونـــة صفـــار	« فـــورد » جــديـــد مـن بلـــد « مكنمارا »
وابتـل بفـــالـك يـمّ زيـــزوم الأخيـــار	اللي بطيـب مـــروتـــه مـــا يبـــارا
مـــا حسّب أمــــوالــــه بفلس ودينـــار	ويعــــــدّ جمع المال نـــــار وعـــارا
يفخـــــر ببــــذل المال بـــالماقـف الحار	ونفخـــــر بفعـل الطيبين افتخـــــارا

وبتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٣٧٠ هـ (١٨/ ٩/ ١٩٥١م) ، بعث إليه عبد العزيز عبد الله النعيم بتحية شعرية من ستة عشر بيتاً ، يقول في بعضها :

قال الذي في بدع الأمثال بيطار ... عبد العزيز اللي فهم كل شارا

وخلاف ذا « ونيت » ما يدني الدار ... دوجٍ وسواقه حلف ما يبارا

يقوم من عندي كما طاير طار ... بغضاية العينين يقطع ديارا

إلى مشي له ساعه حكم بعيار ... في بندر البصرة لعله عمارا

تلفى على اللي يستر الضيف والجار ... راع الكرم والجود ابن الخيارا

سلِّم عليه أعداد ما هلت أمطار ... أو عد ما ناح الحمام وطارا

كما رثاه الشاعر علي البراهيم القري بتسعة أبيات أيضاً ، نختار منها :

كلٍّ يقدم بالفقيد تعزاته ... ويطري مزاياه الكثيره بنوبه

الطيِّب يجي منه على حلاته ... يقوم بالماجوب قبل وجوبه

سمح ويدخله مع أربع جهاته ... مكارم فيها إسلام وعروبه

والنفس يضرب بالمثل مع رواته ... فيها نجاح الآدمي أو رسوبه

أمضى بخدمة ها لحكومة حياته ... بإخلاص وحب وباعتزاز عجوبه

يا الله أنا طالبك تكتب نجاته ... وتمحي برحمتك الوسيعة ذنوبه

وكتب فيه عبد الله المنصور المرزوقي قصيدتين ، يقول في إحداهما :

سلام مني يا حبيب الشعوبي ... يا نايف في سلكنا الدبلوماسي

وشلون حالك يا سهيل الجنوبي ... يا مفخرة شعبي وصحبي وناسي

منك أفتخر وأعتز في لبس ثوبي ... لو كنت بالمريخ علّيت راسي

أنت الوفي تعرف جميع الدروبي ... ما أنت من اللي يحبون الكراسي

وكتب الشاعر عبد الله بن سليمان بن حسن من عنيزة قصيدة طريفة، (ولم نجد تاريخها) تقول :

قال الذي ذا له عن الرد عامين ... ملهيه عن سبك المعاني ازويان

ذالي ثلاث سنين والوقت واطين ... آطأه يوم وباق الأيام ياطان

أشكي عليك الحال من ماقف شين ... أشكي عليك الحال يابو سليمان

زبنت عند اللي جميله يغطّين ... عرق الندى وافي الخصايل كحيلان

ودّوا كتابي لا تونّون عجلين ... الشوف قلّ وراعي الدين جلّان

ودّي تسبب لي بشي يمشّين ... وظيفةٍ تغنين عن كل منّان

وهناك قصيدة من أحد عشر بيتاً ــ لا أعرف قائلها أو تاريخها (وربما تكون قد قيلت بعد مغادرته البصرة) :

عقبك غدينا تقل هملان وادي ... يتلف إلى نشّت مجاريه عامين

يذر ترابه مثل ذر الرمادي ... وإن كان ماجا السيل ما صار به شين

ليتك حضرتن يوم اصوّت وأنادي ... وأقول يا محمد ولا أحد يحاكين

مرّيت مع سوقك وأنا تقل غادي ... ذكرت يوم الباب ما به مصكيّن

وقال عثمان بن ماضي، من الزبير، قصيدة بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٣٧٧هـ ــ ٢٨/ ٢/ ١٩٥٤م من اثنين وعشرين بيتاً جاء فيها :

با الله ياللي كل حي يساله ... يا واحد ماله شريك الحاله

يا من هو المالك على كل مالك ... يا واسع الرحمة عظيم جلاله

من عند من قلبه بالأشعار مغرم ... هو مغرم فيهن وهن رأس ماله

محمد عظيمات المشاكل يحلها ... إلى ولدّت شوم الليالي هواله

محمد إلى صارت على الجار نكبات ... يظفي على جاره مكارم ظلاله

هو مقطع العنبر وهو معدن الوفا ... ومنين ما تسميه بيض خصاله

وعثرت على قصيدة زجلية طويلة في حدود سبعين بيتاً، ربما تكون من نظم الشاعر علي الصفراني، وقد كتبت والشيخ محمد سفير في بغداد :

البارحة بالحجول   شفت الهنا والقبول
جتني عروس تقول   قم يا علي لا تنام
قلت ابشري وش تبين   وش مطلبك علمين
وأنا لعلمك أمين   قالت عروس الغرام
أنا عروس الجمال   فيّ البها والكمال
وأنت على كل حال   من الرجال الحشام

— وبعد أن يعدّد عليها عدداً من الرجال ويصفهم لها ترفضهم واحداً واحداً ثم يقول :

إن كان قلبي ذهين   عرفت أنا من تبين
قد قالوا الأولين   عليك براس السنام
عرفت غاية مناك   إن كان ربي هداك
فيه السفير إن بغاك   اللي عطوه الوسام
ضحكت وقالت هواي   هذاك غاية مناي
إن كان وافق معاي   تم الفرح بالختام
ابن الشبيلي يجود   نسل الأسد من أسود
اركض وجيب الشهود   للشيخ عجل قوام

وكان الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل، قد كتب فيه أربع قصائد، تعكس علاقتهما الحميمة، وقربهما صداقة ومحبة ورحماً، وذلك على النحو التالي :

— الأولى : كتبها في غرة محرم ١٤٠٠هـ (٢٠/ ٩/ ٩٧٩م) وكانت قصيدة طويلة، بمناسبة زيارته لماليزيا ونقتطف منها الأبيات التالية :

بـــاسم الله أبـــدأ بـــالـــذكـــر والمعـــاني ... الـــــواحـــــد المتعلي الفـــــرد الصمـــــد
حيثـــــه على خلقـــــه عظيـم الشـــــاني ... مـــالـــه مثيـل ولا تشبّـــه لـــه أحـــد
وأعطى (الشبيلي) الكـــــريم السنـــــافي ... كـل الخصـــال الـــوافيـــة في محمـــد
يجيـــــه للحـــــاجـــــة قصي وداني ... يقضي حـــــوايجهـم بهون وتـــــركـــد
وإذا استشرتـــــه يفتكـــــر بـــالمعـــاني ... عميـق فكـــــره بـــالمراجـل يســـدد
الله يـــــونـس وحشتـــــه بـــــالحلالي ... مع عنـــدل تـــرضيـــه بـــالحب والـــود

— والثانية : قالها يوم وفاتـه :

مـــرحـــوم يـــا شيخ دفنـــاه بـــالعـــود ... المقبرة غصّت بيـــــوم دفنّـــــاه
كـلٍّ يصيح بين شـــاهـــد ومشهـــود ... صبرٍ لحكـم الله قدرنـــا ونـــرضـــاه
ألفـي أخـــوي من خـــوالي هـل الجود ... أنعـم بهم وآطيـب عرقـــه ومنشـــاه
هلّيـت دمع حـــرّق الـــوجـن وخـــدود ... أخـــوٍ صـــديق العمـــر مـــا والله أنســـاه
عـــــزاي لسليمان والصبر محدود ... وإخـــوانـــه اللي بـــالمصيبـــة وبلـــواه
مصيبتـي معكـم على الهون والكـــــود ... والله مـــا ظن أبـــا أنســـاه وأســـلاه
هـــــو الكـــــريم ومنبـع الخير والجود ... يسراه مـــا تـــدري مـــا تبـــديـــه يمنـــاه
يعطي العطـــايـــا مـــا يـــرجى لـــه أردود ... ولا يـــــداري غير ربـــــه ويخشـــــاه

— والثالثة : قالها بعد أيام من وفاته، ونختار منها الأبيات التالية :

أمس الضحى قمت أتـــذكـــر مـــا جـــرى ... مـــع (الشبيلي) والنـــــاس الطيبين
محمـــد بـــالمجـــالس يـــذكـــرا ... تشهـــد لـــه أفعـــالـــه وحنـــا شـــاهـــدين
أذكـــر لـــه أفعـــالـــه والـــدمع مني جـــرى ... والأمـــــر لله معين الصـــــابـــــريـن
هـــاك الجبين والبشـــاشـــة ويـش تـــرى ... وجـــه ضحـــوك والمحبـــة لـك تبين
إذا ذكـــــرت اللي مضى واللي طـــــرى ... بـــالبـــال مـــا ينّسي ولـــو تمضي سنين
مكشـــاتنـــا طلعـــاتنـــا يم الغضى ... صـــــوب الغميس ونفـــــده اللي لـك تبين

— والرابعة والأخيرة : قالها بمناسبة اطلاعه على المسودة الأولى لهذا الكتاب، يوم الجمعة ١٤/ ٥/ ١٤١٤هـ في منزل المؤلف، بحضور الأخ صالح الشملان وسليمان (ابن الشيخ محمد) ومساعد عبد الله المنصور الزامل :

أبدأ كلامي بالذي له سجدنا ... رب العباد وكلنا له خاضعين
في ليلة من ليال العمر اجتمعنا ... عند (الشبيلي) ولد صالح سامعين
أبو طلال اللي لقوله سمعنا ... بسيرة اللي نحبه من سنين
أبو سليمان بمدحه ما كذبنا ... والله وخلقه (للشبيلي) شاهدين
لو حكينا أو قلنا قصرنا ... لو نولف تواريخ ماحنا قادرين
إني ما قلت غير الصدق وإنّا ... نعرف الصدق في فعل يبين
عطاه ربي كل ما يشتهي ويتمنا ... بالثناء والطيب له حق يقين
بر الزبير وطُلعة له تمنا ... يازين هاك الوقت والربع جالسين
تشهد البصرة الفيحا ياما رحنا وجينا ... (خان الشبيلي) والمسيرح وهاك البساتين
مضيف وكريم لمن جاء وتعنا ... بيتهم مفتوح لضيوف وافدين
إن غبت عنا يا محمد ترانا ... لا ينسى فعلك ولاحنا بناسين

أما الشيخ محمد إبراهيم السبيعي، فقد كتب فيه أيضاً عدة قصائد نبطية، الأولى قالها على أثر رحلة إلى الشرق الأقصى زار خلالها صديقه الحميم (أبو سليمان)، وقال فيها :

يالله عسى خير وتساهيل وأفراح ... أنت الرحيم رحمان يا ذا الجلالي
والله ما يرتاح قلبي ولا أرتاح ... إلا بجنب الوالده والعيالي
وبجنب محبوب حبيب ومزاح ... ينسيك همك بالوفا والكمالي
ننصى عريب الأصل للمجد طماح ... حاز المراجل من يمين وشمالي
لله دره للمواجيب نطاح ... وفي كل ميدان يجول اجتوالي
شهم لبيب فاهم ذكي جراح ... محمد المشهور شبل الشبيلي
تكفيه إشارة ما أقدر أطريه يا صاح ... يزعل إلى أطريته ولو جا مجالي



كـل يعــــرفـــه يطـــــرقـــه كـل ســــواح	سفــــــــارتـــــــه دايـم عمار وتــــــــلالي
ونعـم ببـــــــواهـــــــلا يتعب ليرتـــــــاح	ضيفــــــه ولــــو يسهـــــر ليـــالي طـــوالي
صــــلاة ربي عـــــد مــــا بــــارق لاح	على الـــــذي ظلـل عليـــــه الخيـــــالي

— وبعد وفـاته ــ يرحمه الله ــ تمثل الشيخ السبيعي عدة أبيـات ، عبر بها عن شيء مما في خـاطره تجاه الفقيد وصفاته الحميدة، وقد اخترت منها الأبيات الآتية :

مــــرحـــوم يـــا شيخ كــــريم ومــــوهـــوب	مـــــواقفـــــه تنطق وتنظــــر بـــــالأعيـــان
بحــــزم عميـق وبـــالسيـــاســـة لـــــه دروب	يحير بــــه خصمــــه ولـــو كـــان مـــا كـــان
للمملكـــــة يكسب ولا هـــــوب مكســــوب	هــــذا الفخـــر وهـــاذى التجـــارة ونيشـــان
كشفـــــه «مـــدين» ودايـم الـــدوم مطلــــوب	شـــال المحـــــامل مـــا يهمــــه : كحيـــلان
يـــــامــــا لجا لــــه مــــريـض ومنكــــوب	داواه وأعطـــــــــــا لـــــــــــه بسر وكتمان
الموت حـق ولا حـــــد عنـــــه محجـــــوب	ومـن لا رضـى آثـم وجـــــاهـل وغلطـــــان
يـــــا الله يـــــا قـــــادر ويـــــا خير مطلـــــوب	عســـاه بـــالفـــردوس خـــالـــد وفـــرحـــان





تقریب افتتاح
مرکزی دار العلوم بنارس



الفصل الثامن

أبو سليمان : بالصور الملونة والوثائق

هذه مجموعة مختارة من الوثائق ومن الصور الملوَّنة، التي التقطت له في السنوات العشرين الأخيرة من حياته تقريبا، حيث شاع استخدام التصوير بالألوان، ولهذا، فإن معظمها قد صوّر في ماليزيا .

وتتضمن هذه المجموعة صور الأوسمة التي منحت له، وصوراً لمناسبات تقديمها، كما تشتمل على عدة صور للمناسبات الرياضية والشبابية، التي عقدت في ماليزيا في مطلع العقد الماضي .

ولعل الصورة التي ظهر فيها مع الأستاذ علي الشاعر في باكستان، (ص٤٥٣)، تعد أقدم صورة ملونة في هذه المجموعة، إذ التقطت في نحو عام ١٣٨٠هـ عندما كانا هناك معاً.

كما يتضمن هذا الفصل، أحدث صورة تضمنها هذا الكتاب وهي الصورة الوحيدة ـ وربما الفريدة ـ التي التقطت له أثناء مرضه الأخير، وقد أخذت له وهو يستقبل عددًا من زواره من أصدقائه في ألمانيا، (أسفل الصفحة).

إذن، فما يجمع بين هذه الصور، كونها بالألوان، بالدرجة الأولى، ثم كونها الأحدث نسبياً، وأن معظمها التقط في ماليزيا ـ آخر بلدٍ عمل فيه سفيرًا ولمدة عشر سنوات تقريبا.

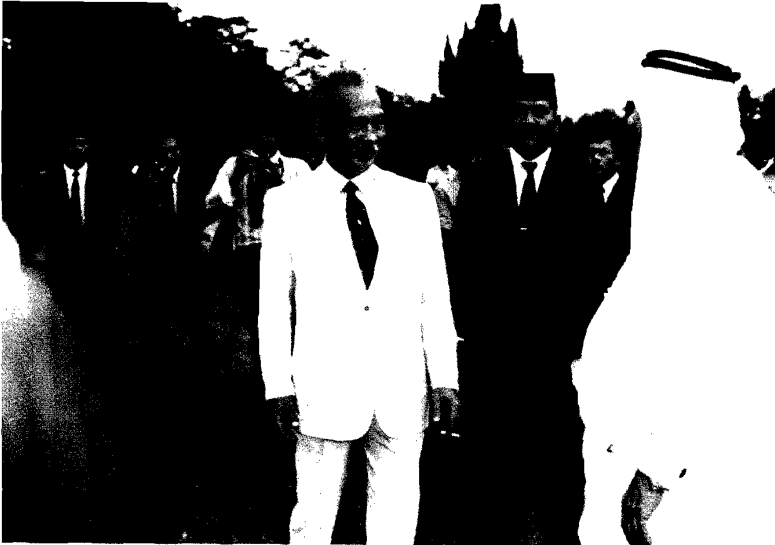
أما الوثائق فإنها تتضمن، في الغالب، تلك التي لها صلة بعمله الوظيفي، بالإضافة إلى نماذج من التعازي به والأخبار الصحفية عن وفاته، وغيرها من المواد التي لم ترد في ثنايا الكتاب.



الصورة الوحيدة في الكتاب التي يظهر فيها أثناء مرضه، التقطت في ألمانيا وهو يستقبل أصدقاءه ـ زائرين ـ السفير محمد العبيكان، يرحمه الله، والسفير عبد الرحمن العمران، والسفير في ألمانيا عباس غزاوي (١٩٨٦م)، ويقف إلى جواره «فاروق السيد» المرض المرافق.



مع رئيس وزراء ماليزيا .



يتحدث إلى ملك ماليزيا .



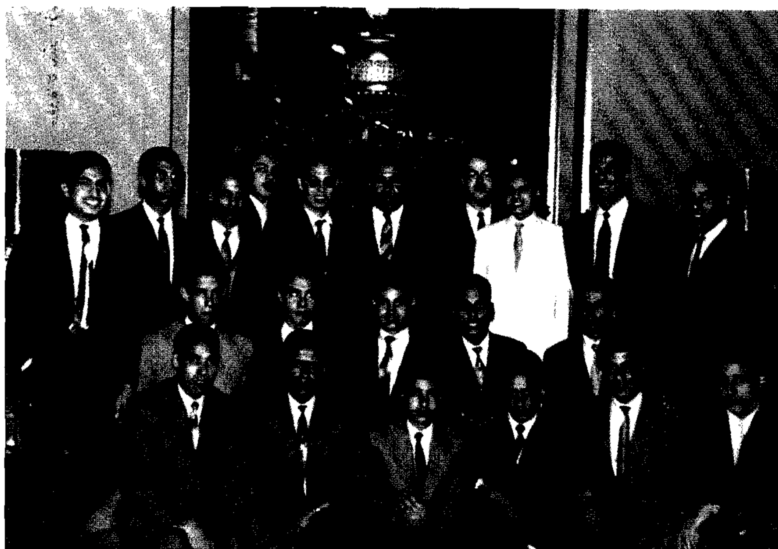
مع أحد سلاطين الولايات في ماليزيا وحرمه.



يستقبل السفير الماليزي السابق في المملكة.



في باكستان يستقبل المهنئين باليوم الوطني وبجواره علي الشاعر (الملحق العسكري في باكستان آنذاك) .



مع بعض الطلبة السعوديين في أمريكا .



كعادته «يباشر» على ضيوفه وهو واقف.



في ماليزيا ومعه عبد الله الغرير من رجال الأعمال المعروفين في دبي.



يستقبل السفير أحمد المبارك .



في منزله في ماليزيا يستقبل عبد المحسن المنقور .



مع صديقه سعد بن رويشد في ماليزيا شوال ١٤٠٣ هـ.



في ماليزيا مستضيفاً صديقه عبد الله بن خميس.



يستقبل عبد العزيز الرفاعي في ماليزيا .



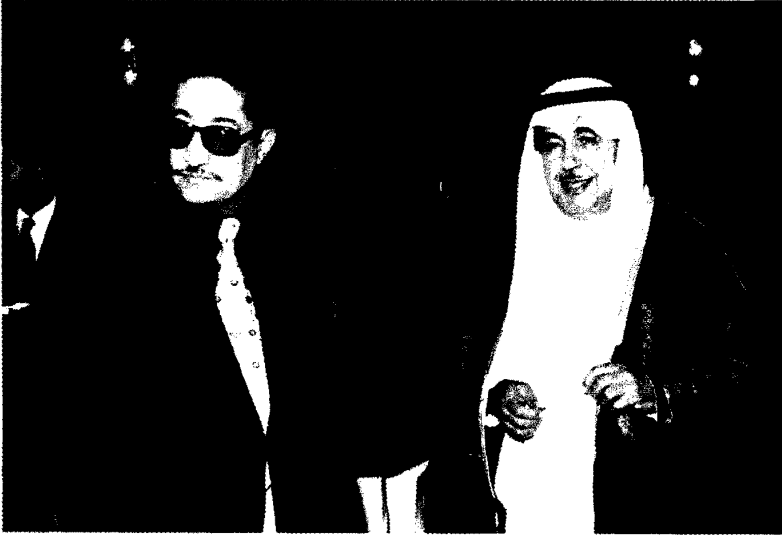
في ماليزيا يستقبل صديقه محمد عبد الله علي رضا .



في حفل استقبال أقامه تكريماً لصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الأشغال العامة والإسكان، عند زيارته لماليزيا (١٣٩٨هـ).



يصافح الشيخ محمد الحركان وزير العدل ثم أمين عام رابطة العالم الإسلامي الأسبق (ماليزيا ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).



في حفل خاص بمنزله، تكريماً للشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي السابق (١٣٩٨هـ).



في ماليزيا، يستقبل الدكتور عبد الله عمر نصيف (عندما كان أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي).



حسن آل الشيخ يضع حجر الأساس لأحد المشروعات الإسلامية التي أسهمت بها المملكة .



حسن آل الشيخ في زيارة للجامعة الوطنية في ماليزيا .



مستقبلا الدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السابق يرافقه عبد المحسن السويلم والأستاذ أحمد القحطاني، ثم فايز الأسمري الموظف في السفارة .



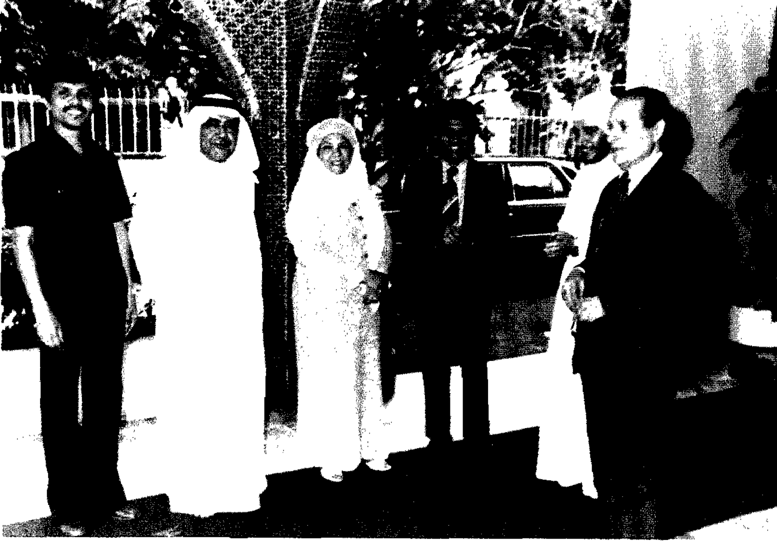
مع عدد من زائريه السعوديين في ماليزيا وبعض أعضاء السفارة .



الدكتور عبد الله التركي (عندما كان مديراً لجامعة الإمام) مفتتحاً أحد المشروعات الإسلامية.



الشيخ محمد يفتتح مكتبة الملك فيصل وقاعة المحاضرات مع الاحتفال بمرور عشر سنوات على تأسيس مركز الدراسات الإسلامية "كلنتن" ماليزيا (شعبان ١٣٩٧هـ - يوليو ١٩٧٧م).



يزور الجامعة الإسلامية العالمية في كوالالامبور، يستقبله مديرها السابق د. محمد عبد الرؤوف ويرافقه الأستاذ عبد الرحمن الغنام مدير مكتب الدعوة.



يتحدث إلى تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا، وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي السابق.



يرحب بصاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل بن عبد العزيز وتنكو عبد الرحمن .



مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات .



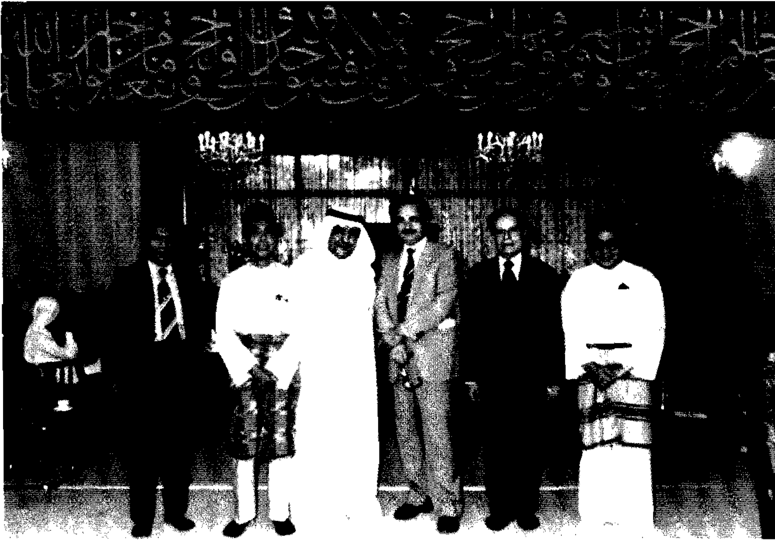
يستقبل الرئيس النمساوي كورت فالدهايم، (أمين عام الأمم المتحدة الأسبق).



مع الشيخ عبد الرحمن المنصور الزامل وصالح العبدلي وعبد الكريم الزامل وعدد من أصدقائه في الكويت (بداية التسعينات الهجرية).



في زيارة ابن عمه السفير عبد الرحمن عبد العزيز الشبيلي في منزله بجدة (١٤٠٤هـ) يظهر في الصورة ابناؤه سمير ونزار وحفيده تميم وابن أخته فواز (يكون ابن أخ الشيخ محمد ايضا).



المؤلف يزوره في ماليزيا (٢٤/٤/١٤٠٤هـ-٢٧/١/١٩٨٤م).



في رحلة برية قرب الرياض، وبرفقته إبنه سليمان (عام ١٤٠٢هـ)

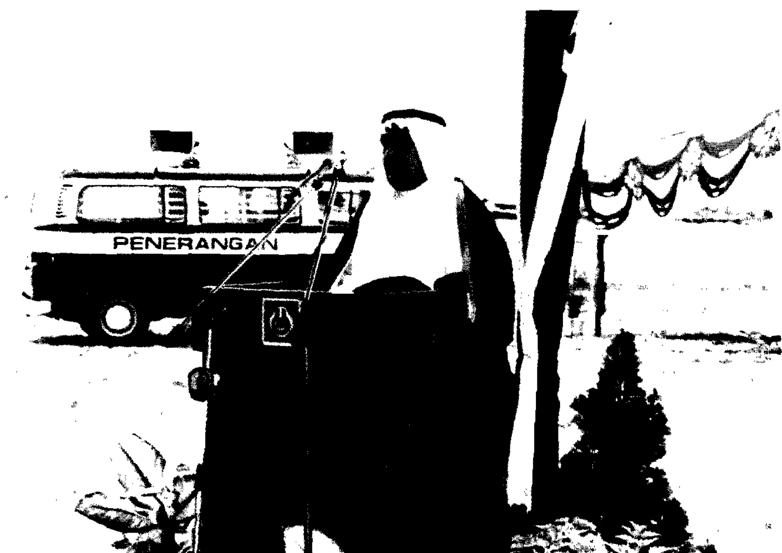


في زيارتـه للقصر الملكي في ماليـزيا في أحد الأعيـاد ومعه الأمير بنـدر بن خالد بن عبـد الله بن تركي آل سعـود (قريبـه من جهة والدته) حيث استقبلها رئيس المراسم.



في ماليزيا يتلقى تهنئة أخيه عبد الله وابنه سليمان وغيرهم بمناسبة عيد الفطر المبارك .





في زيارة لإحدى المؤسسات الإسلامية في ماليزيا.

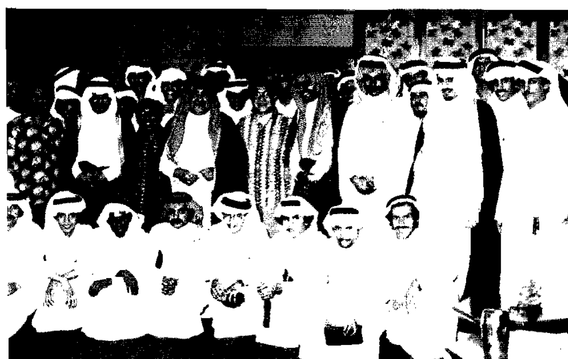


مع الوفود الشبابية والرياضية التي زارت ماليزيا











يستقبل سمو الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز أثناء انعقاد دورة آسيا لكرة القدم التي جرت في ماليزيا عام (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م).

نماذج من الأوسمة وصور منحها





Field Marshal Mohammad Ayub Khan, N. Pk., H. J.

President of Pakistan

To His Excellency Mr. Mohammad Al Hamad Al Shubeily,
Ambassador of Saudi Arabia
in India.

Greeting:

Know All Men *that reposing special Trust in your Loyalty and Integrity and being desirous of according a fitting Recognition to your Services to Pakistan I do hereby appoint you the said* ***His Excellency Mr. Mohammad Al Hamad Al Shubeily,*** *to the Rank and Dignity of the Holder of a* ***Sitara*** *in the Order of* ***Pakistan*** *, and constitute you the same, with all Rights and Precedence appertaining thereto and do order that according to the Prescriptions of the General Statutes governing the Order, you shall wear the Badge of the Order according to the Rank and Dignity you hold therein.*



M. A. Khan
F.M.

Given at Rawalpindi,
this Twenty Seventh day
of April, 1966

Talipon: Pejabat: 722638 / Guru Besar: 723496

Bil. (116) dlm. LMM 072

Bil. Surat Tuan



MAKTAB MAHMUD
Alor Setar, Kedah.

Pada ... hb. ...

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله

حضرة صاحب السعادة السيد/ سفير حكومة المملكة العربية السعودية
لدى حكومة ماليزيا ، كوالالمبور .   المـوقـر
تحية طيبة وبعد ،

فأقدم لسعادتكم بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن زملائي المدرسين والمدرسات وأبنائنا الطلبة والطالبات والمسئولين عن الإدارة أجمل التهاني وأعظمها بمناسبة منح سعادتكم وساماً من الأوسمة الماليزية منذ أيام مضت . وقد علم الماليزيون جميعا أن هذا الوسام من أفخر الأوسمة التي منحت للأبطال وقلائل المستحقين في هذه البلاد . وعرفنا من مصدر موثوق به بأن سعادتكم هو الرائد السادس في تاريخ ماليزيا الذي منح هذا النوع من الأوسمة . ونحن جميعًا على يقين بأن سعادتكم من أحق الأبطال بهذا الوسام نظرًا لما كان لدى سعادتكم من أياد بيضاء في خدمة أبناء هذا الشعب وتوثيق العلاقة بين الشعبين الماليزي والسعودي .

وأخيرًا أتمنى لسعادتكم كل خير وبركة . والله خير المستعان
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المدير
(توقيع)
الشيخ أبو بكر الحاج قاسم

تحريرًا في ١٥ من ربيع الأول ١٤٠٢
١١ من يناير ١٩٨٢







بسم الله الرحمن الرحيم

ل

الرقم ١٤٢٢ ٢
التاريخ ٩٢/٧/٢١
الموافق
التوابع وسام مع براءه

سعادة السفير محمد الحمد الشبيلي

سفير جلالته في افغانستان الموقر

تحية طيبه وبعد : ـ

يطيب لي أعلامكم بأنه تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بمنح سعادتكم وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة ٠

وأنني اذ أبعث لسعادتكم في طيه الوسام المذكور مع برائته ،أقدم لكم أطيب التمنيات على هذه الثقة راجيا لسعادتكم التوفيق والنجاح ٠ وتقبلوا تحياتي ٠٠٠

رئيس المراسم الملكية

أ ٠ ـ

أحمد عبد الوهاب

س/م

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

نحن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

سعادة السفير محمد الحمد الشبيلي

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة

فيحق له ابتداء من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوسام وأن يتمتع بجميع الحقوق ومراسم التكريم العائدة له

الطائف في ١١/٧/١٣٩٣هـ الموافق ٩/٨/١٩٧٣م

بأمر جلالة الملك المعظم

حققه وختمه وسجله

رئيس المراسم الملكية

TIMBALAN MENTERI
DI JABATAN PERDANA MENTERI
JALAN LEMBAH
KUALA LUMPUR

Telefon: 910892
Kawat : PERDANA

صاحب السعادة ،
تن سري داتو' الشيخ احمد الحمد الشبيلي   حفظه الله
سفير المملكة العربية السعودية ،
بكوالا لمفور .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

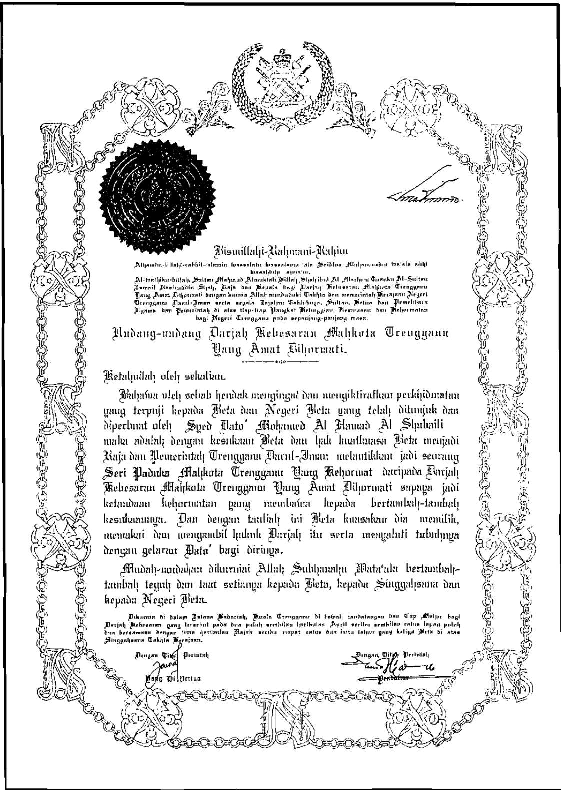
بعد التحية والاحترام ،

بمناسبة تكرم جلالة حاكم ولاية كلنتن بمنحكم وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى هذا العام ، اتقدم الى سعادتكم بتهنئتي الخالصة وتمنياتي الطيبة ، سائلا المولى العلي القدير ان يحفظكم ويرعاكم .

الدكتور محمد يوسف نور
نائب الوزير برئاسة مجلس الوزراء

كوالا لمفور ،

١٤ رجب ، ١٤٠٥ هـ
٥ ابريل ، ١٩٨٥ م .



Bismillahi-Rahmani-Rahim

Alhamdu-lillahi-rabbil-'alamin wassalatu wassalamu 'ala Saidina Muhammadin wa'ala alihi wasahbihi ajma'in.

Al-wathiqu-billah Sultan Mahmud Almuktafi Billah Shah ibni Al-Marhum Tuanku Al-Sultan Ismail Nasiruddin Shah, Raja dan Kepala bagi Darjah Kebesaran Mahkota Trengganu Yang Amat Dihormati dengan kurnia Allah menduduki Takhta dan memerintah Kerajaan Negeri Trengganu Darul-Iman serta segala Jajahan Takluknya, Sultan, Ketua dan Pemelihara Agama dan Pemerintah di atas tiap-tiap Pangkat Ketinggian, Kemuliaan dan Kehormatan bagi Negeri Trengganu pada sepanjang-panjang masa.

Undang-undang Darjah Kebesaran Mahkota Trengganu Yang Amat Dihormati.

Ketahuilah oleh sekalian.

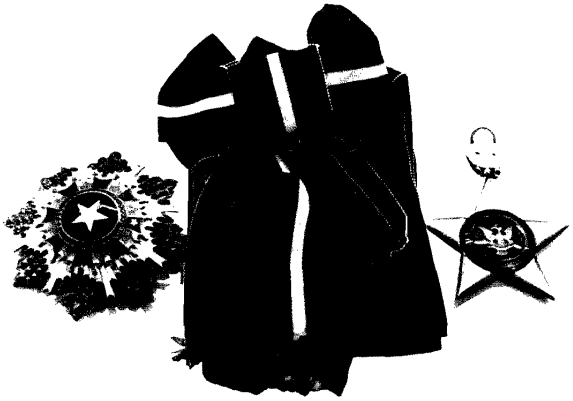
Bahawa oleh sebab hendak mengingat dan mengiktirafkan perkhidmatan yang terpuji kepada Beta dan Negeri Beta yang telah ditunjuk dan diperbuat oleh Syed Dato' Mohamed Al Hamad Al Shubaili maka adalah dengan kesukaan Beta dan hak kuatkuasa Beta menjadi Raja dan Pemerintah Trengganu Darul-Iman melantikkan jadi seorang Seri Paduka Mahkota Trengganu Yang Kehormat daripada Darjah Kebesaran Mahkota Trengganu Yang Amat Dihormati supaya jadi ketandaan kehormatan yang membawa kepada bertambah-tambah kesukaannya. Dan dengan tauliah ini Beta kuasakan dia memilik, memakai dan mengambil hukuk Darjah itu serta mengaluti tubuhnya dengan gelaran Dato' bagi dirinya.

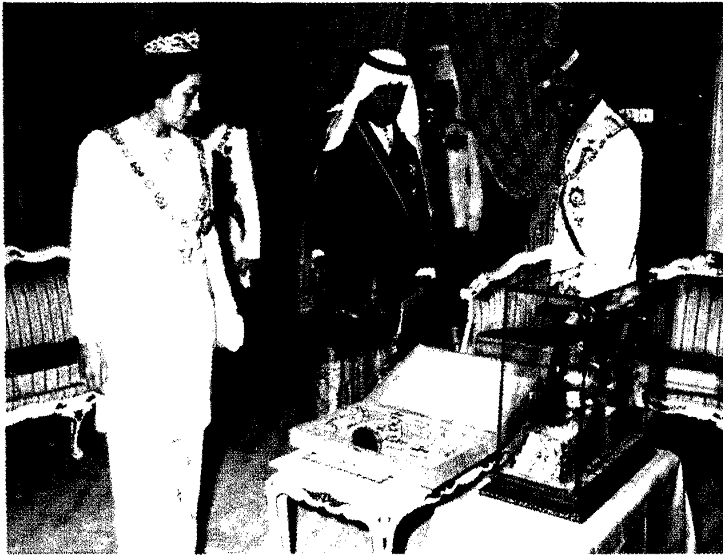
Mudah-mudahan dikurniai Allah Subhanahu Wata'ala bertambah-tambah teguh dan taat setianya kepada Beta, kepada Singgahsana dan kepada Negeri Beta.

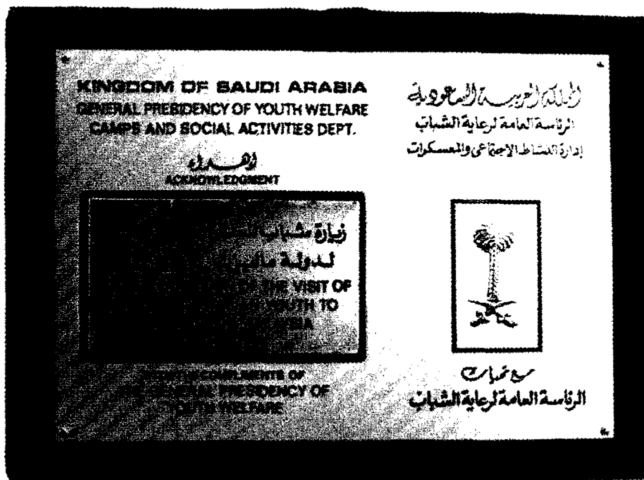
Diberi di dalam Istana Badariah, Kuala Trengganu di bawah tandatangan dan Cap Mohor bagi Darjah Kebesaran yang tersebut pada dua puluh sembilan haribulan April seribu sembilan ratus lapan puluh dua bersamaan dengan lima haribulan Rajab seribu empat ratus dua iaitu tahun yang ketiga Beta di atas Singgahsana Takhta Kerajaan.

Dengan Titah Perintah
Yang Di-Pertua

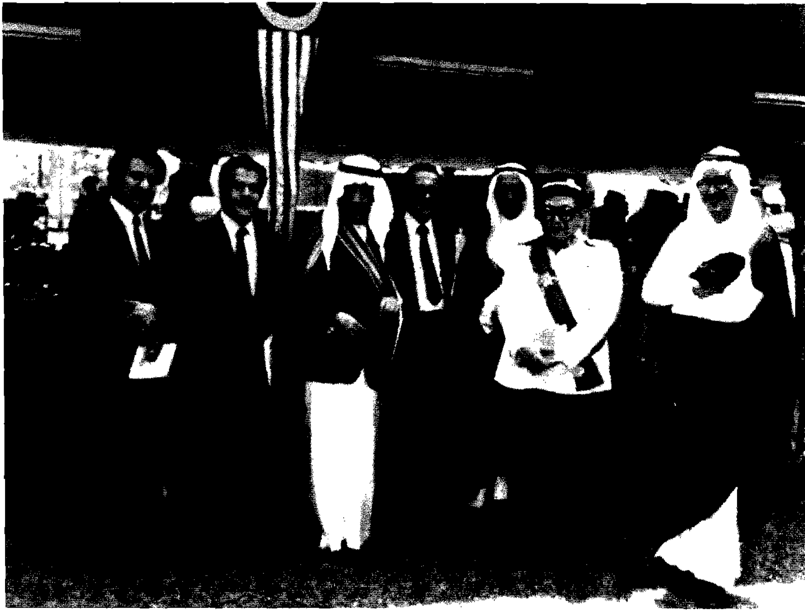
Dengan Titah Perintah
Pendaftar






KINGDOM OF SAUDI ARABIA
GENERAL PRESIDENCY OF YOUTH WELFARE
CAMPS AND SOCIAL ACTIVITIES DEPT.
المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
إدارة النشاط الاجتماعي والمعسكرات
إهداء
ACKNOWLEDGMENT
مع تحيات
الرئاسة العامة لرعاية الشباب







Yang di-Pertuan Agong

Dengan Nama Allah Tuhan Yang Maha Pemurah Lagi Maha Mengasihani

Segala puji-pujian bagi Allah yang telah menjadikan tujuh petala langit dan bumi dan yang telah mengadakan gelap-gulita dan terang-benderang, dan Allah jua yang telah menciptakan bagi kamu Bintang-Bintang supaya kamu jadikannya panduan di dalam kegelapan daratan dan lautan. Sesungguhnya Kami telah menghuraikan akan tanda-tanda Kebesaran Kami itu bagi umat-umat yang mengetahui.

Almathiqu Billah Beta Sultan Haji Ahmad Shah Al-Musta'in Billah ibni Al-Marhum Sultan Abu Bakar Ri'ayatuddin Al-Mu'adzam Shah Yang di-Pertuan Agong, Malaysia, dan Tuan bagi

Darjah Yang Mulia Pangkuan Negara

Barang Diketahui

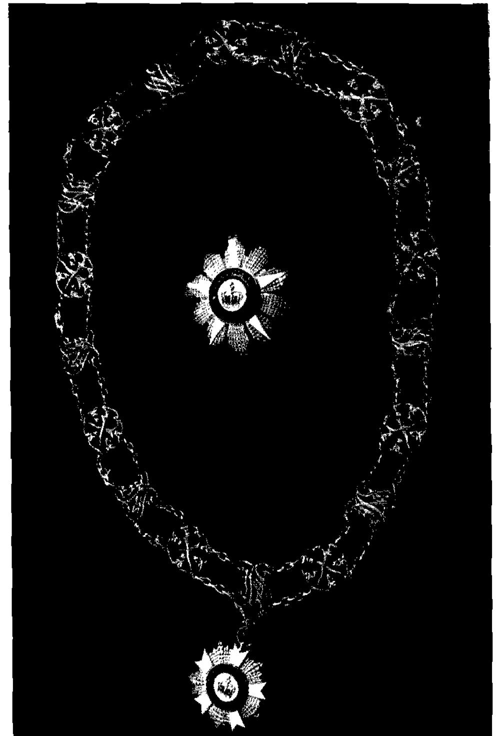
Bahawasanya oleh mengenangkan taat setia dan bakti jasa kepada Beta dan Negara, maka Beta telah dapati layak dan sesuai dianugerahkan kepada:

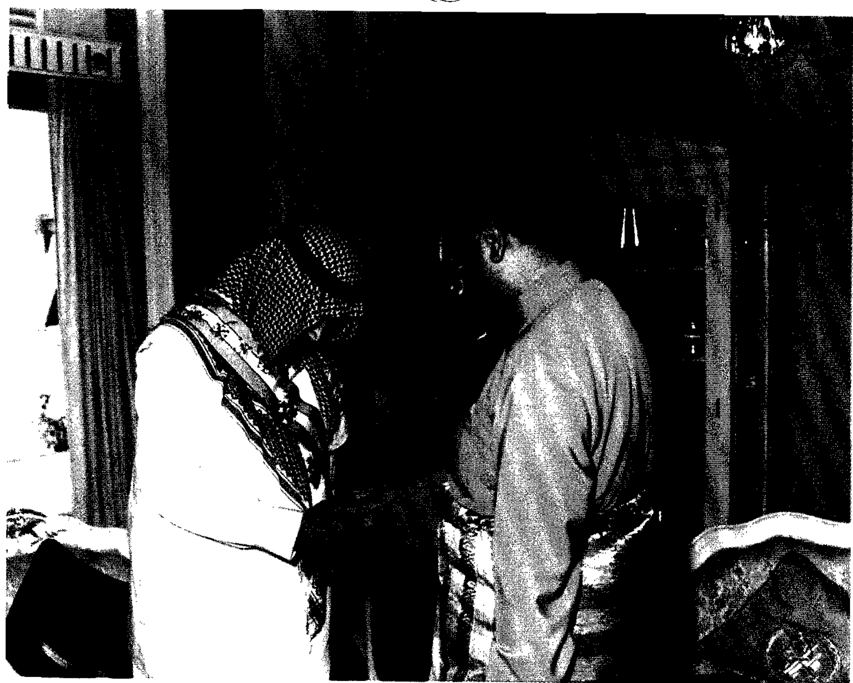
T.Y.T. MOHAMED AL-HAMAD AL-SUBAILI. (KEHORMAT)

Darjah yang Kedua daripada Darjah Kebesaran Yang Mulia Pangkuan Negara. Oleh yang demikian Beta telah memilih dan melantikkan dia menjadi seorang Panglima daripada Darjah Kebesaran yang tersebut.

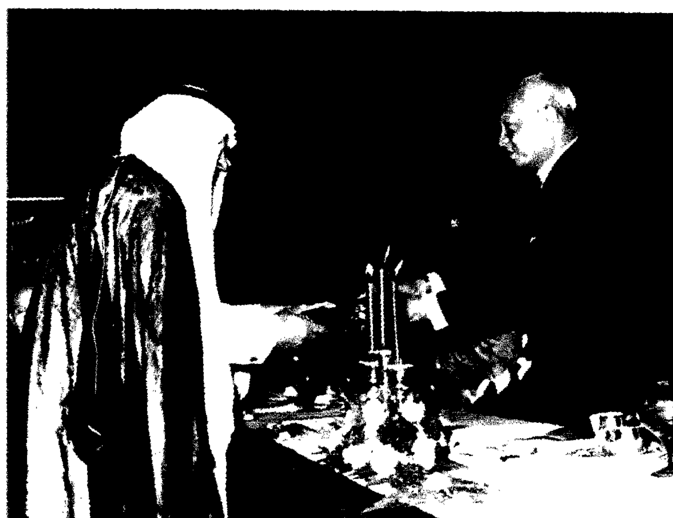
Dikurniakan di Istana Negara, Kuala Lumpur, di bawah tapak tangan Beta dan Cap Mohor Darjah pada 13 haribulan Rabiul Awal tahun 14[illegible] Hijriyah bersamaan dengan [illegible] tahun 19[illegible] Miladiyah.

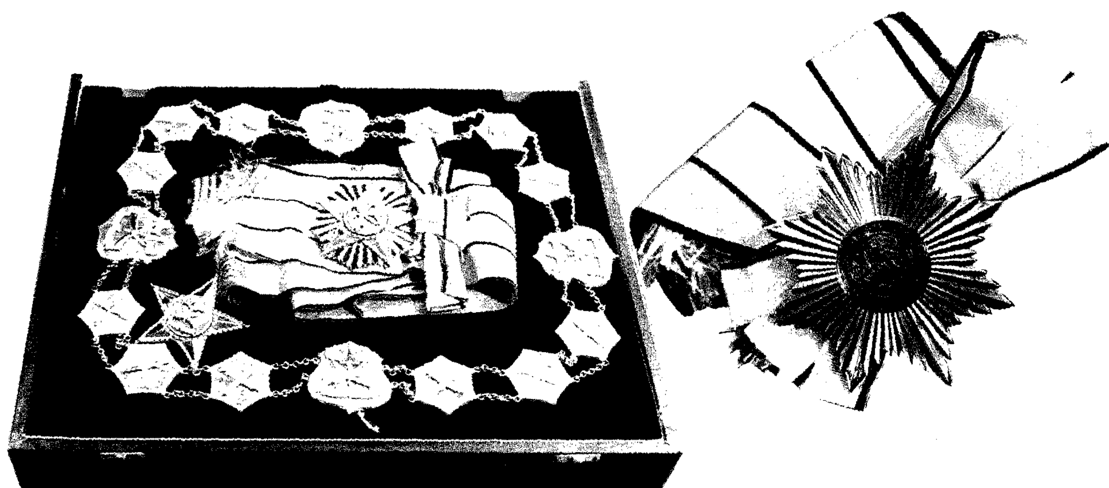
Menteri Darjah — Pendaftar Darjah











من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

الى كل من يطلع على هذه الوثيقة

تحيـــــة

بالنظر لما لنا من الثقة في شخص محمد الحمد الشبيلي فقد عيناه قنصلا في لواء البصرة لاجل تشجيع تجارة رعايانا والعناية بشئونهم ومساعدتهم في مصالحهم طبقا لاحكام القوانين والانظمة والتعليمات . وأسندنا اليه تولي هذا المنصب بموجب هذه البراءة وأن يشمل اختصاصه جميع المنطقة المذكورة ومنحناه الصلاحية التامة لمساعدة رعايانا الذين يوجدون في تلك البلاد أو يزورونها أو يقيمون فيها أو يتعاملون معها . كما أننا فوضناه بالمحافظة على حقوقهم حينما يكونون في حدود القنصلية المذكورة أعلاه . وأننا ننصح رعايانا المشار اليهم ونأمرهم بملاحظة ماجاء في براءتنا هذه والاذعان له بالطاعة

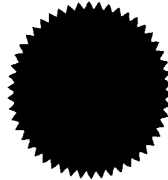
واننا لنرجو من السلطات ذات الاختصاص في الحكومة العراقية ، ومن أولي الامر في تلك البلاد الصديقة أن يجيزوا لقنصلنا المذكور القيام بأعباء وظيفته بكامل الحرية وأن يكفلوا له التمتع بتلك الحقوق والمزايا . واثباتا لما تقدم أعطيناه هذه البراءة ونسأل الله الهداية والسداد .

صدر عن قصرنا بمكة المكرمة في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٦٨ ـ الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٩٤٩ م

بأمر جلالة الملك

وزير الخارجية

فيصل



بفضل الله وتوفيقه

فيصل الثاني ملك العراق

الى كل من يطلع على هذا الكتاب من شعبنا المحبوب تحية وسلام

وبعد فلما كان حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية قد عين بتفويضه المؤرخ في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٩ السيد محمد الشبيلي قنصلا في لواء البصرة وملحقاته وافقنا على تعيينه بموجب ذلك التفويض فنأمر جميع سلطات بلادنا بهذا ان يتلقوا السيد محمد الشبيلي بالقبول والكرامة ويمكنوه من القيام بأعماله ويخولوه الحقوق المعتادة ويمنحوه الصيانة والمزايا المتعلقة بوظيفته .

صدر عن بلاطنا الملكي في بغداد في اليوم الرابع من شهر رمضان سنة الف وثلثمائة وثمان وستين الهجرية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر تموز سنة الف وتسعمائة وتسع واربعين الميلادية وفي السنة الثانية عشرة من حكمنا

باسم صاحب الجلالة الملك

نائب الوصي

السويدي

وزير الخارجية

المملكة العربية السعودية
وزارة الخارجية
المكتب الخاص

البرقيات الواردة
رقم ....

المخرج الريـــاض	عدد ١٠٤٣٩	تاريخ الوصول
المرسل جلالة الملك المعظم	تاريخ ١٣٧٧/٤/٢٨	الموافق م

محمد الحمد الشبيلي الخارجيـــــــــــــــــــــة جـــــدة

بـارك الله فيكم على حسن شعوركم وأنت محل ثقتنا وولدنا ونسأل الله لك التوفيـق ٠٠٠

سعـــــــــــود

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم جلالة الملك

من فيصل عبد العزيـــــز آل ســـــــــــعود نائب ملك المملكة العربية الســـــــــــعودية

الى حضرة صاحب الفخامة الرئيس رادا كريشـــــنان رئيس جمهورية الهنـــــــــــــــــــــد

ياصاحب الفخامة :

رغبة منا في توثيق روابط الصداقة ، التي تربط لحسن الحظ بين بلدينا ، لقد رأينا اعتمـــــاد الشيخ محمد الحمد الشبيلي ، سفيرا فوق العادة ومفوضا من قبلنا لدى فخامتكم ٠

ان ما خبرناه في الشيخ محمد الحمد الشبيلي من اخلاص وكفاءة ، لمما يجعل لنا وطيد الامـــل وكبير الرجاء في ان يكون التوفيق حليفه ، لتأدية المهمة التي عهدنا اليه الاضطلاع بها اضطـــلاعا امينـــــــا ٠

اننا مع اعتمادنا على اخلاصه وكفاءته ، وعلى ماسيبذله من صادق الجهد ، ليكون اهـــــلا لعطف وحسن وتقدير فخامتكم ، نرجو التفضل باحاطته بالتأييد وشموله بالرعاية ، والتلقي منـــــه بالقبول وتمام الثقة ، مايبلغه باسمنا ، وخاصة عندما يؤكد ماننتظره لشخص فخامتكم مـــــــن دوام السعادة والهناء ، ولبلادكم الصديقة من مزيد الخير والرفاء ٠٠٠٠٠

فيصـــــــل

بأمر نائب جلالة الملك

فيصل

وزير الخارجيـــــة

صدر من القصر الملكي بمدينة الطائف في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاول عـــــــام ١٣٨٣ هـ٠
الموافـــــــــق اليوم الرابع من شهر أغسطس عـــــــــــــــــــــام ١٩٦٣ م ٠٠٠

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد

(شهـــــادة استخـدام)

أثبـت هنـــابناءعلى طلب الأخ محمد الحمـد الشبيلي ، بانه قد تعين لدينـــــا في الديوان كاتبـــــا في مستهـــل عام الف وثلاثمائه وخمسين هجريه واستمرفي عمله الى ان اختـــــاره صاحب الجلاله مولاي الملك المعظـــم واصـــدر امره الكريم في تعيينـــــه نائبـا لتنصـــل حكومـة جلالتــــه في البصره وقد كان في عمله لدينـــا خلال تلك المده مثال الجد والاخلاص والمثابره وعلى هذا الوقـــع ٠٠٠

في ١٣٦٨/٨/٢٧ رئيس ديوان جلالة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٥٩٢
التاريخ ٧٧/٩/١٨
التوابع

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

حضرة المكرم محمد الحمد الشبيلي
بعد التحية : تلقينا مع خطاب الشعبة السياسيه رقم ٥/ ٤/ ٢/ ١٠٨٨ في ١١/ ٤/ ٧٧ المرسوم الملكي الكريم رقم ١٢ الصادر بتاريخ ١٠ ربيع الآخر ٧٧ القاضي بمنحكم رتبة وزيـــر مفوض من الدرجــة الاولى وراتبها بوزارة الخارجيـة وقد اعطيت لها صورة من ذلك ٠٠
واننا اذ نبلغكم نتمـــنى لكم التوفيق ٠٠٠ رئيس مجلس الـــوزراء

بامره



بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ١٦
التاريخ ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٧٧هـ

بعونه تعالى

نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

بعد الاطلاع على المادتين السادسة والثانية من نظام وزارة الخارجية رقم ٥/٤/٢/٢٤/٥٠٢٤ الصادر بتاريخ ٢ ربيع الثاني ١٣٧٤ ٠

وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية بالنيابة ؛

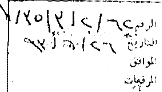
رسمنا بما هو آت :-

المادة الاولى : عين الشيخ محمد الحمد الشبيلي سفيرا فوق العادة ومفوضا من لدنا لدى حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الاسلامية الباكستانية ٠

المادة الثانية : على رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية بالنيابة تنفيذ مرسومنا هذا والسلام ٠

المملكة العربية السعودية
وزارة الخارجية





الرقم
التاريخ
الموافق
المرفقات

" قـــرار وزارى "

ان وزير الدولة للشؤون الخارجيـــة

على خطاب رئيس مجلس الوزراء المعظم رقم ٨٥٢٩ وتاريخ ١٠/٤/١٣٩٣هـ القاضي باعتماد احالة كل من : اصحاب السعادة الدكتور/ مدحت شيخ الارض والشيخ / يوسف الفوزان والشيخ /عبد الرحمن البسام والشيخ / محمد الحمد الشبيلي / والشيخ جواد ذكرى/ والشيخ عوني الدجاني / والشيخ طاهر رضوان/ والشيخ خير الدين الزركلي / والشيخ فخري شيخ الارض/ والشيخ علي عوض ٠٠ على التقاعد لبلوغهم السن النظامية ٠٠ وتعيين من تدعوا الحاجة الى استمرار خدماته منهم براتب شهري قدره خمسة آلاف ريال يصرف كمكافأة ٠٠ على أن تطبق بحقهم احكام نظام الموظفين العام فيما يتعلق بالانتداب والاجازات وما الى ذلك ٠٠ أسوة بموظفي المرتبة الخامسة عشر ٠

على ماتقتضيه المصلحة العامة ٠

يقـــرر ما يلي

يعين اصحاب السعادة الواردة اسماؤهم اعلاه على بند المكافآت ٠٠ بحيث يصرف لكل منهم مكافأة شهرية قدرها خمسة آلاف ريال وذلك اعتبارا من ١/٧/١٣٩٣ على ان يوقف الراتب التقاعدى ويطبق بحقهم مايقضي به نظام الموظفين العام واللوائح بالنسبة لموظفي المرتبة الخامسة عشرة ٠

يبلغ هذا القرار لمن يلزم لانفاذه حسب النظام ٠٠٠

وزير الدولة للشؤون الخارجيـــة

عمر السقاف

فهد بن عبد العزيز

عبد الله بن عبد العزيز

في وفاة الفقيد الغالي الشيخ

محمد الحمد

إنا لله وإنا إليه راجعون

تعزية

الشيخ محمد الحمد الشبيلي

إنا لله وإنا إليه راجعون

وزارة الخارجية

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

في وفاة الفقيد الغالي

الشيخ محمد الحمد الشبيلي



شكر وتعزية

معالي الشيخ محمد الحمد الشبيلي الى رحمة الله

ن وسليمان الحمد
محمد الشبيلي
العزيز المرحوم
الشبيلي

خادم الحرمين الشريفين

عبدالعزيز

معالي الشيخ محمد الحمد الشبيلي

سمو ولي العهد يستقبل أسرة الشبيلي لتقديم العزاء

تعزية

آل عبدالله وآل أحمد المبارك المرزوق
يتقدمون بأحر التعازي لعائلة الفقيد
الشيخ محمد الحمد الشبيلي

سائلين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته
ويسكنه فسيح جناته

إنا لله وإنا إليه راجعون

إطلاق اسم الفقيد على أحد شوارع

الأمير طلال والأمير سطام بن عبدالعزيز

الصلاة على الفقيد اليوم بالرياض

King Fahd Bin Abdul-Aziz

King Fahd Bin Abdul-Aziz

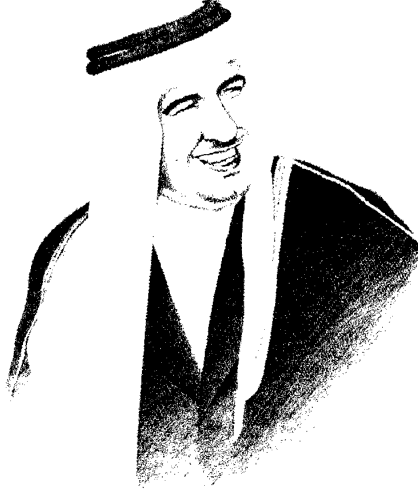
H.R.H. Prince Abdullah Bin Abdul-Aziz

Crown Prince, Deputy Premier and President of the

Abdul-Aziz

تعزية

عبدالله ابراهيم السبيعي
وكافة آل السبيعي
ومنسوبو شركتهم بالمملكة
يتقدمون بأحر التعازي
لعائلة الفقيد الغالي
محمد الحمد الشبيلي
وكافة آل الشبيلي



كشاف المواد المنشورة

مرتبة هجائياً

إن هذا الرصد الببليوجرافي قد لا يمثل كل ما نشر في الصحف والمجلات عن الشيخ محمد، وبخاصة في تلك الفترة الطويلة من عمله سفيراً في خمس دول آسيوية والتي هي - في الواقع - «الفترة الذهبية» من نشاطه، وهو أمر يرجو المؤلف أن يتم تداركه والحصول عليه في جهد لاحق بإذن الله.

وباستثناء القليل، فإن معظم ما ظهر في هذا «الثبت» من أخبار أو مقالات أو قصائد أو تحقيقات صحفية، هو أبرز ما نشر عنه إبان فترة مرضه إلى ما بعد وفاته وهي فترة امتدت حوالي أربع سنوات.

وتسهيلاً على القارئ والباحث، فقد تم ترتيب هذا الفهرس هجائياً حسب اسم العائلة، كما تم تقسيمه إلى الأقسام التالية :

- **الكتب والمقالات.**
- **التحقيقات والأخبار الصحفية.**
- **القصائد (بالفصحى والعامية).**

أما المواد التي كتبت ولم تنشر أو التي نشرت ولم يعثر على معلومات كافية عن تفاصيل نشرها، فلم تظهر في هذا الكشاف، (على أمل أن تظهر في الطبعة القادمة إن شاء الله) ولكنها ذكرت في مواضعها المناسبة في ثنايا الكتاب نفسه.

الكتب والمقالات

أبا حسين، علي. الآثار الإسلامية في الهند، جريدة عكاظ، ٢٧/ ١١/ ١٣٨٥هـ (١٩/ ٣/ ١٩٦٦م).

أبا حسين، علي : رجل المكارم والمروءات، جريدة الشرق الأوسط (العدد ٥٥١٢) ١٨/ ٧/ ١٤١٤هـ (٣١/ ١٢/ ١٩٩٣م) ص ٨.

أبا حسين، علي : ديوان الشاعر سالم محمد الحميّد، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

إنسان : الوجه السعودي المشرق، جريدة المدينة (العدد ٦٨٩٣) ١٣/ ٦/ ١٤٠٦هـ (٢٢/ ٢/ ١٩٨٦م) ص٢٤.

أبو مدين، عبد الفتاح : رحم الله أبا سليمان، مجلة اقرأ (العدد ٦٩٢) ٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٢٨.

الأحيدب، صالح إبراهيم : رحمك الله أبا سليمان، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٣) ٢٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٦/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٤.

ابن إدريس، عبد الله : الوجه المضيء، جريدة الرياض (العدد ٧٤٤٥) ١/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٠/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٣.

الأسمري، فايز مسفر : ذكرياتي مع فقيد الوطن، جريدة عكاظ (العدد ٨١٥٢) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧.

الأسمري، محمد ناصر : البقاء لله ، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٤) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٠ .

بخاري، عبد الله : سفير كريم، جريدة عكاظ (العدد ٥٦٣٦) ٨/ ١/ ١٤٠٢هـ (٤/ ١١/ ١٩٨١م) ص٩ .

التازي، عبد الهادي : أضواء على ظاهرة السفير محمد الشبيلي، مجلة الحرس الوطني، عدد جمادى الأولى ١٤٠٩هـ (ديسمبر ١٩٨٨م). (العدد ٧٥) ص١٦ .

تركستاني، عبد العزيز عبد الستار : ذلك الكريم الذي بلغنا كرمه عبر الهاتف، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧ .

توفيق، محمد عمر : كتاب من ذكريات مسافر (الجزء الثاني) الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) منشورات تهامة .

الثنيان، ثنيان فهد : لكل أجل كتاب، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٩) ٣/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١١/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٥ .

الثنيان، عبد العزيز عبد الرحمن : مساحة للتفكير، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٩١) ٥/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٤/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٢٠ .

الجاسر، حمد : من ذكريات الرحلات، مجلة العرب الجزء ١١/ ١٢ عدد جمادى الأولى وجمادى الآخرة ـ عام ١٤٠٠هـ .

الجاسر، حمد : المدينة التي أكره زيارتها ، ، جريدة الجزيرة (العدد ٣٩٨٧) ٢١/ ١١/ ١٤٠٣هـ (٢٩/ ٨/ ١٩٨٣م) .

الجفري، عبد الله : زاوية ظلال، جريدة عكاظ (العدد ٨١٥٤) ٢٥/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٤/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧ .

جمال، صالح محمد : السفير الكريم، جريدة الندوة (العدد ٩٠٣٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٦ .

جمال، علي وعبد الله مير عالم : إلى سفيرنا في الباكستان ، جريدة الندوة (العدد ٧٦١) ٣٠/ ١/ ١٣٨١هـ (١٣/ ٧/ ١٩٦١م) .

جوهرجي، حسن عبد العزيز : زاوية مساحة حرة، جريدة الجزيرة (العدد ٥٩٠٠) ١٤/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٢٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧ .

الجهني، مقبول فرج : السيرة العطرة، مجلة اقرأ (العدد ٦٩٣) ١/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٠/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧٦ .

الحارثي، فهد العرابي : أنا حزين لوجه الله، مجلة اليمامة (العدد ١٠٢٨) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨ .

حافظ ،علي : ماليزيا : كوالالامبور : الأستاذ الشبيلي، جريدة المدينة (العدد ٤٢٧١) ١٥/ ٥/ ١٣٩٨هـ (٢٢/ ٤/ ١٩٧٨م) .

الحسين، خالد : تعطرنا بسيرتك ، جريدة الرياض (العدد ٧٤٤٥) ١/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٠/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٠ .

الحصيّن، عبد الله سليمان : والموت نقاد، جريدة المدينة (العدد ٧٨٤٩) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٢٠ .

الحميدان، يوسف. كلمات مقصرة بحق فقيد عزيز، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧ .



الحمين، فوزان عبد العزيز : إنسانية الشبيلي ، جريدة اليوم (العدد ٥٦١٩) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨ .

ابن خميس، عبد الله : بقية من كرماء العرب، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧ .

الخويطر، عبد العزيز : وداعا أبا سليمان، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٢) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١ .

الخويطر، عبد العزيز : جمع بين صورة الماضي والحاضر، جريدة البلاد (العدد ٩٣٧٨) ٢٣/ ٦/ ١٤١٠هـ (٢٠/ ١/ ١٩٩٠م) ص٨.

الذكير، عبد العزيز محمد : أين انتهى مشروع كتاب الشبيلي، جريدة الرياض (العدد ٨٩٣١) ١٢/ ٦/ ١٤١٣هـ (٦/ ١٢/ ١٩٩٢م) ص٧ .

الذكير، عبد العزيز محمد : الرجل الذي خدم خمسة ملوك، (بالإنجليزية) جريدة Ryiadh Daily (العدد ٢٠٣) ١٢/ ٦/ ١٤١٣هـ (٦/ ١٢/ ١٩٩٢م) .

الرفاعي، عبد العزيز : أبا سليمان ستظل باقياً، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٤) ٢٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٧/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧ . (كما نشر في مجلة صوت الأمة، المجلد ٢١ العدد الخامس ٦٥ ـ ٧٤، دار التأليف والترجمة (١٩٨٩م بنارس الهند) .

الرويشد، سعد بن عبد العزيز : فريد من نوعه، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٩٦) ١٠/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٩/ ١١/ ١٩٨٨م) .

الرويشد، عبد الله : أستاذ وشيخ ومدرسة، جريدة الجزيرة (العدد ٥٥٠٥) ٣/ ٣/ ١٤٠٨هـ (٢٥/ ١٠/ ١٩٨٧م) ص١٠ .

السالم، صالح : حديث عن الهند ج١ و٢، جريدة الجزيرة (عدد ٨٠ ص٤، عدد ٨٣ ص١١) ٢٧/ ٩/ ١٣٨٥هـ (١٨/ ١/ ١٩٦٦م) و٢٥/ ١٠/ ١٣٨٥هـ (١٥/ ٢/ ١٩٦٦م) .

السالم، صالح : رحمك الله يا أبا سليمان، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٤) ٢٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٧/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٤ .

السبيعي، محمد إبراهيم : الشبيلي الفقيد، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧ .

السحيمي، محمد بن عويض : كان مثالاً للكرم، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٩٤) ٨/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٧/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٩ .

السديري، تركي عبد الله : الشبيلي ج١/ ج٢، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٣ ص٣ والعدد ٧٤٣٤ ص٣) ١٩ و٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٩ و ٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م).

سفر، محمود محمد : مات الكريم فينا، جريدة الرياض، (العدد ٧٤٣٤) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٣ .

السعدون، عبد الإله : (خاص جداً)، جريدة الجزيرة العدد (٥٨٧٩) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١٤/ ١١/ ١٩٨٨م) .



آل سعود، بندر بن خالد بن عبد الله بن تركي : وداعاً أيها الرجل العظيم، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٧) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨.

السماري، عبد الرحمن : السفير الحمدان، جريدة الجزيرة (العدد ٧٦٣٦) ٨/ ٣/ ١٤١٤هـ (٢٥/ ٨/ ١٩٩٣م) ص٦.

الشاعر، علي : وداعاً أيها الصديق الغالي، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٢) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١.

الشبيلي، أحمد محمد : علم من أعلامنا، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٨) ٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٠.

الشبيلي، عبد الرحمن صالح : ضيف الجزيرة حلقة ١ و٢ (العدد ٤٠٩٦ ص٤ والعدد ٤١٠٣ ص٤) ١٢ و١٩/ ٣/ ١٤٠٤هـ (١٦ و٢٣/ ١١/ ١٩٨٣م).

الشبيلي، عبد الرحمن صالح : الإنسان المدرسة، جريدة الجزيرة (العدد ٤٨٣٤) ١١/ ٤/ ١٤٠٦هـ (٢٣/ ١٢/ ١٩٨٥م) ص٢٨.

الشبيلي، عبد الرحمن صالح : وتوقف القلب الكبير ج١ و٢، مجلة اليمامة، (العددان ١٠٣١ ص٢٠ و ١٠٣٢ ص٢٠) ١٤ و٢١/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٢٣ و٣٠/ ١١/ ١٩٨٨م).

الشبيلي، عبد الرحمن عبد العزيز : وكان استفتاءً صادقاً، جريدة الشرق الأوسط (العدد ٣٦٣٠) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٩.

الشدي، علي أحمد : درّسوا سيرة هذا الرجل، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٦) ٢٢/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٢٠.

الشدي، محمد أحمد : الرجل الأسطورة، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٠) ٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٢٠.

الشلهوب، شلهوب عبد الله : حاتم زمانه كما يلقّبه زائروه، جريدة البلاد (العدد ٩٠٣٩) ٣/ ٥/ ١٤٠٩هـ (١١/ ١٢/ ١٩٨٨م).

شويل، عبد الحميد : مثاليّة سفير، جريدة البلاد (العدد ١٨٥٠) ٣/ ١١/ ١٣٨٤هـ (٤/ ٣/ ١٩٦٥م) ص٥.

الشهيل، فيصل : في ذمة الله أبا سليمان، جريدة اليوم، (العدد ٥٦١٦) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١.

الصالح، عثمان : جولة في ربوع القصيم مع الشيخ محمد الحمد الشبيلي، جريدة الجزيرة (العدد ٣٥٥٦) ٧/ ٨/ ١٤٠٢هـ (٣٠/ ٥/ ١٩٨٢م).

الصالح، عثمان : الشبيلي شخصية نادرة، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٢) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧.

الصالح، عثمان : محمد الحمد الشبيلي، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٨) ٢/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٤/ ١١/ ١٩٨٨م).

الصانع، عبد الرزاق عبد المحسن وعبد العزيز عمر العلمي : إمارة الزبير بين هجرتين ـ خمسة أجزاء، عدة مطابع، (صدرت في الكويت بدءاً من عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م).

صديق : رسالة إلى الإنسان، مجلة الشرق (العدد ٣٨٩) ١٠/ ٦/ ١٤٠٧هـ (١٠/ ١/ ١٩٨٧م).

الصغيّر، حمد عبد الله : محمد الحمد الشبيلي، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٠) ٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٥.

صفوة، نجدة فتحي : رحمة الله عليك يا أبا سليمان ـــ خواطر وذكريات، جريدة الشرق الأوسط (العدد ٣٦٣٠) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ، (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٩.

العاني، محمد طه الفياض : كتاب «زيارة سمو الأمير سعود» (ولي عهد المملكة العربية السعودية) إلى العراق بمناسبة يوم التاج الأغر في ٣٠/ ٤/ ١٩٥٣م. مطبعة السجل ـ بغداد.

العاني، محمد الفياض : كتاب « زيارة جلالة الملك سعود إلى العراق» ١١/ ١١/ ١٣٧٦هـ (١١/ ٣/ ١٩٥٧م) مطبعة السجل ـ بغداد.

عبد الواحد، محمد : عالم من الكرم والوفاء، جريدة المدينة (العدد ٧٨٣٧) ٩/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١٩/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٨.

عبد الواحد، محمد : ولغة التراحم والتعاطف، جريدة المدينة (العدد ٧٨٤٩) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٥.

عبيد، أحمد : رسالة صادقة إلى صديق وفيّ، جريدة الجزيرة (العدد ٥٢١٠) ٣/ ٥/ ١٤٠٧هـ (٣/ ١/ ١٩٨٧م) ص١١. (نشر الرد عليها بعنوان: من ألمانيا: بفيض من الحب) الجزيرة ١٢/ ٦/ ١٤٠٧هـ (١٢/ ٢/ ١٩٨٧م).

العتيبي، عايض : أبا سليمان ذكراك تبقى خالدة، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٦) ٢٢/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨.

العدوي، محمد عبد المنعم : محمد الحمد الشبيلي، جريدة العرب الباكستانية (عدد شوال ١٤٠٩هـ) (١٩٨٩م).

العريفي، فهد : عندما تسقط القلاع، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٢) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٣.

العريفي، فهد : خطى على الطريق، جريدة اليوم (العدد ٧٤٩٣) ٧/ ٧/ ١٤١٤هـ (٢٠/ ١٢/ ١٩٩٣م) ص٩.

العريفي، محمد عبد الله : رثاء للراحل الفقيد، جريدة اليوم (العدد ٥٦٢٣) ٢٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٦/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨.

العساكر، عبد العزيز : ضيف الجزيرة، جريدة الجزيرة (العدد ٧٧٥٧) ١١/ ٧/ ١٤١٤هـ (٢٤/ ١٢/ ١٩٩٣م).

العسكري، حسين محمد : زاوية آراء وأفكار، صحيفة البلاد (العدد ٧٨٦٧) ١٢/ ٥/ ١٤٠٥هـ (٢/ ٢/ ١٩٨٥م).

العسكري، حسين محمد : يرحمك الله يا أبا سليمان، جريدة البلاد (العدد ٩٠٠٣) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٥.

العطاس، حامد : زاوية مساحة حرة، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٢) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٧.



العطاس، خزيمة : مواقف للذكرى، مجلة اقرأ (العدد ٦٩٥ ص٨٢) ١٥/ ٤/ ١٤٠٩هـ.

علاقي، محمد عبد القادر : جريدة المدينة (العدد ٧٨٤٨) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٦.

العماش، صالح عبد الله : مآثر المرحوم، جريدة الجزيرة، (العدد ٥٨٩٢) ٦/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٩.

العنزي، مطلق : أبا سليمان : سلاماً سلاماً، جريدة اليوم (العدد ٥٦٣٠) ٤/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٣/ ١١/ ١٩٨٨م).

العوشن، عبد العزيز محمد : رجال لا ينسون، المجلة العربية (العدد ١٠٥) ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م).

العوشن، عبد العزيز محمد : أمير السفراء ومتعبهم، جريدة المدينة (العدد ٧٨٨٤) ٢٦/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١٢/ ١٩٨٨م).

العيسى، سليمان محمد : كيف أبكيك، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٩) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٥.

الغامدي، أحمد عبد الرحمن : محمد الحمد الشبيلي، مجلة الشرق (العدد ٤٧٧) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م).

فقي، محمد حسن : النجم الآفل، جريدة البلاد (العدد ٩٠٠٩) ٢٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٧/ ١١/ ١٩٨٨م).

فطاني، فهد فيصل : وداعاً يا صديق أبي، جريدة عكاظ (العدد ٨١٤٩) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٥.

القاضي، حمد عبد الله : محمد الحمد الشبيلي، جريدة الجزيرة (العدد ٤٧٨٧) ٢٣/ ٢/ ١٤٠٦هـ (٦/ ١١/ ١٩٨٥م).

قاضي، سهيل حسن : في جنة الخلد، مجلة اقرأ (العدد ٦٩٣) ١/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٠/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٤.

القاضي، صالح محمد : رجل الوطنية والدبلوماسية، المجلة العربية، (العدد ١٠٦/ ١٠٧) ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م).

القاضي، محمد عثمان : رحم الله الشبيلي، جريدة المدينة (العدد ٧٨٥٤) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٩.

قرشي، حسن عبد الله : في ذمة الله : أبو سليمان، جريدة المدينة (العدد ٧٨٤٨) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٤.

القرعاوي، عبد الله الحمد : مع أبي سليمان، جريدة الجزيرة (العدد ٤٧٨٩) ٢٥/ ٢/ ١٤٠٦هـ (٨/ ١١/ ١٩٨٥م) ص٢٤.

القرعاوي، عبد الله الحمد : رحل الرجل الفذ : جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٢) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٣.

القرني، ظافر أحمد : رحمك الله أبا سليمان : مجلة اقرأ (العدد ٦٩٥) ١٥/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٢٤/ ١١/ ١٩٨٨م).

كريم، بدر أحمد : رحمك الله يا أبا سليمان، جريدة عكاظ (العدد ٨١٤٩) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٧.

المبارك، أحمد : ضيف الجزيرة، جريدة الجزيرة (العدد ٤٧٨٩) ٢٥/ ٢/ ١٤٠٦هـ (٨/ ١١/ ١٩٨٥م).

المدرّس، عبد الكريم : رجل المكارم والمروءات، جريدة الشرق الأوسط (العدد ٥٤٩٢) ٢٨/ ٦/ ١٤١٤هـ (١١/ ١٢/ ١٩٩٣م) ص١٤.

المسلم، مسلم بن عبد الله : صفحة تطوى من صفحات الكرام، جريدة الرياض (العدد ٧٤٤٠) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٥ .

المعتاز، إبراهيم عبد العزيز : كرّموه . . . جريدة الجزيرة (العدد ٥٩٠٣) ١٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٦/ ١١/ ١٩٨٨م) .

المعمر، عبد الرحمن : من يتصدى لتاريخ هذا الرجل، جريدة الجزيرة، (العدد ٣٥٠١) ١١/ ٦/ ١٤٠٢هـ (٥/ ٤/ ١٩٨٢م) .

المعمر، عبد الرحمن : في ذمة الله، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٨) ٢٢/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٦ .

المنصور، عبد العزيز : . . . حيًّا في القلوب، جريدة اليوم (العدد ٥٦٢٤) ٢٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٧/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨ .

النعيم، عبد الله العلي : رحم الله أبا سليمان، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧ .

النهابي، سليمان العلي : الشبيلي، رحمه الله، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٩٩) ١٣/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٢٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٢٣ .

الوهيبي، عبد الله : متى تلد النساء مثله، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٢) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٢ .

يعقوب، يوسف الشيخ : هكذا تأفل النجوم، جريدة اليوم (العدد ٥٦٢٥) ٢٩/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٨/ ١١/ ١٩٨٨م) .

يماني، محمد عبده : حديث من بغداد ، جريدة الرياض (العدد ١٨٩٨) ٢٤/ ٦/ ١٣٩١هـ (١٦/ ٨/ ١٩٧١م) .

يماني، محمد عبده : رجل المكارم والمروءات، جريدة الشرق الأوسط (العدد ٥٤٨٣) ١٩/ ٦/ ١٤١٤هـ (٢/ ١٢/ ١٩٩٣م) ص١٦ .

التحقيقات والأخبار الصحفية

معالي الشيخ الشبيلي إلى رحمة الله : جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٤) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١ .

خبر في الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٦ .

جريدة الشرق الأوسط (تعليق) (العدد ٣٦٢٤) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٤ .

الخضري، محمد إبراهيم ، عبد الرؤوف ناجي، عبد الرحمن السعدون : تحقيق صحفي مشترك ـ عكاظ (العدد ٨١٥٠) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٥ .

أخبار متفرقة في جريدة عكاظ ١٨و١٩ و٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨، ٢٩، ٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) .

الوعيل، محمد : حاتم هذا الزمان ـ ضيف الجزيرة، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨١) ٢٥/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٤/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٤ .

خبر في جريدة الجزيرة (العدد ٥٩٠٩) ٢٣/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١٢/ ١٩٨٨م) ص٣ .

خبر في جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٩١) ٥/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٤/ ١١/ ١٩٨٨م) .

خبر في جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٤) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١ .

الأسمري، جابر (تحقيق صحفي) قدوة في الخلق الدبلوماسي، أستاذ في الوطنية، رائد في نكران الذات، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٤) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٦ .

أخبار متفرقة : الجزيرة (العدد ٥٨٧٩) ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) .

العمري، منصور محمد (تحقيق صحفي) الجزء ١ والجزء ٢، حياتهم : السفير الذي يعرفه من لا يعرفه، البلاد (العدد ٩٣٧٢) ص٨ ـ ١٦/ ٦/ ١٤١٠هـ (١٣/ ١/ ١٩٩٠م) و(العدد ٩٣٧٨) ص٨ ـ ٢٣/ ٦/ ١٤١٠هـ (٢٠/ ١/ ١٩٩٠م) .

خبر في المسائية : ٢٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١٠/ ١٩٨٨م) .

أخبار رياضية : جريدة الجزيرة (العدد ٣٣١٠) ٢٠/ ١١/ ١٤٠١هـ (١٨/ ٩/ ١٩٨١م) ص٤ .

أخبار رياضية : جريدة الرياض (العدد ٤٩٧٣) ١٩/ ١/ ١٤٠٢هـ (١٥/ ١١/ ١٩٨١م) ص٢٣ .

خبر من المسائية : (العدد ٢٠٧٥) ١٧/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٧/ ١٠/ ١٩٨٨م) .

خبر في الجزيرة : (العدد ٥٩٠٥) ٢١/ ٤/ ١٤٠٩هـ (٣٠/ ١١/ ١٩٨٨م) .

خبر في اليمامة : (العدد ١٠٢٨) ٢٣/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢/ ١١/ ١٩٨٨م) ص ١١٠ .

خبر في المدينة : (العدد ٧٨٤٧) ١٩/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٩/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٢ .

خبر في البلاد : (العدد ٩٠٠١) ١٩/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٩/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص٢ .

الشرق الأوسط : (العدد ٣٦٢٢) ١٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٢٨/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٥ .

مجلة العرب الباكستانية (العدد ٥ و٦) رجب ـ شعبان ١٣٨١هـ السنة الخامسة والعشرون ـ تتضمن تغطية زيارة الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز إلى باكستان .

مجلة العرب الباكستانية. العدد ٩ و١٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) (السنة التاسعة والعشرون) .

جريدة الجمهورية العراقية. (العدد ١١٤٦) ٢٠/ ٥/ ١٣٩١هـ (١١/ ٨/ ١٩٧١م) (خبر وداعه لرئيس الجمهورية) ص١ .

جريدة البلاد (العدد ١٨٠٥) ٣/ ٩/ ١٣٨٤هـ (١٥/ ٥/ ١٩٦٥م) (تحقيق بعنوان : طالبان من مدارس الثغر النموذجية يفوزان : فخامة الرئيس الهندي يسلم جوائز الطالبين لسعادة سفيرنا في الهند) .

جريدة الشرق الأوسط (خبر عن صدور هذا الكتاب) (العدد ٥٤٩٦) ٢/ ٧/ ١٤١٤هـ (١٥/ ١٢/ ١٩٩٣م) ص ٢٩ .

القصائد الفصحى والعامية

أبابطين، عبد المحسن إبراهيم : أمحمد يا ذا المكارم والعلا، نشرت في كتاب «إمارة الزبير بين هجرتين» المشار إليه أنفاً.

البسام، أحمد عثمان : أويت إلى الفراش وبي عناء (نشرت في كتاب «الزبير بين هجرتين» المشار إليه أعلاه.

الحمدان، سليمان : ترى أبا لأشعار أبكيكا، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧.

السبيّل، إبراهيم : لك الله يا مفجوعة في عيالها، جريدة الرياض (العدد ٧٤٤٩) ٥/ ٤/ ١٤٠٩هـ (١٤/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨.

السلمان، محمد إبراهيم : وحنا عزانا فيك ، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٧٧) ٢١/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ص١٧.

السلمان، محمد إبراهيم : رعاك الذي عينه ، مجلة اليمامة (العدد ١٠٢٩) ٣٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٩/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨٠.

العثيمين، صالح الأحمد : الضياء الراحل، جريدة الجزيرة (العدد ٥٨٨٠) ٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨.

العثمان، فريد عبد الرحمن : أنت والجود، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٨) ٢٤/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٣/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٨.

العجلان، سعد محمد : مرحوم يا قبله هل الطيب ، جريدة الرياض (العدد ٧٤٤٤) ٣٠/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٩/ ١١/ ١٩٨٨م) ص١٠.

العرفج، عبد الله : تطيب بذكرك الأذكار، جريدة المدينة (العدد ٧٨٥٧) ٢٩/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١٨/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٩.

العنيزي، علي بن يوسف : ثناء ودعاء : نشرت في كتاب «الزبير بين هجرتين» المشار إليه آنفاً.

العيسى، مقبل : رجل الطيب، جريدة الجزيرة (العدد ٤٨٧٥) ٢٣/ ٥/ ١٤٠٦هـ (٢/ ٢/ ١٩٨٦م) ص١١.

القري، علي إبراهيم : كل يقدم بالفقيد تعزاته، جريدة المدينة (العدد ٧٨٥٤) ٢٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ (٥/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٩ (نشرت مرة أخرى في اليوم التالي في الجريدة نفسها).

آل مبارك، محمد بن عبد الله : نبأ أهاج لمدمعي، جريدة الرياض (العدد ٧٤٣٦) ٢٢/ ٣/ ١٤٠٩هـ (١/ ١١/ ١٩٨٨م) ص٨.

يتـوجه المؤلف بـالشكر إلى القـرّاء الكرام كـافة ، لتجـاوزهـم عن أي قصور في المحتـوى أو الأسلوب ، في هذه الطبعة من الكتاب .

ويرجو ممن لـديه تصحيح ، أو معلومات ، أو وثائق ، أو رسائل ، أو صـور ، أو إضافات مفيدة ، أو اقتراحات ، التكرم بإرسالها إليه على العنوان الآتي :

(ص . ب . ٨٤٣ الرياض ١١٤٢١)

وذلك للاستفادة منها في الطبعة الثانية بإذن الله



المملكة العربية السعودية

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

وزارة الخارجية

MINISTRY OF FOREIGN AFFAIRS

II/46

جواز سياسي

DIPLOMATIC PASSPORT

No. 432 رقم الجواز ٤٣٢

Name of bearer اسم حامل الجواز

Mr. Mohammed Hamad Al-Shubaily, Consul of Saudi Arabia, Basrah

تعليمات

بشأن الجواز السياسي

١ ـ تصدر الجوازات السياسية من وزارة الخارجية.

٢ ـ في حالة فقد الجواز السياسي أو تلفه يقتضي إشعار وزارة الخارجية في الحال أو إخطار أقرب سفارة أو مفوضية أو قنصلية للمملكة العربية السعودية.

٣ ـ يسلم الجواز السياسي إلى حامله عند السفر ـ وحين العودة يسلم إلى دائرة الجوازات لإيصاله إلى وزارة الخارجية مباشرة.

٤ ـ تمدد صلاحية الجواز السياسي من قبل وزارة الخارجية.

٥ ـ لا يجوز إضافة اسم جديد أو أسماء أشخاص أو زيادة صفحات على هذا الجواز إلا من قبل وزارة الخارجية فقط.

اسماء مرافقي حامل الجواز

سليمان ابنه

عبد الله ״

عبد الرحمن ״

Persons accompanying bearer of passport

Suláiman, his son

Abdullah : ״

Abdulrahman: ״

— ٥ —

صورة حامل الجواز

Photograph of bearer



Signature توقيع حامل الجواز

— ٦ —

الجواز السياسي الذي كان يحمله عندما كان قنصلاً في البصرة، صدر عن وزارة الخارجية بجدة بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٣٧٣هـ ـ ١٣/ ٥/ ١٩٥٤م.



ريع هذا الكتاب مخصص للأهداف الخيريّة.

التصميم والإخراج والطبع:
العبيكان
Obeikan
هاتف: ٤٩٨٣٣٩٢ / ٠١

لو كان بإمكاننا رد القدر عنه لقدمنا كل ما نملك

فهد بن عبد العزيز

إنه ركن من أركان الدولة، حازها بيمنه وجهده

عبد الله بن عبد العزيز

إنه والد وأخ كريم

سلطان بن عبد العزيز

إنه من المروءة والمكارم وحبه للدولة وحرصه على الواجب وخدمة المواطن في درجة الإيثار أو تجاوز

سلمان بن عبد العزيز

مثّل بلاده خير تمثيل وجاء أداؤه قمة في الأصالة والتميز، وأتمنى على الجيل الجديد من دبلوماسيينا أن ينهلوا من سيرته.

سعود الفيصل

كان شامة بين السفراء، فقد مثل خير بلاد الله أرضًا، عامر القلب طيب اللسان، صقل الإيمان بالله إنسانيته.

الشيخ/ أبو الحسن الندوي

كان من أطيب الرجال الذين قابلتهم، يوزع المال على الفقراء والأطفال، يقدم العون دون سؤال كان يتمتع بمزايا شخصية بالغة

تنكو عبد الرحمن

ردمك: ٩٩٦٠-٢٠-٠٦٠-٤